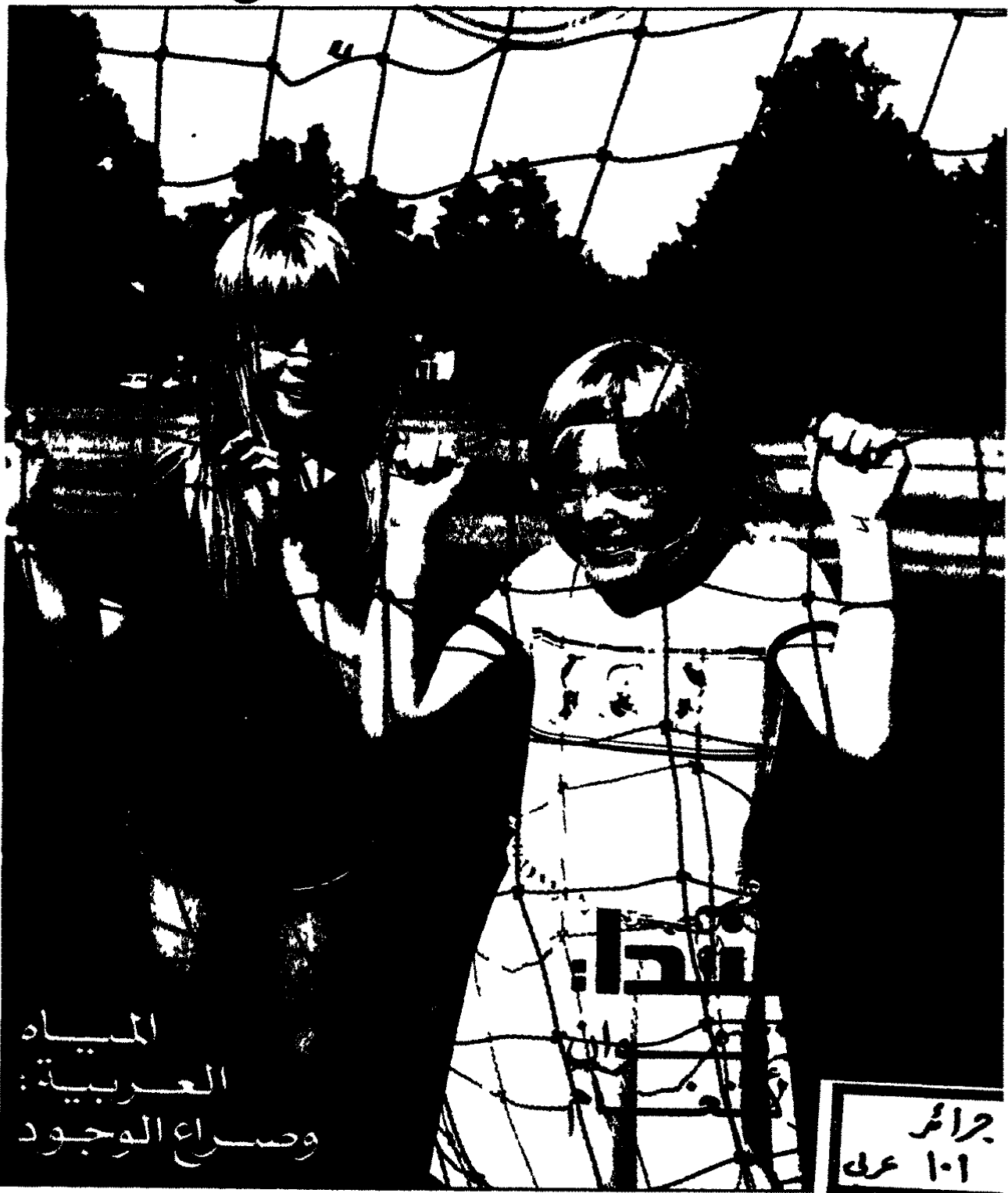


شعبان ١٤٠٥ هـ - مايو (أيار) ١٩٨٥

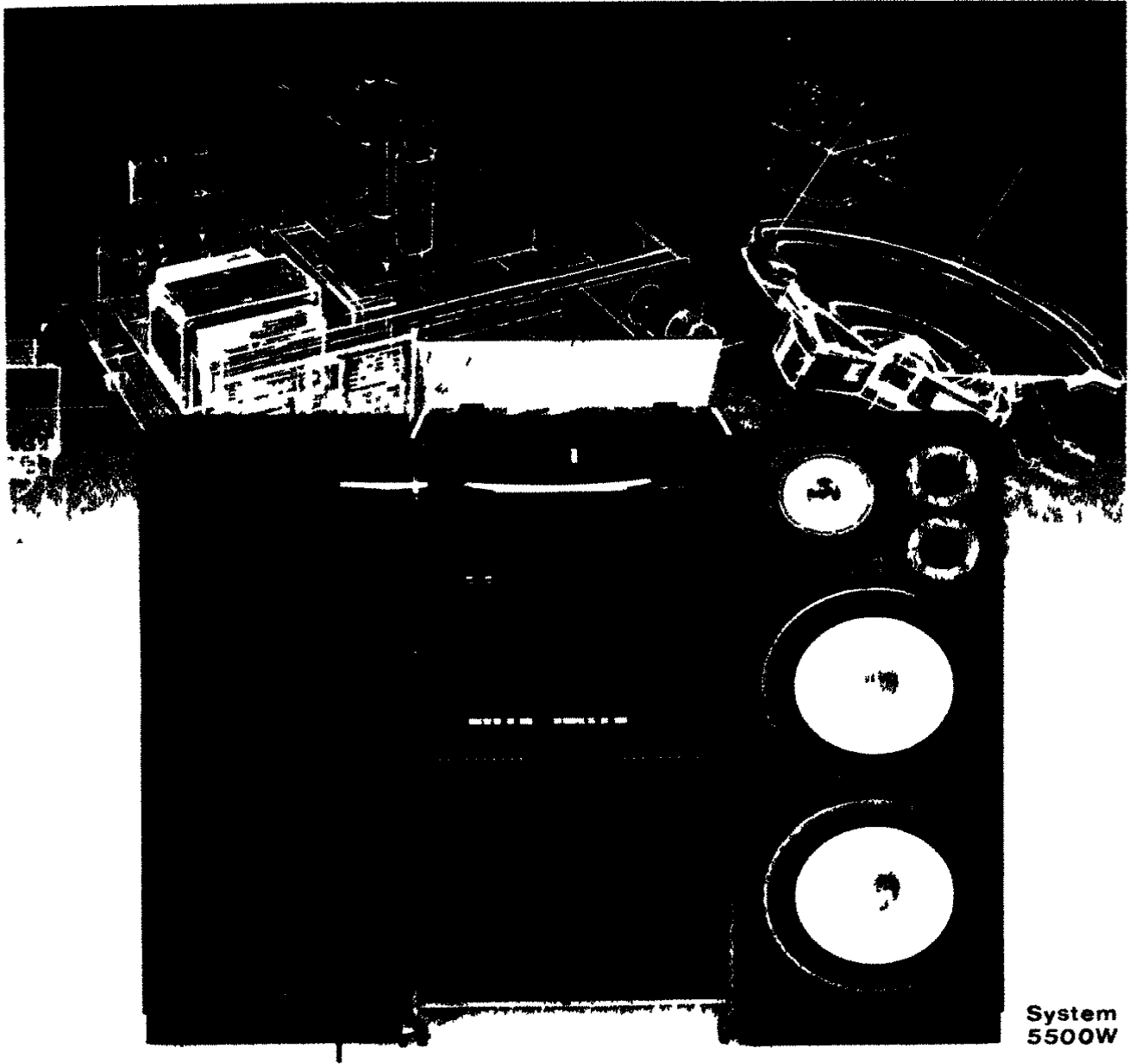
العرب



المياه
العربية:
وصراع الوجود

شعبان

جرائم
١٠١ على



**System
5500W**

المصمم ومكبرات الصوت يتان صوتاً عتيّاً حذاً واسع المجال
و حال تماماً من التسويبتين لقد طمّنت مكبرات الصوت هذه
حسباً للاستعمال في الانظمة المنزلية - السمعية ، وهي أيضاً
محلصك من التسويبتين الماطلتيين الذي ستخه المكبرات أحياناً
والذي قد سمعه في أجهته التلهزيون القريبة
ان أفكاراً عظيمة كهذه هي التي تمكن فيسترتو ٤ /
من حمل أنظمة الإجهته الشمعية المركبة في الولايات المتحدة
فلا ينقل بالآقل وقدم لمسك فكرة عظيمة قدّم لمسك
فسترتو
« طاقة إخراج RMS مع ٩ ، / THD عدد KHz

في عام ١٩٢٧ ، خطب على مال رجل اسمه اعدى فيستر
فكرة عظيمة ، فقد اخترع أول نظام صوت هاء فاي في
العالم . هذه الفكرة وغيرها من الأفكار التي تعيها داب بليد
'الأفكار العظيمة التي ما لت تتناح حتى اليوم في سكة فيستر التي
انشأها

مثال عظيم على ذلك نظام فيستر السمعي المركب الكامل
'التوارن المن اعلاء داخل مصححات الصوت داب القه
'لذمسة ١٨ + ١٨ واط* . إعتد فيستر عمولاً للسار فائق الأذا
'يوفر مصدرًا موارثاً للطاقة حتى عد الإسماع العالي حدا
كذلك إعتد نظام مكتر صوت ووفر مردودج وهكذا فال

فـيـشـر
FISHER
The first name in high fidelity

العربي

مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهرياً عن وزارة الاعلام
بدولة الكويت

للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

AL-ARABI
Issue No. 318 May. 1985 P.O. Box 748-
Kuwait. A Cultural Monthly-Arabic
Magazine in Colour Published by :
Ministry Of Information - State Of
Kuwait.

عنوان المجلة
ص. ب ٧٤٨ صفاة - الكويت
تلفون ٤٣٩٧٢٨ - ٤٦٨٢٤٢ - ٤٢٧١٤١
برقيا "العربي" الكويت - تلكس: MTR 44041KT
المراسلات باسم رئيس التحرير

الإعلانات يتفق عليها مع الإدارة - قسم الإعلانات

ترسل الطلبات إلى : قسم الاشتراكات - المكتب الفني
وزارة الاعلام - ص. ب ١٩٣ - الكويت
على طالب الاشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية
أوشيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام طبقاً لما يلي :
الوطن العربي ٤ د.ك - باقي دول العالم ٦ د.ك

الإشتراكات

الكويت ٢٥٠ فلساً	تونس ٤٠٠ مليم	الامارات ٥ دراهم
العراق ٢٥٠ فلساً	الجزائر ٤ دنانير	لغربي ٣ دراهم
الأردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريال	ليبيا ٣٥٠ درهماً
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريال	سلطنة عمان ربع دينار
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلساً	قطر ٥ ريال	أوروغواي ١٥ فرنكاً
مصر ٢٥٠ مليم	لبنان ٣ ليرات	فرنسا ١٥ فرنكاً
السودان ٢٠ قرشاً	سوريا ٣ ليرات	امريكا دولاران

**شمن
النسخة**

صدر حديثاً

كتاب العربي

V



الكتاب



د. أحمد مختار أبو المجد

حوار للمواجهة

دراسات حول
"الإسلام والعصر"

و ان ما استقر عليه الكثير من علمائنا من أنه لا اجتهاد مع وجود النص ينبغي أن يوضح في اطاره الصحيح ، فوجود النص (بمعنى الدليل الجزئي الثقلي ، من آية أو حديث) لا يلغي - بالضرورة - دور العقل والاجتهاد ، إذ أن فهم مراد الشارع وتحديد منطولات الألفاظ ، والترجيح بين النصوص المتعددة التي يوحى ظاهرها بالتعارض ، كل ذلك اجتهاد لا يحول دونه ورود الدليل الثقلي .

هذا جزء من اجتهادات الدكتور احمد كمال ابو المجد في الكثير من المسائل والقضايا الاسلامية المطروحة في عصرنا ، والتي شاع الاجتهاد والفتاوى فيها وحولها في الكثير من دورياتنا ومجالاتنا ومؤسساتنا وقرائنا . وهي اجتهادات تأمل أن تضيف جديداً لا هو مطروح . وأن تصبح آفاقاً جديدة في هذا المجال .

عزيزي القارئ

هذا الشهر متميز في تاريخنا العربي المعاصر ، فهو الشهر الذي تستعاذ في منتصفه ذكرى أليمة على قلب كل عربي ، انها ذكرى اغتصاب فلسطين . ومع مرور كل هذه السنوات منذ ذلك اليوم في سنة ١٩٤٨ فان أملنا المعقود على المقاومة مايفتا يقوى . ويحدو جميع العرب والمخلصين من أبناء دول كثيرة لمسوا ماحاق بأبناء فلسطين من تعسف وايلام وقهر ، فهبوا يناصروهم ويضمدون جروحهم ، كل بطريقته الخاصة وجدير بنا ألا يتتابنا فتور في المثابرة ، فتؤكد القول من جديد بأن سلسلة الاغتصاب الاجرامية مازالت تمتد بحلقاتها الثقيلة على ربوع تلك المنطقة الغالية من وطننا العربي موأنا في أمس الحاجة الى القوى التي تتصدى لها وتردعها .

ولقد قدمنا للقارئ في هذا العدد استطلاعاً مصوراً عن المياه العربية والأخطار التي تحديق بها ، وبجانب هذا الاستطلاع فان « العربي » عودت قراءها دائماً أن تطلعهم على المفيد والجديد في آفاق الثقافة والتربية والفكر والعلوم والتراث كما أن المسابقة في القصة القصيرة التي أعلننا عنها في مطلع هذا العام قد أقفل بابها ، بعد أن أصبح لدينا مايربو على ألفين من قصص المتسابقين .

وقد شرعت لجان القراءة في تقويم هذه القصص وتصنيفها تأهباً لتحديد الفائزين الذين سنعلن عنهم في عدد أكتوبر القادم - ان شاء الله - وفاء بوعدنا للقراء .

وإذا كان هذا العدد الذي بين يديك - عزيزي القارئ - متميزاً بالشراء والتنوع ، فان التزامنا بتقديم عدد ممتاز في الشهر القادم خير يسعدنا أن نزفه اليك ، فهو عدد رمضان السنوي الذي يتألق بما فيه من نفحات رمضانية وتراثية ، هذا الى جانب المواد الأخرى التي أبدعها كبار الكتاب العرب ، فضلاً عن الاستطلاعات وغيرها من الأبواب ، وهكذا دأب « العربي » وطابعه تقديم كل ماهو قيم ومتطور ، والى لقاء متجدد .

□

المحرر

حديث الشهر

بقلم الدكتور محمد الرميحي

الموروثات الشعبية

كم فيها من ثابت وكم فيها من متغير؟

■ تغيّر دلالات الأمثال العربيّة
دليل على تغيّر الأزمان والحاجات.

■ وضع المثل والحكمة في سياقهما التاريخي
أدعى إلى الصحة والتصرف السليم.

■ لا تقطع بالسكين ما تستطيع قطعه بالأصابع.

قال لي صديق ذات مرة . هل فكرت في الكتابة عن الموروثات الشعبية (الفولكلور) لما فيها من تشابك بين ماضينا وحاضرنا العربي اليوم ، ولما لها من تأثير تداوله ونقله نقلا ونرده دون أن نتبين وقعه على حياتنا المعاصرة .

قلت له : اضرب لي مثلاً .

قال : ما يردده الناس في الأمثال السائرة : خالف تعرف ، أو خالف تربع ، أو العين لا تقاوم المخرز ، أو أحب أهل الكلب إليه خانقه . الخ



قلت : لقد فهمتك الآن ، إن لي وجهة نظر في هذا الموضوع ،
والأمثلة التي ذكرتها قد تكون مدخلا جيدا لمناقشة الموضوع برمته .

ومنذ حديث الصديق اختمرت الفكرة في ذهني وبدأت أقرأ حولها ما
تيسر لي من مصادر . فوجدت أن موضوع « المأثورات الشعبية » طويل
عريض ، له علاقة بموقفنا من كل ما هو منقول عن السلف من جهة ، ومن
جهة أخرى له علاقة بحياة الشعوب وخبراتها وتجاربها . وأنا اليوم أحاول
الكتابة عن جزئية منه هي « الأمثال والحكم » .

□ والأمثال والحكم هي سلسلة طويلة من تراكم الخبرات مضغوطة في
كلمات قليلة ، وهي ليست مقتصرة على شعب دون آخر ، بل إننا نجد في
بعض الأوقات أنها مشتركة بين ثقافات وشعوب متعددة ، بالرغم من
اختلاف بيئاتها وتجاربها وبعد المسافة بينها ، ذلك لأنها تعبر عن معان إنسانية
مقتربة بالوجود البشري العام .

فالمثل العربي القائل « كحامل التمر إلى هجر » ويضرب في الشخص
الذي يحمل بضاعة إلى بلدة هي صانعتها أو منتجتها ، نجد له مثلاً مشابهاً في
الثقافة « الانجلو سكسونية » هو (كحامل الفحم إلى نيوكاسل) ، ومن
المعروف أن نيوكاسل هي المنطقة الأكثر شهرة في إنتاج الفحم الحجري ، كما
هي هجر (منطقة شرق الجزيرة العربية كما تسمى في التاريخ) منطقة إنتاج
شهيرة للتمر !

من هنا يأتي القول بأن قدراً كبيراً من الأمثال والحكم المتداولة هي
ملك للإنسانية جميعها ، وهي مشتركة بين شعوب كثيرة بالرغم من اختلاف
صورها وصياغتها ، مع ذلك فإن معناها متشابه ، وبعض الكتب تضع فارقا
بين المثل والحكمة فتخصص المثل بما له مورد ومضرب ، أي له حدث واقع
قليل فيه ، ثم صار صالحاً لأن يضرب فيها يشبه هذا الأصل وينطبق عليه ، أما
الحكمة فهي القول الذي يطلقه صاحبه من حصاد خبراته وتجاربها ، وبعض
الكتاب يغلب « لفظ » المثل فيطلقه على الحكمة أيضاً .

□ وحين نناقش الفرق بين المثل وبين الحكمة بتفصيل أكثر ، فنسجد أن
كليهما قول وجيز رصين ، ولكن المثل قول جرى في موقف معين حقيقي أو
متخيل ، تعبيراً عن حادثة ما لشخص أو أكثر ، فإذا تكرر مثل هذا الموقف
ذكر القول السابق ، لما بين الموقفين من التشابه ، ومن هنا سمي هذا القول
بالمثل ، ومن الحكمة ما يجري مجرى المثل كقول المتنبي « الجوع يغري الأسود
بالجيف » ، فالمعروف أن الأسد لا يأكل الرمم فضلاً عن الجيف ، بل
يصطاد لنفسه فيأكل مما اصطاده طازجاً ، ولكنه حين يجوع فلا يجد ما

تشابه الخبرات
والأمثال

الموقف بين
المثل والحكمة

يصطاده من الحيوانات ، ولا يجد إلا جيفة فإنه يأكل منها ليدفع عن نفسه الموت .

وإذا وجد مثل هذا الموقف - وكثيرا ما يوجد - قيل هذا القول ، ولو لم يكن في الموقف أسد ولا جيفة ، لأن الضرورات تنزل الانسان على حكمها ، كما اذا رأينا شريفا يرضى بما لا يليق به ، فما امتنع عنه ، والحياة كما نعلم ملأى بالضرورات .

ويلتقي هذا المثل الجاري مجرى الحكمة مع محض حكمة معروفة هي قولهم « الضرورات تبيح المحظورات » ويتكرر قول هذه الحكمة كلما حدثت ضرورة تضيق على صاحبها فتلزمه ان يقدم على ما هو ممنوع ، فرارا من الضيق الى السعة ، في سبيل مصلحة أكبر .

والمثل أشد توضيحا في ابراز المعنى وتبسيطه من التعبير عن هذا المعنى نفسه بعبارة عادية ، لأنه يصور المعنى صورة حسية ، والمحسوسات أسير فيها ، لأنها تدخل من الحواس ، فيتلقاها الذهن شاخصة متميزة ، وهو يعتمد على التشبيه أو الاستعارة أو الكناية من وسائل البيان .

ولذلك يلجأ المعلمون إلى المثل أو الأمثال في تبليغ ما يريدون ابلاغه الى من دونهم فهم ، وفي القرآن الكريم « ان الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما ، بعوضة فما فوقها » وتذكر الاناجيل - وهي تروى قصة السيد المسيح مع حواريه - أنه عليه السلام « كان يكلمهم بأمثال ، وبغير أمثال لم يكن يكلمهم » .

ولكل مثل في الغالب قصة ، واقعية أو خيالية ، بحسب الحادثة المفترض انه جرى فيها ، وما تمتاز به أمثالنا العربية جملة أن الكتب التي تعنى بجمع الأمثال حين تذكر المثل تذكر معه قصته الواقعية ، أو تتخيل له قصة ملائمة ، واما كتب الأمثال في اللغات الاخرى فالغالب انها تورد الأمثال مجردة .

وقد لا تكون للمثل قصة كقولهم : « أكرم من حاتم » و « أظلم من الحجاج » و « أخف من فراشة » و « أثقل من جبل » فيمكن في المثلين الأولين ان نعرف أن حاتما كان رجلا كريما ، وأن الحجاج كان حاكما ظالما ، ويمكن في المثلين الآخرين أن نعرف خفة وزن الفراشة ، وثقل وزن الجبل .

والحكمة تعتمد على الواقع ونفاذ العقل الى أسرار الطبيعة أو الحياة ولا سيما النفس الانسانية وطبائعها أو امزجتها ، ومن ذلك أمثالنا العربية الاتية : - « مقتل الرجل بين فكيه » و « ذكاء المرء محسوب عليه » . ومن الحكم في الانجليزية : « لأن يموت المرء حرا خير من أن يموت عبدا » و « لا تقطع بالسكين ما تستطيع أن تقطعه بالأصابع » و « الشحاذون لا يخشون اللصوص » و « كل امرئ يلقى الخطاء على زمانه » .

الامثلة والحكم قد تكون انسانية عامة أو تكون قومية أو وطنية خاصة . . فمن العامة المثل الروسي : « اذا لم يكن مفر من الفرق ، فالبحر



● الموروثات الشعبية

اللجي خير من البركة الآسنة ، وآخر « من الحياة نخاف ، لا من الموت » ، ومن الأمثال القومية أو الوطنية « زوجي سيء أخافه ، ولكن اذا كنت معه لم اخف غيره » و « ما أسعد الفرنسي بفراب » والأخير هنا يعود الى أن جنود نابليون بعد خيبتهم في خزو روسيا وندرة الأقوات ، كانوا يصطادون الغربان . ومن الأمثلة الصينية الساخرة « بائع البطيخ يقول إنه حلو » وهو يقابل المثل المصري « من يشهد للعروس إلا أمها » .



وفي تراثنا العربى كثير من كتب الامثال والحكم ، وقد ألفت فيها كتب خاصة ، وهي تسمى « كتب الأمثال » ويجب أن نلاحظ أن الأمثال والحكم أكثر شيوعا في الأوساط الامية .

ويقول العرب ان مواصفات المثل الجيد هي الایجاز واصابة المعنى وحسن التشبيه وقد عتوا على مر العصور بجمع الأمثال وتصنيفها ، الا أن الدراسات التحليلية الاجتماعية لهذه الأمثال قليلة بل نادرة . وبما أن الأمثال ينمكس فيها شعور الشعوب وتفكيرها وعاداتها وتقاليدها وخبراتها ، كما تعبر عن الفئات الاجتماعية التى تنطقها بما تريد ان تقول أو تضمنها مواقفها ومصالحها . . لذلك فقد أصبحت أحد المصادر المناسبة والمهمة لمعرفة نفسية أى شعب وتطوره الفكرى والحضارى ، وهذا النوع من الدراسات يمكنه أن يكشف الحياة الفعلية والحضارية للأمة ، ولا تستطيع أية مصادر أخرى - كالتقوش والتدوينات - أن تقدم ما تقدمه الأمثال من ثروة حقيقية للدراسة ، وكمصدر لاكتشاف تلك الحياة وتحليلها في واقعها وربما في احتمالاتها المستقبلية ، وأصبحت الأمثال اليوم هي المصدر للدراسات العلمية الاجتماعية الكثيفة . لكن بالرغم من هذه الأهمية التى يعول عليها بالنسبة للأمثال والحكم الا أن ما ندعو اليه هو النظر بمنظار النقد والغربة لها .



□ اذا أردنا أن نقف موقف الدارس والناقد لما وصلنا من أمثال وحكم من قبل الأسلاف فلا بد لنا من إلتصحيص في القيمة الحضارية لبعض أمثالنا وحكمنا ، ولا يضيرنا أن نضيف الشعبى والمستحدث منها الى الفصيح والموروث .

· فالأمثال التى ضربها صديقنا في صدر هذا الكلام مثل : « مخالف تعرف » وغيره ، تنطوى على موقف ضمنى معارض للتجديد والابتكار . وكل من يأتى بتجديد لا يؤخذ بالجديده الكاملة في حد ذاته ، فهو مجرد شخص يريد أن يعرف أو يشتري دهابة واحلاتنا - حسب أقوالنا اليوم - بالمجان دون أن يضيف جديدا ، لذلك فإن النظرة اليه هي نظرة استخفاف لا غير .

المستحدث

والعربية

وأمثلة أخرى لابد أن نقف عندها طويلا وهي وإن شكلت خبرة لشخص ما في مكان وزمان محددين ، فإنه يجب ألا نأخذها على علاتها وبصورة ملزمة ومطلقة - مثل قولنا : « اتق شر من أحسنت إليه » أو « أكبر منك بيوم أعلم منك بسنة » أو « أن آخر الدواء الكى » . . . الخ .

ففى عصرنا هذا لا يمكن أن نقبل التحريض على الاحسان الى الناس بسبب أن أحدا في ظروف معينة اساء لمن أحسن اليه ، كذلك لا يمكن أن نقبل أن يكون التقدم في السن وحده عاملا أساسيا من عوامل التقدم في العلم والمعرفة ! أو أن آخر الدواء الكى في الوقت الذى تقدمت فيه علوم الطب ! وإذا كانت تلك الأمثال وغيرها تضرب في بعض الأحيان لأجل معناها الضمنى ، فلإنها مهما اختلفت صيغتها تعبر تعبيراً واضحاً عن مواقف اجتماعية وفكرية يجب أن نعيد النظر فيها من جديد .

□ يقودنا كل ذلك الى القول بأنه ليس كل ما قاله أجدادنا في العصور السابقة - حتى لو كانت خبرتهم عنه حقيقية في ذلك الوقت - يصلح بالضرورة والحتم لزماننا ، أو انه يمكن أن يخدم حياتنا الحاضرة - ولا أجد أن ذلك بذاته يعتبر موقفاً جديداً ، فالموقف من التقليد والنقل انتقده الكثيرون في عصرنا من منطلق موقف فكري عام . ولكن ما نعتقد أنه جديد هو النقد وإعادة النظر في أمثالنا السيارة ، والتي يجرى تداولها كثيراً على شفاه الناس ، ومعظمهم يتعامل معها بتسليم مطلق دون تمحيصها أو اخضاعها لمحك التجربة .

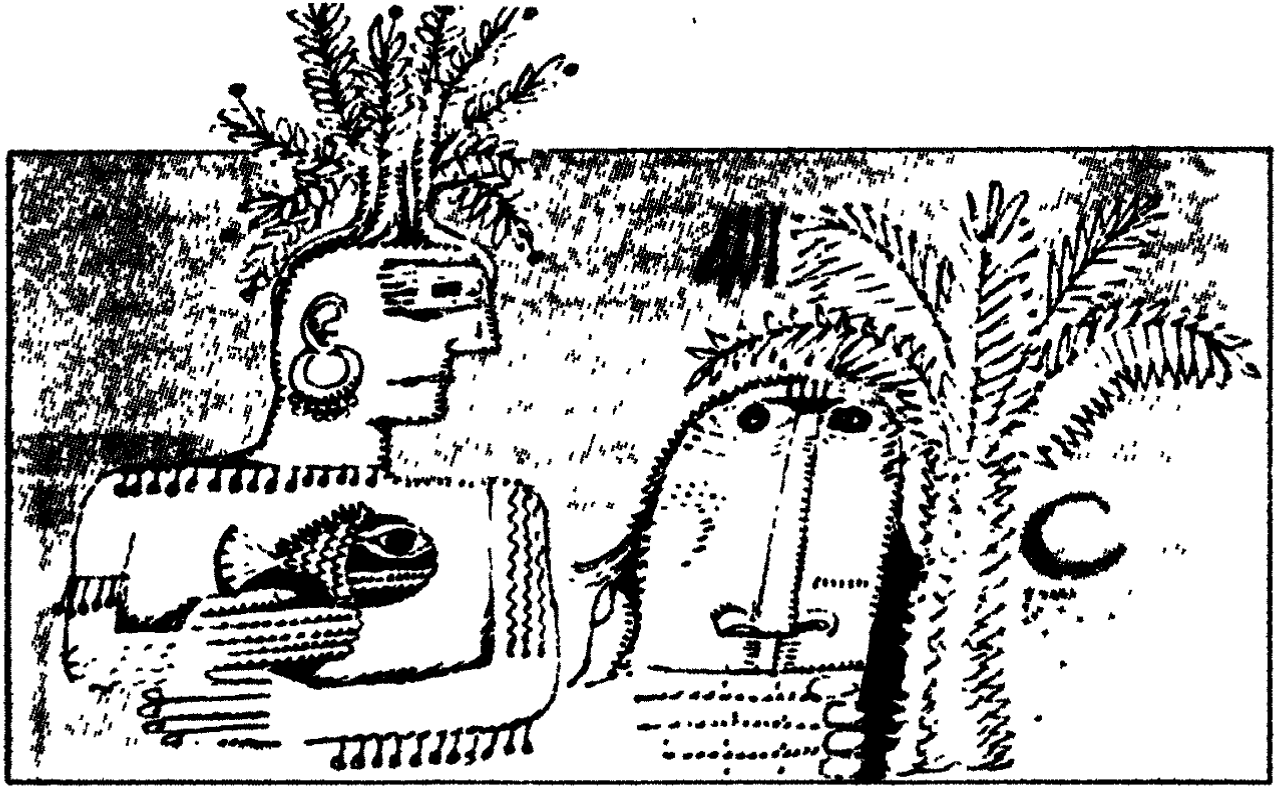
ضمن هذا الإطار لابد من بذل جهد ثقافي لإيجاد وعى جديد يسلم بأن التغيرات التقنية من جهة والاجتماعية من جهة أخرى تفرض التغير حتى في أمثالنا وحكمنا . . . فهي ليست ثابتة ولا يجوز أن ننظر اليها كذلك ، صحيح أن بعضها يمكن قبوله اليوم ، لا لأنه حكمة قديمة ومثال سائر ، ولكن لأنه مازال ينطبق على الخبرة الانسانية اليوم ، ويمكنه أن يتواءم مع مجريات الحياة والواقع ، كقولنا مثلاً : « الخطأ زاد العَجول » أو كقولنا : « رب أخ لك لم تلده أمك » أو « أعط القوس باريها » أو « أسمع جمجمة ولا أرى طحنا » أو « السيفان لا يجتمعان في قراب واحد » أو « ما ضاع حق وراءه مطالب » . . . الخ . أما بعضها الآخر الذى لا يتناسب مع حقائق العصر فلا بد من إعادة النظر فيه .

تجربة خلاص الأمم من الموروث الجامد المعطل للتغير تقول لنا ان هذا الخلاص يبدأ بخطوة أولية ومهمة هي نقد الموروث وبيان سلبياته ، والاعتراف بأن بعض هذا الموروث من « أمثال وحكم » لم تعد ملائمة في عالم اليوم .

فمع التقدم المتزايد في الوعي وإدراك حقائق العلم والحياة والمجتمع فإننا نحس بالارتباك والقصور والتقصير فيما لو حبسنا تجربتنا في إطار تجارب

تجربة
والزمن





الآخرين وخبراتهم الخاصة في زمان وظروف كانت لصيقة بهم . ومن خلال اعمال النقد واخضاع الحكم والأمثال لمحككات الواقع فلأننا لا نفتأ نكتشف فداحة الخطأ الذي نقع فيه عندما نؤسس احكامنا في قضايا كثيرة على خبرة الآخرين ، أو على حكم وأمثال موروثه منقولة من الماضي ، واغفال الخطأ في هذا الموروث يورث أخطاء أخرى للأبناء أيضا ، مما يتراكم ويزيد من الاخطاء التي قد تعطل مسيرة الأحفاد وتدخلهم في نطاق المقلدين بدلا من أن يكونوا مبتكرين .

الحالة الذهنية لعصرنا هي حالة صراع وشد وجذب تتسابق فيها الأمم للوصول الى التقدم من أجل سعادة الانسان ، هذه الحالة تحتم علينا نقد الموروث وتحديد سلطانه علينا حيث يقف البعض بعناد في وجه كل تغيير مما يجعل الاصلاح المنشود في مثل هذا الموقف هو اصلاح للماضي لا اصلاح للمستقبل الذي يطرق أبوابنا ويتحدانا ويطلبنا بالتأهب له .

قد يرى البعض أن العودة الى الماضي والتشبث به تعني جزئيا هروبا سهلا ومريحا من مواجهة الحاضر والمستقبل ، وبمعنى آخر التوجه الى بساطة الثقافة الماضية هروبا من مواجهة تعقد الثقافة المعاصرة ، لذلك يبدو لنا أن التشبث بتجارب الماضي المحدودة في طبيعتها هو في حقيقة الامر حركة تقليص واسترخاء تريد تجميد حدود التجربة الانسانية .. ولكن الحقيقة الظاهرة للعيان أن التجربة الانسانية تتسع كل يوم ، بل كل ساعة ..

الخط الفاصل بين الفهم « لإحياء الموروث » وبين « تجاوزه » تكمن

في فهمنا الواضح بأن صلب القضية لا يقوم على احياء تجارب السابقين كي تقلدهم ، بل يقوم على الاستفادة من تجاربهم حتى نبدع واقعنا وحياتنا تماما كما صاغوا هم تجاربهم وحياتهم حسب واقعهم . القضية بشكل آخر هي ألا تتبدل ولكن أن نتصرف مثلهم في ظل ظروف اقتصادية وسياسية وتقنية واجتماعية متغيرة .

□ عادة ما تصنف الأمثال السيارة - سواء كانت مصوغة بلغة عربية أو بلهجة محلية في شتى أقطارنا العربية - على أنها صنفان :

صنف يحمل الحكمة ، وصنف آخر مبني على حوادث وقعت لأشخاص حقيقيين أو متخيلين في مجمل الموروث الشعبي . ومن هنا تنبع ضرورة إعادة النظر في مثل هذه الأمثال ، فإن كانت من النوع الاول ، أي الحكمة ، وجب قياسها على مجريات الحياة والواقع ، فإن وجدنا انها ما زالت تملك صلاحيتها وصحتها ونخدم البشر في حاضرهم . . فإن ذلك أدعى الى التمسك بها والأخذ بمضمونها ، والا أعيد النظر فيها ، اما اذا كان المثل نابعا من تجربة شخصية ، فلا بد من قراءة تلك التجربة واستنتاج الجوهرى فيها واقتباس ما يمكن أن يغنى حياتنا ويضيف اليها . ولقد أقنعتنا دراسات أمثال الشعوب وحكمها بأن لها علاقة بالروح العام للشعب في مراحل معينة ، فإن نبعت الأمثال في مرحلة انتصار وثقة بالنفس انتشرت الأمثال المجسدة لذلك التوجه ، وان كانت الشعوب في مراحل تقهقر وانحسار انتشرت بينها الأمثال والحكم المتقاعسة والمفضية الى التوقع وترك ما لقيصر لقيصر .

ولعل هذه القضية قد خبرناها نحن العرب في الخمس والعشرين سنة الأخيرة من هذا القرن على أقل تقدير . فعندما كانت حركة التحرير العربية سائرة في طريقها الصاعد تكسب المعارك مع الأجنبي ، كان فهمنا لأنفسنا من خلال ما نطلقه من حكم وأمثال يتوافق مع طبيعة المرحلة ويستجيب لها ، ولكن في مرحلة أخرى وأحسبها الخمس عشرة سنة الماضية نجد أن أمثالا وحكما وتعايير شعبية مصورة للتخاذل ، هي التي انتشرت في بيئة التراجع والانحسار .

وقد يساق المثل دون ذكر صاحبه فيوصف بأنه قول كثيرين ، وقد يكون من أطلقه فردا واحدا امتاز بالفطنة وفهم الواقع واستخلصه من تجربته وتجاربه غيره ، مما يرجع احتسابه ضمن ما يمكن ان يعبر عن شعور الجماعة واحساسها وخبراتها .

□ دراسة الأمثال - بجانب كونها مصدرا مهما لدراسة الحياة العقلية والحضارية للأمة - مصدر آخر لدراسة تطور اللغة وانتقال دلالات الالفاظ ، فبعض الالفاظ والجمل اليوم تعنى لنا شيئا محددا ولكنها في وقت



مضى كانت تعنى شيئا آخر كالقول : « ثلاثة لا يستشارون : معلم الصبيان وراعى الجديان - صغار الماعز - ومجالس النسوان » . ومعلم الصبيان على سبيل المثال كان ساقط العدالة ولا تقبل شهادته في رأى بعض فقهاء المذهب الحنفى قديما ، أما معلم (الصبيان) الآن فهو كثيره من المواطنين له حقوقه وواجباته ويؤدى رسالة وواجبا وطنيا يستوجب لقاءهما كل تقدير واحترام . واذا نظرنا الى أمثالنا العربية حسب هذا المنظور فإنا نحصل على دليل آخر على قدرة لغتنا العربية على التطور والمرونة التى استمرت بها لغة حية كل هذه القرون الطويلة .

لقد كثرت في لغتنا العربية الأمثال التى تلم الجبن والبخل والغدر وغير ذلك من الصفات السلبية ، كما كثرت الأمثال التى تمجد الشجاعة والكرم والحكم والعقل والوفاء والعفة . . الخ من القيم الاجتماعية الايجابية مثل : « الصديق أنجى » ، « من لم يعلم لم يسلم » « دولة الجاهل حيرة العاقل » « الجاهل بالفضائل من أقيح الرذائل » . . الخ ، ولكننا نجد أمثالا تأخذ مسارا عكسيا - ولو أنها قليلة - فتلمد القيم الايجابية وتعظم القيم السلبية مثل : « الكذب ملح الرجال » ، أو كما ورد في بداية هذا المقال : « أحب أهل الكلب إليه خائنه » ، « أو العين لا تقاوم المخرز » ، ولقد كان ذلك مدخلا لبعض المستشرقين للطعن في الحضارة العربية .

كما أن المرأة نالها نصيب الأسد في الخط من شأنها من خلال بعض الأمثال العربية مثل : « أجهل من امرأة » ، أو « من كانت تجارتها نسوان فهو الى خسران مهما طال الزمان » ، أو « ثلاث لا أمان لهم : المال ولو كثر ، والسلطان ولو قرب ، والمرأة ولو طالت عشرهما » ، أو المثل الذى سبق ذكره ، وبدايته « ثلاثة لا يستشارون .. الخ » .

ويأخذ البعض كل ذلك كأنه أمر مسلم به على دونية وضع المرأة عند العرب ، كما أن البعض الآخر يأخذ على الامثال العربية صيغة المبالغة الظاهرة ، كما ان المثالية المطلقة البعيدة عن الواقعية هي أيضا احد المآخذ الأخرى .

الامثال تفضي اسراراً كثيرة عن عقلية الشعوب ومجريات حياتها ، وتحدد الوضع الاقتصادى والاجتماعى لشرائعها المتعددة ، كما تسجل حكمتها واعتزازها بنفسها من جهة ، وسليتها واستسلامها من جهة أخرى . وبما أنها نابعة ومعبرة عن مجموعة عريضة من الناس ولا تعبر عن النخبة فقط كما هي في حال الشعر أو النثر أو أية فنون أخرى ، لذلك فإنها اقرب الى التعبير عن المجتمع بكل أفرادهِ على اختلاف طبقاتهم ونزعاتهم .

محمد رشيد

الصناعات الثقافية

ببين

سلطاننا عليها وسلطانها علينا

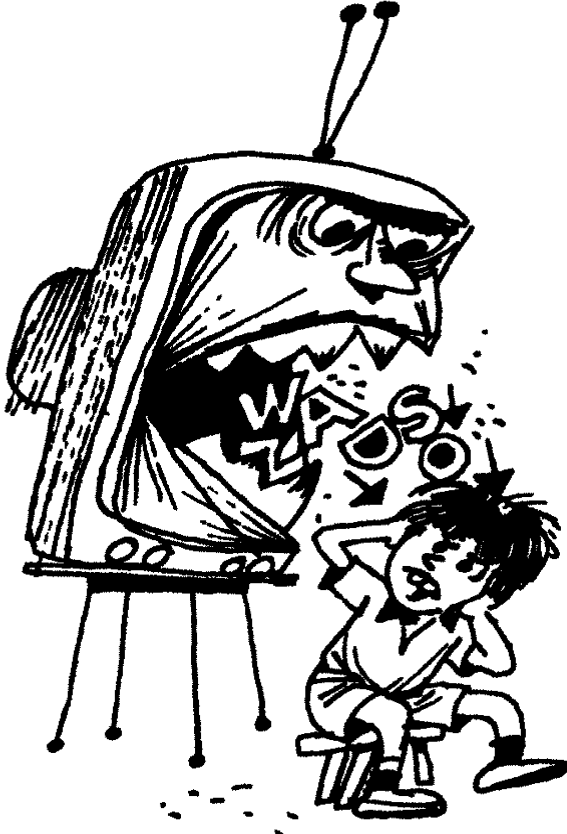
بقلم : الدكتور عبدالله عبدالدايم

مع بداية العقد الماضي توقف المثقفون ليتساءلوا عن مصير الثقافة ، مادة نشاطهم الأساسية في زمن السيطرة شبه التامة للتقنيات الحديثة ، فقد ظهر الى الوجود مصطلح « الصناعات الثقافية » وحقت الآلة انتصارا على أرض جديدة .
في هذا المقال خروج من دائرة الحذر الى دائرة البحث وطرح الأسئلة ووضع التصورات .

تحويل لكل ما في الحياة الى لغة الآلة وحركة الدمى .
الصناعات التربوية :

منذ عقود قليلة من السنوات ذاع وشاع مصطلح « الصناعة التربوية » وحملت بعض الكتب والدراسات هذا العنوان الذي بدا مفاجئا ، وقيل عن

الصناعة - التي أخذت تكف عن أن تكون مجرد صناعة ، وذلك بعد الانتقال الى مرحلة الثورة الصناعية الثانية أو الموجة الثالثة (توفلر) أو مرحلة ما بعد الصناعة ، تزحف مغللة الخطأ الى جوانب شتى من حياتنا الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، دون أن ندرك في كثير من الأحيان أبعاد ذلك الزحف فتأثيره ، ودون أن ندرك بوضوح أصابعه هوام مجرد



التربية ونظامها أنها صناعة كبرى . وتحدث المخططون الاقتصاديون ومن بعدهم المخططون التربويون عن العائدات الاقتصادية لتلك الصناعة وعن « مدخلاتها » و« مخرجاتها » وعن « مردودها الداخلي » و« مردودها الخارجي » وعن الهدر والضياع فيها . وجربوا في الجملة أن يكون شأنهم معها شأن من يحلل واحدة من كبريات الصناعات ، تحليلًا يدخل إلى التربية للمرة الأولى أساليب الدراسة الصناعية ومناهج البحث الاقتصادي . ثم كانت ردة وكانت تلك الموجة الثانية التي بينت حدود مثل هذه المقاربة . وأعيدت إلى التربية بعض أساليبها الذاتية في البحث والتقسيم، ووقف القوم عند أهمية الجوانب النوعية في التربية ، وحملوا على التحليل الكمي المحض ، وعلى الاسقاطات الرياضية الخالصة ، وانتهوا إلى موقف متوازن في أمر التخطيط التربوي ، وبينوا حدود القول بمعالجة التربية جملة معالجة صناعة من الصناعات . على أن « صناعة التربية » أو « الصناعة في التربية » شقت طريقها على أية حال في بعض المجالات الخاصة بوسائل التربية وطرائقها ، وبالإدارة التربوية والأبنية المدرسية وسوى ذلك . وظهرت « تقنية التربية » وما يتبعها من استخدام الوسائل السمعية البصرية ، واستخدام الحاسبات الالكترونية . وانتشرت الطرق الحديثة في الإدارة والتسيير ، واستخدمت في ميدان التربية كما استخدمت في سواه . وهنا أيضا ظهر تطور وتعديل ، وقام في نهاية الأمر توازن جديد وذلك حين فرق القوم بين « التقنية في التربية » أي ادخال الآلة إلى التربية ، وبين « تقنية التربية » أي ادخال التقنيات الحديثة في التربية سواء تمت عن طريق الآلة أو بدونها .

الثقافة والغزو التقني :

غير أن ثمة مجالا آخر هاما خالطته الصناعة وكادت تسيطر عليه في غفلة من الناس ، هو ميدان الثقافة ، حيث غدونا أمام دمج مولد محدث بين الصناعة والثقافة، أين منه المعنى الذي قصد إليه أبو

هلال العسكري في كتابه « كتاب الصناعتين » ورغم أن غزو الصناعة للثقافة ظاهرة تجار أمام الأعين ، فإن تحليل نتائجها السلبية والايجابية لم يلق بعد كل ما يستحقه من اهتمام ، لاسيما في بلداننا العربية . صحيح أن منتجات الصناعة والتقنية تنسل إلى حياتنا كلها ، وتدخل حانا دون استئذان ولجعلنا نحيا في كل شدة حياة المجتمع المستهلك علما تقلده به عجلة التقنية المخيفة . وصحيح أن لهذا الغزو الشامل مخاطره التي تستلزم منا الكثير من التحليل والتدبير . غير أن غزو الصناعة والتقنية الثقافية يظل أدهى وأمر ، ونتائجها الايجابية والسلبية لابد أن تدرس دراسة دقيقة ، إذا نحن أردنا حفاظا على ذاتنا وهويتنا الثقافية ، وإذا نحن عزمنا على أن يكون لنا في صنع مستقبلنا شأن ونصيب .

الصناعات الثقافية والوسائل التقليدية

ومن هنا نسائل أول ما نسائل : ما هي تلك « الصناعات الثقافية » وما أمرها ؟ أما المصطلح فقد ظهر منذ عام ١٩٤٧ ، على يد باحثين المانيين هما « آدورنو » و « هوركاهمر » غير أنه لم يثر اهتمام الباحثين ، الى أن جدد صاحبه الإشارة اليه ، والى أهمية الصناعات الثقافية ، وذلك عام ١٩٧٢ .

والحق أن هذا العناد - عناد المسؤولين وأولى القلم والفن فيما يتصل بالشأن القمين بهذا المصطلح الجديد ومضمونه - ظاهرة مازال تثير الدهشة حتى اليوم . وهي في الحق وراء ما دفعنا الى كتابة هذه الكلمة . فما يزال يخطو الثقافة وواضعو السياسة الثقافية في كثير من بلدان العالم ، يحسبون أن التخطيط لها يتم عن طريق مجرد العناية بمؤسساتها الرسمية وحدها ، من وزارات للثقافة أو مراكز ثقافية أو مؤسسات حكومية تعنى بجوانب الثقافة المختلفة من أدب وفكر وفن . ومانزال السياسات الثقافية المرسومة من قبل الكثرة من الدول تعمل كأن شيئاً لم يكن ، متلهية ذلك الخضم الزاخر من التاج الثقافي الذي يصل الى الملايين ، عن طريق صناعة الكتاب والتلفزيون والمذياع والسينما والفيديو . لقد أحصى أحدهم عدد الذين استمعوا الى السيمفونية التاسعة لبيتهوفن التي أديتها اوركسترا برلين خلال شهر شباط / فبراير عام ١٩٧٨ ، فوجد أنهم بلغوا ١٢٠ مليون مستمع في أوروبا وحدها . فكيف عدد الملايين الذين شاهدوا وشاهدوا ذلك المسلسل التلفزيوني الأمريكي « دالاس » ومن بعده المسلسل « ديناسي » ؟ أى خطة ثقافية رسمية تستطيع أن تضاهي هذا السيل العري من مبدعات الأدب والفكر والفن الذي تقذف به ملايين الملايين من الاسطوانات الموسيقية ، ومن أسطوانات التسجيل ، ومن كتب الجيب ، والكتب الجماهيرية ، ومن الأفلام السينمائية ، ومن برامج التلفزيون والاذاعة ؟ وأين الناشئة من هذا كله ، وأين الأهداف الثقافية القومية والوطنية ، وأين جهد النملة الذي تقوم به المدرسة البائسة ، أمام هذه

« المدرسة الموازية » الكبرى ، مدرسة وسائل الثقافة الجماهيرية التي تكمن وراءها الصناعات الثقافية بكل ما تحمله من أغراض اقتصادية وسياسية وأحياناً ثقافية ؟ حقاً اننا في كل هذا مازال نواجه عصر الصناعة والتقنية بصناعاتنا الحرفية اليدوية ، ونعمل بالمطرقة والسندان حين يعمل القوم بالآلات والمعلوماتية !

بعض المكتسبات

ولكى ندرك أن المسألة في حاجة الى تحليل شديد قبل أى خطة توضع لمعالجتها ، لتبين بعض العوامل التي رافقت دخول الصناعات الثقافية الى عالمنا ، وبعض سماتها الواقعية التي جعلت منها بالتالي قدراً لا يتغير بجرة قلم ، بل بخطة كاملة مقابلة :

١ - ديمقراطية الثقافة وإيصالها الى الكثرة الكاثرة من الجماهير كانت ومانزال هدف السياسات الثقافية في بلدان العالم . هذا الهدف لتحقيقه الصناعات الثقافية ، على شاكلتها ، على أوسع نطاق ممكن . حسبنا دليلاً على ذلك أن نرى العدد المحدود من الأشخاص الذين يرتادون المسارح ، المسارح التي أنشأتها الدولة ، أو المسارح الخاصة ، في مقابل العدد الضخم لأولئك الذين يشاهدون المسرحيات التي تعرض عن طريق التلفزيون . لقد بين احصاء حديث أن ٦٠٪ من السكان في بولونيا وفي بريطانيا يشاهدون في منازلهم مسرحيات من طراز رفيع ، بينما لا يعدو عدد الذين يحضرون مسرحية من المسرحيات في دور المسارح أكثر من ١٥٪ من السكان في العالم كله على أفضل تقدير . وقل مثل هذا في المبدعات الثقافية الأخرى .

٢ - وإذا هجرنا الجانب الكمي الذي قد لا يشفى تطلعات المحللين في هذا الميدان ، ونظرنا الى الجانب النوعي الكيفي ، ألفينا أيضاً أن الغلبة ههنا في كثير من الأحيان للصناعات الثقافية ووسائل الثقافة الجماهيرية . فلقد بين تحليل السياسات الثقافية في عدد من البلدان أن الجهود الثقافية التي بذلت وتبذل من قبل المؤسسات الرسمية لنقل الرسالة الثقافية في شكلها الرفيع ، لا تلقى ما تستحقه من نجاح لدى

٥ - والفنانون - بعد ذلك بل قبل ذلك - العاملون في شتى ميادين الانتاج الفنى ، يجهدون لانفسهم ويجد المجتمع لهم بعد ذبوع الصناعات الثقافية ، مكانة لم تقيض لهم من قبل ، يوم كانت النظرة الى الفنان هي الى حد بعيد النظرة الى مبدع حسب جزاء وعطاء ان ينشر ابداعه وأن يعرفه الناس ، ويوم كان الناس يرددون قول من قال « أكل العلماء خبز وماء » . وحتى اذا جاوزنا هذه النظرة التى قد تكون مغالية يظل من الصحيح أن الابداع الثقافى ظل روحا من الزمن وما يزال عملا لا يقدر حق قدره ولا يمنح قيمته الحقيقية ، شأنه شأن النفط خلال عقود طويلة من هذا القرن (حتى عام ١٩٧٣) كما بين ذلك « جان سرفان شريير » فى كتابه « التحدى العالمى » . وبفضل الصناعات الثقافية ووسائل الثقافة الجماهيرية أخذ الفنان يحتل مكانته المعنوية ويتزعم حقوقه المادية ولهذا منتجاً يقوم انتاجه كما يقوم أى انتاج ، بل يربو انتاجه عطاء وأجرا على كثير من ضروب الانتاج المادية .

٦ - وما دمتا نتحدث عن شهرة الفنان وصيته يوم كانا طعامه وشرابه ، لنذكر أن الصناعات الثقافية قدمت أيضا لتلك الشهرة وهذا الصيت مرتعا جديدا ، مرتعا عالميا مرعا . فبفضلها أخذت شهرة المبدعين الثقافيين تخرق الحدود .

وغدت سوق المبدع المعنوية والمادية سوقا عالمية . ولا تقدم الصناعات الثقافية بذلك هونا وشأنا للمبدع الثقافى نفسه فقط ، بل تفسح المجال أيضا عن طريقه لانتشار الثقافات القومية الخاصة انتشارا عالميا ، وتتيح لكل أمة أن تشع بثقافتها ، وأن تعقد حوارا دائما مع الثقافات الأخرى .

خطاير ومزالقى :

هذه الظواهر المختلفة التى أتينا على ذكرها أشرنا إليها لا من أجل أن نرفع من شأن الصناعات الثقافية ونبرئها من الآفات والعلل ، بل لعنا حين عرضنا بعض الأسباب والنتائج التى رافقت ظهور الصناعات الثقافية قد أومأنا - دون أن نفصح على المخاطر الثلاثة فى قلب تلك الأسباب والنتائج . فجوانب القوة التى

الجماهير ، بل تلقى الكثير من المقاومة ، ولا سيما لدى القطاعات الشعبية من الجماهير (وهو القطاع الذى نتجه إليه نظريا) فى حين أن هذه القطاعات الشعبية والجماهيرية عامة تتلقى بكثير من الانفتاح الرسالة المتصلة بأنماط الحياة وبلاستهلاك والادب والفن وسوى ذلك ، تلك الرسالة التى تقدمها لها وسائل البث الجماهيرية ، والتى هى فى غالب الأمر رسالة مجلوبة دخيلة .

٣ - من الأمور التى غدت معروفة أن المسارح وقاعات الاوبرا والموسيقا تعاني من أزمة أهم جوانبها الأزمة الاقتصادية . ان تكاليفها بوجيز العبارة تفوق دخلها ، والمساعدات الكريمة التى تقدم لها لا تسد هذا العجز غالبا ، ومن هنا تبدو الاستعانة بالصناعات الثقافية أمرا محتوما من أجل معالجة هذه الأزمة : فمن طريق التزاوج بين هذه المسارح والدور وبين التلفزيون يمكن مثلا تحقيق ربح كبير للاولى ، كما يمكن ايصال نتائجها الى أكبر عدد ممكن من المشاهدين .

العجز عن تحقيق اللامركزية

٤ - ويتخذ مثل هذا التدبير شأننا خاصا ، اذا ذكرنا أزمة أخرى مرافقة تعاني منها المسارح والدور الموسيقية الفنية ، نعى العجز عن تحقيق اللامركزية ، أى العجز عن تقديم نتاج رفيع من المسرحيات ومن القطع الغنائية والفلوكلورية والمعارض الفنية وسواها ، الى جماهير المناطق البعيدة عن العاصمة أو عن المدن الكبرى . الأمر الذى يفهم تفاوتنا نوعيا كبيرا بين مستوى العطاء المسرحى فى العواصم ، ومستوى العطاء المسرحى الذى يمكن أن تقدمه فرق محلية ، لا سيما أن عدد الفنانين المؤهلين العاملين فى هذا القطاع لا يكاد يكفى لسد حاجاته فى العاصمة ، بله الأرياف والقصى . هنا تبرز الصناعات الثقافية ، ومرة أخرى لتقدم خدماتها ولتأتى بالحل : تعميم نتاج المسرحى والغنائى الفلوكلورى وسواه . وتقديم مستوى واحد منه للقاصى والدانى ، بفضل بثه عن طريق التلفزيون أو سواء من وسائل الصورة المرئية .

دامت تحمل معها طراز الحياة ، بل النمط الثقافي للبلد الذي يتبعها . حتى ليصح هنا أن نعيد ما قاله بعض المربين عن نظام التربية حين رأوا فيه مجرد أداة للحفاظ على قيم المجتمع الذي خلقه ، وبالتالي لاعادة توليد النظام الاجتماعي نفسه .

وهكذا يصح أن نقول ان الثقافة التي تنقلها أدوات الثقافة الجماهيرية في الغرب خاصة ، ثقافة تهدف عن قصد أو غير قصد الى اعادة توليد النمط الثقافي (بالمعنى الواسع) للبلدان التي انتجتها ، أو الى توليده من جديد في البلدان الأخرى .

سيطرة النموذج الأميركي :

ولسنا هنا في معرض الحديث عن الغربة الثقافية والاستلاب الثقافي ، وحسبنا في هذا المقام أن نشير عابرين الى ما شكت منه البلدان المتقدمة نفسها من سيطرة النموذج الثقافي الأميركي . حسبنا أن نرد من أحب الزيادة الى ذلك الكتاب الخطير الذي صدر منذ عامين عن « غزو العقول » وفيه يشير صاحبه ايف أود

وصفنا بها الصناعات الثقافية هي في الوقت نفسه مصدر خطرنا وخطورتها . انها تبين أننا أمام ظاهرة لاتغالب بيسر ولا يجهدى أمامها العمل الحرفي البطيء العتيق للمؤسسات الثقافية التقليدية ولاسيما الرسمية . بل ان كل مذكرنا من جوانب القدرة التي تملكها الوسائل الثقافية الجماهيرية تشير - من حيث ندرك أو لاندرك - الى ما وراءها من قدرة اقتصادية هائلة تغذيها ، تلتقي في النهاية ، ككل قوة اقتصادية مع مصالح الشركات الكبرى ، ومع اغراض الشركات المتعددة الجنسية ، كما تلتقي مع اغراض بعض الدول الكبرى وسياساتها الثقافية ، التي تكون جزءا لا يتجزأ من سياستها العامة .

والحق أن وسائل الثقافة الجماهيرية ، وما وراءها من صناعات ثقافية تخفي وراءها ما تخفي من أهداف اقتصادية وسياسية ، تقع بين قطبي الرضى ، أو هي في منزلة واصلت بين عالمين : أولهما عالم الخلق والابداع الذي تطور وتغير ولم يعد صنيع الفرد أو الأفراد ، بل أصبح نتاجا يلهم فيه الكثيرون ممن يعرفون الميدان . ومن لا يعرفونه ، والذي ظل - مع ذلك ورغم ذلك - الصلة الأساسية بين المبدع والمُشاهد . وثانيهما عالم النشر الواسع والاستتساخ والتكثير والبعث الجماهيري ، الذي يتطور تطورا مذهلا بفضل الوسائل التقنية ، وهو عالم تتولاه وتسوس أمره الشركات والمؤسسات الاقتصادية التي تستطيع بفضلها أن تصل الى ملايين الناس . وهذا الزواج المصيد الخلق بين الابداع ونشر الابداع ، هو الذي أتاح في هي العصور انبجاس الفن في المجتمع . غير أن العلامات تطورت تطورا جذريا في العقود الأخيرة ، وأصبحت سيطرة النشر على الابداع سيطرة لا تخلو من غشاة كبرى ان لم نضبط أمرها ، وأصبح الابداع بسبب ذلك أمام قيود وحدود وسدود ، تهدده حتى في جهره الذي هو الابداع المتحرر من اختيار المتاجرين به .

ومن هنا لاجابة الى القول ، ان الصناعات الثقافية ، ليست عملا حياديا ، بل هي عملة في اللعبة بأيدولوجية معينة ، مادامت مرتبطة بجملة النظام الاقتصادي والاجتماعي الذي يتبعها ، وما



وفن ، وأن نتجها ونبثها بوسائل البث الجماهيرية الشائعة (من تلفزيون وأفلام وأشرطة تسجيل وحاسبات الكترونية وكتاب وسوى ذلك) وأن تكون لنا مؤسساتنا الاقتصادية التي تيسر هذا الانتاج ، والبث على أكبر نطاق ممكن محليا واقليميا وعالميا .

٢ - غير أن هذه المهمة - مهمة انشاء صناعات ثقافية خاصة بنا - جهد ثقافي واقتصادي لا يقوى عليه أى بلد عربى منفردا ، ولا بد فيه من اجتماع القدرات والطاقات العربية البشرية والمالية . وهنا أيضا نلمس جانبا من جوانب التكامل والتكافل العربى الذى هو سبيلنا اللازم المحتوم لاي تقدم حضارى ننشده .

٣ - هذا العمل العربى المشترك من أجل انشاء صناعات ثقافية تحمل طابع الثقافة العربية ومرئياتها ، يحتاج بدوره الى اتفاق الرأى حول معالم ومقومات المشروع الثقافى والحضارى العربى المنشود . وفى رأينا أن البلدان العربية تشهد مخاضا فكريا يشير الى أن بواكير مثل هذا المشروع الحضارى قد آذنت بالظهور .

٤ - من المطالب الرئيسية ، عند بناء هذه الصناعات الثقافية ، ان تكون أداة لتوليد حرية المبدع والمنتج العربى ، لاطلاق المجال للإبداع من أجل أن يعبر عن أصالة الوجود العربى وسماته الذاتية . ويعنى هذا ألا تخضع هذه الصناعات الثقافية لسيطرة الحكومات ، بل ان تكون مؤسسات ثقافية مستقلة ، لها جهازها المستقل المتخصص والمعبر عن تطلعات الثقافة العربية . وهذا لايعنى ألا تخضع هذه المؤسسات الثقافية المستقلة للانجهايات الكبرى للحكومات ، بل يعنى أن تترك لها الحرية فى ترجمة تلك التوجهات ترجمة عملية ثقافية مبدعة .

٥ - وكخطوات أولى على الدرب يمكن أن يقوم تعاون بين بعض المؤسسات الثقافية التقليدية ، حكومية كانت أو شعبية ، وبين وسائل الثقافة الجماهيرية ، من أجل إغناء الجانبين ، نعى للمؤسسات الثقافية التقليدية ووسائل الثقافة الجماهيرية ، ومن أجل التضامن بينهما تفاعلا خلاقا ومجديا ، يؤدي الى حل أزمات المؤسسات الثقافية التقليدية ، كما سبق

الى الطاقة التصديرية للولايات المتحدة فى ميدان الثقافة ، وبين كيف يصدر هذا البلد ذاته وكيف يعنى « أمركة العالم » وكيف يرتبط لديه فى هذا المجال السلطان الثقافى والسلطان السياسى . بل يلحظ الى أبعد من هذا حين يشير الى الدور الثقافى لجهاز المخابرات المركزية الأميركية ، والى ارتباط هذا الدور السياسى فى العالم . كما أنه يشير فيها يشير الى مقاومة الولايات المتحدة لأى جهد دولي فى سبيل اقامة نظام عالمى ثقافى وإعلامى جديد ، ابقاء على سيطرتها الوحيدة الواحدة . على أننا حتى اذا تناسينا هذا الدور السياسى للغزو الثقافى الأمريكى لا بد مدركون ما فى هذا الدور من تنميط واحد للثقافة العالمية ، ومن تشكيل لها على غرار النموذج الأمريكى وحده ، ومن تسطيح للثقافات كما قيل . بحيث لا تكون هنالك ثقافات متعددة تتحاور وتتفاعل ، بل تكون ثقافة واحدة وحيدة تعدو نحوها سائر الشعوب .

أين السبيل ؟

هذا كله قليل من كثير فى موضوع لانجيزه فيه هذه العجالة ولا هو قصدنا هنا . والقصد عندنا أن نرى وراء هذا كله وأمام تحدى الصناعات الثقافية وما خلفها ، ما العمل والى أين السبيل ؟

لقد كان أحد أغراض هذا البحث أن نبين أن سفينة الصناعات الثقافية قد أبحرت ، وأنها رحلت وفتحت وغزت . والتقنية الثقافية شأن التقنية كلها لا تقاوم اذن برفضها وانكارها . ولا سيما أن لها دوما جوانبها الايجابية الكبرى ، فضلا عن أنها أخذت فى السير ، وأوغلت فى اعماق حياة المجتمعات فى كل مصر ، وموقفنا منها هو موقفنا من التقنية جملة : أن نمتلكها وأن نضبطها ضبطا نستقيه من ثقافتنا وقيمنا ومشروعنا الحضارى الموعود .

وهذا المطلب الكبير يستلزم فى نظرنا أمورا عدة أهمها :

١ - لا بد أن نشارك فى الصناعات الثقافية ، أى لا بد أن يكون فى صلب سياستنا التربوية أن نصنع براعنا الثقافية المتميزة فى شتى ميادين الثقافة من أدب وفكر

وهي ذاتنا وتراثنا وواقعنا من جهة ثانية ، بالإضافة الى
وهي مستقبلنا ومستقبل العالم .

ولا ننظم أنفسنا إن قلنا أننا في كثير من الميادين -
ومن بينها ميدان الثقافة - ما تزال نعمل كأن شيئا لم
يكن ، جاهلين أو متجاهلين الحركة الماثجة الماثجة
للعصر وللعلم والتقنية ، ضامنين أن الأصالة هي في
مجرد العودة الى ذاتنا ، والتفوق حولها غير آمنين
ولامطمئنين ، بدلا من أن نفهم الأصالة مركبا
كيماويا جديدا يخرج من لقاء الذات مع السوى
لقاء « الأنا » تراثا وواقعنا مع العصر بتغيراته المذهلة
ويمكاسبه ومثالبه . أجل . . الأصالة عندنا هي في
أصالة عملية البناء الجديد ، أي أن نصنع بناءنا
بأيدينا وإن تكن مواد هذا البناء متعددة المظان .

رسالة العرب الحضارية

ونرى لزاما علينا في خاتمة هذه الكلمة أن نذكر
بأهمية هذا الجهد الشامل الذي يتوجب القيام به ،
جهد التأليف والتركيب بين ذاتنا وبين العصر ، وأن
نذكر خاصة بأهمية هذا الجهد في ميدان الصناعات
الثقافية . فالرسالة الثقافية المتميزة القومية والانسانية
معا ، التي نقوى على بثها بفضل مثل هذه الصناعات
الثقافية الذاتية المبتكرة ، هي خير لغة نخاطب بها
العالم ، وخير ما يجعل لنا في حلبة السياسة الدولية
نفسها دورا وشأنا . فالرسالة الثقافية بطبيعتها محملة
بالقدرة على التسلل الى شغاف النفوس ، وقادرة على
تحقيق انفتاح تلك النفوس على شؤون الأمة العربية
وشجونها عن طريق انفتاحها على ثقافتها وحضارتها .
والصناعات الثقافية تمدنا بطاقة هائلة في هذا الميدان
ان نحن احسننا الافادة منها . عند ذلك يحمل
الالكهرون ويحمل الأثير عبر المساحات الشاسعة
ووسط الملايين من الناس ، ما نحتاج الى مئات
الأعوام ان نحن نقلناه بوسائلنا الحرفية التقليدية . أو
ليس هذا من صلب عملنا لحضارتنا وتراثنا ؟ أو ليس
السعى التقني والسعى لاستخدام الصناعة والآلة
والتقنيات الحديثة من أجل تجديد دورنا الحضاري
العالمي ، سعيا يتبني أن نعتبره جزءا أساسيا من
احترام حضارتنا وتراثنا ، فضلا عن بناء مستقبلنا
الحضاري المرجو ؟

□

أن أشرنا ، وإلى تصحيح مسيرة وسائل الثقافة
الجماعية .

ومن الأمثلة المقيمة التي قامت من أجل التعاون بين
الدولة وبين المؤسسات المعنية بالصناعات الثقافية ،
ما حدث في فرنسا خلال شهر تشرين الأول / أكتوبر
١٩٨٤ ، حين أصدر وزير الثقافة الفرنسي قرارا
يقضى بإنشاء معهد لحويل السينما والصناعات
الثقافية ، وهو قرار جدير بالدراسة والتمحيص .

ويعد . . لا يتسع المجال للحديث عن سائر أبعاد
هذه المسألة وهي كثيرة . وخسبنا أننا حاولنا الإشارة
إشارة برقية خاطفة الى مسألة كثيرا ما تلوكها
الألسن ، وقلما تتجاوز اللسان الى الأذهان
والأعيان . . مسألة الصناعات الثقافية وموقف البلاد
العربية تجاهها .

وفي ظننا أن هذه المسألة جديرة بأن يترث عندها
الباحثون العرب وإن يولوها شأننا خاصا . ولا شك أن
القائمين على وضع الاستراتيجية الثقافية للبلاد العربية
(الكويت والمنظمة العربية للتربية الثقافية والعلوم)
معنيون بهذا الأمر عناية خاصة ، لعل هذه
الاستراتيجية تقدم لنا بعض الرؤى الجديدة وترسم
بعض الخطوات الأولى في هذا المجال . ومن البوادر
الجيدة ما تم أخيرا من تعاون بين المنظمة العربية
للتربية والثقافة والعلوم واليونسكو والصندوق العربي
للتنمية الاقتصادية والاجتماعية من أجل القيام
بمشروع حول الصناعات التربوية . . غير أن ما هو
أهم وأبعد أثرا وأشد إلحاحا أن يقوم مشروع مماثل من
أجل انتاج الصناعات الثقافية .

المشروع الحضاري العربي

لحق أن حديثنا عن الصناعات الثقافية وضرورة
وعملها لها شأننا في الإطار السليم من حياتنا ،
يصور عن اقتناع أشمل لدينا ، قوامه أن الحضارة
الجيدة التي نطمح الى بنائها لا يمكن أن يتم وضع
مشروعها إلا إذا كان أحد العناصر الأساسية في العمل
له أن يبتكّر أن نعي عصرنا ونذكر التغيرات الكبرى
التي تحدثت فيه ، وأن نجرى بعد ذلك التضاهل
الحسنى اللازم بين وهي هذا العصر من جهة ، وبين

في انتظار أن تلعب العلى الطائر الحرق والسورج التبريد في كبره في كبره

شعر

شعر : مصطفى أحمد النجار



التراث

بين الإحياء والإستلهام !

بقلم : الدكتور فهمي جدعان

هل هناك في التراث ثوابت حية نستطيع بعثها متى شئنا ، أم أن ما يمكننا فعله هو إحياءات زمنية لهذا العصر أو ذاك ؟ ان أجزاء من التراث تسقط على جنبات التاريخ وان ما يبقى منه هو ذاك الجزء الذي يؤدي غرضاً أو يعبر عن حاجة . ألا يجدر بنا الالتفات الى هذه الحقائق ونحن نبحث في وظيفة التراث ؟

« التقليد » ، وأن الإنسان لم يته أمره عند الحدود التي انتهى إليها في المصور التي مضت والحقب التي درست ، وأن من الضروري ، ومن الممكن ، تفجير هذه الطاقات بعملية تتجاوز كامل للماضي ، وبناء جديد للإنسان ، بتحريره من قيود القديم والتقليد ، وإطلاق قدراته الكامنة المبدعة كي يتسنى له تحقيق كل ما ينتظر منه مما لم يخطر في بال القدماء ولا في بال أحد .

(١) إحياء التراث :

وإحياء التراث هو في الحقيقة صورة من صور -تجسيد الفهم السلفي للتراث . وهو يعني أن معرفتنا

بفهمي النظر في وظيفة التراث ، الاملاخ
بإحدى ذي بدء ، الى زاويتين للنظر ،
من طرف متباعدان مترافعان : الأولى تعبر عن سلفية
سلفية والثانية تعبر عن ليبرالية لا تعرف حداً .
التي تريد أن تقول إن حضارة متكاملة قد تشكلت
وأت ثمرها ، هي الحضارة العربية الاسلامية . وان
هذه الحضارة ، بمضمونها التراثي ، ليست مجرد
إنجازات علمية عارضة - حل الرغفم محلها من
عروض ، وإنما هي في صميمها « روح » وخط في
الكبر والفعل والعيش ، قد أثبت ، بلا نزاع ،
جدارتها ، وأنها غير حضارة أبدعها الإنسان .
والثانية تذهب إلى القول إن طاقات الإنسان
الحضارية قد حطمت في التراث المتماثل وفي

وأنه لا « يبعث » إلا ما كان يضيف إلى علمنا بالتراث
 علماً جديداً ، وأنه لا « يبعث » إلا ما كان مفهوماً ذا
 جدوى ، وأن ما يبعث لا يبعث إلا من أجل أن
 يتحول إلى حالة تثقيف عام . وبعد ذلك كله ليس لنا
 أن نتوهم إلا ما هو واقعي ، أي أن التراث « تاريخي »
 يعرفنا بصورة صانعيه وأحوالهم قبل أن يعرفنا بأي
 شيء آخر . ومن يظن أن التراث سيقدم له مفتاح
 جميع الأبواب المغلقة هو بكل تأكيد إنسان حالم . لكن
 من المؤكد أنه سيكون هناك « تراث حي » يتبلور
 بعملية التثقف ويمكن إدماجه في منظومة الحاضر
 وعيشه على نحو غير قسري . وهذا يلزم بإعادة تأكيد
 ما سبق أنقررناه وهو أنه لا مفر من تحويل التراث
 الذي يحكم الأكاديميون والمختصون على إخراج التراث إلى
 « ثقافة » معاشة ، أي أنه لا بد من إخراج التراث من
 « حلقات الصفوة » والانتقال إلى المرحلة الأهم ،
 مرحلة التثقف التراثي العام .

٢) استلهام التراث :

لا شك أن أقوى الأطروحات التراثية المتداولة
 الآن هي تلك التي يذهب أصحابها إلى أن الموقف من
 التراث ينبغي أن يؤسس على الجمع بين ما يسمى من
 جهة أولى « التراث » ، وبين ما يسمى من جهة ثانية
 « المعاصرة » . وهذا يعني أن نستلهم من التراث
 مواقف أو أفكاراً أو قيماً ندججها في أحوالنا الراهنة التي
 أسهم العالم الحديث في تشكيلها إسهاماً حاسماً .
 وذلك يكون بأن نتقي من التراث جملة المواقف
 والمفاهيم التي تصلح لأن تسهم في تدبير حياتنا
 وأمورنا ، ونجعلها نمطاً سلوكياً أو ذهنياً لنا في تفكيرنا
 وفي فعلنا . فنحن ، على سبيل المثال ، نستلهم ،
 لحياتنا ، من التراث ، موقف العقلانية الذي ساد مع
 المعتزلة ، والمتفلسفة المسلمين ، أو مفهوم العدالة
 التي جسدها بعض الخلفاء ، أو جملة الفضائل الخلقية
 التي صاغها فلاسفة الأخلاق وبعض المتصوفة ، أو
 قيمة الحرية التي تعلقة بها بعض الحركات الثائرة على
 استبداد بعض العصور والأنظمة ، أو قيمة
 الديمقراطية التي تمثلت في (الشيوري) الإسلامية ، أو
 المساواة التي أقرها الدين وانعكست في سياسة هذا
 الحاكم أو ذاك . . الخ .

وبحسب منطق « الاستلهام » نحن حين ندعوا إلى
 قيم العقل والثورة والديموقراطية والعدالة فإننا لا
 نفعل شيئاً أكثر من بعث قيم تراثية خالدة . وهذا ،

بوجودنا التاريخي - الثقافي هي معرفة غير مكتملة ،
 وأن بعث وجوه التراث المختلفة ، من خطوطات
 ووثائق ونصوص ومبدعات فنية أو صناعية أو أثرية أو
 أدبية أو علمية ، من شأنه أن يوضح ويحلل صورتنا
 التاريخية ، وأن يساعدنا على فهمها في حياتنا
 الراهنة . وذلك يكون بـ « تثقف » هذا التراث
 وتتميم وجودنا به ، أي بتحويله إلى جوهر ثقافتنا
 وبنيتها الصميمة . بيد أن عملية التثقف هذه ، على
 الرغم من جهود الإحياء العظيمة التي بذلت ، قد
 ظلت فقيرة للغاية . فالأكاديميون المحترفون من قراء
 النصوص ومحققها يتكئون على إخراج النصوص
 والوثائق بلا كلل ، بيد أن الذين يمكن أن يفيدوا مما
 يخرج لا يدرون ماذا يختارون وماذا يدعون . لأن
 الأكاديميين لا يبينون لهم السبيل إلى ذلك . فهم
 يتعاملون مع مادة التراث على المستوى الثقافي
 الخالص . ويبدو أنهم لا يعتبرون أن لهم مهمة أخرى
 غير إخراج الوثائق على نحو يسلم من سهام النقد
 الجارحة التي يمكن أن يوجهها إلى عملهم النقاد الهواة
 أو المحترفون . ولعل لهذا الوضع سبباً آخر وجيهاً
 يعطيهم بعض الحق ويعذرهم ، وهو أنهم يشتغلون
 في « العلم » لا في « الثقافة » . وفي كل الأحوال
 تكون النتيجة الماثلة ، الغياب الصريح لحالة التثقف
 العام ، و « تعطيل التراث » . ومعنى ذلك أن عملية
 « الإحياء » ليست عملية إحياء ، وأن الغاية التي من
 أجلها يراد بعث التراث بعيدة عن التحقق . ومع
 ذلك فإن وسائل الاتصال الحديثة هي من التنوع
 والتعدد بحيث أننا نستطيع لو بذلنا الجهود المناسبة أن
 نوصل محتوى التراث الذي نبعثه إلى دوائر أوسع بكثير
 من دوائر الأكاديميين وتلاميذهم التي تكاد تكون
 مغلقة .

معايير إحياء التراث

وعوداً إلى أصل القضية لا بد من القول إن المقصود
 ليس أبداً النزول عند رغبة عشاق التراث، وإخراج
 جميع الوثائق والنصوص إلى دائرة الضوء والنور
 الساطع . لا شك أن حفظها جميعها من الضياع
 والتشتت هو أمر لا يجوز التخاذل عنه . لكن عملية
 الإحياء الحقيقية ، أي نقل التراث إلى حالة
 « التثقف » العام ، ينبغي أن يكون لها شأن آخر .
 وهذا الشأن يكمن على وجه التحديد في القول إن معيار
 إحياء التراث الرئيسي هو استكمال العلم بالتراث ،

إلا إذا كان الظلم هو السائد . والمساواة لا ترقى إلى مستوى القيمة المطلوبة إلا إذا كان التضاوت الاجتماعي الجائر هو السيد . والحرية لا ترقى إلى مستوى القيمة المطلوبة إلا إذا كان الاستبداد هو الجائم . . وهكذا . ومعنى ذلك كله أن عملية الاستلزام هي أصلاً وابتداءً عملية صورية مصطنعة ، أو تسويقية نلجأ إليها ذراً للرماد في العيون ، وإيماناً للمتحمسين من الترائين بأننا نوفر التراث ونأخذ منه ، أي « نستلهمه » ، بينما نحن في الحقيقة نتبنى ما تفرض أوضاعنا التاريخية المباشرة الأخذ به ، ثم نقوم بعد ذلك بعملية التسويق التي نسميها الاستلزام التراثي .

٣ (إعادة قراءة التراث :

وهذا النهج هو من غير شك من أكبر دعاوى العصر الثقافي . فنحن ، لكي نجعل التراث حياً ، داهناً أو لكي نجعله يستجيب لحاجات ذات طابع عقلي أو عملي ملح ، نقوم بإعادة قراءته بحسب هذا المنهج أو ذاك ، مما نختار من مناهج راهنة معاصرة ، فيبدو التراث ، مع ذلك ، أو بذلك ، معاشاً لنا ولأحوالنا ، ويبدو جزءاً طبيعياً من الحياة الحديثة . وهذا التوجه شائع عند المثقفين الذين مارسوا خبرة ما بمناهج العلوم الإنسانية الحديثة وبالفلسفات المعاصرة الغربية . والمبدأ هنا هو اختيار منهج محدد واطار مرجعي محدد ثم قراءة التراث ، أي فهمه وتفسيره وتوجيهه ، بحسب هذا المنهج أو هذا الاطار المرجعي . وقد خضع التراث المعري الاسلامي ، مثلاً خضع غيره ، لهذا النمط من المعالجة . فكان من ذلك قراءة ، « لسانية » ، و « بنوية » ، و « عقلانية » ، و « مادية » ، ويصعب القول أن المستقبل لن يحمل لنا قراءات أخرى . وبطبيعة الحال فإن كل قراءة من هذه القراءات هي قراءة مضردة تخضع نفسها بالكلمة الأخيرة الفاصلة في فهم التراث . وكل قراءة منها توجه التراث توجيهاً « قُبلياً » واضحاً ، وتريد أن توظف التراث لقضايا العصر وهمومه وأغراضه . فهي اذن ، واجالاً ، ليست مجرد قراءة للفهم فحسب ، وإنما للفعل والتأثير أيضاً ، لا بل أن بعضها لا ينشد التغيير فحسب ، وإنما « الثور » أيضاً . وهكذا نجد من يريد أن ينطلق من التراث الى الثورة أو « من العقيدة الى

صورياً ، صليح . بيد أنه في حقيقة الأمر ليس كذلك . فالواقع أن عملية « الاستلزام » ليست إلا عملية « تسويق » للفهم الحاضر ، بإسقاط خطاء تراثي عليها . والذي يحدث عملياً أن الحاضر هو الذي يفرض قيمه ويلزم بها .

صحيح أننا نبدع أحياناً القيم ، لكن هذه القيم تنداعى إن لم تجد استجابة على أرض الواقع ، أو أنها تظل تدور في قالب من المثالية الجوفاء . والواقع أننا مثلاً لا نؤمن بالحرية لأن (الخوارج) آمنوا بها وجسدوها ، وإنما لأن نظام الاستبداد الذي نرزح تحت وطأته على نحو مباشر هو الذي يولد فينا الحاجة إلى الحرية والعمل من أجل تحقيقها . ونحن لا نؤمن بالعقلانية لأن (المعتزلة وابن رشد) كانوا عقلانيين أو لأن العقلانية شيء جميل ، ولكن لأن أوضاع القوضى والوهم والخرافة والعقم التي تلفنا على نحو مباشر تفرض علينا ، للخلاص ، نمطاً عقلانياً في الإدراك والسلوك . ونحن لا نؤمن بالمساواة أو بالعدل أو بأية قيمة أخرى مشابهة إلا لأن معطيات الوجود المباشرة ، تفرض ذلك وتلزم به . أما حضور هذه القيم في التاريخ فلا يعني شيئاً لحياتنا « هنا . . الآن » ، دليل ذلك أننا لا نلقي بالاً إلى القيم والمفاهيم التي نجمت في التراث مما ليس له رجع في حياتنا أو صدى مباشر مشخص . وفضلاً عن ذلك فإن ظهور هذه القيم نفسها في التاريخ هو في حد ذاته « تاريخي » ، أي أنه مرهون بشروط يمكن للباحث الملتق بالكشف عنها وبيان حدودها .

المعتزلة والعقلانية

وعلى سبيل المثال : ما الذي حدا بالمعتزلة لأن يكونوا عقلانيين ؟ أننا بكل تأكيد لا نستطيع أن نزعم أن عقلانيتهم كانت مجرد « اختيار » رائع مطلق من قبل . إذ الحقيقة أن عقلانيتهم لم تكن إلا نتيجة لعملية النظر الموضوعية في ق ٢ هـ . لأن الدفاع عن الإسلام بالأدلة العقلية لم يعد أمراً كئناً ، بل لأن الجدل مع المخالفين بات يفرس أرضاً مشتركة يجري عليها جدل متكافئ . ولم تكن تلك الأرض إلا أرض العقل . فإذا لا العقل كان مطلوباً لذاته بطلاق ، ولا الكشف كان مطلوباً لذاته بطلاق ، والنظر نفسه يصدق في أية قيمة رئيسة أخرى . فالعدل لا يرقى الى مستوى القيمة المطلوبة

وظائف التراث

الحق أننا ، عند النظر ، نستطيع أن نتبين بوضوح ثلاث وظائف أو أربعمائة للتراث .

الأولى نفسية : فالتراث هو تراث أمة . وهذه الأمة ذات دور مرموق ومكانة بارزة في التاريخ ، تاريخها ارتقى بها إلى قمم من المجد عالية ، لكنه ما لبث أن انتهى إلى فاجعة ، أثرها قائم مستمر ، ولا بد من آليات دفاع نفسية لمجابهته والنضال في وجهه . والتسلح بإرث حضاري عريق ضخم من شأنه أن يشكل سنداً معنوياً لإرادة مهزومة مغلوبه ، وأن يحجم عقدة النقص التي خلفها في النفوس فعل التعاطم الأوروبي الحديث .

ويتعزز هذا التعويض بإدراك واقعة مهمة ، هي أن الحضارة الغربية الغالبة ذات مرتكزات عربية إسلامية ، يساعد الكشف عنها والإقرار بها على التحرر من عقدة المغلوب ، وعلى الاندفاع في تيار الحياة من جديد ، وعقد المزم على إنجاز أفعال تحضيرية جديدة ، وعلى احتلال مكانة فاعلة على الساحة الكونية . ولقد أدرك مفكرو عصر النهضة العرب هذا الوجه من المشكلة ، فألحوا عليه إلحاحاً شديداً ، كما أن الخطاب العربي المعاصر حافل به على نحو بارز . وعند هذا الحد من القضية تتخذ الوظيفة النفسية للتراث بعداً قومياً يتمثل في حافظ التحرر من ذل الهزيمة القومية التاريخية ، والعمل من أجل تجاوز تحديات العصر القومية ، والاندفاع في درب الحياة من جديد . وبهذا المعنى يمكن الكلام على وظيفة قومية للتراث .

الثانية جمالية : فليس بالأمر الجديد القول أن حقولاً واسعة من التراث الأدبي والفني والثقافي والعلمي تتضمن عناصر جمالية قوية لم تفقد مع مرور الزمن طلائعها وسحرها وروعها ، وأننا نستطيع اليوم ، مثلاً كنا بالأمس ، أن نتلوق مطلقاً الجاهلين ونعجب بشعر « عمر بن أبي ربيعة » والبحري وأبي تمام والمتنبي وابن الرومي والمري وابن الفارض وابن زيدون ، مثلاً نعجب بأدب الجاحظ والتوحيدي وابن المقفع وابن قتيبة

الثورة ، أو ما أشبه ذلك من مواقف « تودلج »^(١) التراث ، أي تلوي حقه وتعريه تماماً من شروطه الموضوعية ، ومن ظروفه « المعرفية » والثقافية - التاريخية الخاصة به . والحقيقة أن هذه « الأدلجة » لم تكن تعني في نهاية التحليل إلا شيئاً واحداً ، هو أن الحاضر عاجز ، بإمكاناته وقدراته الكامنة والصريحة ، عن إحداث التغيير المنشود ، وأن التراث الذي يشد الناس إليه هو الذي يملك القوة السحرية على التغيير ، بيد أنه فات « مشوري » التراث الطفيليين أن الشروط الاجتماعية - السياسية المحافظة أو الرجعية نفسها هي في ذاتها التي تولد نقيضها ، وأن الثورة لن تحدث أبداً إن لم تدع الظروف المشخصة المباشرة إلى قيامها . فليس مطلوباً من التراث أن يحدث الثورة ، ولا هو أصلاً قائم على أساس أنه « مشروع ثورة » أو أنه يمكن أن يتحول إلى مشروع من هذا النوع . فذلك أنه محيط واسع تتلاطم فيه الأمواج ، يقبل بعض وجوهه التوجه في مسار الثورة ، مثلاً يقبل بعضها الآخر التوجه في المسار المعاكس تماماً . والقراءة التي تستطيع أن تكشف لنا عن الشروط الاجتماعية الثقافية « المعرفية » الخاصة بالتراث هي القراءة التي يمكن أن تحمل إلينا فائدة حقيقية .

وإذا كانت إعادة قراءة التراث أمراً لا طائل وراءه ، فإن إعادة قراءة الحقيقة - الأصل ، أي الوحي ، هي أمر لا مفر منه ، لأن الوحي يتوجه إلى الإنسان في كل زمان ، كما أن الإنسان ، في كل زمان ومكان ، يتوجه بدوره إلى الوحي ويستنطقه ليحييه ويمسكه ، وينجز « تراثاً » لزمته مفعلاً بمضامين العصر ، ومتأثراً بمتطلباته وتوجهاته . وهذا الوضع يقتضي « قراءة » للوحي ليست هي بالضرورة قراءة العصور الأخرى له .

فإذا كان الأمر على هذا النحو ، أي إذا كانت محاولات توظيف التراث ، بإحيائه أو استلهامه أو إعادة قراءته ، تحمل من القصور والمحاذير والصعوبات ما تحمل ، فماذا تكون إذن وظيفة التراث ، إن كانت له وظيفة ؟

(١) هذا تعريف طريف لكلمة ايدولوجية « الأجنبية » ، وهي تعني : علم البحوث التصويرية ، أو مجموع العمليات والعمليات التي تشكل برنامجاً سياسياً واجتماعياً معيناً يصح أن تسمى في مجموعها طبعاً . « العربي » .

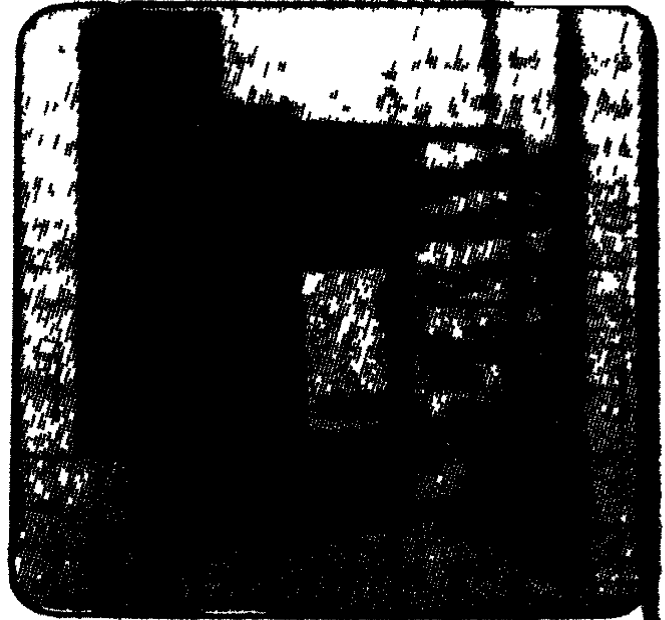
وغيرهم . ونحن نقراً هؤلاء جميعاً وغيرهم فنستمتع ونفهم ، تماماً مثلنا نستمتع ونفهم لقراءة أي أدب أو شاعر معاصر مبدع ، عربي أو غير عربي . وليس ثمة شك في أن الحساسية الجمالية التي يثيرها الأدب بالذات تعتبر من أرسخ مقومات الوحدة النفسية الانسانية ، وقد يمكن القول ان أعمق التحام بالتراث ، وأفضل مدخل اليه ، يمكن أن يتم بالأدب ، بمحتله الواسع . ويدخل في هذا الباب المصنوعات الفنية والموسيقا والأثريات . فانها فضلاً عما تنطوي عليه من عنصر الامتاع والفائدة تساعد على تشكيل تمجاس ذهني وروحي انساني بمد جلوره في الحساسية الجمالية نفسها . وهي ، بصفتها هذه ، تعكس الجانب الخالد من التراث .

الثالثة عملية ، وهي ما أسميه بـ (الجدوى) . فمن الثابت أن التراث يشتمل على عناصر ذات جدوى ، أي عناصر يمكن استخدامها في الزمن الحاضر . وهذه العناصر منبثة في جل أرجاء التراث : في علوم العقيدة ، وفي فقه المعاملات ، وفي العلوم النظرية والعملية . ومن بين جميع قطاعات التراث يبدو قطاع العلوم التطبيقية أكثرها تأثيراً إذ أن التقدم العلمي الحديث قد نطى الدرجة التي نحددها هذه العلوم في التراث . أما في قضايا العقيدة - أي علوم العقيدة ، لا بالوحي نفسه - فانه ما يزال بإمكاننا الرجوع الى مكتب علم الكلام واستخدام عناصر منها ، قليلة غير شك لكنها قد تكون مهمة . وفي مؤلفات أصول الفقه ومصنفات الفقه اجتهادات

ما يبقى من التراث

فيتقرر على هذا النحو أن التراث ليس مما يصح التهاون في أمره أو التقليل من شأنه ، وأن الدور الذي يؤديه أو يمكن أن يؤديه في حياة الأفراد والأمة جد خطير . فهو ليس دوراً هامشياً ، وإنما هو دور مركزي يدخل في المركب الحي الذي يشكل الأفراد والأمم نفسها واجتماعياً وقومياً

بيد أنه ليس كل التراث يدخل في هذا المركب . إذ أن أجزاء منه تسقط على جنبات التاريخ . والذي « يتبقى » منه هو ذاك الجزء الذي يؤدي غرضاً ، أو يعبر عن حاجة . لكن ما تمس اليه الحاجة ليس هو الشيء عينه في جميع الأزمنة والظروف والأمكنة . لذا كان الكلام على « ثوابت » في التراث حية على الدوام أو خالدة ، أمراً عسير التحقيق . وما نستطيع أن نتكلم عليه ، بثقة مؤكدة ، هو « إحياءات » زمنية لهذا العنصر أو ذاك من التراث . وهذه الإحياءات المجددة مرهونة بالأوضاع والظروف المتغيرة . وما « يتبقى » منه في النهاية يضاف أو يدمج في الجديد الذي يتم انجازه ويستمر معه ، لأن الحقيقة هي أن صنع التراث لا يتوقف . فنحن على الدوام ، وفي كل العصور نصنع عناصر تراثية جديدة ونورثها لمن يأتي من بعدنا . وموقفنا الطبيعي هو أننا في الوقت الذي نتلقى تراثاً فائنا نصنع تراثاً آخر جديداً ، يغني التراث الذي تلقيناه أو ورثناه . بحيث يصبح القول ان مهمتنا لا تنحصر فقط في تلقي التراث وحفظه ، وإنما أيضاً ، ورثها بقدر أكبر ، في « ابداع التراث » .



ظواهر شعبية

بقلم : فاروق خورشيد

إذا كانت ميزة الفن الشعبي أنه يخاطب الغالبية العظمى من الطبقات الشعبية فإن بقاءه رهن بمواكبة التطور الذي يطرأ على هذه الطبقات . فالشعب هو الشعب لكن الظروف غير الظروف . فهل يعني ذلك اندثار الفن الشعبي ؟ رسالة القاهرة تجيب بالنفي عبر رصدنا لأشكال جديدة من الفن الشعبي أفرزتها الحياة الجديدة والتطور المستمر .

والأداء التي تمثلت في مجموعة من المغنين ملثوا ملاهي القاهرة وطفوا على الأفلام والمسلسلات التليفزيونية فترة طويلة ، ومازال أمرهم قائماً حتى اليوم الى حد كبير . .

لسنا أمام هذا أو ذاك ، بل نحن أمام شيء جديد قديم . . أما أنه جديد فلأنه شيء واعد على مجتمع القاهرة ولم يعرفه من قبل إلا في أطر محدودة جداً ومن خلال مناسبات الموالد ، وشوادر حي الحسين في رمضان . . وأما أنه قديم فلأنه شيء قديم قدم السامر في ريف مصر ، حيث كان المغني الشعبي يحمي الليالي الطويلة بغناء وأداء وتمثيل قصة (يس وبهية) و (حسن ونعيمة) و (شفيقة ومتولي) و (أدهم الشرقاوي) و (الفتى مهران) وغيرها من القصص الغنائية الشعبية

ولكننا لسنا هنا أمام سامر الريف ، وإنما نحن أمام كاسيت يتشتر في شوارع القاهرة ومحالها ومقاهيها وسياراتها الخاصة والعامة على السواء ، وإن كان من الواضح أن هذه الأغنيات قد سجلت من مهرات ريفية شهدها جمهور غفير يتعلق بها ، ويجب ترديدنا . أما وقد استلقتنا الظاهرة فهنبي أن نرصد أيضاً

 ظاهرة جديدة مهمة تملأ حياة القاهرة من مدة طويلة ، وتبرز تماماً في حياتها اليوم . . فأنتم لم تعد تسمع الراديو في المقاهي أو في المحلات العامة ، أو في دكاكين الحرفيين ، أو في عربات التاكسي أو الاتوبيس . . وإنما أنتم تسمع بصورة دائمة وفي كل مكان . . « الكاسيت » . .

غداً « الكاسيت » الآن هو الصوت الأعلى في جو القاهرة ، يطن على صوت الراديو ويطن على برامج التليفزيون ، بل ربما يطن أيضاً على « الفيديو » - الوحش الجديد المخيف القادم إلى حياتنا أيضاً . .

والظاهرة الفريدة ليست في الكاسيت نفسه ، فهذا أمر قديم تعودنا عليه ، ولكن الظاهرة الفريدة تتمثل في اللون الذي يسود ما ينشره الكاسيت من عطاء فني . . فنحن لسنا أمام تسجيلات لكبار المطربين والمطربات ، أو أصحاب الفكاهة والمنولوج ، أو حتى المسرحيات الناجحة أو فصول منها . . وقد اجتاحت هذه كلها حياتنا فترة عن طريق الكاسيت . . كما أننا لسنا أمام الأغنيات العبثية اللغة والمعنى واللحن

وغيرهم ، . ونحن نقرأ هؤلاء جميعاً ونفهمهم فنستمتع ونفهم ، تماماً مثلما نستمتع ونفهم لقراءة أي أديب أو شاعر معاصر مبدع ، عربي أو غير عربي . وليس ثمة شك في أن الحساسية الجمالية التي يثرها الأدب بالذات تحبب من أرسخ مقومات الوحدة النفسية الانسانية ، وقد يمكن القول ان أعمق التعام بالتراث ، وأفضل مدخل اليه ، يمكن أن يتم بالأدب ، بمعناه الواسع . ويدخل في هذا الباب المصنوعات الفنية والموسيقى والأثريات . فانها فضلاً عما تنطوي عليه من عنصر الامتاع والفائدة تساعد على تشكيل تجمانس ذهني وروحي انساني بمد جلوره في الحساسية الجمالية نفسها . وهي ، بصفتها هذه ، تعكس الجانب الخالد من التراث .

الثالثة عملية ، وهي ما أسميه بـ (الجدوى) . فمن الثابت أن التراث يشتمل على عناصر ذات جدوى ، أي عناصر يمكن استخدامها في الزمن الحاضر . وهذه العناصر منبثة في جل أرجاء التراث : في علوم العقيدة ، وفي فقه المعاملات ، وفي العلوم النظرية والعملية . ومن بين جميع قطاعات التراث يبدو قطاع العلوم التطبيقية أكثرها تأثيراً إذ أن التقدم العلمي الحديث قد تخطى الدرجة التي نجدها هذه العلوم في التراث . أما في قضايا العقيدة - أي علوم العقيدة ، لا بالوحي نفسه - فانه ما يزال بإمكاننا الرجوع الى مكتب علم الكلام واستخدام عناصر منها ، قليلة غير شك لكنها قد تكون مهمة . وفي مؤلفات أصول الفقه ومصنفات الفقه اجتهادات

ما يبقى من التراث

فيتقرر على هذا النحو أن التراث ليس مما يصح التهاون في أمره أو التقليل من شأنه ، وأن الدور الذي يؤديه أو يمكن أن يؤديه في حياة الأفراد والأمة جد خطير . فهو ليس دوراً هامشياً ، وإنما هو دور مركزي يدخل في المركب الحي الذي يشكل الأفراد والأمم نفسياً واجتماعياً وقومياً .

بيد أنه ليس كل التراث يدخل في هذا المركب . اد أن أجزاء منه تسقط على جنبات التاريخ . والذي « يتبقى » منه هو ذلك الجزء الذي يؤدي غرضاً ، أو يعبر عن حاجة . لكن ما تمس اليه الحاجة ليس هو الشيء عينه في جميع الأزمنة والظروف والأمكنة . لذا كان الكلام على « ثوابت » في التراث حية على الدوام أو خالدة ، أمراً عسير التحقيق . وما نستطيع أن نتكلم عليه ، بثقة مؤكدة ، هو « إحياءات » زمنية لهذا العنصر أو ذاك من التراث . وهذه الإحياءات المجددة مرهونة بالأوضاع والظروف المتغيرة . وما « يتبقى » منه في النهاية يضاف أو يدمج في الجديد الذي يتم انجازه ويستمر معه ، لأن الحقيقة هي أن صنع التراث لا يتوقف . فنحن على الدوام ، وفي كل العصور نصنع عناصر تراثية جديدة ونورثها لمن يأتي من بعدنا . وموقفنا الطبيعي هو أننا في الوقت الذي نخلق تراثاً فاننا نصنع تراثاً آخر جديداً ، يخفي التراث الذي تلقيناه أو ورثناه . بحيث يصبح القول ان مهمتنا لا تنحصر فقط في تلقي التراث ونقله ، وإنما أيضاً ، وربما بقدر أكبر ، في « ابداع التراث » .



ظواهر شعبية

بقلم : فاروق خورشيد

إذا كانت ميزة الفن الشعبي أنه يخاطب الغالبية العظمى من الطبقات الشعبية فإن بقاءه ومن بمواكبة التطور الذي يطرا على هذه الطبقات . فالشعب هو الشعب لكن الظروف غير الظروف . فهل يعني ذلك اندثار الفن الشعبي ؟ رسالة القاهرة تحيب بالنفي عبر رصدنا لأشكال جديدة من الفن الشعبي أفرزتها الحياة الجديدة والتطور المستمر .

والأداء التي تمثلت في مجموعة من المغنين ملثوا ملاهي القاهرة وطفوا على الأفلام والمسلسلات التليفزيونية فترة طويلة ، ومازال أمرهم قائما حتى اليوم الى حد كبير . .

لسنا أمام هذا أو ذاك ، بل نحن أمام شيء جديد قديم . . أما أنه جديد فلأنه شيء وافد على مجتمع القاهرة ولم يعرفه من قبل إلا في أطر محدودة جدا ومن خلال مناسبات الموالد ، وشوادر حي الحسين في رمضان . . وأما أنه قديم فلأنه شيء قديم قدم السامر في ريف مصر ، حيث كان المغني الشعبي يحمي الليالي الطويلة بغناء وأداء وتمثيل قصة (يس وبهية) و (حسن ونعيمة) و (شفيقة ومتولي) و (أدهم الشرقاوي) و (الفتي مهران) وغيرها من القصص الغنائية الشعبية

ولكننا لسنا هنا أمام سامر الريف ، وإنما نحن أمام كاسيت يتشر في شوارع القاهرة ومحالها ومقاهيها وسياراتها الخاصة والعامة على السواء ، وإن كان من الواضح أن هذه الأغنيات قد سجلت من مهرات ريفية شهدها جمهور غفير يتعلق بها ، ويجب ترديدنا . أما وقد استلقتنا الظاهرة فهنيئاً أن نرصد أيضا

 ظاهرة جديدة مهمة تمثل حياة القاهرة من مدة طويلة ، وتبرز تماما في حياتها اليوم . . فأنتم لم تعد تسمع الراديو في المقاهي أو في المحلات العامة ، أو في دكاكين الحرفيين ، أو في عربات التاكسي أو الاتوبيس . . وإنما أنتم تسمع بصورة دائمة وفي كل مكان . . « الكاسيت » . .

غدا « الكاسيت » الآن هو الصوت الأعلى في جو القاهرة ، يطفئ على صوت الراديو ويطفئ على برامج التليفزيون ، بل ربما يطفئ أيضا على « الفيديو » - الوحش الجديد المخيف القادم إلى حياتنا أيضا . .

والظاهرة الفريدة ليست في الكاسيت نفسه ، فهذا أمر قديم تعودنا عليه ، ولكن الظاهرة الفريدة تتمثل في اللون الذي يسود ما ينشره الكاسيت من عطاء فني . . فنحن لسنا أمام تسجيلات لكبار المطربين والمطربات ، أو أصحاب الفكاهة والمنولوج ، أو حتى المسرحيات الناجحة أو فصول منها . . وقد اجتاحت هذه كلها حياتنا فترة من طريق الكاسيت . . كما أننا لسنا أمام الأغنيات العبثية اللغة والمعنى واللحن

وغيرهم . ونحن نقراً هؤلاء جميعاً وغيرهم
فنستمتع ونفهم ، فكلما مثلنا نستمتع ونفهم لقراءة أي
أديب أو شاعر عناصر مبدع ، عربي أو غير عربي .
وليس ثمة شك في أن الحساسية الجمالية التي يثرها
الأدب بالذات تعتبر من أرسخ مقومات الوحدة
النفسية الإنسانية ، وقد يمكن القول أن أعمق التحام
بالتراث ، وأفضل مدخل إليه ، يمكن أن يتم
بالأدب ، بمحتله الواسع . ويدخل في هذا الباب
المصنوعات الفنية والموسيقى والأثرية . فأنها فضلاً
عما تنطوي عليه من عنصر الامتاع والفائدة تساعد
على تشكيل تمانس ذهني وروحي انساني بمد جلوره
في الحساسية الجمالية نفسها . وهي ، بصفتها هذه ،
تعكس الجانب الخالد من التراث .

الثالثة عملية ، وهي ما أسميه بـ (الجدوى) .
فمن الثابت أن التراث يشتمل على عناصر ذات
جدوى ، أي عناصر يمكن استخدامها في الزمن
الحاضر . وهذه العناصر منبثة في جل أرجاء التراث :
في علوم العقيدة ، وفي فقه المعاملات ، وفي العلوم
النظرية والعملية . ومن بين جميع قطاعات التراث
يبدو قطاع العلوم التطبيقية أكثرها تأثيراً إذ أن التقدم
العلمي المتسارع قد تخطى الدرجة التي نجد لها هذه
العلوم في التراث . أما في قضايا العقيدة - أي علوم
العقيدة ، لاالوحي نفسه - فانه ما يزال بإمكاننا
الرجوع الى الكتب علم الكلام واستخدام عناصر
منها ، قليلة لاغير شك لكنها قد تكون مهمة . وفي
مؤلفات أصول الفقه ومصنفات الفقه اجتهادات

ما يبقى من التراث

فيقرر على هذا النحو أن التراث ليس مما يصح
التهاون في أمره أو التقليل من شأنه ، وأن الدور الذي
يؤديه أو يمكن أن يؤديه في حياة الأفراد والأمة جد
خطير . فهو ليس دوراً هامشياً ، وإنما هو دور مركزي
يدخل في المركب الحي الذي يشكل الأفراد والأمم
نفسياً واجتماعياً وقومياً .

بيد أنه ليس كل التراث يدخل في هذا المركب . إذ
أن أجزاء منه تسقط على جنبات التاريخ . والذي
« يبقى » منه هو ذاك الجزء الذي يؤدي غرضاً ، أو
يعبر عن حاجة . لكن ما تمس اليه الحاجة ليس هو
الشيء عينه في جميع الأزمنة والظروف والأمكنة . لذا
كان الكلام على « ثوابت » في التراث حية على الدوام
أو خالدة ، أمراً عسير التحقيق . وما نستطيع أن
نتكلم عليه ، بثقة مؤكدة ، هو « إحياءات » زمنية
لهذا العنصر أو ذاك من التراث . وهذه الإحياءات
المجددة مرهونة بالأوضاع والظروف المتغيرة . وما
« يبقى » منه في النهاية يضاف أو يدمج في الجديد
الذي يتم انجازه ويستمر معه ، لأن الحقيقة هي أن
صنع التراث لا يتوقف . فنحن على الدوام ، وفي كل
العصور نصنع عناصر تراثية جديدة ونورثها لمن يأتي
من بعدنا . وموقفنا الطبيعي هو أننا في الوقت الذي
نطلق تراثاً فإننا نصنع تراثاً آخر جديداً ، يفنى التراث
الذي تلقيناه لوورثناه . بحيث يصبح القول أن مهمتنا
لا تنحصر فقط في تلقي التراث ونقله ، وإنما أيضاً ،
وربما بقدر أكبر ، في « ابداع التراث » .



ظواهر شعبية

بقلم : فاروق خورشيد

إذا كانت ميزة الفن الشعبي أنه يخاطب الغالبية العظمى من الطبقات الشعبية فإن بقاءه رهن بمواكبة التطور الذي يطرا على هذه الطبقات . فالشعب هو الشعب لكن الظروف غير الظروف . فهل يعني ذلك اندثار الفن الشعبي ؟ رسالة القاهرة تجيب بالنفي عبر رصدتها لأشكال جديدة من الفن الشعبي أفرزتها الحياة الجديدة والتطور المستمر .

والأداء التي تمثلت في مجموعة من المغنين ملثوا ملاهي القاهرة وطفوا على الأفلام والمسلسلات التليفزيونية فترة طويلة ، ومازال أمرهم قائما حتى اليوم الى حد كبير . .

لسنا أمام هذا أو ذاك ، بل نحن أمام شيء جديد قديم . . أما أنه جديد فلأنه شيء وافد على مجتمع القاهرة ولم يعرفه من قبل إلا في أطر محدودة جدا ومن خلال مناسبات الموالد ، وشوادر حي الحسين في رمضان . . وأما أنه قديم فلأنه شيء قديم قدم السامر في ريف مصر ، حيث كان المغني الشعبي يحكي الليالي الطويلة بغناء وأداء وتمثيل قصة (يس وبهية) و (حسن ونعيمة) و (شفيقة ومتولي) و (أدهم الشرقاوي) و (الفتى مهران) وغيرها من القصص الغنائية الشعبية

ولكننا لسنا هنا أمام سامر الريف ، وإنما نحن أمام كاسيت يتشر في شوارع القاهرة ومحالها ومقاهيها وسياراتها الخاصة والعامة على السواء ، وإن كان من الواضح أن هذه الأغنيات قد سجلت من سهرات ريفية شهدتها جمهور غفير يتعلق بها ، ويجب ترديداتها . أما وقد استلقتنا الظاهرة فنبغى أن نرصد أيضا

 ظاهرة جديدة مهمة تملأ حياة القاهرة من مدة طويلة ، وتبرز تماما في حياتها اليوم . . فأنت لم تعد تسمع الراديو في المقاهي أو في المحلات العامة ، أو في دكاكين الحرفيين ، أو في عربات التاكسي أو الاتوبيس . . وإنما أنت تسمع بصورة دائمة وفي كل مكان . . « الكاسيت » . .

غدا « الكاسيت » الآن هو الصوت الأعلى في جو القاهرة ، يطغى على صوت الراديو ويطغى على برامج التليفزيون ، بل ربما يطغى أيضا على « الفيديو » - الوحش الجديد المخيف القادم إلى حياتنا أيضا . .

والظاهرة الفريدة ليست في الكاسيت نفسه ، فهذا أمر قديم تعودنا عليه ، ولكن الظاهرة الفريدة تتمثل في اللون الذي يسود ما ينشره الكاسيت من عطاء فني . . فنحن لسنا أمام تسجيلات لكبار المطربين والمطربات ، أو أصحاب الفكاهة والمنولوج ، أو حتى المسرحيات الناجحة أو فصول منها . . وقد اجتاحت هذه كلها حياتنا فترة عن طريق الكاسيت . . كما أننا لسنا أمام الأغنيات العبثية اللغة والمعنى واللحن

عدة ظواهر مميزة لها :

الظاهرة الأولى : أن المغني تصاحبه فرقة موسيقية كاملة بالآلات الشخت الشرقي المتعارف عليها من قانون وعود وكمان وفلوت وإيقاع ، بزيادة المزمار ، وباستعمال الكمان في أحيان كثيرة بطريقة تقربه من الربابة . فلنأخذ أمثلة الآلات الموسيقية البسيطة التي كانت تصاحب المغني الشعبي المتعارف عليه ، فقد كانت أدواته محصورة في المزمار والإيقاع ، أو في الربابة وحدها ، أو في الدفوف وما يصاحبها من صنج وإيقاع .

وهذا الحشد الجديد من الآلات يتيح خلفية موسيقية تعين المغني على الأداء التطريبي بصورته الشائعة في الدور ، وتجعل من قصته المغناة وصلة غنائية كاملة على الشكل الذي شاع في القرن الماضي وأوائل هذا القرن ، وما زال ممارسا في الكثير من الحفلات الغنائية العامة ، وعند بعض المطربين الذين ما زالت امكاناتهم الصوتية تعينهم على أداء هذه الوصلات . وهو يتيح للفرقة أن تتقدم وحدها لتشغل يعزفها جزءا من التردد النغمي الملحن لما غناه هو ، أو لتقديم لحنا معزوفاً من أغنية مشهورة يستر لها المؤلفون ويسترجعون وحدهم الجوى النفسي والعاطفي الذي تثيره الأغنية ويستدعيه لحنا المعزوف وسط فقرات القصة فتغني عن الكلمات ، وتثبت الشحنة الوجدانية المطلوبة في مرحلة ما من القصة . وفي مراحل معينة من السرد الغنائي للقصة يصمت الراوي أو المغني ، ويصمت التخت كله لينفرد العزف عازف الناي وحده ، أو عازف العود وحده ، عازف الكمان وحده ، أو عازف القانون وحده ، ضابط الإيقاع وحده . . . ويستمر في عزفه المنفرد حتى يتجاوب الجمهور معه ، ويتفاعل لعزفه ، يصبح صوت آتته هو الصوت البطل ، أو الصوت المقابل لصوت المغني ، يحكي نفس الفقرة التي وقف عندها المغني ، ويرددها مرة أخرى ولكنها مؤداة بهذه الآلة المنفردة وحدها . . . فالتخت الكامل هنا لا يلعب دور الخلفية الموسيقية وحسب . . . وإنما يؤدي متجما أو منفردا أدوارا رئيسية في عملية القصص الشعري الغنائي الروائي النفسي المتكامل . . . وهذه الظاهرة وإن أبعدتنا عن الصورة الشعبية القديمة للقصص الشعبي ، أو المغني الشعبي ، إلا أنها إضافة مستفيدة

من تطور فني فرضه العصر ، بحيث لا يقلل في شيء من عملية الارتجال التي هي سمة رئيسية غالبة في الأداء الشعبي الموروث . . . والارتجال محكوم دائما بالنص الأصلي للحكاية الشعبية ، فالؤدي الشعبي حر في ارتجاله اللفظي الذي تفرضه ظروف البيئة وطبيعة المستمعين ، وما يرتب به جو الحفل من إبداعات إضافية حل القصة الأصلية . . . وكذلك فالارتجال عنصر متحرك يسمح للمغني أن يتلاحم مع جمهوره ، وأن يربط هذا الجمهور بجزيئات القصة ومواقفها المتعددة ربطا أثريا من ناحية ، وربطاً وجدانيا من ناحية أخرى . . . وقد يحدث في أحيان كثيرة أن يدور حوار بين التخت أو الآلة المنفردة وبين المغني ، فكان أحدهما يقول شيئا ، والثاني يرد عليه ، أو كان أحدهما يطرح سؤالاً والثاني يجيب عنه ، دون أن يفقد السرد القصصي استمراره وتماسكه . . .

الظاهرة الثانية المميزة في هذه الحكايات هي نوع البطل وشخصيته . فنحن لسنا أمام أبطال الحكايات الشعبية العربية القديمة ، من أبطال السير الشعبية كعمتر بن شداد وأبي زيد الهلالي وسيف بن ذي يزن والظاهر بيبرس وعلي الزبيق ممن احتكرت حكاياتهم وسيرهم جهد القصاصين المغنين زمنا طويلا . . . كما أننا لسنا أمام الأبطال المحليين الذين استولوا على وجدان الشعب المصري ، وخرجت حكاياتهم صدى لأحداث تأثر بها الريف المصري ، وخلق حولها أخبارا وحكايات تتناقل ، إلى أن تناولها القاص الشعبي بفنه ، وقدمها بطريقة الفلة في الإبداع الشعبي ، من أمثال شفيقة ومتولي ، وبية ويس ، وحسن ونعيمة وأدهم الشرقاوي والفق مهران . . . وحفظ الضمير الشعبي المصري هؤلاء الأبطال وحكاياتهم ذات الأصول الحقيقية المصاحبة للأحداث السياسية والاجتماعية التي مرت بمصر ، وكان هؤلاء الأبطال تجسيدا لها في مجتمع الريف والقرية . . .

لسنا أمام هؤلاء الأبطال ولنا أمام أولئك ، ولكننا أمام أبطال من نوع جديد ومغاير تماما . . . فالأبطال في هذه الحكايات الجديدة ليسوا من أبطال السير الشعبية المعروفين ، وليسوا من أبطال الأحداث الاجتماعية والسياسية الذين فرضوا وجودهم بحكم كونهم تجسيدا لقلق اجتماعي أو لحديث سياسي حقيقي ، وإنما هم أبطال جدد تماما إذ لا يمثلون بطولية

ملحمية ، ولا يمثلون بطولية واقعية ، وإنما هم أفراد عاديون يعيشون في أحداث عادية من أحداث الحياة اليومية في مجتمع متغير معاصر تماما . . ولعل أسماء الأبطال وهي نفسها أسماء الحكايات تكشف عن حقيقة هذه الظاهرة ، فمن أكثر هذه القصص شيوعا عند المغنين الشعبيين الجدد ، قصص حمدي وأفكار رؤوف ورقيقة وهبله وختار ، وأيوب ورحي ، وخيري ووجنات ، وشلي وشلباية ، وماهر ومهران ، وصابر وصابرة ، ونيلة ومجدي ، والمحسن المجهول وأم البنات . . وهي أسماء - كما ترى - لا تعني بذاتها شيئا مميزا ، ولا تشير إلى ملحمة معروفة ، ولا تنبئ بواقعة لها شهرتها أو تميزها . . وإنما هي مجرد أسماء لشخصيات يمكن أن يحمل كل اسم منها محل الآخر دون أن يجرح هذا تأهب المستمع أو تقبله النفسي للقصّة ، كما أنها يمكن أن يستبدل بها أسماء أخرى دون حرج أو دون جرح لموروث المتلقي من العطاء القصصي أو الشعبي المسبق . .

وهذا يعني أننا لسنا أمام شخصيات غمطية ، وإنما نحن أمام نماذج حية ومتفاعلة داخل المجتمع ، وتعكس بعض الظواهر التي يرى صاحب الحكاية أنها تسوق إلى المتلقي متعة بذاتها أو تجربة معينة يريد أن يقدمها له . . والمدقق في اختيار الأسماء يحس أنها أقرب إلى ذوق المدينة واختياراتها منها إلى ذوق القرية واختياراتها في الأسماء . . وقد تعود القرويون أن ينظروا إلى أمثال هذه الأسماء باعتبارها أسماء توحى بالترقيق والتدليل ، وكانوا ينفرون منها لما كانت تعيّن به صاحبها من علامات بعيدة عن معنى الخشونة والتكشف التي هي من سمات أهل الريف

وقد يكون الأمر أن هذه الهوة السابقة بين القرية والمدينة قد تلاشت أو أوشكت على التلاشي . وقد يكون الأمر أن تطلّع أهل القرية إلى حياة الدعة أصبح مشروعا بعد أن أحدثت هجرات العمل والعودة بالثروات النسبية فعلها الأكيد في تغيير بنية مجتمع القرية ، ونوع التطلعات التي يحلم بها أبناء القرية . .

ومنذ البدء والأساطير المصرية القديمة توحى بهذه القداسة بحسب الفلاح المصري تجاه أرضه ، فعبدتها وعبد كل ما يزيد خيرها وثراها ، عبد الشمس ، ورصدتها وعرف منها فصول السنة ، وأثر هذا التغير

الفصل على زراعة الأرض وفرسها ، ثم العناية بها ، ثم حصادها الثمر . . وعبد النيل واحصى به كل الاحتفاء ، وقدم له القرابين ليزيد مآؤه ويحم خيريه أرضه الطيبة . . ولكن الوضع الآن يختلف إذ بدأ الفلاح يحجر أرضه ، ويهاجر من دنيا هذه الأرض إلى دنيا رحبة من تطلعات الثراء والمتعة التي لا ترتبط بالأرض ولا بجلوره الضاربة في أعماقها . . فلم يكن غريبا أن تنتشر إذن أسماء مجدي وهبله ورؤوف ووجنات وماهر وخيري ورحي ونيلة بدلا من الأسماء القروية التقليدية القديمة . فهذه الاختيارات إشارة إلى حق القرية في رفاهية المدينة ، وإشارة إلى سقوط الحواجز الاجتماعية بين المجتمعين . . وسنلاحظ أن الأبطال جميعا من تلاميذ الجامعة ، وأن معظمهم طلبة في كلية الطب ، كما سنلاحظ أن حق البنات في التعليم قضية تحتضنها أكثر من قصة ، وأن حق ابن القرية في أن يكون مهندسا أو طبيبيا مسألة مسلم بها لا تحتاج إلى نقاش . كما سنلاحظ أيضا أن الأحداث تدور دائما حول صراع الخير المستسلم الطيب الضعيف ، وبين الشر الضار الخبيث القوي . . ولا يتنصر الخير إلا بعد أن يلقى الأهوال والصعاب ، ولكن التمسك بمعاني الشرف والوفاء والعلم هي أسلحة الخير التي توصله دائما إلى بر الأمان . والأبطال يتحركون في هذه الدائرة ، التي لا تعرف إلا الشر المطلق والخير المطلق ، فالقصص الشعبي لا يعرف من الألوان إلا الأبيض والأسود . والشر متنصر أول الأمر ، لا يعرف الهزيمة لأنه يستخدم كل الوسائل التي توصله إلى الانتصار ، بينما الخير لا يتنصر إلا في نهاية الأمر ، وانتصاره اما حقيقي بأن يفوز البطل بالفتاة التي يحبها بعد نجاحه في حصوله على الشهادة الجامعية ، وتفوقه في عمله ، وإقرار عمه الشرير بحقه في اقترانه بابتته ، وفي المكان البارز من المجتمع وفي ارثه المختص ، وأما الرمز في ذلك الانتقام الإلهي الذي يحمل بالشرير فيلعب ماله وصحته ، ويصيبه بالفشل والعجز ، ثم الموت في النهاية . .

وفي خلال هذا الخط الرئيس تظهر خطوط فرعية متنوعة ، فرؤوف يقاوم اغراء أبي رقيقة له أن يتركها مقابل مبلغ ضخم من المال ، وتسمع رقيقة حبيبها وهو يرفض أن يتركها مقابل المال فتسعد لأنه يحبها

القديم وفنه الحديث المشهور ، وممارسته الحياتية القائمة . . . ومن هنا يتحقق الوجود الشعبي المتكامل لهذه الحكايات فهي ماضى حى تماما . . ماضى تراكت في تكوينه آلاف المعتقدات والحكايات ، ولكنه ماضى موجود بما أضفاه اليه الواقع المعاش ، وما استكمل من الواقع الابداعى الفنى الموجود في عصره . . فاذا أضفنا الى هذا امتزاج الهدف الدينى بالهدف الأخلاقى بالهدف التعليمى في إطار من التسلية والمتعة ، من إثارة الحكاية وتطريب المغنى ، وانشاد أهل الذكر ، تكاملت أمامنا صورة ثقافية واضحة الابعاد لمجتمع يتشبث بالمعطى الدينى تشبثا واضحا ، ويرتبط بالموروث الأخلاقى ارتباطا أصيلا ، وان شأبت الاثنتين بقايا من معتقدات شعبية ، وتراكمت من مفاهيم متغيرة ومعاصرة . . وتبدو الظاهرة الدينية واضحة في افتتاح كل حكاية بمدح النبى ﷺ وبيانها أيضا بمدح النبى ﷺ وقوف الراوى عند كل عبرة أخلاقية بحديث نبوى أو آية قرآنية يؤكد بها المعنى الخلقى المؤيد بالعطاء الدينى في كل ما يقول . . .

فهل أحس المتلقى الشعبي بأن ما يعطيه له التليفزيون والسينما والراديو من نماذج قصصية لم يعد يسد حاجته المتعطشة الى أن يلمس صدق الفن مع ما يعانيه بالفعل من قضايا ومشكلات ؟ . . وهل سمح المتلقى بهذه الرقة الغريبة الى الحكاية الشعبية ، للمبدع الجمعى أن يتقدم فيسد الثغرة الناجمة من خلال هذه الحكايات المتناقلة عن طريق الكاسيت والتي تبدو طاغية شديدة الطغيان ، رائجة واضحة الرواج . .

وأيا كان الأمر فالظاهرة ملفتة وجديرة بالاهتمام والتسجيل ، فلعلها تعنى تمردا جماعيا على ما تقدمه أجهزة الاعلام من نماذج مرفوضة ومسفة ، ولعلها تعنى الانجاء الى مخاض قد يلد فنا جديدا يفرض نفسه أو يفرض - على الأقل - مجموعة جديدة من القيم والمعاني ، وهو على كل حال يفرض رفضه لما هو قائم ، وهروبه - كما حدث عبر التاريخ في أزمنة التزوير الفنى لضمائر الشعوب - الى الأدب الشعبي والفن الشعبي ، يودع الضمير الجمعى حقيقة أدبه وفنه بعيدا عن عمالة المبدعين لغير الصديق ، وانتهاء المؤلفين والفنانين لغير حقيقة الفن ورسالته . □

هى أكثر من حبه للجمال . ونبيلة القبطية تحب مجدى زميلها في الجامعة وهو مسلم ، وتشفى زيارة لمشهد الحسين أبيها القسيس من العمى إثر حلم يهدىها لأن تزور معه الحسين ، وتسلم نبيلة ويبارك أبوها زوجها من مجدى . . وصابر يصرف بلذخ من إرثه من أبيه بينا عبدالله يحرص على ماله ويتصدق منه في حدود المعقول ، ويفقد صابر ثروته ويعمل صيلدا أو « مراكيبا » ، ويتقدم عبدالله ليصون حياة زوجة أخيه وأولاده دون أن يعرفوا أن عمهم الثرى هو المحسن . ويعود صابر بثروة كبيرة ، ولكنه يبعد أهله في ستر ، فيشكر أخاه ويشاركه ثروته . . الى آخر هذه الحكايات الفرعية التى تخض على التمسك بالدين والشرف والأرض وعدم الاسراف على النفس باللذات أو البذخ . . والسياق يؤكد العلاقات الأسرية وقيمة الأب والام والوفاء لها ، وقيمة الاخوة والتمسك بهم ، وقيمة العم والخال والعرفان لها . . وكلها قيم تريد أن تتقدم لتمنع الظواهر الحديدة التى تهدد المجتمع وقيمه من أن تسيطر على الموروث والتقاليد وتهتمها . . .

الظاهرة الثالثة في هذه الحكايات هى هذا المزج بين الموروث والواقع . . فالأحداث واقعية شديدة الواقعية ، تخفى في حدود الحياة اليومية وما يجرى فيها من تناقضات بين القوى التى تتحكم في حركة الحياة الدائمة والمتغيرة أبدا . ولكننا نجد أنفسنا فجأة أمام رحلات غامضة ، ومغامرات مع قوى خفية ، وأحلام تنبأ بتصدق نبوءتها ، ومعجزات لأولياء الله الصالحين ، ودعوات مستجابة من الوالدين أو من أهل بيتى ، وتراب طاهر يعيد الرؤيا الى العين المصابة . . كما أننا نجري في محيط من (الموتيفات) الشعبية المتوارثة والمعروفة . . مثل الاخوين المتناكرين ، والبنات الفقيرة وامرأة أبيها المتسلطة ، والابن المنتقم لأبيه ، والام التى تحمى ابنها . . ونحن أيضا في نفس الوقت نلمس حكايات شعبية ، وحكايات ألف ليلة ، وبعض المتبقيات من السير الشعبية المعروفة . وهذا المزج يختلط تلقائيا بمتبقيات من الحكايات السيمائية وقصص مسلسلات التليفزيون ومقاطع من الأغنيات المشهورة والمواويل المعروفة . . فنحن نلمس جماع الحسيلة الفنية للواقع الممارس ، بوجوده وموروثه معا ، يفنه الجمعى



رجل لا يتجاوز الدقيقة الخامسة من عمره !

بقلم : أبو المعاطى أبو النجا

ربما كانت هذه الموهبة اللافتة النافلة هي أعظم مواهبه ، لأنها هي التي تحدد له نوع وحجم الأسلحة التي يستخرجها من ترسانته ، ليحسم معركته الأولى والأخيرة في الدقائق المتبقية !

الدقائق الخمس الأولى هي في عصرنا هذا كل الزمن المتاح أمام الرجال من أمثاله ، وقد علمته التجربة أن الجهد المبذول لحقق الانعطاف الأول يوفر وأجدى من الجهود المضنية التي قد تبذل بعد ذلك لتغييره ، وإن الناس - حتى الأذكى منهم - يستكونون

له زمن مفضل ، يكسب فيه معركته الأولى - وغالباً ما تكون الأخيرة - ذلك الزمن هو الدقائق الخمس الأولى ، التي يلتقي فيها بشخصية جديدة ، سواء سعى هو إليها أو سعت إليه ! في الدقيقة الأولى من هذه الدقائق الخمس يلتقط نقاط القوة ونقاط الضعف لدى هذه الشخصية ، يلتقطها من النظرة ، والخطوة ، والوقوف ، والجلسة ، وطريقة التحية ، وطريقة عرض الموضوع أو الاستماع إليه !

مكانته المفضل !! وذلك جزء من أسلوب دفاعه العظيم !!

تتغير أوضاعه الوجوه من فوق ، حيث تهب العواصف الجائعة عند القمة ، ومن تحت ، حيث يثور أحيانا بعض هؤلاء المبدعين ، أو يدركهم التعب واليأس ، حيث يمر الوقت دون أن يحدث التغيير ، بينما تتسع المسافة بين واقعهم وأحلامهم ، ويبقى هو في مكانه الأثير ، فالقاصمون الجدد عند القمة يحتاجون الى دليل الى قاعدة الهرم الذى يتربعون فوقه ، بينما هو قادر على أن يجتذب البدائل لأولئك الذين ثاروا أو تركوا مواقعهم ، وما أكثر البدائل على منحدر الجبل . . . ! انه هو وحده الذى يعرف مواقعهم ولغتهم ، وهو يعرف كيف يجدهم هناك متعبين قابلين رغم ذكائهم ، لان يعانون السراب والوهم ، لا أحد مثله يعرف هذا النوع من البشر ، الذين يبذلون خارج نطاق نبوغهم ومواهبهم كالأطفال ، هم دائما ينشدون الحماية والأمن ، ليتفرغوا لما يعتقدون أنه مهمتهم الوحيدة في الحياة ، والتي يمارسونها بنفس البراعة والحيوية التي يمارس بها الأطفال ألعابهم !

انه يصطادهم في هذه الدقائق الخمس التي هي معجزته الحقة ، والتي تصبح دون أن يدري هي كل حياته !

امتياز أو مأساته أنه وهو يحدثهم عن أحلامهم في التغيير يبدو حقا وكأنه يتحدث عن أحلامه هو ، هو نفسه لم يعد يعرف عدد الأشخاص الذين يتحدثون بداخله ، يخيفه بقدر ما يرضيه أنه يبقى في مكانه وسط كل هذه المتغيرات ، قدرته على التذكر لا يعادلها الا قدرته على النسيان !!

لا حديث له الا عن ضرورة التغيير ، ولكنه هو بدوره ، بموقعه ، بأسلوب تعامله ، يبدو نموذجاً رائعاً لما يتغير !

له سمات العباقرة دون أن يكون له انجازهم وابداعهم ، يستخدم كل الكلمات التي في قاموس الحب والكراهية والثورة والتمرد ، ولكنه يبدوته وتمسكه واستمراريته لا يعرف الحب ولا الكراهية ، ويمارس صلحا مذهلا بين كل المتناقضات لصالح بقائه في موقعه !

لا يخاف شيئا مثلما يخاف لحظة فراغ ، تستدرجه

في حصرنا هذا وفق انطباعاتهم ، فلا أحد لديه وقت للتفكير الطويل لتكوين الاقتناع ! وبعد هذه الدقائق الخمس قد تلتصق التلقائية بكل ما يمكن أن تحمل من مخاطر ومغبات !!

وله أيضا مكان مفضل ، فهو يؤثر تلك المساحة الضيقة والوحدة قرب القمة ، تلك المساحة التي تفصل بين عشرات الرجال من ذوى السلطة والتفوذ الذين يحتلون المراكز العليا ، وبين مئات الرجال من أصحاب المواهب والقدرة على الانجاز ، الذين يقعون في ظلال المركز الثالث في مختلف مجالات الفكر والعمل !!

ودائما يتحرك في رشاقة المصفور - ومهما يكن وزنه - بين هؤلاء وأولئك ، وإذا كان قد أدرك نقاط القوة والضعف لدى من هم دونه ، فهو يحكم موقعه وتعامله يدرك أيضا نقاط القوة والضعف لدى من هم فوقه ، ويحكم هذا الموقع أيضا بمسك في يديه بكثير من الخيوط الصاعدة والنازلة ، ويرى المشهد من فوق ضروراته ومحظوراته ، ويراه من تحت ، طبيعته وخصائص العاملين فيه ، ومن هذا كله يدرك أنه لا توجد كفة مشتركة كافية بين هؤلاء وأولئك ، وأن من مصادر قوته أنه هو وحده الذى يصبح عارفا وصانعا لهذه اللغة المشتركة ، وأنه بدونه تتشابك الخيوط الصاعدة والنازلة ، وأن هذه الخيوط تمسك به بقدر ما يمسك بها ، ويكثر حديثه عن ضرورة اللغة المشتركة والرؤية المشتركة ، بقدر ما يعمق شعوره بصعوبة ذلك ، ومع هذا التوحد والترابط بينه وبين من هم فوقه ومن هم دونه يزداد شعوره بأنه الواحد المتحد ، يؤكد لمن هم دونه أنه واحد منهم مقاتل من طرازهم ، له في الحقيقة نفس أهدافهم ، ولولا دوره التوجيهي لاسعد أن يكون مثلهم ، يغير يديه فيها يخزون به أيديهم وجباههم من فكر وعمل ، وهو يخرج من عمل هؤلاء المبدعين ما يناسب تماما ما يطلبه رجال الهدف الأول ، يعرف كيف يقدمه في الوقت المناسب وبالطريقة التي تقنعهم بأنه هو تماما ما يلبي احتياجاتهم .

وكثيرا ما يبدو في وقت واحد في صورة المنتصر والمهزم ، البطل والضعيف ، فهو يحقق لمن هم دونه بعض أحلامهم ، ولأن هم فوقه كل ما يمسك به فوق

يقول بعض من يعرفونه ، انه لا غنى عنه ، فهو موجود في كل العصور وفي كل بلاد الدنيا ، وانه من صلبه ينحدر كل رجال الادارة العظام ، الذين هم سادة المستقبل دون ريب ، حيث العمل والنظام الاجتماعي كله أكثر تعقيدا وأكثر حاجة الى أمثاله ، وان التغيير الوحيد الممكن هو ما قد يمس أسلوب أدائه لهذا الدور !

بينما يقول البعض الآخر : ان وجوده بهذه الصورة هو مرحلة من مراحل التطور الانساني ، وسيأتي يوم لا محالة يتطور فيه رجال الصف الثالث ، يحطمون شعورهم الزائف بالعجز والحاجة الى الحماية ، يعنون بتنمية ذواتهم بقدر ما يعنون بتنمية مواهبهم وقدراتهم ، يجمعون بين القدرة على الابداع والقدرة على توظيف هذا الابداع في وقته ومكانه .

وآنذاك يتغير رجال الصف الأول أنفسهم ، فلن تكون هناك سوى لغة واحدة يتكلمها كل الرجال ، وآنذاك قد تتغير الحياة كلها !

والى أن يحدث ذلك أولا يحدث ، فسيبقى هذا الوجه في المرأة جديرا بكل ما نملك من آسى وعجبة ، ورغبة في التفهم ، ورغبة في المواجهة والتغيير !! □

الى التفكير لحظة فيما يجري من حوله ، في هؤلاء الذين خدمهم أو استخدمهم ! ولذلك فهو يجيأ في العمل أو يموت فيه ، ويصبح ذلك (ربما دون قصد) من رصيد قوته وبقائه في موقعه ! دائرة معارفة تتسع لمئات الأسماء والشخصيات من كل الطبقات والجنسيات والتخصصات ، وطبعاً لا يعرف شيئاً واحداً عن أى واحد من هؤلاء خارج ما يتصل بعملهم معه !

يبدو أنه يملك كل شيء ، ولكنه لا يكاد يملك حتى حياته التي تختصر أخيراً في هذه الدقائق الخمس ! وهو يعرف قيمة هذه الدقائق ، حين يلتقى مصادفة بواحد ممن عملوا معه أو عمل معهم . . . لسنين قصيرة أو طويلة . . . ان أشياء غامضة تتحرك في داخله . . . عواطف كالزلازل أو البراكين . . . أشياء تنذر بما لا قبل له به ، وآنذاك يبدو تدريب الدقائق الخمس العظيم ، تأتى الابتسامة المحسوبة ، والكلمات المحسوبة ، كل الأسلحة التي تختصر المعركة في دقائق ، دون أن تسمح بالتورط في احساس واحد بالأسى ، أو بالندم ، أو بالحلم ، أو بالكرهية ، أو بالشفقة على نفسه أو على غيره !!

الروح والجسد !

كتب مارتن لوثر كننج الزعيم الزنجي الذي أمضى حياته مدافعاً عن الحقوق المدنية لابناء جلده . . كتب يوما يروي قصة السيدة الزنجية المعجوز التي جاوزت العام الثاني والسبعين من عمرها ، وكيف كانت تقطع كل يوم مسافة طويلة سيراً على الاقدام من بيتها الى حيث يقيم أبنؤها وأحفادها ، اثناء مقاطعة الزنوج لوسائل المواصلات العامة التي حرم عليهم البيض استخدامها ، حتى اذا استبد بها التعب يوما ، اقترب منها رجل أبيض وقال : « لماذا تمضين اذن في تأييدك لهذه المقاطعة التي لا جدوى منها ؟ » وقالت السيدة وهي تستند بذراعها الى الحائط : « ربما تكون قدماي قد انهكها التعب . . ولكن المهم هو الروح ، وأنا أشعر بروحي هناك تحلق مستريحة في سماء الأرض التي تحتضن المسحوقين . »

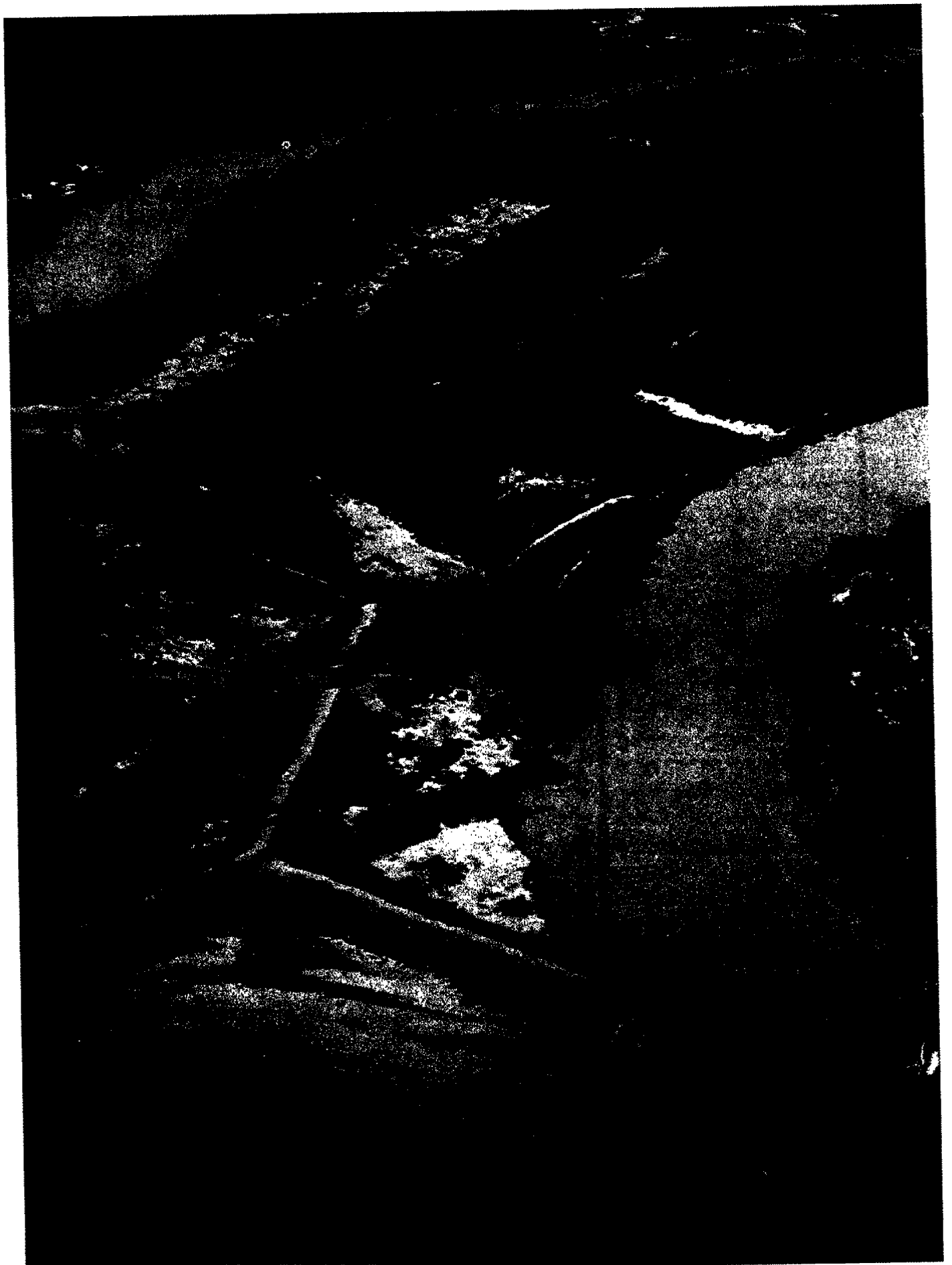
المياه العزبية وصراع الوجود

استطلاع : سليمان الشيخ

تصوير : أوسكار ميري



حصارات الأعوار في طريقها لأسواق الاستهلاك



عناصر أساسية للوجود ، ان فقدت فقد الشعب الكثير من مقومات وجوده ، وان اعتدى عليها . . فانها الحرب لا محالة !
لنأخذ المياه على سبيل المثال . . انها مفتاح باب حضارة الاستقرار منذ أن عُرف العالم .
اذ لولا النيل ، والفرات ودجلة . . والسند وغيرها من الأنهار لما قامت حضارات مستقرة يعود تاريخ قيامها الى الانسان الأول . حتى يومنا هذا فان أكبر وأوسع المدن والخواضر مازالت مركزة على جانبي تلك الأنهار وغيرها
إنها المياه التي جعل الله منها كل شيء حي .

تلمع على يسارنا مع فيض من جمال البساتين والحقول على الجابيين الأردني والفلسطيني المحتل .
والبحيرة . . سادرة في مكانها . . تلمع زرقة مياهاها من بعيد ، وبيوت بيضاء تحتل التلال التي تحيط بها . .
أهي طبريا ؟
أه الوطن ، حلم العمر كله ، يتكرر في المنام واليقظة

كبرت العصاة في كل ذرات السدن ، وتجمع الحزن - المرح في تقاطيع الوحه . . ووقف الدمع يتشاور في المآقي .
الشمس كعادتها عجول . . ونحن نتقافز مع الكاميرا من مكان الى آخر . . . نصطاد لقطات قد تجودها الفرصة ثانية وقد لا تجود .
لم يكن صراعا مع الشمس المحول فقط ، بل كان أيضا مع الخوف من رصاصات قد تأتي من المرصد الاسرائيلي الذي يواجهنا على الجبل المقابل .
كانت لحظات من القفز والركض والخوف والتوتر والاكتشاف ، اطلعنا فيها على محور اليرموك الذي يمثل عصب المياه المتفحّر في المنطقة .
سهر اليرموك يغسل أقدام الجبل الذي نرتقيه . . .
ونهر الأردن يلعب على بعد مئات من الأمطار القليلة ، وبحيرة طبريا خزان الماء الذي تلتقي فيه أهم أنهار بلاد الشام تتماوج من بعيد .
وقناة الغور الشرقية بمحاذاة الجبل مازال الماء يتدفق

 قصتنا نحن العرب منذ أوائل هذا القرن وخاصة في الأربعين سنة الأخيرة مع المياه قصة تروى ، لأن فيها - قصة - حياتنا ومستقبلنا ووجودنا .
لنتمعن - مجرد تمنعن - في منظر مازال أمام بؤرة عين من يرى ، منذ عشرين عاماً .

المثلث الخطر :

كنا مع الشمس في سباق وتحد ، هي تركض نحو أفق المغيب ، ونحن بودنا أن نركب مراكب الهواء كي نصل الى هدفنا . . وهدفنا كان « المثلث الخطر » أي مكان التقاء الحدود الأردنية ، السورية ، الفلسطينية المحتلة .

جبل الجولان أصبح على عيني التلة التي ارتقيناها ، والمياه على الجانب الأيسر تلمع بوجوهنا من جراء مغازلة الشمس لها . . وبساتين وسهول ووهاد مكسوة بالأشجار والخضراوات على مد النظر .

يقول مرافقنا : أترون أشجار السرو . . هناك ؟
إنها الحدود الفاصلة بين ما هو تابع لنا ، وما أصبح يتبع عدونا .

نمر على مراكز الجيش الأردني واحداً إثر الآخر . . ثم نرتقي جبلاً . . يخفق القلب ، وترتعش الأوصال . . طبيعة مكسوة بجمال حكته عنه الأساطير « أرض اللبن والعسل » نقايا نهر الأردن

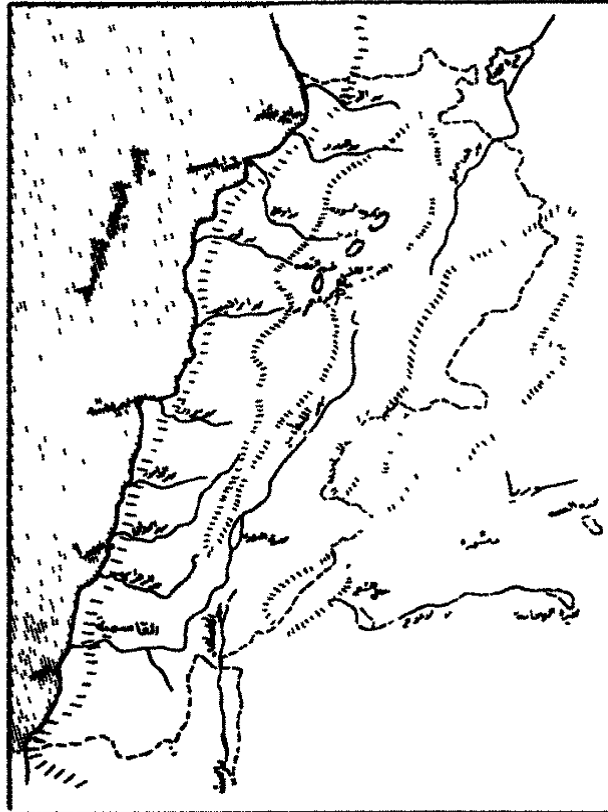
تحبك النكتة المرة معنا فنقول : بناء سد المخيبة
تحول الى خيبة ! نعم هو ذلك !

الدور البريطاني :

لكن .. قبل المضي في نقل المشاهدات
والانطباعات ، دعنا ننقل لك عزيزي القارئ ..
بعض أطراف الحكاية من أولها

.. كان .. يا مكان - نهزل بمرارة - عدواً
يرسم على الورق مخططاته ومشاريحه ... فأصبحت
أحلامه حقائق ، وأوهامه مشاريع ، تشق قلب الحياة
في أقطار أمتنا . وتحولت حقائقنا الى أحلام
وأمان ! ..

من المؤكد أن بداية مسيرة المأساة « الدرامية »
للمياه ومصادرها في منطقة بلاد الشام لم تقم بعد
خطاب رئيس الوزراء الاسرائيلي ديفيد بن غوريون
سنة ١٩٥٥ :



خريطة الجمهورية اللبنانية تظهر الانهار المهمة فيها ومنها
الليطاني (عن كتاب « اسرائيل ، والمياه العربية) لعفيف
البيزري .

في شربانها ليضيف الى شرايين الناس والحيوانات
والشجر الحياة والنضرة والاختضار ...
والجولان ... تحول الى مرصد للعدو .

نتابع توغلنا قليلاً ، بدت السيارات التي ترتقي
هضبة الجولان واضحة لنا كل الوضوح .. أشار
مرافقنا الى جسر مقصوف ومدمر .. قال : انه جسر
خط سكة الحديد الذي كالا يصل بين فلسطين وغيرها
من الأقطار العربية .

ثم نقرأ لافتة « الحمة » انها الحمة السورية
المحتلة ، .. مساحة خضراء واطنة بين جبلين .. لو
رميت حجراً لأصاب الصبي الراكض أمام
مسجدها ، . ولورميت حجراً آخر لأثرت دوائر
كثيرة في برك المياه الدافئة والساخنة التي تحيط بها .

ثم نصل الى الحمة الأردنية التي تبعد عن الحمة
السورية بضعة أمتار . نرتقي جبلاً آخر .. هدفنا
كان موقع ما سمي بسد المخيبة « خالد بن الوليد » ،
بدا الأفق يكتسي بحمرة الغروب ، وأصبح الصمت
تسبيحة خوف تشك في القلوب .. ثم فجأة ...
مرصد آخر للعدو ... عندها أوقف مرافقنا المهندس
السيارة ... وأشار الى أسفل الوادي وقال انه وادي
نهر اليرموك ، . أنظروا !

مجموعة من الآلات والمكائن المعطوبة .. كانت في
قعر الوادي ...

ثم أشار الى يميننا .. وقال : أنظروا أيضاً نفق
طولي تم شقه بين حافتي الجبلين اللذين يخترقهما نهر
اليرموك بين الأردن وسوريا ... ثم تراءت على
رؤوس التلال مكاتب الشركات التي كانت قد بدأت
تنفيذ .. المشروع ... الأمل مشروع سد المخيبة أو
سد خالد بن الوليد .

لقد قصف العدو الصهيوني المكاتب والآلات
ومراكز التحويل ، اعتباراً من سنة ١٩٦٤ ، وتم
الهجوم على مراكز التحويل عدة مرات ، آخرها سنة
١٩٦٧ أثناء حرب حزيران . ومازالت الآلات رابضة
في أماكنها اشارة ورمزاً على محاولة تحقيق الأمان
والأحلام ..

فهل هو العجز الذي يختزله وضع الآلات
المعطوبة ، أو المكاتب المهجورة ، أو النفق الذي بقي
مجرد حرث طولي بين الصخور ؟



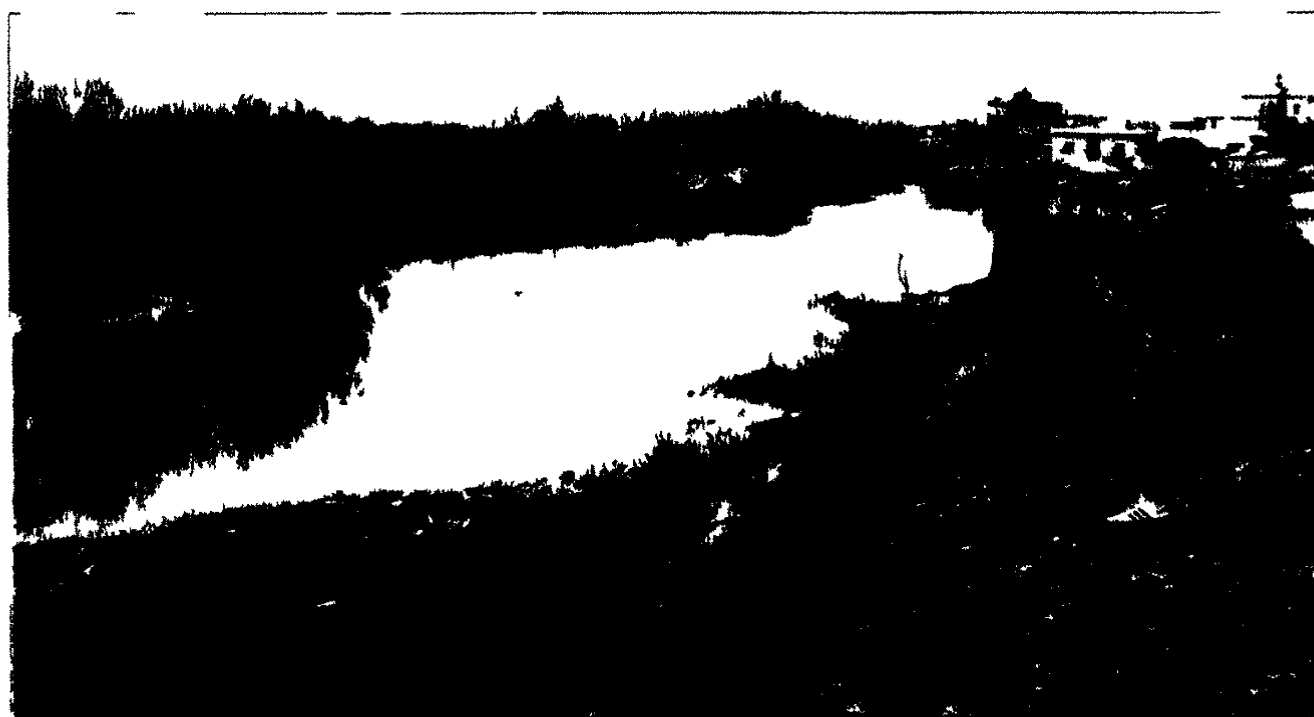
بحره طرنا مصب اهم انهار بلاد الشام لاحظ مدنه طرنا في عمق الصورة



حسر - الوصل - المصروب على نهر اليرموك يقع عند أخطر نقطة في الحدود السورية الاردنية الفلسطينية



ماء لعمور السرفه عليها تقوم الحياه والزراعه في منطه لاعد



مهر اللطاني اثناء مروره بقرية المرح الماعه قبل ان يلتقي بقرية الاخرى

المنعقد اثر الحرب العالمية الاولى بتاريخ ١٩١٩/٢/٣ ، بمطالب مهمة تتعلق بتخطيط حدود فلسطين ، جاء فيها :

« أن حدود فلسطين يجب ان تسير وفقاً للمخطوط العامة التي تبدأ في الشمال عند نقطة على شاطئ البحر الأبيض المتوسط ، بجوار مدينة صيدا ، وتتبع مفارق المياه عند تلال سلسلة جبال لبنان ، حتى تصل الى جسر القرعون ، فتتجه الى البيرة - قرية في البقاع اللبناني - متبعة الخط الفاصل بين حوضي وادي القرن ووادي التيم - في لبنان - ثم تسير في خط جنوبي متبعة الخط الفارق بين المنحدرات الشرقية والغربية لجبل الشيخ ، حتى تقترب من الخط الحديدي الحجازي الى الغرب منه . وفي الشرق يحدها خط يسير بمحاذاة حدود يجري الاتفاق عليها مع الحكومة المصرية ، وفي الغرب البحر الأبيض المتوسط »



المهندس صبحي كحالة

واضح في رسم هذه الحدود انها لم تتضمن السيطرة على انهار منطقة بلاد الشام فحسب ، بل السيطرة على منابعها ايضا .

الا أن اختلاف مصالح الاستعماريين الفرنسي والانكليزي اللذين اقتسما بلاد الشام بينها ، عطل جزءاً من المشروع الصهيوني . لأن بعض منابع ومسارات بعض الأنهار كانت تقع في « الحصنة » الفرنسية .

« ان اليهود يخوضون اليوم مع العرب معركة المياه ، وعلى مصير هذه المعركة يتوقف مصير « اسرائيل » واذا لم ننجح في هذه المعركة فانا لن نكون في فلسطين » . اذ انه من الثابت - وقبل القاء هذا الخطاب - أن عدة مشروعات تم انجازها على الأرض ، ومخططات تم تقديمها الى الهيئات الدولية من قبل المنظمات الصهيونية ، يقول المهندس صبحي كحالة - أحد أهم الكفاءات التي تعاملت مع موضوع المياه ، اشرافاً ، ومسؤولية وإدارة - في كتابه « المشكلة المائية في (اسرائيل) وانعكاساتها على الصراع العربي الاسرائيلي : « البحث في المشكلة المائية في فلسطين قديم قدم نشوء الحركة الصهيونية نفسها ، فمنذ أن بدأ حلم استعادة أرض صهيون يرادو بخيلة قادتها حواري منتصف القرن الماضي ، أدرك هؤلاء القادة أن تحقيق أهدافهم في تهجير ملايين اليهود الى فلسطين ، لو يتم الا بالتوسع في السيطرة على أرضها ، وان التوسع في استغلال الأرض لن يتم الا بتأمين كميات كافية من المياه لاروائها ، وبالهيمنة الكاملة على مصادرها » .

ويضيف المهندس كحالة :

« ومنذ عام ١٨٧٣ ، تجل التعاون الكامل بين الاستعمار البريطاني والصهيونية العالمية الناشئة وتذاك ، حين أوفدت الجمعية العلمية البريطانية بعثة من الخبراء والمهندسين الى فلسطين ، لتقصي ما فيها من موارد طبيعية ومنها المياه .

وقد كان في التقرير الذي نشرته هذه البعثة عام ١٨٧٥ ، أول اشارة الى الدعوى اليهودية القائلة بإمكان اتساع فلسطين والنقب لاسكان الملايين من البشر ، وبأن من الممكن ري صحاري الجنوب اذا أمكن نقل بعض كميات المياه الوفيرة في شمالي فلسطين الى جنوبها تحقيقاً لهذا الغرض » .

لذلك فان إقامة أول مستعمرة صهيونية في نهاية القرن الماضي في شمال فلسطين بالقرب من مصادر المياه . . لم تكن حالة « اعتباطية » بل جاءت جزءاً من التوجه الصهيوني العام الذي استمر في محاولات التسلل الى الأرض ، وتقديم مشروعات متتالية للهيئات الدولية . .

فقد تقدمت المنظمات الصهيونية الى مؤتمر الصلح

ومع ذلك فان المنظمات الصهيونية والت جهودها لاقتناص أية فرصة للحصول على ما يمكن الحصول عليه

وهكذا فان شركة روتسرع اليهودية حصلت سنة ١٩٢٦ على امتياز لاستثمار مياه هري الأردن واليرموك عند نقطة تلاقيهما عند حسر المحامع الأردني ومستعمرة هارييم اليهودية ، لتوليد الطاقة الكهربائية لمدة سبعين سنة ، مما وضع قيودا على الأردن ، وحد من حرته في استغلال مياه هر اليرموك لأغراض السقاية وغيرها

وبدلت سلطات الانتداب البريطاني كل مساعدة ممكنة للمنظمات الصهيونية ، كي تسيطر على امتياز شركة بحيرة الحولة وتحمفها وتستثمر اراضيها اعتبارا من سنة ١٩٣٤ وقد بعد المشروع اعتبارا من سنة ١٩٥١م

وقد ساهمت سلطات الانتداب البريطانية قبل وعد بلفور سنة ١٩١٧ وبعده تسهيل تسليم فلسطين الى الصهاية

من الفرات الى النيل :

وقام الكيان الصهيوني سنة ١٩٤٨ ، الا ان أطماع هذا الكيان بالمياه العربية المحيطة بقيت كما كانت عليه قبل نشوء الكيان ، بل ان الاحاح على تأمين المياه أصبح من الأمور المهمة جدا لسد احتياجات سيل المهاجرين ، الذي احد يرداد يوما بعد يوم وهكذا توالى حروب السيطرة على المياه

« أن يحدد الكيان الصهيوني في بعض أدياته حدود امتداده من الفرات الى النيل فان هذا يعني ان هناك رعة اكيدة في الاستثثار بالمياه بل ان تعريف الأرض بالاسهار ما هو الا دلالة اكيدة على طبيعة التوحه والخطر المحدق بالهريين وبالمطقة الممتدة بينهما »

هكذا قال لنا السيد ميشيل حمارة وكيل وزارة الاعلام الاردنية عندما التقيناه في عمان فهل أن أوان الخطر على هدين الهريين ؟ قال لنا المهندس صحي كحالة - مهندس الكثير من مشروعات المياه في الأردن وسوريا ومنها مشروع سد خالد بن الوليد المصروب

« ان مصادر المياه المتاحة داخل فلسطين المحتلة قد تم الكشف عنها وتم استغلالها ، ولذلك فان الريادة في عدد السكان ، واستصلاح اراض للزراعة وعمو الصناعة تحتاج كلها الى مصادر جديدة للمياه ، فادا عرفنا ان اكثر من ٩٥ / من مصادر المياه قد تم استغلالها ، فهذا يعني أن الكيان الصهيوني يبحث عن مصادر جديدة ومع انه استعمل كل ما هو متاح من مصادر

- كتحلية المياه المالحة واعادة استعمال مياه المحاري والمصانع بعد تصفيتها

- محاولة وقف التجر من بحيرة طبريا واستمطار العيوم وحرر مياه السيول والتجريس الحوي لمياه الشتاء ، ومرح المياه المالحة بالعدنة ، والاقتصاد والحد من استعمالات المياه كل ذلك حربه العدو الصهيوني

والتاثق ؟

- « فيما عدا عمليتي تحلية مياه البحر وتكريرها (امكاناتها محدودة) فان العدو استعد كل الوسائل المتاحة له داخليا ، ووصلت كميات المياه المتاحة والمتاحة الى حدودها القصوى »

والحل ؟

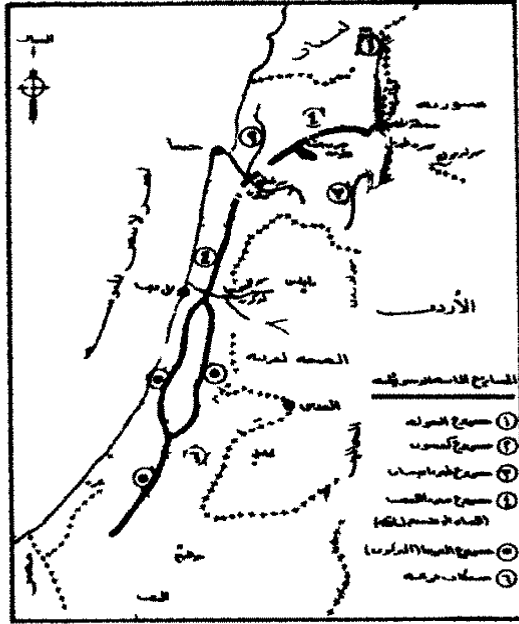
- اما وحها لوحه امام السؤال الملح من أين سيأتي العدو الصهيوني بالمياه كي تستجيب لمشاريعه الاستيطانية والتوسعية المستمرة ؟

عريري القاريء قل ان نحيب عن هذا السؤال فانه يحس ما متاعه الخطوات التي اتخذها العدو للسيطرة على مصادر المياه القريبة من حدود الاراضي التي احتلها سنة ١٩٤٨ ، وأحد يقصم غيرها بعد هذا التاريخ

خزان المياه :

يقول عميف الرري في كتابه « اسرائيل والمياه العربية »

« يشكل الحرمون - حل الشيخ - الذي يريد ارتفاعه على ألعين وثماتمة متر عن سطح الحرم هصة الحولان ، حران مياه المساطق الحوبية للبلاد الشام فمليارات أطسان الثلوح التي تتساقط على قمم حل الشيخ ، والأمطار العريرة التي تهمر على



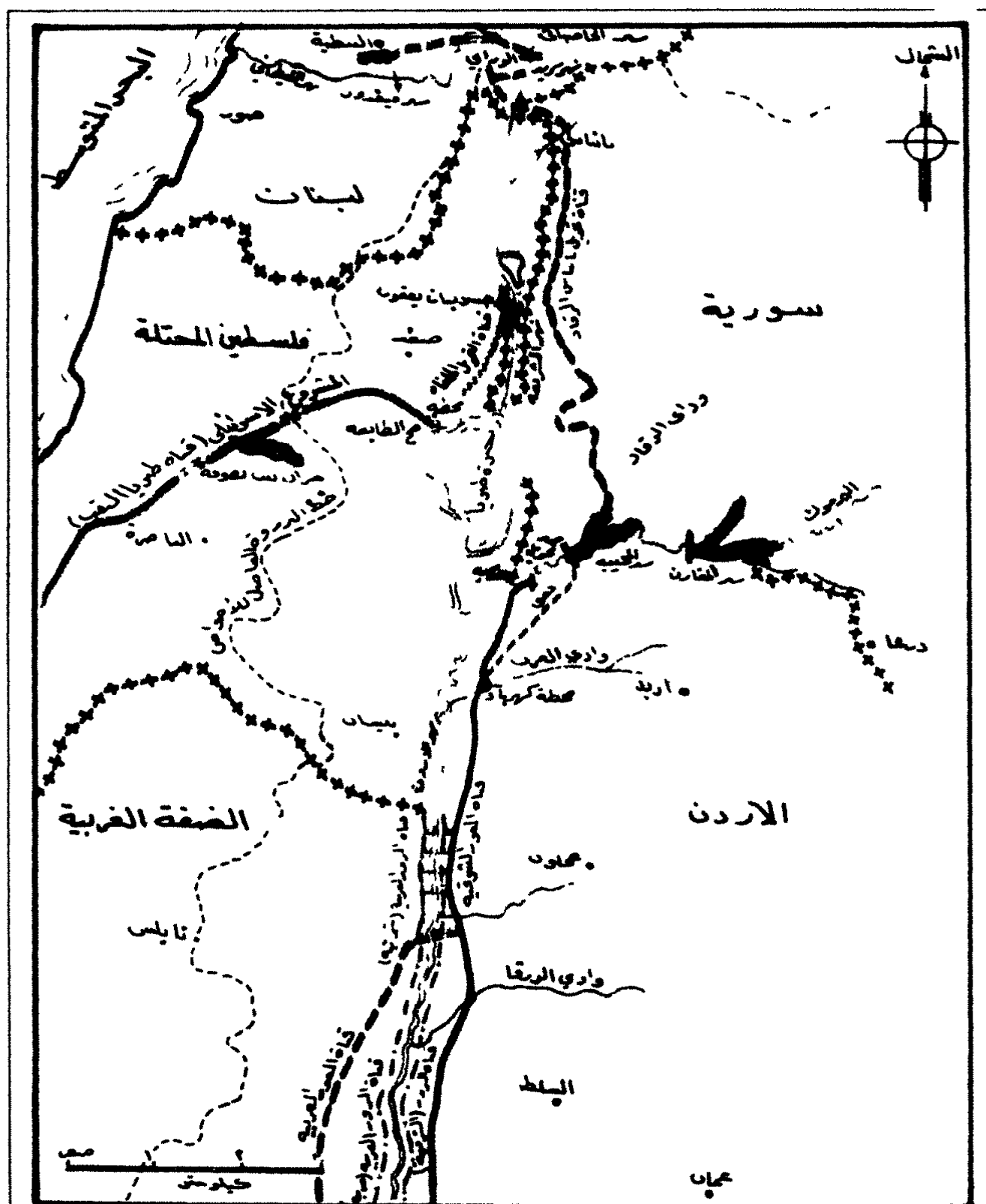
المشاريع المائة الاسرائيلية
تم تنفيذها قبل حرب ١٩٦٧ وبعدها (عن كتاب
« المشكلة المائة في « اسرائيل » وانعكاساتها على الصراع
العربي - الاسرائيلي) للمهندس صبحي كحالة



مياه الأردن الأسفل أملح من الدموع حتى
السماك لا يعيش فيها !



حسرة الملك حسين أو حسرة اللي سائقا ، نواة الى قسم من الوطن أصبح تحت الاحتلال



المشروع العربي لتحويل روافد نهر الأردن سنة ١٩٦٤ - (عن كتاب «المشكلة المائية في إسرائيل» وانعكاساتها على الصراع العربي - الإسرائيلي) للمهندس صحي كحالة



السيد ميشيل حمارة

المنطقة من المياه ، تقرر عام ١٩٥٤ البدء بتنفيذ نقل مياه نهر العوجا - ينبع من جبال نابلس ويصب في البحر شرقي مدينة تل أبيب - والينابيع التي تغذيها إلى النقب الشمالي لارواء أراضيها الخصبة ، وصمم المشروع بحيث يشكل حلقة أساسية متكاملة ، مع إنشاء القناة الرئيسية المقررة لنقل مياه نهر الأردن وروافده من الشمال إلى أراضي النقب في الجنوب . عند هذه « العقدة » بدأت نذرا لاصطدامات تتوالى . . لقد جفف الاسرائيليون بحيرة الحولة قبل ذلك - سنة ١٩٥١ - ومع أن سوريا حاولت إيقاف العمل . . تارة بواسطة القوة العسكرية ، وأخرى بواسطة الشكاوي إلى الأمم المتحدة . إلا أن الغاصب الصهيوني المحتل أنجز المهمة ، وانتقل إلى غيرها . .

مشروع جونستون :

حدثت صدامات أخرى خاصة عندما بدأ العمل الجدي بتحويل الأردن ، فتحررت أميركا وأرسلت جونستون إلى المنطقة سنة ١٩٥٣ ، ثم تكررت الزيارة لأربع مرات آخرها كان سنة ١٩٥٥ هدفت إلى : « محاولة اقناع الأطراف بالموافقة على إقامة مشروع

سفوحه وعلى هضبة الجولان ، والتي تتجاوز الألف وثلاثمائة مليمتر سنويا ، تسرب كميات كبيرة منها بعد تغذية مياه السطح ، بعيدا في أعماق الأرض لتشكل المياه والأنهار الجوفية التي تغذي ينبع نهر الأردن واليرموك وفروعها وجداولها (بانياس ، الحاصباني ، دان ، الوزاني ، الرقاد وغيرها) . والنقطة - القاتلة - في هذه الأنهار أنها تقع على ما يسمى بالحدود المشتركة الأردنية السورية الفلسطينية المحتلة . بعضها يصب في بحيرة طبرية مباشرة كالخاصباني والوزاني ودان والأردن الأعلى ، وبعضها يصب في مجرى نهر الأردن الأسفل ، أي أثر خروجه من بحيرة طبريا ، كنهر اليرموك (يلتقي بالأردن الأسفل بعد مسافة حوالي عشرة كيلومترات من البحيرة) .

ان وضع هذه الأنهار وجريانها في مجار مشتركة ، جعلها عرضة للمخالفات والتعدي على « حقوق » معروفة ومتصوص عليها في القانون الدولي . وبما أن العدو الصهيوني اقام كيانه من منطلق الإغتصاب ، وتجميع أكبر عدد من اليهود في مساحة من الأرض محدودة في المساحة والموارد ، لذلك فإنه سيجب إلى متابعة حالات الاغتصاب بين الحين والآخر ، وذلك كي يستجيب إلى الحاجات المتزايدة لستوطنيه أرضا وماء .

وهكذا اصدرت السلطات الصهيونية منذ عام ١٩٤٩ تشريعا يؤمّم المياه ، ويقتن استثمارها ، ويعتبرها كملك عام من حق الدولة فقط أن تتصرف فيها ، ملغيا كل حق للأفراد عليها .

ثم انشأت شركة « تاهال » لتخطيط ودراسة وتصميم كل ما يتعلق بالمياه ومصادرها إضافة إلى شركة « ميكوروت » التي كانت قائمة من قبل ، وتولت الشركتان تنفيذ كل ما يتعلق بمشروعات المياه ومصادرها المتاحة داخل فلسطين المحتلة .

الا أن ذلك لم يلب أو يف بالأطماع الصهيونية . فتم وضع المخططات « لسرقة » مياه نهر الأردن وفروعها .

يقول المهندس صبحي كحالة في كتابه : « فبعد أن ثبت عجز الآبار المحفورة في مستعمرات النقب - صحراء في جنوب فلسطين - عن تأمين حاجة

● المياه العربية .. وصراع الوجود !

وقد تنبّهت الباحثة شميذا وغيرها من الباحثين الى هذا الهدف ، فأنكرته كحل « اقتصادي » لمسألة سياسية ... فقالت :

« ١ - انه من غير الملائم او المناسب أن تسوى مشكلة سياسية بصفة جوهرية بوسيلة اقتصادية .

٢ - ان سياسات المياه في الكيان الصهيوني عكست التطلعات السياسية غير القابلة للتفاوض ، كما ان الاسرائيليين لم يكونوا راغبين ابدًا في الزام انفسهم بأسس وقواعد لاستغلال المياه ، يمكن أن تؤدي الى تقييد حريتهم في القيام بأي عمل من جانب واحد » .

تحويل نهر الأردن :

استأنف العدو الصهيوني العمل في تحويل نهر الأردن الى النقب اعتبارًا من ربيع سنة ١٩٥٦ واعتمد التصميمات التالية :

١ - اعتماد بحيرة طبرية كمركز لتخزين مياه الفيضانات .

٢ - تأمين كامل الكميات المطلوبة للمشروع من المياه بضخها مباشرة من بحيرة طبريا .

- تنبه العرب بعدها لما يقوم به العدو الغاصب ، فدعت الجامعة العربية سنة ١٩٦٠م الى تحويل روافد الأردن اذا ما استمر العدو في مخططات تحويل النهر .

- وفي سنة ١٩٦٤ اعلن الاسرائيليون انهم على وشك الانتهاء من انجاز المرحلة الأولى من ايصال مياه الأردن الى النقب .

وردا على ذلك دعا الرئيس الراحل جمال عبدالناصر الى مؤتمر القمة الأول سنة ١٩٦٤ الذي عقد في القاهرة .

وكان من نتائجه :

- قرار تحويل روافد الأردن ، وتشكيل هيئة سميت باسم « هيئة استغلال مياه نهر الأردن وروافده » تتولى مهمة وضع التصاميم والاشراف على تنفيذ سلسلة من العمليات الهندسية في لبنان وسورية والأردن برئاسة المهندس صبحي كحالة .

وبتلخص المشروع العربي بالتالي :

- تحويل مياه ينابيع الحاصباني الى حوض الليطاني .

استثماري موحد للموارد المائية في حوض وادي الأردن ..

وقد قدر المشروع كميات مياه حوض الاردن بـ ١٢١٣ مليون متر مكعب . تم الاقتراح بتوزيعها بالشكل التالي :

- ٧٧٤ مليون متر مكعب للاردن .

- ٤٥ مليون متر مكعب لسورية .

- ٣٩٤ مليون متر مكعب للكيان الصهيوني .

- لاشيء للبنان .

- اقامة سدود على الحاصباني واليرموك ، وانشاء عدة اقنية في المنطقة . وقد رفض العرب المشروع ، لكونه :

اهمل تخصيص أية كمية من المياه للبنان ، واكتفى بتخصيص كمية رمزية لسورية ، بالرغم من انها يغذيان النهر بأكبر قسط من المياه ، ولم يخصص للاردن ما يكفي ، واعطى العدو الصهيوني اكثر مما يستحق . اضافة الى ان المشروع كان يتضمن تحويل مياه اليرموك الى بحيرة طبرية مما يجعل الكيان الصهيوني هو المتحكم بتزويد الاردن وسوريا بحصتيهما .

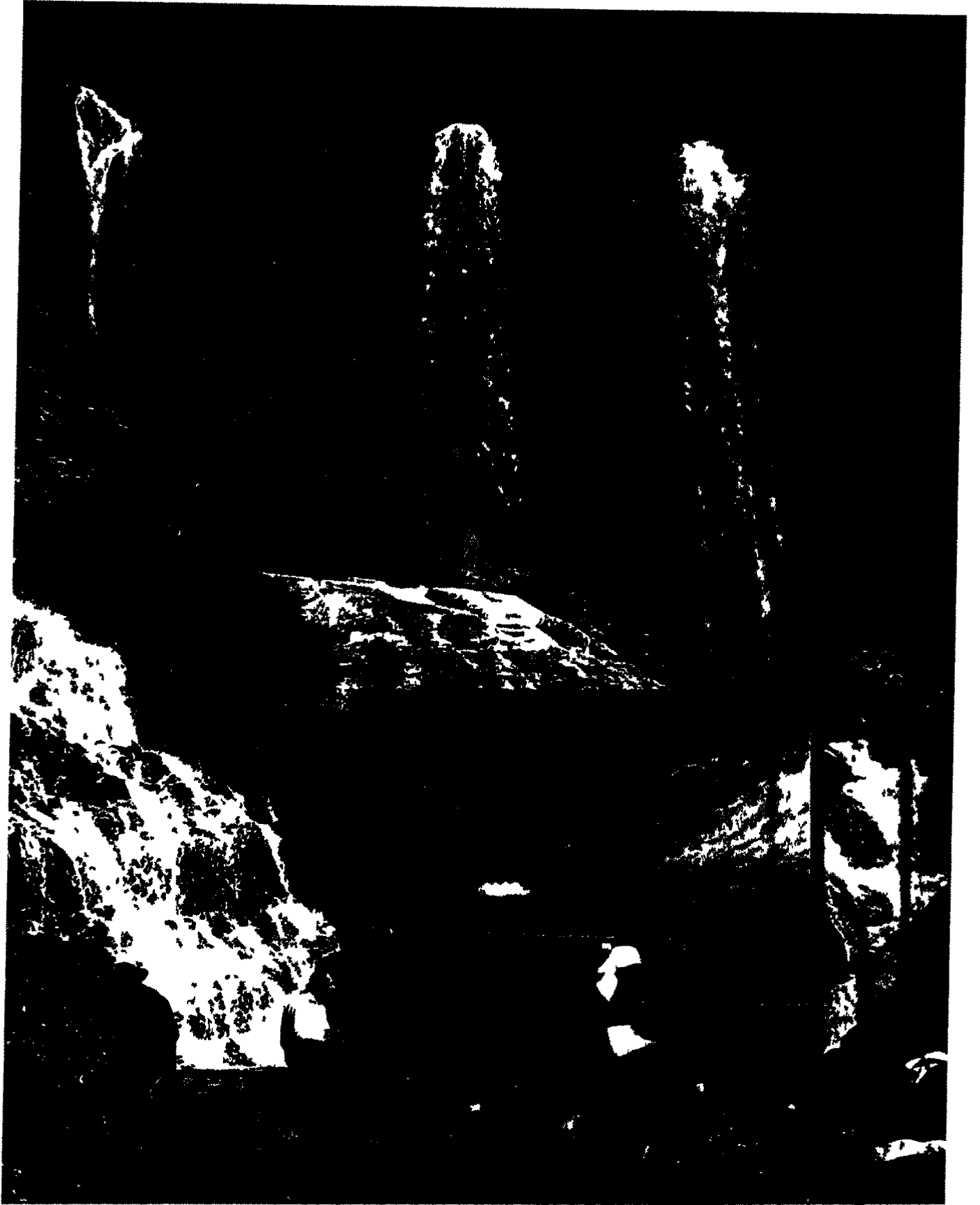
ورفض الكيان الصهيوني المشروع ايضا وطالب بـ ١٢٩٠ مليون متر مكعب من المياه ، بل وأصر على ادخال مياه الليطاني في المشروع - مع ان الليطاني نهر لبناني صرف منبعًا ومصبًا - وطالب بـ ٤٠٠ مليون متر مكعب حصه له منه .

واضح ان الكيان الصهيوني كان يطرح شروطًا تعجيزية لافشال المشروع من أساسه .. كي يستكمل مشروعاته الخاصة بالقضية بالسيطرة على كامل مياه النهر .

ويمكن الاشارة الى ان المشروع الأميركي لم يخف وجهه السياسي الواضح الأبعاد الملاصق للوجه الاقتصادي .

تذكر الباحثة ليزلي شميذا في كتابها « الصراع على المياه » النص التالي الذي جاء على لسان جونستون نفسه سنة ١٩٥٤ في جامعة كورنيل الأميركية :

« لقد وضعنا برنامجًا شاملاً متكاملًا لتطوير حوض الأردن ، سوف يعتبر على الأقل بداية لحل عملي بناء وطويل الأجل لمشكلة اللاجئين ، وبالتالي يساعد في القضاء على جو المرارة والاستياء في المنطقة » .



شلالات تل شهاب في سوريا



أطفال يلعبون في إحدى قرى الأغوار



الحبال ممتدة وزراعات الأغوار العربية يمكن تهديدها في أية لحظة !



الحمة السورية المحتلة ... لاحظ يتابع المياه التي تحيط بها .



- تنفيذ ما يلزم من انشاءات لاستثمار ينابيع الوزاني وبنائاس .

- انشاء سد في موقع المخيبة في الأردن على نهر اليرموك لاقتسام المياه بين الأردن وسوريا وتوليد طاقة كهربائية منه .

- تعلية قناة الغور الشرقية لمضاعفة تصريفها من ١٠ الى ٢٠ مترا مكعبا في الثانية .

وعندما جدد العرب وبدأوا بتنفيذ مشروع المخيبة ... توالى التهديدات الاسرائيلية لسوريا ولبنان والأردن ، ثم حدثت اعتداءات عسكرية على مراكز وورش تحويل الأنهار في سورية والأردن - منها موقع المخيبة الذي ذكرناه في بداية هذا الاستطلاع - وهكذا حصل التقطع وعدم الثبات والاستمرارية في مشاريع تحويل روافد الأنهار . . الى أن شن العدو الصهيوني حرب عام ١٩٦٧ ففضى على كل المنشآت التي كانت قائمة لتحويل روافد نهر الأردن ، وتم احتلال الضفة الغربية والجولان وسيناء أيضا .

وبذلك تخلص الاسرائيليون من « مضايقات » السوريين والاردنيين الى حين ، وأصبحوا مطلقي الأيدي في التصرف بطبريا وحوض نهر الأردن الأعلى بكامله .

وقد قال ايغال ألون نائب رئيس الوزراء الاسرائيلي ومنظر حزب العمل المعروف في تلك المرحلة :

« ان لمضبة الجولان ولنجدر جبل الشيخ أهمية حيوية ، لا من أجل الدفاع عن مستوطنات وادي الحولة ضد الرمايات السورية فحسب ، وانما ايضا لحاجات « اسرائيل » الاستراتيجية الشاملة في الاشراف على الجولان . فهذا الأمر يتعلق بالدفاع عن الموارد الأساسية لمياهنا ، وبالدفاع عن الجليل الأعلى والأسفل ، وبالدفاع عن الأردن الأعلى والأوسط (- وادي الحولة وبحيرة طبريا والوديان المحيطة بها ، ووادي بيسان) .

نتائج التحويل :

هكذا ... انتهى الأمر بتحويل نهر الأردن الأعلى الى النقب ، وتم نقل ما يزيد على ٥٠٠ مليون متر مكعب من المياه بواسطة قناة تمتد من الحدود الشمالية لبحيرة طبريا ، ثم تتعرج ناحية الغرب لتمر بخزان

بيت نطوفة ، ثم تتابع انحدارها نحو الجنوب الغربي لتلتقي بمشروعات : نهر المقطع - كيشون - القريب من حيفا ، ونهر العوجا - اليركون - قرب تل أبيب وشبكات أخرى فرعية . . وصولا الى النقب .

وقد نتج عن تحويل نهر الأردن الأعلى ما يلي :

- زيادة الملوحة في بقايا النهر بعد خروجه من بحيرة طبرية وسيره بين الضفتين الشرقية والغربية وصولا الى البحر الميت .

- كمي تغلب « اسرائيل » - على ملوحة المياه ، خاصة وأن بيسان تحتاج الى المياه العذبة - فانها أنشأت قناة طبريا - بيسان لنقل المياه العذبة أو المنقاة من الملوحة .

- انخفاض مستوى الماء في البحر الميت - وصل الى ٣٩٤ مترا تحت سطح البحر - مما سيؤثر على المشروعات الصناعية الأردنية القائمة عليه .

- حرمان ١٥ كيلومترا مربعا من الأراضي السورية من السقاية المناسبة .

- حرمان حوالي ٤٠ ألف دونم في الأردن من امدادات المياه العذبة ، والحيلولة دون تطوير ٨٠ ألف دونم أخرى .

- استبدال المياه المالحة في حوض الأردن الأسفل - المنتجة من طبريا الى البحر الميت - والاعتماد على مياه نهر اليرموك المنقولة بواسطة قناة الغور الشرقية .

هذا وقد لجأت سوريا والأردن اثر حرب عام ١٩٦٧م الى استغلال السيول والأنهار الفرعية التي تصب في نهر اليرموك وأقامتا سدودا صغيرة عليها .

بعد أن جمدت الخلافات بينهما مشروع اقامة سد نهر المقارن على مجرى نهر اليرموك الفاصل بين القطرين .

خاصة وأن « اسرائيل » تطالب برفع نصيبها منه في حال انجاز السد من ١٧ مليون متر مكعب الى ٤٠ مليون ، وتطالب بتخصيص ١٤٠ مليون متر مكعب أخرى بدعوى انها تريدها للضفة الغربية .

يقول المهندس صبحي كحالة في كتابه المشار اليه سابقا :

« قام القطر العربي السوري خلال العشر سنين الأخيرة ، ومازال يقوم ، بتنفيذ العديد من المشاريع الزراعية في منطقة حوران ، واستعان لتأمين المياه لريها بانشاء عدد من السدود السطحية الصغيرة لحجز مياه الوديان والينابيع ، واستثمارها في هذه الينابيع

اليرموك .. فما الذي تم بالنسبة لمصادر المياه فيها ؟ تقول الباحثة ليزلي شميدا في كتابها « الصراع على المياه » : « الحقيقة أن ثلث استهلاك « اسرائيل » من المياه قبل عام ١٩٦٧ م والبالغ بليون وستمائة مليون متر مكعب جاء من الضفة الغربية ، بعد ان قامت بحفر آبار على جانب خط الهدنة مباشرة .

وقد تراوح حجم المياه العربية السنوي الذي تسيطر عليه « اسرائيل » منذ عام ١٩٦٧ بين ستمائة الى سبعمائة مليون متر مكعب (مياه جوفية في معظمها) ، أي ما يساوي تقريبا مجموع الزيادة في استهلاك « اسرائيل » من المياه منذ اواسط الستينيات . ومعنى آخر فان توسيع المستوطنات الاسرائيلية والزيادة في انتاجها الزراعي منذ ذلك الوقت انجز في الحقيقة بمياه الضفة الغربية وأعلى نهر الاردن » .



د محمد بي هاني

وتضيف الباحثة : ان النوايا والاهداف الاسرائيلية في سياستها المائية في الضفة الغربية يمكن توضيحها بنشاطات حفر الآبار فحتى أغسطس - آب سنة ١٩٨٢ قامت « اسرائيل » بحفر ٣٢ بئراً جديدة على الأقل في المنطقة ، تستغل من قبل الاسرائيليين فقط ، في حين ان الفلسطينيين حصلوا على الاذن بحفر ٧ آبار جديدة فقط للاستهلاك المنزلي ، ولم يحصلوا على أي تصريح لحفر أي بئر يمكن استعمالها للرعي .

- المزيريب (اقيم سد صغير على بحيرة المزيريب منذ سنة ١٩٤٣) تل شهاب ، جلين ، زيزون ، الشيخ مسكين وغيرها - ، الأمر الذي أدى الى تعديل مساهمة اراضي القطر العربي السوري في تغذية مياه النهر من معدل ٤٠٠ مليون متر مكعب الى معدل ٢٢٠ مليون متر مكعب سنويا .

وقال المهندس محمد بني هاني نائب رئيس سلطة وادي الأردن .. الذي قابلناه في عمان : « لاشك ان الأردن هو المتضرر الأساسي من تحويل نهر الأردن الأعلى الى النقب . لذلك فاننا لجأنا الى عدة اجراءات كي نقلل من المصائب التي نزلت على فلاحينا وأراضينا ومياهنا الوطنية ، منها :

- استغلال جميع مصادر المياه المتوفرة بأعلى كفاءة ، كاستعمال بعض شبكات المياه المدفونة بدلا من المفتوحة ، واستعمال الباطون للارضية ، واستخدام وسائل التنقيط للرعي ، والاستعانة بالأنابيب المضغوطة ، واستعمال البيوت البلاستيكية .

- استغلال الأودية والأنهار الجانبية المتبقية ، واقامة سدود صغيرة عليها ، كسد وادي العرب ، وسد على نهر الزرقاء ، (سد الملك طلال) ، وسد الكفرين ، وسد وادي شعيب وشرحيل بن حسنة وغيرها .

- مد مياه الأغوار الشرقية حوالي ١٤ كيلو (يصبح طولها حوالي ١١٠ كيلوات) أي انها اصبحت تغطي المنطقة الممتدة من مثلث اليرموك القريب من بحيرة طبرية الى طريق القدس القديم القريب من البحر الميت .

- تم التنقيب عن المياه الجوفية في المنطقة ، وتوصلنا الى بعض النتائج الجيدة ، خاصة في المخيبة وبالقرب من وادي العرب .

- تفتت الملكيات الزراعية الكبيرة ، وجعل سقف الملكية في الأغوار حوالي ٢٠٠ دونم ، وذلك لربط الفلاحين بالأرض . ونتائج ما بذلناه تمثلت في زيادة الرقعة الزراعية المروية ، وزيادة الكثافة السكانية التي نأمل ان تصل الى مائة ألف .

مياه الضفة الغربية :

ذكرنا في فقرة سابقة ان السلطات الصهيونية طالبت « بحقوق » الضفة الغربية المحتلة من مياه



في هذا الموقع كان من المفترض انشاء سد المخيبة - خالد بن الوليد .

لمياه « الشفة » الشرب للأردن وسوريا ، وكان من المؤمل انشاء سدين عليه هما : المخيبة أو خالد بن الوليد ، الذي دمر العدو الصهيوني منشأته في حرب عام ١٩٦٧م وقبلها . وسد المقارن الذي وضعت كل الدراسات لانجازه ، بل تم اعتماد التمويل اللازم لهذا الغرض ، وكان يمكن له لو انجز ان يحجز حوالي ٤٠٠ مليون متر مكعب يمكنها الاستجابة الى كل المتطلبات الزراعية وسد الحاجات الأخرى ، كمياه الشرب او المساهمة في مخططات الصناعة وغيرها في الاردن .

الا ان مطالب الكيان الصهيوني المغالية في حقه بمياه اليرموك (يمر اليرموك في الاراضي العربية المحتلة عدة كيلومترات لا يستحق عليها العدو كما قدر ذلك الكثير من خبراء السري الا ١٧ مليون متر مكعب فقط) ، وسيطرة العدو الصهيوني على هضبة الجولان أعاقا أية محاولة لاقامة سد على الحدود أو بالقرب منها ، اضافة الى عدم وجود اجواء عربية مناسبة ذكرناها من قبل .

فهل يكون اليرموك هدفا للعدو . . اذا ما وجد ان كل مصادر المياه المتاحة له لا تستجيب الى طلبات الأرض والسكان المتزايدة على المياه ؟ وما هي علاقة الليطاني بالكيان الصهيوني ؟ . . مع

اضافة الى ذلك فان الآبار الاسرائيلية أعمق ، وبالتالي تضخ مياهها أكثر من الآبار العربية . ففي عام ١٩٧٧م ضخمت ١٧ بئرا اسرائيلية في وادي الأردن ما مجموعه ١٤ مليون متر مكعب من المياه ، بينما ضخمت ١٠٦ آبار عربية ١٢ مليون متر مكعب فقط . وقد أصبحت هذه مشكلة رئيسية بالنسبة للفلسطينيين ، لأن الكثير من الآبار الاسرائيلية حفرت على مقربة من الآبار والينابيع العربية ، وكانت نتائج ذلك في أغلب الأحيان مدمرة ، مما زاد الملوحة فيها .

اليرموك :

تساءلنا في صفحة سابقة عن مصادر المياه التي يمكنها أن تلبي مشروعات الاستيطان الصهيونية ، وزيادة السكانية المرفودة بهجرات اليهود من شتى أنحاء العالم . . وترجيحات الخبراء والمختصين انضمت على مصدرين :

الأول : مصادر داخلية ذكرنا امكاناتها وآفاقها .
الثاني : مصادر خارجية تتمثل في نهري اليرموك ، والليطاني .

بالنسبة لنهر اليرموك (طوله من منبعه حتى مصبه حوالي ٥٧ كيلومترا) فانه مصدر حيوي واساسي حتى

اليرموك .. أو الليطاني .. هما الهدف .. فهل نعي ذلك .. ونتخذ الاجراءات اللازمة قبل أن يتم وضعنا أمام الأمر الواقع ؟
الليطاني :

انهدام بين جبلين يأخذ مساراً طويلاً يمتد من الحدود السورية جنوبي سهل حمص ليحاذي حدود فلسطين الشمالية .. يعتمد عليه لبنان في تموينه بمعظم خضراواته .. انه سهل البقاع الذي يقع بين سلسلتي جبال لبنان الغربية والشرقية ، اللتين تكتسيان بالثلج في الكثير من أشهر السنة . كان الثلج قريباً من حواف الطرق في بعض المناطق البقاعية التي زرتها (١٩٨٤/١٢/٢٠) .

كان جلال الشيب الذي يحيطنا من طرفي الجبلين يفرض علينا لحظات من التأمل والتمعن .. وفجأة دوت طلقات المدفعية وظهرت خطوط بيضاء في السماء .. لقد كانت الطائرات الاسرائيلية وهي توالي طلعاتها الاستكشافية .. تقابلها طلقات المقاومين الذين مازالوا على عهد المقاومة .

هذه الوفرة في الثلوج واستمرارها لأشهر معدودة من السنة ، من الطبيعي ان ينتج عنها وجود عدة ينابيع وأنهار في المنطقة : البردوني (يصب في الليطاني) والعاصي (ينبع بالقرب من قرية اللبوة) الذي عصى طبيعة مسار الأنهار ، فاتجه شمالاً ليدخل الأراضي السورية ، والليطاني .. تتجمع ينابيعه من بحيرة اليموسة وينابيع العليق والعسل واللبن وغيرها ، ويتجه جنوباً فيمر بالقرى القاعية .. ثم يتعرج .. ليصل الى منطقة الجنوب اللبناني ، فيسمى بالقرب من الساحل باسم نهر القاسمية ، اقيمت عليه بحيرة القرعون - بالقرب من قرية القرعون البقاعية - التي وفرت طاقة كهربائية لمعظم المناطق اللبنانية ... وارتوت من مياهه العديد من القرى والبساتين خاصة في الجنوب ، (بساتين القاسمية الغنية بالحمضيات التي تصل مساحتها الى ٥٠ ألف دونم تقريباً) .

ذكرنا أن الأطماع الصهيونية في مياه نهر الليطاني قديمة .. قدم الحلم باقامة الكيان الصهيوني .. وقد جاء في مذكرة الزعيم الصهيوني حاييم وايزمن المقدمة بتاريخ ١٩٢٠/١٠/٣٠ الى وزير الخارجية البريطاني

العلم بأن كل المسافة التي يقطعها النهر من منبعه بالقرب من بعلبك في منطقة البقاع اللبنانية الى مصبه في منطقة القاسمية في البحر الأبيض المتوسط هي مناطق لبنانية كاملة (طول النهر حوالي ١٤٥ كيلومتراً) .

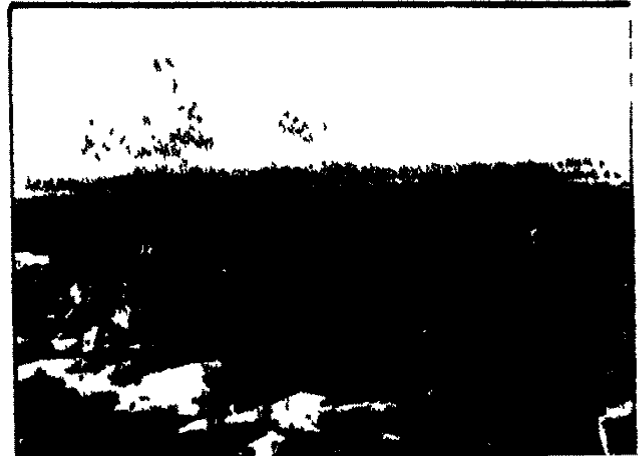
يقول المهندس صبحي كحالة في كتابه : « ان مشكلة المياه في « اسرائيل » مازالت قائمة ، وانفراجها خلال سني السبعينيات اثر استيلائها على مصادر المياه العربية وتصرفها دون رادع ، هو انفراج مؤقت . ومن المؤكد ان ازمتها المائية ستزداد في العقود القادمة - صدر الكتاب سنة ١٩٨٠ - مادامت سياستها التوسعية مستمرة ، ومادام اصرارها على توطين المزيد من ملايين المهاجرين اليهود في ارض فلسطين مسيطراً » .

وقال لنا المهندس كحالة نفسه عندما قابلناه في دمشق (١٩٨٤/١٢/١٧) : « ساعقادي أن أزمة المياه ستبرز واضحة في الكيان الصهيوني في عقد التسعينيات » .

وتقول الباحثة شميدا في كتابها « في عام ١٩٩٠ سوف تحتاج « اسرائيل » الى ما بين أربعمئة الى أربعمئة وخمسين مليون متر مكعب اضافية من الماء لمواجهة الاستهلاك المنزلي فقط ، مما يعني أنه يتوجب على « اسرائيل » مضاعفة استهلاكها الكلي من الماء ، اذا كانت تريد تجنب انخفاض مستوى المعيشة والانخفاض في نموها الاقتصادي » .

فما هو المصدر الأقرب الى عيون المراقدين والمصالح الاسرائيلية ؟

عمال وزراعة محمية وعدو يتربص على الجبال





سد صعر بالقرب من قرية الشح مسكن سوريا

وقد اكتملت حطه التحويل الرئيسي هذا الهر مد عدة سوات ، وتتكون من مجموعه من السوات وقنوات الحر والسيهونات والاتاق التي ستحمل مياه هر الليطاي من حوب لسان الى بيت ماتوفا - البحيرة الاصطاعية القريه من بحيرة طوريا - حيث تفرع هناك في حط المياه الذي يمتد الى القب »

ويقول الدكتور كمال حمدان في دراسه له بشرتها حريدة السمر اللسانية بتاريخ ١٩٨٤/١/٦ مايلى « كانت الشكوى اللسانية المقدمة الى مجلس الأمن في آب - اغسطس من سنة ١٩٨٤ قد أكدت وحوود حفریات بین قريتي كمر كلا ودير ميماس اللسائيتين الواقعتين على اقصر حط بطري بین الحدود اللسانية - الفلسطينية ومحري هر الليطاي » وذلك لتحويل الهر

كما ان محري هري الوراى والخاصاي (يصان في هر الاردن قل وصوله الى بحيرة طوريا) يتعرضان لخطر التحويل الكامل والسيطرة الكاملة على مياهها (طاقة تصريف الهرين من المياه تصل الى حوالي ١٣٥ مليون متر مكعب سنويا)

وبالرغم من اسحاب « اسرائيل » من بعض احراء الحوب اللساى (انتهت المرحلة الأولى بتاريخ ١٩٨٥/٢/١٨) فإن الخطوط الحديدية لوحود القوات الصهيونية تم تثبيتها على هر القاسمية بالذات ، ومع أن العدو الصهيوني أعلن أنه سيسحب الى خطوط الهدنة المشتة اعتبارا من سنة ١٩٤٨م بيه وبين لسان في

انداك « اني مأكد من أن سيادكم تدركون أهمية الليطاي الكرى لفلسطين ، فلو تأملت لها جميع مياه الأردن واليرموك لن تمي بحاجاتها ، ان الليطاي هو المصدر الذي يمكنه ان يؤمن المياه لري الحليل الأعلى ولتوليد الطاقة الكهربائية لآحياء الصاعة »

وفي سنة ١٩٥٤ قدم الكيان الصهيوني مشروعه البديل للمعوث الأميركي حوستون ، حول موضوع الأنهار ، وتضمن المشروع المطالبة بحصة من مياه الليطاي تصل الى ٤٠٠ مليون متر مكعب ، ليقى لسان صاحب الهر مسعا ومحري ومصا ٣٠٠ مليون متر مكعب فقط ١١

لم يكف العدو الصهيوني عن المطالبة واستساح العرص المناسبة للسيطرة على مياه الليطاي ، فعرا لسان سنة ١٩٧٨ وسمى عملية العرو « بالليطاي » واحتل أحراء منه ، وتعاون مع مجموعات مسلحة صماها « جيش لسان الحوب » كي تحافظ له على أمن مستعمراته في شمال فلسطين

ثم غرا الكيان الصهيوني لسان في صيف عام ١٩٨٠ ، بحجة احراح العدائين الفلسطينيين من حوب لسان ، فأصبح الليطاي تحت السيطرة الاسرائيلية وقد ذكرت مصادر كثيرة ان « اسرائيل » أقامت مشآت عديدة لتحويل الليطاي للسيطرة على مياه الوراى والخاصاي

ذكرت ليرلي شميدا في كتابها « لقد أحري المهندسون الاسرائيليون عدة مسارات للتحويل ،

● المياه العربية وصراع الوجود

اقف على حافة الحسر واتمعن بالحفلات المعاديه سانشده الى الصفة العربية أو الاتية منها هم أهلنا الذين مارلوا في قلب دائرة الحصار والمقاومة التمت الى يساري فأرى حسر اللي ركاما مكوما مد حرب عام ١٩٦٧

واتمعن بالمياه المعكرة المسرنة تحت الحسر اها مياه هر الأردن الأسفل بعد حروحه من بحيرة طبريا سألت

* ألا تصلح للزراعة ؟

- اها مالحة الى درحة ان السمك الذي يسير معها من بحيرة طبريا يعافها ويقذف بمسه متحرا على حاسي الهر (تصل الملوحة الى ٢٥ /)

* هل هذا ما تبقى من هر الأردن ؟

- يجيب مرافقا المهندس هذا هو مياه مالحة لا تصلح للزراعة ، اضافة الى اها محفصة عن سطح البحر حوالي ٢٠٠ متر

* الا يوحد حل للملوحة المياه هذه ؟

- الحل هو بحلها بمياه عدنة لكن من اين تأتي بالمياه العدنة ؟

* ألم تتأثر الزراعة والأنا في المنطقة ؟

- لقد تأثرت كثيرا ، ونحن بصدد محاولة معالجة الأمر من خلال مشروع قناة الأعوار الشرقية

* هل يمكن تلبية الحاجة تماما ؟

- عليا ان نحاول

* والبحر الميت ألم يتأثر بانخفاض منسوب مياه هر الأردن ؟

- لقد اردادت ملوحته وانخفض منسوب المياه فيه

وهناك مشروع لانشاء قناة البحرين ، اي لقل مياه البحر المتوسط الى البحر الميت تسعي السلطات الصهيونية لانشائه ، وهو يمثل خطرا كبيرا على المصانع والمنشآت الأردنية المقامة عليه

تمتعت المنطقة مليا ، كان المطر مارال يهني جميعا وكان هر الأردن المالح يسير متندا

والكمين الاسرائيلي يرصد حركتها ، وحسر اللي مارال مكوما مقصوبا ، وأريحا اري ملامح وجهها وراء نقطة الحدود مكسوة بعلاية حرن الأسر ، ومربرة بطوق المستعمرات الاسرائيلية التي تحيط بها حينئذ تذكرت قول من قال ان صراعا مع العدو الصهيوني هو صراع وعود

□

مراحل لاحقة - سمت بالحدود الدولية - فان مياه الليطاني والوراني والخاصاني بل والأراضي اللسانية كلها تبقى ضمن الأطماع الصهيونية المعلنة مرارا وتكرارا ، وان الانكفاء الحاصل ما هو الا ترصد وكمون الانتظار للعرض المناسبة

جسور الأحزان :

وبعد عريبي القاريء كانت السماء ملعدة بالعيوم ، وكانت نقط المطر تعانق الأرض العطشى برقة وتؤدة البحر الميت تسمع حفيف أمواجه كأنها أوراق ناعمة ، وأريحا تروي على الطرف الآخر مربرة بالمستعمرات التي تحيط بها وحال القدس تطهر عليها مابي العيسرية البضاء كنقط صغيرة (تعد حال القدس حوالي ٣٠ كيلومترا عن الحد الحوي من البحر الميت)

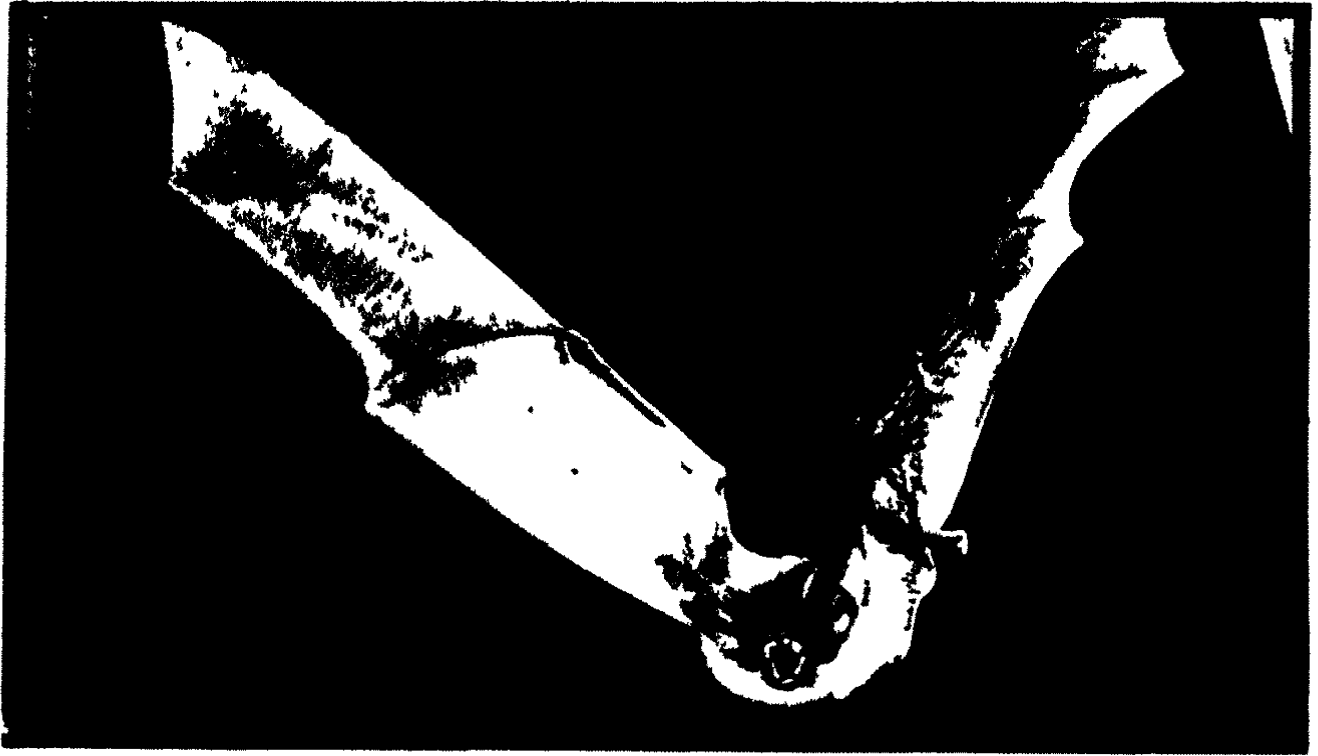
مرربا بعدة قرى تررع الحمصيات والمور والحصراوات المحمية باللاستيك ، فرى شهدت تاريخا من المعارك القديمة ، (الكثير من مقامات الصحابة كصرار اس الأور ، ومعادس حل ، وسعد اس اي وقاص ، وأبي عبيدة عامر بن الجراح وغيرهم مارالت قائمة في العديد من قرى الأعوار) ، والحديثة معركة الكرامة وغيرها من معارك سنة ١٩٦٨ بين الكيان الصهيوني من جهة والصدايين الفلسطينيين والحيش الأردني من جهة اخرى ثم اتجها الى قرية الشوبة الحويية وتوعلسا لعدة كيلومترات (حوالي خمسة) وفحاة سر العلم الاسرائيلي واصحا في وحوها

كان الموقع هو حسر الملك حسين (اللي سابقا) ، لا يريد طوله على ٥٠ مترا وعرضه حوالي خمسة امتار ، نقطة الفصل بين حدي الحدود محرد برميلين تكيين على عرض الحسر سألت

* هل تحادثوهم سيدي الصابط ؟

- وهل يحدث الاسان عدوا أحابي صابط نقطة الحدود وهو يحمل حمار اللاسلكي بيده ويحاصر عمان

الكمين الاسرائيلي على بعد امتار قليلة ، يرصد كل حركة على الحسر والحدود الاسرائيليون على الطرف المقابل يصل حديثهم الى المسامع واصحا ،



شكل (٢) الحفاش يطير بحاحين ، وليس له مقار او ريش ، بل شفاء واياب وادان طويلة . . وهذا ما حير الناس ، فحاكوا حوله الأساطير

« ميليز لوداميا » Melese laodamia وهي نوع واحد من عائلة تضم ستة آلاف نوع وتنتشر انتشارا واسعا في القارات الخمس .
وطبيعي أن لهذا الاختيار الغريب ما يبرره ، اذ أن هذه الحشرة - مع غيرها - قد ظلت تستخدم « تكتيك » الدفاع والمناورة مع الحفافيش ، مستعينة على ذلك بتقنية الموجات والموجات المضادة منذ عشرات الملايين من السنين ، ومن أجل هذا احتلت موقع الصدارة على الشارة ، وكأنها هي تشير الى أن الانسان ليس هو مخترع تلك التقنية الحربية ، ومن هنا كان التكريم - ليس للفراشة بالتحديد ، بل لفكرة سابقة دالة على بديع الصنع ، وروعة التدبير ، بدليل ان الفكرة قد استغلت وصمدت كل هذه الملايين من السنين !



ولا يحسن الانسان نفسه - بعد ذلك - أنه صاحب الافكار المبتكرة ، والتصميمات المذهلة ، والأجهزة المتطورة ، ووسائل التخاطب والاتصالات والتشييدات المتباينة . . الى آخر هذه القائمة الطويلة

شكل (٣) عانة من الأنايب الرفيعة التي تشكل متاهات متداخلة لتمرق الحفافيش حلالها ، ودون ان تصطدم بها ، ويرجع ذلك الى كفاءة استخدامها لموجاتها ، وكأنها هي ترى نادانها في الظلام .

التي يباهى بها ويفاخر ، اذ لو عاد الى الطبيعة ودرس أسرارها ، واستوضح مكشوفاتها ، وعرف نواميسها ، واستلهم قوانينها ، لخرج من ذلك بحصيلة علمية هائلة توضح له أنه « لا جديد تحت الشمس » كما يقولون ، فكل فكرة للإنسان ، انما جاءت على أساس فكرة في الخلق سابقة ، ولا يعرف ذلك الا العلماء الذين درسوا اسرار الطبيعة والغازها .

اكتشاف مثير

كان لبداية الكشف عن سر الحرب التي تستخدم فيها الموجات فوق الصوتية قصة واقعية حدثت في شرفة منزل العالم الأمريكي دكتور كينيث رويدر - أستاذ علم الحيوان بجامعة « تفتس » بولاية ماساشوسيتس - ففي ليلة صيف دافئة من عام ١٩٥٦ جلس هو وبعض زملائه يتسامرون في شرفة المنزل ، وبالصدفه أمسك أحدهم بغطاء زجاجة من الفلين وحركه بضغط شديد على حافة كوب زجاجي ، فانطلق منه صوت حاد ، والى هنا يبدو الأمر عاديا تماما ، لكنه لم يكن كذلك حقا ، اذ ان ما حدث بعد ذلك كان ملفتا للنظر ، فلقد قامت الفراشات - التي كانت تحوم حول المصباح الكهربائي المضيء - بعملية هبوط مفاجيء على أرضية الشرفة ، وكأنما قد أصابها الشلل بغتة !

لم تمر هذه الملاحظة المتواضعة مرورا عابرا ، بل جذبت انتباه الحاضرين ، وعلى رأسهم بروفييسور رويدر . ولقد ظن بعضهم - بادئ الامر - أن هذا الهبوط الفجائي ربما كان بسبب شلل عارض في الجهاز العصبي للفراشات ، نتيجة لذلك الصوت الحاد ، إذ أحيانا ما يحدث الشيء نفسه لبعض الكائنات عندما تتعرض لضوضاء شديدة تفقدها وعيها لفترة غير قصيرة .

لكن الفراشات التي هبطت فجأة ، بدأت تتحرك هنا وهناك بسرعة ، وظلت هكذا - في حركتها - مضطربة ، كأنما تخشى من بلاء قادم . ثم ما لبثت أن حلقت في الهواء ، وانطلقت الى غير رجعة ، وكأنها تتجنب كارثة محققة ، ومن أجل هذا عقد العلماء العزم على تحرى أسباب هذه الظاهرة المثيرة . وفي معامل الجامعة تعاون كل من رويدر وزميله دكتور اشرف

تريت في دراسة سلوك هذه الفراشات ، واستمر البحث سنوات ، فتمخض عن حقائق مذهلة لم تكن لتطرا على بال احد، فهناك الآن قائمة بأكثر من خمسمائة بحث منشور عن تقنية الموجات فوق الصوتية القائمة بين الخفافيش والحشرات ، ومع ذلك فقد كشف العلماء عن اسرار ، وبقيت أسرار أخرى كثيرة تستوجب كشف غموضها ، ومعرفة أغازها ، لأن المعرفة هنا قد تفيدنا في تطوير أفكارنا ، وصقل أجهزتنا ، أو قد نسيطر بها على انتشار تلك الحشرات ، ومعظمها ضار بالزروع والضرع ،

مشاكل تقنية معقدة

العلماء الذين يتعاملون مع النظم البديعة الموزعة بين المخلوقات يعلمون قبل غيرهم أنهم يقفون أمام آيات في الخلق قدرت تقديرا مذهلا ، وأنها قد وصلت الى درجات من الاتقان والكفاءة التي يصعب هضمها بعقولنا . . مثل أجهزة ارسال الموجات فوق الصوتية ، وأجهزة استقبال الموجات المرتدة التي تحدد بها الخفافيش أهدافها بدقة تامة ، حتى لو كان هذا الهدف فراشة صغيرة أو حتى بعوضة محلقة . . وقد تبدو هذه المشكلة هينة لينة ، لكن الذين يدرسون علوم الفيزياء عامة ، والموجات فوق الصوتية خاصة ، يدركون تماما أن الأمر ينطوي على شيء أشبه بالمعجزة !

دعنا نسط هذه المسألة . لتتصور مثلا انك تجلس في قاعة بها موسيقا صاخبة ، ممتزجة بأصوات بشرية عالية ، تحجب كل صوت هامس ، ثم زعم صديق يجلس بجوارك في هذا الوسط الضوضائي الصاخب أنه يسمع طنين ذبابة أو بعوضة يأتيه من مسافة مترين أو ثلاثة ، عندئذ لن تصدقه أنت ، ولن يصدقك أحد ، لأن التمرجات الصوتية الضعيفة تحجبها التمرجات القوية ، كما يحجب ضوء مصباح قوى ضوء شمعة ملاصقة له ، او كما يحجب ضوء الشمس الساطع ضوء المصباح الكهربائي .

ضع هذه الأمور في الحسبان مع أخذك في الاعتبار ما يعترض الخفافيش من مشاكل مشابهة ، فالخفافيش يطلق موجات فوق صوتية ذات ترددات عالية ومزعجة ، ولتتصور سربا يتكون من مئات وآلاف

● حرب حمية تنقذ غير شرية

قديما صف لحاحظ عداء الحماس في شابه « الحيو - » بقوله « لا يحور ان يكون طعمه لا من العوص ، وقوته من المراس ، ثم لا يصيده الا في وقت طيراه في اهواء » وعن سلوك الحماس وابصار- يذكر « ومن أعاجيبه انه لا يطير في ضوء ولا في ظلمة ، وهو طائر صغير ، قوى البصر ، قليل شعاع العين الواصل من الباطر ، ولذلك لا يطير في الظلمة ، إنما تكون عامرة لصياء بصره ، عامرة لمقدار شعاع باطره » الح

وما دد الحاحظ عن طريقه عداء الحماس ، وسل صيده ، فهو صحيح ، لكن قلة معاج العين فرغم حاطي ، اد طر الاقدمون ان العين تنصر عن طريق شعاع حمى يخرج منها لترى به الاشياء ، ولقد كان أول من صحح هذا المفهوم الحاطي العالم العرب الحسن بن الهيثم ، اد قرر ان الضوء او الشعاع هو الذي يسف على السوء ، فيعكس منه الى العين لتراه ، وليس العكس صحيحا أصف الى ذلك ان الحماس ليس قوى البصر ، كما انه يستطيع التحسس في الظلام الخالك ، لأنه حسد على موحاته فوق الصوتية التي ترتد الى أذنيه ، فترسم له خريطة للمحال الذي يطير فيه حتى ولو لاه الظلام

وطبيعي أن للحاحظ عذره ، اد لم يكن رساه يعرف العلوم التحريية ، وطل الحماس محاط بالاساطير ، الى ان جاء العالم الايطالى سالاراي في عام ١٧٩٤ ، وكان يعتد مع غيره أن الحماس يمتلك حاسة حمية غير الحواس المعروفة لكن سالاراي لم يعرف طبيعتها ، وتحدى من يستطيع اكتشافها ، وقل المدعو لودفيج حورين السويسري تحدى الايطالى ، وقرر أن السر يكمن في اذن الحماس لا في عييه ، بدليل أن الحماس سوف يتحط على غير هدى لو حل بأذيه أدى ، وتعجب سالاراي من هذا الاستتاح ، لكنه لم يقف عند حد التعجب ، بل تحطه أيضا الى مرحلة التحرية ، فقام باجراء عدة تجارب رائدة على الحمافيش ، واتضح أنها لا تستخدم عيوها في الصيد ليلا ، فلو طمستها ، فسوف تصل مسارها ، لكن طمس الاديين سوف « يعميها » ، والى هذه الحدود لم يستطع أحد أن يصيف حديثا ، وطل الأمر محيرا بعد ذلك لحوالي ١٥٠ عاما ، ولم يتصحح الا في حوالى منتصف القرن العشرين ، فالحماس يطلق دفعات

الحمافيش التي تطلق موحاتها القصيرة وغير المسموعة للادان الشرية ، لكنها بالسسة لهذه الكائنات صوصاء عالية تستقلها اداها رعا عبا ، لكن اداها - مع ذلك - تستطيع أن « ترشح » الصدى الصوق الواه المرتد من بعوصة أو فراشة ومع أن هذا الصدى أصعب سحو ألى مرة من الصوصاء التي يطلقها الحمافيش ، الا أنه يستطيع أن يلتقطها ويحدد مصدرها من بين « عانة » كثيفة من فوصى الاصوات التي تطلقها آلاف الحمافيش لكن أحدا من العلماء لم يستطع أن يعرف الكيفية التي يتعل بها الحمافيش على هذه المشكلة التقنية المعقدة ١

ولكى يتأكد العلماء من هذه الحقيقة ، قاموا باجراء تجارب متيرة ، منها - على سبل المثال اهم سلطوا على الحمافيش موحات فوق صوتية ، وبمس أطوال موحاتها ، وذلك بعرض تداخل هذه مع تلك ، واسطال مفعولها ، لكن الحمافيش - مع ذلك - استطاعت أن « ترشح » موحاتها المرتدة من بين هذا الصحيح ، وسلكت سلها سلام ، ودون أن بصطدم بالعوائق التي وصعت في طريقها لس ذلك محسب ، بل ردت الصوصاء الى ألى صعب مما تطلقه الحمافيش . ولم يعبر ذلك في الأمر شيئا ، أما كيف توصلت الحمافيش الى حل هذه المشكلة ، فلا أحد يعرف ذلك يقيا

يعود لقول لو أن الادان الشرية قدر لها سماع صيحات الحمافيش ، لأصبح الخلاء الذى تطلق فيه مصدر صوصاء مرعجة ومقلقة ، لكن عدم سماعها لها ، أو احتجابها عبا ، ليس من قبيل الرحمة بها ، عندما يلحأ الى فراشا ، بل يرجع ذلك الى مدأ علمى عرفه الانسان حديثا جدا ، وسقته به الحمافيش مد ملايين السنين فالموحات فوق الصوتية تتميز بترددات عالية ، أى أن موحاتها أشد وأصواتها أحد ، وابعكاساتها من الأهداف أكثر تحديدا لمواقع هذه الأهداف وأحجامها ، حتى لو كان ذلك على أهيثة سلك رفيع ممتد ، او بعوصة مخلقة ، وكأما ارتداد الموحات فوق الصوتية من الهدف بمثابة شعاع الضوء الذى يعكس من الشيء الى العين فتراه ، لكن لا مانع من تسقية بيولوجية متقدمة تهيم للحماس من أمره رشدا ، « فيرى » الأشياء بأذيه لا بعينه ٢

تريت في دراسة سلوك هذه الفراشات ، واستمر البحث سنوات ، فتمخض عن حقائق مذهلة لم تكن لتطراً على بال احد، فهناك الآن قائمة بأكثر من خمسمائة بحث منشور عن تقنية الموجات فوق الصوتية القائمة بين الخفافيش والحشرات ، ومع ذلك فقد كشف العلماء عن اسرار ، وبقيت أسرار أخرى كثيرة تستوجب كشف غموضها ، ومعرفة أغازها ، لأن المعرفة هنا قد تفيدنا في تطوير أفكارنا ، وصقل أجهزتنا ، أو قد نسيطر بها على انتشار تلك الحشرات ، ومعظمها ضار بالزروع والضرع ،

مشاكل تقنية معقدة

العلماء الذين يتعاملون مع النظم البديعة الموزعة بين المخلوقات يعلمون قبل غيرهم أنهم يقفون أمام آيات في الخلق قدرت تقديرها مذهلاً ، وأنها قد وصلت الى درجات من الاتقان والكفاءة التي يصعب هضمها بعقولنا . . مثل أجهزة ارسال الموجات فوق الصوتية ، وأجهزة استقبال الموجات المرتدة التي تحدد بها الخفافيش أهدافها بدقة تامة ، حتى لو كان هذا الهدف فراشة صغيرة أو حتى بعوضة محلقة . . وقد تبدو هذه المشكلة هينة لينة ، لكن الذين يدرسون علوم الفيزياء عامة ، والموجات فوق الصوتية خاصة ، يدركون تماماً أن الأمر ينطوي على شيء أشبه بالمعجزة !

دعنا نسط هذه المسألة . لتتصور مثلاً أنك تجلس في قاعة بها موسيقاً صاخبة ، ممتزجة بأصوات بشرية عالية ، تحجب كل صوت هامس ، ثم زعم صديق يجلس بجوارك في هذا الوسط الضوضائي الصاخب أنه يسمع طنين ذبابة أو بعوضة يأتيه من مسافة مترين أو ثلاثة ، عندئذ لن تصدقه أنت ، ولن يصدقك أحد ، لأن التموجات الصوتية الضعيفة تحجبها التموجات القوية ، كما يحجب ضوء مصباح قوى ضوء شمعة ملاصقة له ، أو كما يحجب ضوء الشمس الساطع ضوء المصباح الكهربى .

ضع هذه الأمور في الحسبان مع أخذك في الاعتبار ما يعترض الخفافش من مشاكل مشابهة ، فالخفافش يطلق موجات فوق صوتية ذات ترددات عالية ومزعجة ، ولتتصور سرياً يتكون من مئات وآلاف

التي يباهى بها ويفاخر ، اذ لو عاد الى الطبيعة ودرس أسرارها ، واستوضح مكنوناتها ، وعرف نوااميسها ، واستلهم قوانينها ، لخرج من ذلك بحصيلة علمية هائلة توضح له أنه « لا جديد تحت الشمس » كما يقولون ، فكل فكرة للإنسان ، انما جاءت على أساس فكرة في الخلق سابقة ، ولا يعرف ذلك الا العلماء الذين درسوا اسرار الطبيعة وأغازها .

اكتشاف مثير

كان لبداية الكشف عن سر الحرب التي تستخدم فيها الموجات فوق الصوتية قصة واقعية حدثت في شرفة منزل العالم الأمريكى دكتور كينيث رويدر - أستاذ علم الحيوان بجامعة « تفتس » بولاية ماساشوسيتس - ففى ليلة صيف دافئة من عام ١٩٥٦ جلس هو وبعض زملائه يتسامرون في شرفة المنزل ، وبالصدفة أمسك أحدهم بغطاء زجاجة من الفلين وحركه بضغط شديد على حافة كوب زجاجى ، فانطلق منه صوت حاد ، والى هنا يبدو الأمر عادياً تماماً ، لكنه لم يكن كذلك حقاً ، اذ ان ما حدث بعد ذلك كان ملفتاً للنظر ، فلقد قامت الفراشات - التي كانت تحوم حول المصباح الكهربى المضىء - بعملية هبوط مفاجيء على أرضية الشرفة ، وكأنها قد أصابها الشلل بغتة !

لم تمر هذه الملاحظة المتواضعة مروراً عابراً ، بل جذبت انتباه الحاضرين ، وعلى رأسهم بروفيسور رويدر . ولقد ظن بعضهم - بادىء الامر - أن هذا الهبوط الفجائى ربما كان بسبب شلل عارض في الجهاز العصبي للفراشات ، نتيجة لذلك الصوت الحاد ، إذ أحيانا ما يحدث الشيء نفسه لبعض الكائنات عندما تتعرض لضوضاء شديدة تفقدها وعيها لفترة غير قصيرة .

لكن الفراشات التي هبطت فجأة ، بدأت تتحرك هنا وهناك بسرعة ، وظلت هكذا - في حركتها - مضطربة ، كأنها تخشى من بلاء قادم . ثم ما لبثت أن حلقت في الهواء ، وانطلقت الى غير رجعة ، وكأنها تتجنب كارثة محققة ، ومن أجل هذا عقد العلماء العزم على تحرى أسباب هذه الظاهرة المثيرة . وفى معامل الجامعة تعاون كل من رويدر وزميله دكتور اشرف

● حرب حمية تنقذ غير شرمة

قديمًا صف لحاحظ عداء الحماس في حياه « الحيو - » بقوله « لا يجوز ان يكون طعمه لا من العوص ، وقوته من الفراس ، ثم لا يصيده الا في وقت طرانه في اهواء » وعن سلك الحماس وابصار يذكر « ومن أعاجيبه انه لا يطير في ضوء ولا في ظلمة ، وهو طائر صمد ، قوى البصر ، قليل شعاع العين الواصل من الناطر ، ولذلك لا يظلم في الظلمة ، إنما تكون عامرة لصياء بصره ، عامرة لمقدار شعاع ناطره » الح وما دد ، الحاحظ عن طريقه عداء الحماس ، وسل صيده ، فهو صحيح ، لكن قلة شعاع العين فرغم حاطي ، اذ طر الاقدمون ان العين تنصر عن طريق شعاع حمى يخرج منها لرى نه الاشياء ، ولقد كان أول من صحح هذا المفهوم الحاطي العالم العربي الحسن بن الهيثم ، اذ قرر ان الضوء او الشعاع هو الذى يسف على السرى ، فيعكس منه الى العين لئرا ، وليس العكس صحيحا أصف الى ذلك ان الحماس ليس قوى البصر ، كما انه يستطيع التحسس في الظلام اخالك ، لأنه يعتمد على موجاته فوق الصوتية التى ترتد الى أذنيه ، فترسم له خريطة للمحال الذى يطير فيه حتى ولو لمه الظلام وطيعي أ- للحاحظ عدره ، اذ لم يكن رمسه يعرف العلوم التحريية ، وطل الحماس محاط بالاساطير ، الى ان جاء العالم الايطالى سالاراي في عام ١٧٩٤ ، وكان يعتمد مع غيره ان الحماس يمتلك حاسة حمية غير الحواس المعروفة لكن سالاراي لم يعرف طبيعتها ، وتحدى من يستطيع اكتشافها ، وقبل المدعو لودفيج حورين السويسرى تحدى الايطالى ، وقرر ان السر يكمن في ادى الحماس لا في عييه ، بدليل ان الحماس سوف يتحط على غير هدى لو حل بأذيه أذى ، وتعجب سالاراي من هذا الاستنتاج ، لكنه لم يقف عند حد التعجب ، بل تحطه أيضا الى مرحلة التحرية ، فقام باجراء عدة تجارب رائدة على الحمافيش ، واتضح أنها لا تستخدم عيوها في الصيد ليلا ، فلو طمستها ، فسوف تصل مسارها ، لكن طمس الاديين سوف « يعميها » ، والى هذه الحدود لم يستطع أحد ان يصيف حديثا ، وطل الأمر بحيرا بعد ذلك لحوالي ١٥٠ عاما ، ولم يتصحح الا في حوالى منتصف القرن العشرين ، فالحماس يطلق دفقات

الحمافيش التى تطلق موجاتها القصيرة وغير المسموعة للادان الشرية ، لكنها بالسبه لهذه الكائنات صوصاء عالية تستقلها اذانها رعا عها ، لكن اذانها - مع ذلك - تستطيع ان « ترشح » الصدى الصوق الواهن المرتد من بعوصة أو فراشة ومع ان هذا الصدى أصعب سحو ألى مرة من الصوصاء التى يطلقها الحمافيش ، الا أنه يستطيع ان يلتقطها ويحدد مصدرها من بين « عانه » كثيفة من فوصى الاصوات التى تطلقها الاف الحمافيش لكن أحدا من العلماء لم يستطع ان يعرف الكيفية التى يتعل بها الحمافيش على هذه المشكلة التقنية المعقدة ١

ولكى يتأكد العلماء من هذه الحقيقة ، قاموا باجراء تجارب مثيرة ، منها - على سبل المثال اهم سلطوا على الحمافيش موجات فوق صوتية ، وفسس أطوال موجاتها ، وذلك بعرض تداخل هذه مع تلك ، واسطال مفعولها ، لكن الحمافيش - مع ذلك - استطاعت ان « ترشح » موجاتها المرتدة من بين هذا الصحيح ، وسلكت سبلها سلام ، ودون ان تصطدم بالعوائق التى وصعت في طريقها لس ذلك فحسب ، بل ربت الصوصاء الى ألى صعب مما تطلقه الحمافيش ، ولم يعبر ذلك في الأمر شيئا ، أما كيف توصلت الحمافيش الى حل هذه المشكلة ، فلا أحد يعرف ذلك يهيا

يعود لقول لو ان الادن الشرية قدر لها سماع صيحات الحمافيش ، لأصح الحلاء الذى تطلق فيه مصدر صوصاء مرعجة ومقلقة ، لكن عدم سماعها ، أو احتجابها عها ، ليس من قبيل الرحمة بها ، عندما يلحأ الى فراشها ، بل يرجع ذلك الى مدأ علمى عرفه الانسان حديثا حدا ، وسقته به الحمافيش مد ملايين السنين فاللوحات فوق الصوتية تتميز بترددات عالية ، أى ان موجاتها أشد ، وأصواتها أحد ، وانعكاساتها من الأهداف أكثر تحديدا للمواقع هذه الأهداف وأحجامها ، حتى لو كان ذلك على هيئة سلك رفيع ممتد ، او بعوصة محلقة ، وكأما ارتداد الموجات فوق الصوتية من الهدف بمثابة شعاع الضوء الذى يعكس من الشىء الى العين فتراه ، لكن لا مانع من تنقية بيولوجية متقدمة تهيم للحمافيش من أمره رشدا ، « فيرى » الأشياء بأذيه لا بعييه ٢

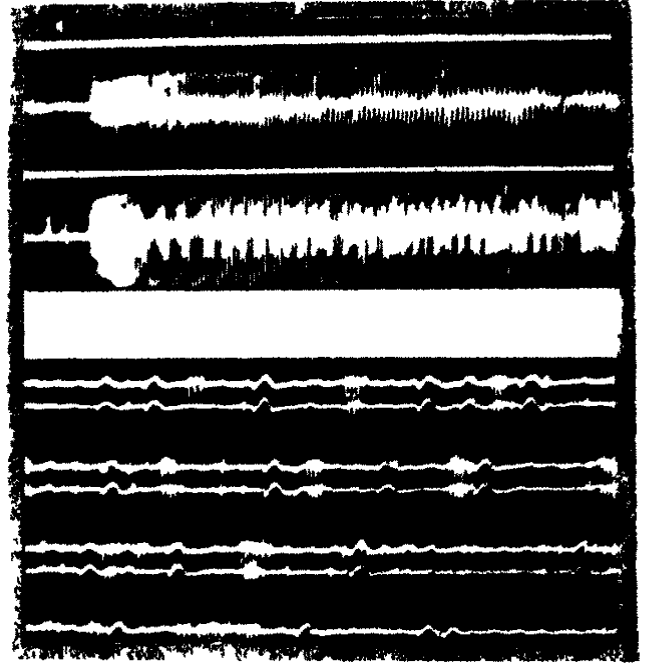
بين الصيد والصيد

لكن الجانب التطبيقي أو التقني لهذه التصميمات البيولوجية يتضح أكثر عندما تظهر على مسرح الأحداث بعض أنواع خاصة من الفراشات التي تلعب مع الخفافيش لعبة خطيرة من العاب الموت والحياة .

والواقع ان العلماء قد سجلوا الحرب الدائرة بين الخفافيش المحلقة ، والحشرات الهائمة بالموجة والصوت والصورة (شكل ٤) . . ويعملات تشريح دقيقة . وتعرفوا على محطات البث والاستقبال في الخفافيش ، وعلى أجهزة التنصت الحية التي تمتلكها بعض الحشرات ، لتسمع على الموجات . ونحن لا نستطيع أن نتعرض لتفاصيل هذه التكنولوجيا البيولوجية هنا ، فالحديث فيها يتشعب ويطول والمجال ضيق ، لكن يكفي أن نذكر ان الخفافيش تبت موحاتها فوق الصوتية بان دفاع الهواء من « صناديق قوية حية » ويمر بضغط كبير من خلال حناجرها الى أفواهها على هيئة موجات سريعة تصل شدتها الى ما بين ٤٥ ألف الى ٩٠ ألف تردد أو اهتزازة في الثانية الواحدة ، وهذه لا نسمعها ، لأن الأذن البشرية تسمع في حدود ترددات تقع ما بين ٢٠ ، ٣٠ ألف تردد في الثانية ، وكلما كان التردد أشد كان الصوت أحد ، ثم يصبح أكثر حدة في الموجات فوق الصوتية التي لا نسمعها ، لكن الفراشات تستطيع ذلك .

ولا شك أن هناك مشاكل تقنية عويصة بين الصيد والصيد ، لكن الخفافيش متكفل بحل مشاكله ، ويعرف تماما كيف يغير من « تكتيكه » ، وهذا التكتيك مؤسس على مبادئ علمية هامة يعرفها العلماء حق المعرفة ، وعليها تؤسس أجهزة تنصت في تطبيقات لا نحصىها عدا لكن الخفافيش قد عرفها ، أو هي قد أوحيت في تكوينه وحيا جيلا ، لكن يكفي أن نذكر مثالا واحدا نوضح به ما قدمنا فاوجزنا .

خذ على سبيل المثال حشرة ضئيلة محلفة مثل ذبابة الفاكهة التي لا يتجاوز طولها مليمترين ونصف ، ووزنها جزء من ألف من الجرام ، ورغم هذه الضآلة وزنا وحجما ، الا أنها كافية لأن تعكس الموجات فوق



شكل (٤) لغة حشرة نوع واحد سجلها العلماء على أجهزة الحساسة من خلال ما يحس به جهاز الاستقبال عند الحشرة . وشرح هذه اللغة الموجية بطول ، لكن ما تراه هنا ليس الا ترجمة لما تستقبله الحشرة من موجات صوتية من خفاش ، وتحت ظروف متغيرة ، فتغير ما بها ، حتى نفلت بجلدها .

سريعة من الموجات فوق الصوتية ، لتصطدم بالهدف ، ثم يرتد صداها الى أذنيه - كما سبق أن ذكرنا .

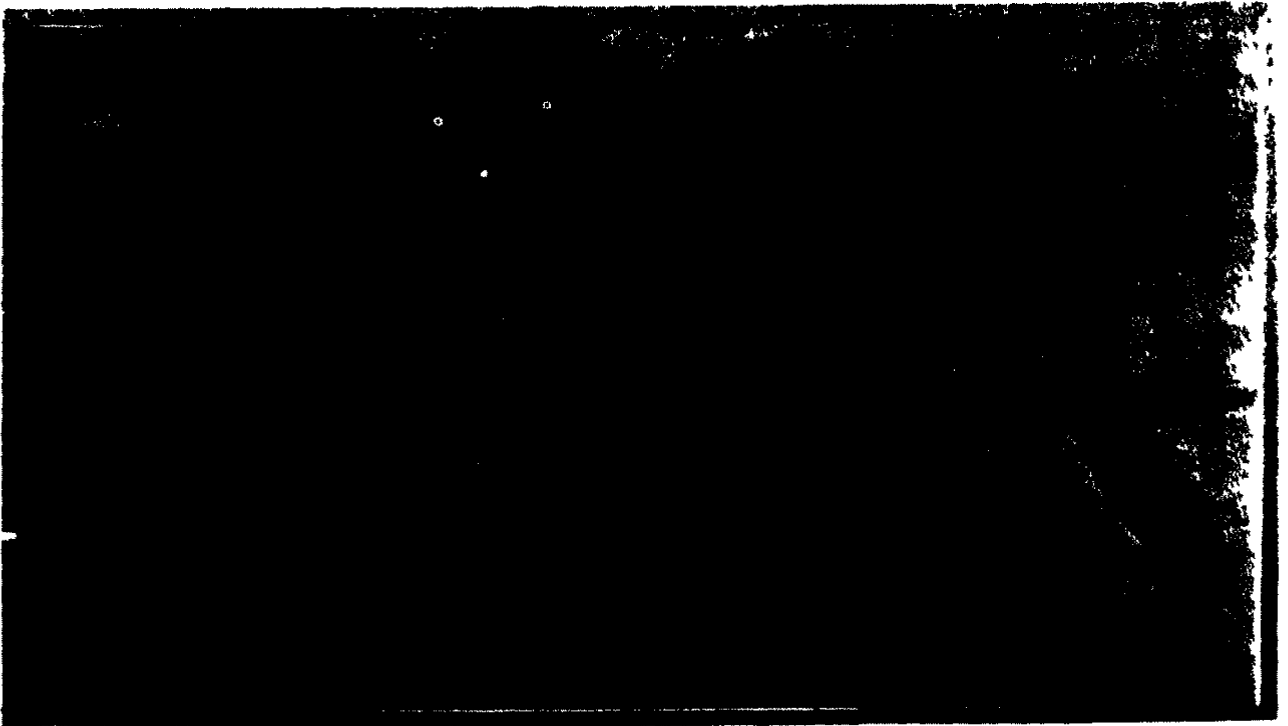
والتجارب الكثيرة والمثيرة التي أجراها العلماء على الأنواع المختلفة من الخفافيش توضح بحق أنها تمتلك تصميمات بيولوجية مذهلة ، ثم انها تستخدمها ببراعة فائقة ، ولقد وضعوا في طريقها عوائق على هيئة انابيب دقيقة تتداخل وتتشابك في مناهات من الحلقات التي تسمح بتخليق الخفافيش من خلالها في صالة كبيرة مغلقة ومظلمة (شكل ٣) واستمر تسجيل طيران الخفافيش لست ساعات كاملة ، دون أن يصطدم بواحدة . واعتبر العلماء هذه المناورات المتقنة بمثابة واحدة من معجزات الخلق المحيرة ، وكأنما لسان حالهم كان يقول كما قال الجاحظ من قبل في وصف رشاقة الخفافيش في كتاب الحيوان !

تكتيك

والخفاش يطلق صيحاته فوق الصوتية ، فتنتشر في الهواء كما ينتشر الضوء من مصباح سيارة ، وكلما ابتعد الضوء عن المصدر ، زاد اتساعا وانتشارا وضعفا ، وكذلك الموجات الخفافية التي أصبحت بدورها بمثابة « كشاف » صوتي يكشف له الافق الممتد امامه ، ويوضح له ما قد يعترض تلك الموجات من بعوضة محلقة ، او حشرة هائمة ، او عوائق معترضة ، لكنه وبسرعة فائقة يحدد الغث فيتنجبه . اما السمين فينجذب اليه بدقة قذيفة موجهة ، فاذا بالصيد - في لحظة خاطفة - يصبح لقمة سائغة . . لكن ليس كل ما يهواه الصياد يدركه ، وكذلك الأمر مع الخفافيش اذ توجد اجهزة تنصت دقيقة ترصد موجات العدو ، وتحدد سرعته واتجاهه ، لتقوم بعمليات توجيه ومناورة سريعة ، فتفتوت على المهاجم فرصته (شكل ٥)

الصوتية الى أذن الخفاش فيشعر بها وهو على مسافة منها تقدر بنصف المتر ، وفي جزء من الف جزء من الثانية ، أو بعد أن يكون قد قطع عشرة ستيمترات فقط من استقبال الموجات ، يقوم بحركة التفاف بارعة ، وفي الوقت ذاته تنطلق منه موجات أكثر ، وبعدها من الترددات أكبر ، وبأطوال أقصر ، لتكون الكفاءة في الرصد اتقن ، وكل هذا نزول على قوانين ومعادلات الفيزياء التي يطبقها الخفاش بكفاءة « وذكاء » .

والخفاش لا شك صياد بارع ، اذ يستطيع ان يرصد ويصطاد ويلتهم عددا كبيرا من الحشرات . ولقد أحصى له العلماء ما اصطاده - وهو ينطلق بين سرب من البعوض - بخمسة آلاف بعوضة خلال ساعة واحدة . . ولقد اتضح أنه لا يصطادها بقمه ، بل يحويها بطرف جناحه ، وبسرعة خاطفة يحولها الى فمه !



شكل (٥) يوضح كيف يندفع الخفاش الى فراشة بعد ان تنعكس موجات منها اليه ، لكنها - في الوقت ذاته - ترصد بسرعة فائقة حركته واتجاهه ، وتقوم بمناورات سريعة تغير فيها اتجاهاتها بمهارة مذهلة ، و احيانا تضطر الى عملية هبوط فجائية نحو الأرض (حيث يشير السهم) عليها تنجو بحياتها .

لكن .. ما المصير ؟ .. أي كيف تتصرف الفراشة مع هذا الخطر الداهم ؟ ليس هناك من مفر الا عمل مناورة فجائية لحركات نحسبها اعتباطية ، وفيها تنحرف الحشرة انحرافات موجهة حسبما تلميه الاشارات المرصودة عن اتجاهات العدو ، فان اتجه نحوها يمينا انحرفت بغتة يسارا وفي زوايا هابطة صاعدة بغرض تجنب « القذيفة » الحية الموجهة .. والذين سجلوا مثل هذه المعارك على افلام حساسة ، ثم عرضوها عرضا بطيئا ، ذكروا ان المناورات تتسم ببراعة فائقة ، قد لا يصدقها عقل بشر ، ولاشك ان التوقيت والمباغتة وخفة الحركة وسرعة المناورة تلعب ادوارا هامة في حسم المعركة .. إما لصالح الخفاش ، او لصالح الحشرة ، وغالبا ما تسلك هذه طريق السلامة ، فتطوي جناحيها ، وتببط اضطراريا الى الأرض ، حيث تسعى لتبحث لها عن مخبأ يحميها .

جهاز الانذار المبكر ! :

لكن الخفافيش قد تكف احيانا عن بث موجاتها ، حتى لا يتنبه لذلك صيدها ، وهنا تبرز المشكلة : اذ كيف يهتدي الى موقعها مادامت « كشافاته » الصوتية ، قد أغلقت ؟

الحل ان يشتغل على موجات الصيد ذاته ، اي يصبح الخفاش مستقبلا لا مرسلا ، خاصة في حالات الحشرات التي تصدر صوتا او طنيناً اثناء الطيران (مثل البعوض والذباب) وفي مثل هذه المواقف ، تكون قد « جنت على نفسها براقش » ، ولا بد - والحال كذلك - ان يهتدي اليها الخفاش بموجاتها لا موجاته ، فاما ان يتوجه ليحصل على الغنيمة ، او يتبعد عن تلك المصيبة ، اذ كثيرا ما تأتي الرياح بما لا تشتهي سفن الخفافيش ، فقد تكون الحشرة الهائمة ذات طعم رديء ، او قد يكون فيها السم الزعاف ، وطبيعي ان الخفاش لا يقتل لكي يتذوق ، ولا يضع وقت وجهه فيما يعود عليه بالأذى ، اذ هو خبير بالصالح والطالح ، ولديه ذاكرة قوية بما تبثه الاذاعة الحشرية ، ومن البث ما يجده هوى في نفسه ، ومنه ما يفرغه ، وكأنما الحشرة او الفراشة تطلق صيحاتها

ويعود من محاولاته - في أغلب الأحيان - بخفي حنين !

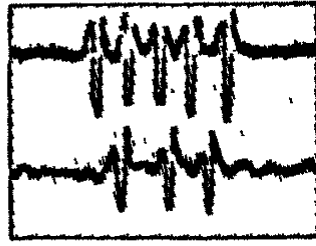
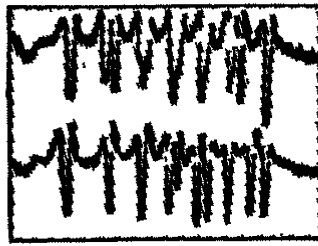
ولاشك ان اجهزة التنصت على موجات العدو ليست في الاصل فكرة بشرية ، بل هي اساسا « حشرية » ، لكن الاجهزة الحشرية تعتبر ادق واكفا وأصغر اجهزة يمكن ان تتعامل مع الموجات فوق الصوتية .. وبالطبع فان التنصت يختلف باختلاف النوع عند الصيد والصيد ، فهناك مثلاً حوالي ٧٠٠ نوع من الخفافيش تعيش على الحشرات ، ولكل نوع محطة بث تذبذب على موجات يمكن بها تحديد هويته ، ويوجد ايضا نحو ٤٥ ألف نوع من الحشرات لها اجهزة تنصت ، لكن دعنا نختصر كل ذلك ونختار جهازا بسيطا ، تتجسد فيه الكفاءة ، وتتجلى العظمة .. ولناخذ جهاز التنصت عند فراشة « ميليز » - رمز الشارة الشرفية التي اوردناها في بداية الدراسة ، فهذه الفراشة اذنان على جانبي صدرها ، وكل اذن تتكون من غشاء رقيق (بمثابة طبلة) وعلى هذا الغشاء ترتكز نهايتا خليتين عصبيتين ، كما ترتكز الابر على اسطوانة جراموفون ، وتحت « الطبلة » يوجد نسيج خفيف به اكياس هوائية ، وفي هذا النسيج تنتشر ثلاث خلايا عصبية لاغير ، اثنان منها ينقلان اهتزازة الطبلة خلال خيط او خط حي ، مروراً بكل خلية ، وانتهاء - من خلال خيط عصبي من نفس الخلية - بمخ الحشرة البدائي (مجرد عقدة عصبية) .. اما الخلية الثالثة ، فلا احد يعرف وظيفتها حتى الان ، لكن لاشك انها لم تخلق عبثاً ، ويوم نعرف رسالتها ، فقد نرى منها عجباً !

لكن العجب قد اكتشفه العلماء عندما اوصلوا كلا من الخليتين على جهاز رسم النبضات العصبية ليعرفوا كيف تتفاعلان اذا ما سمعت الفراشة الموجات فوق الصوتية لخفاش من زوايا مختلفة ، وعلى مسافات متباينة ، من ذلك مثلاً ان الخفاش لوجاء الفراشة من يمينها ، وكان يبعد عنها حوالي ٢٥ متراً ، فان الخلية العصبية رقم ١ في الأذن اليمنى تسجل ثلاث نبضات ، والتي في اليسرى تسجل واحدة ، فاذا اقترب أكثر ، زادت الثلاثة الى خمسة ، والواحدة الى ثلاثة ، وفي حالة مروره فوقها او تحتها او قريباً جداً منها ، تسجل الخليتان في الاذنين عدداً متساوياً من النبضات العصبية (شكل ٦) .

والخفاش
يُحَادِثُ بِالصَّخْرَةِ

والخفاش
يَقْتَرِبُ مِنْهَا

والخفاش
بَعِيدٌ عَنْهَا



تسجيل الأذن
اليمنى

تسجيل الأذن
اليسرى

شكل (٦) تسجيلات خلية عصبية في جهاز التنصت عند الفراشة ، وبها تستطيع تحديد موقعها من الخفاش الذي ينتج صوبها ، فالتسجيل الأيمن (الى اعل) يوضح ان الخفاش يأتي من جهة الأذن اليمنى (ولهذا فالنبضات اكثر نسبيا) لكنه لا يزال بعيدا ، فاذا اقترب منها اكثر ، زادت النبضات ترددا ، حتى اذا اصبح قريبا جدا منها اشتغل جهاز التنصت الأيمن والأيسر بنفس الكفاءة مع نبضات اسرع واكثر .

« التكتيكات » بين خفافيش وحشرات ؟ . . وهذا سؤال كبير جدا ، والاجابة عنه تحتاج لمجلة كاملة ، لأن الموضوع اشمل من ذلك واعم ، ولأن حياة المخلوقات جميعا تحكمها شرائع عامة ، ومن شرائعها انها قامت على اساس ان هناك دائما يوجد آكل ومأكول . . صيد وصياد . . وكل هذا يسير في سلسلة معقدة ، ذات حلقات متشابكة ، لتدور الحياة بموازين مقدرة ، فلا تطفئ ذرية نوع على ذرية نوع آخر . . وطبيعي ان لكل نوع ذريته وافراجه ، لكن الذرية لا تأتي وكأنا هي نسخة كربونية من بعضها ، بل لابد من اختلاف في القدرات او الكفاءات . . والقدرات تتجلى في عوامل كثيرة ، بمعنى ان الحشرة او الفراشة التي تتميز عن اترابها في النوع الواحد بامتلاك جهاز تنصت اكثر اتقانا ، وتقوم بمناورات اسرع ، وتكون متيقظة لمصيرها اكثر ، فسوف تكون فرصتها في الافلات من الخفاش اكبر ، لكن ما دون ذلك يصبح سهل المنال ، لأنه - بضعفه التكتيكي - لا يستطيع ان يجابه الحياة ، وهكذا شاءت شريعة الله ! كذلك الحال مع الخفاش ، خاصة اذا حدثت ازمة في الطعام ، وعندئذ يفوز الخفاش الاقوى بنصيب الأسد ، وعلى الأضعف ان يتواري ، وسر على ذلك مع كل المخلوقات !

انها القوة ، ولا شيء غير القوة . . فافيقوا يرحمكم الله .

□

هكذا « خذ حذرک ، فمذاقي مقرز ، وطعمي مقبض » . .

وقد يبدو ذلك من شطحات الخيال ، لكنها حقيقة لم تنبع من فراغ ، اذ اوضحته لنا الدكتورة دوروثي داننج (وهي من تلاميذ البروفيسور رويدر الذي سبقت الاشارة اليه) من خلال تجارب رائدة ، وملخصها انها كانت تطلق انواعا من الديدان التي تهواها الخفافيش من بندقية خاصة ، فتنتشر في الهواء ، وفي الوقت ذاته تطلق عددا من الخفافيش في صالة مغلقة وتصطاد الديدان من الهواء بكفاءة نادرة ، وفي احدى هذه التجارب احضرت جهاز تسجيل كانت قد سجلت عليه طنين انواع خاصة من الفراشات ، وما ان بدأ الصوت ينطلق حتى بدأت الخفافيش المنطلقة وراء الديدان تتراجع عن اهدافها ، وكأنا اصابتها صدمة !

ان تحليل ذلك لا يخفي على لبيب ، فهذا التسجيل المذاع هو لجنس معين من الفراشات (اسمه اركتيدي) ، وانواع هذا الجنس تمتلك جهازا صغيرا تنطلق منه موجات فوق صوتية ، وبها تنذر الخفاش مبكرا بانها رديئة الطعم ، حتى لا يبدأ الهجوم ، وطبيعي ان الخفافيش لا تعرف اجهزة التسجيل ، ولا خداع البشر ، لكنها عرفت معنى « الانذار المبكر » قبل ان يعرفه البشر بعشرات الملايين من السنين !

وقد يبرز هنا استفسار اخير : ولماذا كل هذه

وجهًا | لوجه



المهندس

خالد الجويشي



الدكتور

عبد السلام العجيلي

☐ نظرة المرأة المتحضرة الى الرجل الريفى نظرة فوقيّة !

☐ تطوّر المجتمع قاصر عن اللحاق بتطورنا الثقافى والتعليمى .

☐ حياتى مقسّمة بين الريف والمدينة .

☐ الهواية تبقى لذة فى حين يتحول الاحتراف الى واجب قد يكون ثقيلا !

حوار حديد ولقاء حديد وحها لوجه اللقاء يجمع بين الأديب القاص الدكتور عبدالسلام العجيلي وبين المهندس خالد سلامة الخويشي ، ولعل مما يلفت النظر أسما أديبان بالهواية ، ولكل منهما - بعد ذلك - مهته الخاصة

هاهو عبدالسلام الطيب ، وهاهو عبدالسلام المحدث الأديب ، وهاهو عبدالسلام الانسان بلحمه ودمه ، لا يطل من برج عاحي ، أو يحدث من قمة عالية ، هو كالفراة لا حاجة له لأن يذكر الآخرين بعطائه ، فحسه ان يسقى الشاطين

المدينة والريف

● لن أسألك أسئلة تقليدية أو شخصية ، فهي كتابك « أشياء شخصية » رد يكاد يكون شاملا على مثل تلك الأسئلة أريد أن أسألك عن الرواية والقصة ، وبالتحديد « باسمه بين الدموع » و « رصيف العذراء السوداء » و « المغمورون » ، اد أنني أكاد الحظ برعم تباعد الزمن بين الثلاث ، أن هناك حيطا لا يرى يربط بين الرجال الثلاثة ، وحيطا يربط بين النسوة الثلاث ، فالرجال أبناء ريف والنساء بنات مدينة فهل حاولت تحقيق مراوحة بين الريف - الرجل والمدينة - المرأة ؟

- كلٌ يعمل على شاكلته وكل ما يوفق مما عده حياتي مقسمة ، ليس ماصفة بين الريف والمدينة بل بعوامل تختلف مع الظروف والفترات الزمنية والعلاقات الاجتماعية والعاطفية عدي كريمة في أصله وعيشه لاند أن تكون من وجهة نظر الريفي الرجل لو كنت رجلا تتكوين نفسي اشوي وهناك كثيرون يتصفون هذه الصفة بين الأدباء وعامة الناس لكان ممكنا أن أكتب عن علاقة المرأة الريفية بالرجل المدني ، ولما كان ذلك عينا من الناحية الفنية فثمة كتاب وشعراء في كل اللغات أحسوا التعبير عن نفسية المرأة وهم رجال غير أبي لست كذلك ، ولهذا

الأديب القاص الدكتور عبدالسلام العجيلي  عني عن التعريف ، فقد مضى عليه أكثر من ربع قرن وهو يرفد المكتبة العربية بتأليفه الأصيل الحصب ، ولكن بعضا من أوجه نشاطه يعرفها البعض ولا يعرفها الكل ، فهو يكتب الشعر والرواية والمقام والمقالة ، وله حتى الآن خمسة وعشرون كتابا أعلاها في القصة

لقد ظل عبدالسلام العجيلي أديبا هاويا لم يحترف صاعه الأدب ، على الرغم مما أصاب فيه من شهرة ، وطل طيبا في فريه متواصعة يمارس عمله اليومي مع هل الريف ، لم تهزه اصواء المدينة ، ولم يفتلعه من حدوده عند شاطئ الفرات أنقى على صلات الود مع الناس الدس احهم واتخذ منهم شخصيات تعت الحياة في قصصه ورواياته ، منهم مرارعون يعتسلون ثماء الفرات ، ويتشرون في أرض الحرية مثل سائل القمح ، انك عندما تراهم ، لا يجامرك شك في أنك تعرفهم ، وأنت تعرفهم حقا ، فهم أنفسهم الذين كنت تعيش تحارهم وأنت تقرأ قصة كتبها عبدالسلام العجيلي

الدرب الى عبدالسلام قصير وطويل في آن واحد ، انها مهانة الاتي الى الهر ليهل من شاطئه ، لكنه لا يدري أي تيارات تدوم فيه ، وأي طعم لائه مهانة الحدود اد يصب في سهر مايرال يتدفق مد أربعين عاما

في العيادة يتحرك مثل أي طالب طب يعشق هذه المهنة ، يتعامل مع أساء القرى البعيدة ومع السدو القادمين من عمق الحرية ، مثلما يتعامل مع أساء المدينة. يسأل ويستمع ويشرح بساطة أسرة تحمل الانسان يؤمن حقا أن المثل ليست كلاما يكتب فقط ، وانما هي المراوحة بين الفعل والقول ، وأن الساطة لا تعني بالضرورة الهبوط بل الصعود الهاديء والحقيقي نحو القمة

الحنين والتكامل

● إذا ألغيت كل ملاحظاتي ، ألا ترى معي أن تعلق « المرأة - المدينة » الموحع في الكتب الثلاثة هو بعض من حنينها الى جدورها ، أليس هو بعضا من حنينها الباحث عن الصدق والبراءة التي تنزوي بعيدا في القلوب الصحيرية للمدن الكبرى ؟

ثم ألا ينطبق ذلك على تعلق « الرجل - الريف » المحموم في ذات القصص « بالمرأة - المدينة » ؟ أليس هو بعضا من بحثه الدائم عن التطور ؟ أليس هو نوعا من بحثه عن الحضارة التي يتصور أنها متفذة الوحيد من حياة الشقاء التي يعيشها ؟

- أعتقد أن الحاد بين أبطال قصصي الريفيين وبطلاتها المتحصرات ليس الطموح الى التحضر عند الأولين ، والحنين الى الحدور في الأحياء ، بل هو حاد التكامل ، حاد القيص الى بقيصه ، وهذا الحاد لا يعمل فعله في كل حال ، بل لاند لذلك الفعل من شروط خاصة بطرة المرأة المتحصرة في العادة الى الانسان الريفي بطرة فوقية في أعلاها رعا أعحت بصراحتة وكرمه ومؤهلته البدية ، ولكنها تحتقر تحلمه فادا وقعت المتحصرة على ريفي يتحاور ما تعتز به تديا فيه ، بأن كان مثقفا ودكيا وواثقا من نفسه ، فاما تحدث اليه بأكثر من احداها الى أساء طلقها الدين ألفتهم أما الرجل الريفي فانه يسهر في العادة بالهالة الحصرية المحيطة ناسة المدينة ، ولكنه يتحورف من ثقلها وهشاشة سلوكها ، الى حاب شعور بالقص ناحم عن ادراكه لتقدم المدينة على الريف فادا حطت اليه ست المدينة حطوتها الأولى من حاسها هي ، فان شعور القص يفارقه ويدرك قيمته الداتية ، ويحدث حينئذ بحاد القيص الى بقيصه ، ادا تحاورت ست المدينة النقاط التي كان يتحورفها منها في سلوكها

● في رواية « باسمه بين الدموع » التي كتبتها قبل ربع قرن أو أكثر ، تبدو المرأة

كان لاند أن أكتب عن علاقات الحياة التي أعرفها ، والتي يتقاسمها الريف والمدينة من وجهة نظر رجل ريفي يلتقي نساء مدييات

على أي في رواية رابعة ، وهي « أراهير تشربين المدامة » ، تحدثت عن أبطال مديين نساء ورحالا ، كما تحدثت في قصص قصيرة كثيرة لي عن أبطال ريفيين نساء ورحالا ولكن الراوى لكل هذه القصص بقي رحلا سواء علت عليه السرعة الريفية أو الحصرية

● اذا كان سعيك للمراوحة واردا كما تصورت ، أليس ذلك على الأقل ، هو رد فعل الرجل الريفي الكامن في داتك ازاء استلاب المدن للريف أم هو محاولة انتقام لعملية الاغتصاب التي تتولاها المدن الكبرى لتمزيق ما تبقى من أصالة البادية ؟

- الاستلاب والانتقام والاعتصاب العاط ليست من مفرداتي الشخصية ، كما أن معانيها ليست قرية الى بصي ثمة مراوحة ولا شك في أعمالي الثلاثة التي دكرتها « باسمه بين الدموع » ، و« رصيف العذراء السوداء » ، و« المعمورون » الا أن الدوافع المدركة واللاشعورية وراء هذه الأعمال تعود الى محاولة العوص الى الأسباب والعوامل التي تكمن وراء الأحداث ، وتؤدي الى سيرها الى النهاية التي سارت اليها محاولة تفسير لتلك الأحداث والوصول الى معرفة ما يوحه الأبطال نحو مصائرهم ، ناس المدن الكبرى مثل ناس البادية ، لهم وحوهم الخيرة ولهم تصرفاتهم المشيئة ، ولهم نقاط ضعف ونقاط قوة الطييون مهم هم الدين يتاح لهم أو يستطيعون السير في الخط الطيب والمستقيم ، والدين يصعمون يقعون فريسة للشمر سواء كانوا مديين أو ريفيين ليس بي رعة انتقام من سكان المدن ولا بي افتحار لا حد له بالداوة ، واما أنا مراقب محب لهؤلاء ولأولئك ، ولا يبعني حيي من أن أسجل ما أحس به أو تراه عبي وان كان تسحيلى له مصوعا بالمحة والاشفاق

● وجهاً لوجه

كثيرة ، ولكنه لا يحسن استخدامها لقلة ثقته بنفسه ، فيلجأ الى التعالي والتعاند ، وهما نوعان من الهزيمة . انه انسان متردد في سلوكه المعاشي وسلوكه العاطفي ، بينما باسمة امرأة ذات كبرياء ، لا تردد في أن تدوس على عاطفتها اذا رأت أنها تؤدي الى مهانتها . اي في الواقع أميل الى حاب المرأة أكثر من ميل الى جانب الرجل في طريقة سلوكها في الحياة . حتى اذا أساءت المرأة سلوكها فان وراء هذا السلوك تصرفا ظلما من الرجل دفعها اليه . وباسمة مثال على ما أقوله ، فقد أحسنت الطن بالطل فاعطته كل ما عدها ، ولكن الطل كان دون مستوى ما أعطته ودون مستوى تصحيتها .

وفي الرواية لم يتزوج سليمان أختها وان أوحث فقراتها الأخيرة بأنه في سبيل أن يفعل ذلك . وقد

- المدينة ، أكثر صدقا اذ أنها تحقق انتصارها على نفسها من خلال رحيلها الى صحراء أكثر اتساعا وتقواء فلم تجد في صدر « الرجل - الريف » الذي التقته ما يروي حنينها الظام . بينما « الرجل - الريف » يبدو أكثر فرحا من خلال مشروع زواجه بأخت باسمة الأكثر هدوءا وتساعا ، اذ يخيل اليه انه وصل الى قمة الانتصار . هل كنت اذ ذاك تتفائل بأن المدن الكبرى يزداد عطشها أكثر الى أصالتها ، وأن امكانية المزاوجة بين « الرجل - الريف » و « المرأة - المدينة » ممكنة ، اذا كان الريف قريبا الى التحضر والمدينة أقرب الى الريف ؟



● حوار بين د . عبد السلام المجيلي والمهندس خالد الجويش

اقترح علي مرة أن أكتب جزءا ثانيا لرواية « باسمة بين الدموع » ولو أنني فعلت لرددت البطل الى باسمة ، أولا لترده ، وثانيا لاقتناعه فيما بعد أن باسمة أكثر قربا الى نفسه وصلاحيه كشريكة حياة من هيام الأخت القليلة التجربة البسيطة النفس . هذا اذا قبلت باسمة بالرجوع الى سليمان بعد أن ركبت الطائرة متجهة الى حياة جديدة في بلدان الخليج .

- ليس بطلا الرواية التي أشرت اليها نموذجين وصفين لابنة المدينة ورجل الريف . ولكنها نموذجان متميزان لامرأة ورجل في عصرنا هذا ، في بلادنا هذه ، منسوبان الى المدينة والريف . المرأة في هذه الرواية وهي باسمة أمتن أخلاقا ، وان ظهرت للقارئ المتزمت غير ذلك ، وأصلق عملا بما تحس وتعتقد من البطل الذي هو سليمان . سليمان صاحب مزايا

التقاليد والأعراف

● في رواية « المغمورون » تقوم ذات العلاقة ، لكن الأحداث تقع هنا في قلب الريف حيث « المرأة - المدينة » قادمة لتصنع شكلا جديدا من الحياة على ضفاف النهر . النهاية هنا موجعة ، إذ يبيننا تعود المرأة الى مدينتها لتؤكد انتهاءها بقوة من خلال زواجها بفتى غني في المدينة يبدو « الرجل - الريف » أكثر صدقا ونبلا رغم سقوطه في هذا الاحباط ، فالنهر يغمر أرضه والدموع عينيه . هل هي خيبة أمل كبرى باستحالة المزاوجة .. ؟

- الرجل الريفي في رواية « المغمورون » أصدق سلوكا وأنصح صورة منه في رواية « باسمه بين الدموع » ، ربما لأنه ظل أمينا على نواذعه الأساسية وطبقته التي ينتمي اليها فلم يقبل بالانتقال الى طبقة أخرى ، أرفع ظاهريا ، لأنها تكلفه خسارة في أخلاقه ومعتقداته . على أن « المرأة - المدينة » في هذه الرواية نفسها أعني « المغمورون » ليست سيئة وان كانت فشلت في تحقيق ما طمحت إليه وهو ارتباطها برجل ريفي دونها مرتبة اجتماعية وثقافية ، ولكنه لا يقل عنها أو يفوقها بقوة الشخصية والتفتح الفكري والذكاء . عودة ندى بطلة « المغمورون » الى طبقته راجع الى أن مجتمعاتنا لم تبلغ من النضج ما يجعلها قادرة على كسر طوق التقاليد والأعراف المتبعة . نحن قد تطورنا ثقافيا وتعليميا ، ولكننا لم نستطع أن نساير هذا التطور الثقافي والتعليمي بتطور اجتماعي مماثل . وهنا تقع المرأة والرجل في الريف والمدينة معا تحت كوابح تمنعهم من أن يسلكوا في الحياة المسار الذي يروونه من الناحية العلمية مسارا صحيحا . أما الذين يحاولون كسر الطوق فكثيرا ما يتجهون الى النهايات المروجة التي انتهى اليها بطلا « المغمورون » . نحن بانتظار المستقبل الذي يجعل المزاوجة ممكنة بدون نهايات موجعة ، وذلك حين يواكب التطور الاجتماعي تطورنا العلمي أو التعليمي .

● هل يمكن أن نقول ان الريف من خلال الرجال الثلاثة قد ازداد تمسكا بمثله ، وأن

● في القصة الطويلة « رصيف العذراء السوداء » لمحقق « المرأة - المدينة » انتصارها من خلال التحاقها في الدير لتموت في الحياة ، أو لتبحث عن براءة لم تجدها . أما الرجل فان الانتصار الذي خيل اليه أنه حققه في باسمه ، هذا الانتصار يظل مكسورا . فهامو وحيد على الرصيف لعله ينتظر امرأة أخرى . أكنت تريد أن تقول ان عملية المزاوجة هنا بين الريف والمدينة ممكنة لحظة الدهشة والانبهار لكنها مستحيلة عند تكشف الحقائق أو أنها قد تحدث يوما ؟

- البطل في قصة « رصيف العذراء السوداء » من بغداد ، والبطلة من ستوكهولم ، كلاهما ابن مدينة كبيرة . وأنت تعتبر بغداد هنا ريفا وتعتبر ستوكهولم مدينة . ربما كان الحق معك في هذا الاعتبار . على أن القصة هنا تعالج موضوعا فكريا فلسفيا وان بدت كمعالجة لعلاقة عاطفية بين رجل شرقي وامرأة غربية .

مرة أخرى يكون الجاذب هنا بين البطلين جاذب التقيض الى نقيضه . الا أن هذا الجاذب لا يفعل فعله الا في لحظة واحدة في ليلة واحدة ، ثم يسير كل بطل الى الغاية المضادة لغاية انطلاقه ، ظانا أنه يصل الى الحقيقة حين يصل الى هذه الغاية الجديدة . المرأة هنا أكثر تصميميا أيضا وأصدق عملا بما تعتقده ، سواء كانت مخطئة فيما تعتقد أو مصيبة .

لعل هذه القصة تعبر ، دون قصد مني ، عن عجز الانسان ، رجلا كان أو امرأة ، عن وعي الحقيقة كاملة ، حين يعتقد بأفكار معينة ، ثم يتعرض في يوم من الأيام الى تجربة تفتح عينيه على أن هذه الأفكار لا تمثل الحقيقة بكل وجوهها ، فيهرب الى الأفكار المناقضة . والصحيح ان كلا منا يدرك طرفا من الحقيقة ، ولا يدركها كلها .

وخير لنا أن نعرف هذا ونعمل جهدنا بأن نقيم توازنا بين المنازعات المختلفة التي تتجاذب تفكيرنا دون أن نقف عن السعي لاستكمال معارفنا ، واستكشاف مجهولات الحياة والكون ، وان أيقنا أن استكشافها التام مستحيل على امكانياتنا البشرية .

● وجهها لوجه

- اذا كنت طبيبا وداويت مائة مريض يوميا ، أي داويتهم بنجاح ، فإن عارفي منزلتك الطبية لا يتعدون الثلاثين ألف انسان في عام كامل . واذا كنت أدبيا ، كاتباً أو شاعراً ، وكتبت كلمة موفقة فانها قادرة على أن تجعل عارفيك مئات الآلاف في يوم واحد . هذا هو الفرق في الشهرة بين الأديب والطبيب بصورة عامة ، وفي كل الأزمان ، وعند مختلف الأمم .

وأنا طبيب بحكم عملي الذي نذرت له نفسي والذي يؤمن لي عيشي ، والذي تهيأت له بالدراسة والعمل اللدؤوب . أما الأدب فقد ظل هواية كانت بداياتها موهبة ، ولكن لم أتنبأ له بدراسة متعمدة ولا أعطيته من وقتي إلا ما فضل عن عملي الطبي واهتماماتي الأخرى . وأظن أدبيا هاويا على الرغم من كثرة انتاجي الأدبي ، وتغلب شهرتي كأديب عند أناس يقيمون خارج المنطقة التي أمارس فيها الطب ، على شهرتي كطبيب . . وما أظنني سأتحول من هاوٍ الى محترف في مجال الأدب ، حتى لو انقطعت لسبب أو لآخر عن ممارسة الطب . الهواية تبقى لذّة ، في حين يحولها الاحتراف الى واجب ربما يكون ثقيلا على النفس ، وأنا أحب أن التذ بالأدب ، فهذه لذّة رفيعة سامية أحاول أن أجنيها الاثقال على النفس .

● تتحدث مع أحلى المستويات الاجتماعية المثقفة في كافة أقطار الدنيا ، وتتحدث أيضا مع أبسط الناس القادمين من البادية . كيف أمسكت بخيوط هذه اللغة ؟

- يبدو أن هذه هبة مولودة في نفسي ، اذ أني لم أتعلمها في كتاب لأقول أنها مكتسبة . في بعض بلاد العالم مدارس تلقن تلاميذها أصول الحديث أو طريقة القاء الخطب ، وهي مدارس لا توجد في بلادنا . ولا شك أن الهبة أو الموهبة تزداد تمكنا بالتجربة والاطلاع . وأنا بطبعي طلق ، كثير الفضول ، كثير المعارف ، كثير البحث وراء المجاهيل .

وهذا ما زودني بروافد من المعلومات وبأساليب أصل بها الى أفهام الآخرين ، انها صفة أو خاصية لم أقصد الوصول اليها ، ولكن ظروف حياتي ومخالطاتي ودراساتي ، الى جانب الهبة المولودة ، أوصلتني اليها . □

المدينة أيضا قد تمسكت بمثلها . والنتيجة في الصراع أن المدينة هي المتصر الأخير .

- لا أعتقد أن الريف في بلادنا ، وفي عصرنا ، قد ابتعد عن جسده لحساب روحه . كل ريف يطمح الى أن يكون مدينة غير حاسب حسابا لمكاسبه أو حسائره . هناك أفراد ينعون على المدينة ماديتها ، ولكن قل من زهد منهم بالمدينة التي أمها ورجع الى ريفه مفضلا قيم الريف على المدينة . ليس هناك صراع بين المدينة والريف ليكون متصر هناك وغذول ، وإنما هناك احتواء وهيمنة ، وإلى أن محتاح عالمنا طوفان جديد فان المدينة هي المحتوية وهي المهمة . .

● لعلك تستغرب أني اخترت من بين كتاباتك كلها هذه الكتب الثلاثة . ولكني أتصور أن فكر عبدالسلام المجيلي يتمثل فيها خير تمثيل . ما رأيكم ؟

- الكتب الثلاثة التي اخترتها من مؤلفاتي الروائية تمثل حقا جوانب مهمة من فكري ، ولكنها لا تمثل فكري كله . انها ثلاثة كتب من خمسة وعشرين كتابا ظهرت لي . وفي كل من كتبي الأخرى جوانب من فكري قد لا أكون تطرقت اليها في هذه الكتب الثلاثة . ذلك أني أسعى الى أن ألا أكرر نفسي ، وإلى أن أعالج في كل كتاب جديد أو قصة جديدة مواضيع غير التي سبق وعالجتها فيها كتيبه سابقا .

الطب والأدب

● أنت طبيب وأديب أيضا ، كيف تمكنت من الموازنة بين الاثنين ، رغم أنها ليست حالة نادرة في الدنيا ، لكن للتجربة الخصوصية مذاقها . أنت ترى الأدب هواية . وأنا أرى - والكثيرون يرون - أنه على المستوى العالمي وعلى المستوى العربي والوطني تكاد صورة الطبيب أن تختفي تماما وراء صورة الأديب .

أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص

قاموس العربي

ص

صهيونية

بعد ذلك ، إلا أن الصهيونية لم تبرز كفكرة محددة المعالم وكبرنامج سياسي وتنظيم الاعقب عام (١٨٩٧) ، عندما تمكن تيودور هرتزل من عقد المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بال بسويسرا وأعلن عن قيام المنظمة الصهيونية العالمية . والثابت تاريخيا أن الحركة الصهيونية بذاتها كانت عاجزة عن الاستمرار ، بل مهددة بالتلاشي ، لولا دعم الدول الغربية ومؤسساتها وكبار رجال النظام الرأسمالي فيها ، فقد كان اليهود داخل المجتمع الأوروبي يمثلون عبئا شديدا عليه ، فاليهود يقفون خارج المجتمع دينيا واقتصاديا ، فهم أقلية دينية متزمتة ، وهم خارج التنظيم الاقتصادي يقصرون نشاطاتهم في مجال التجارة وأعمال المال والربا ، حيث لم يسلم من مراتبهم أحد ، مما جعل للرأسماليين الأوروبيين مصلحة حقيقية في تهجير اليهود الى خارج أوروبا ، لتجنب منافسة اليهود للبرجوازية الصغيرة في أوروبا ، وتجنب عواقب البطالة ، وكسر احتكار سوق التجارة والمال .

وتتضح أهمية هذه الأسباب اذا نظرنا اليها في سياق المجتمع الاوروي بمقاييس ذلك الوقت (منتصف القرن التاسع عشر) حيث كانت أوروبا تتحول من نظام اقطاعي الى نظام رأسمالي ، بما يعنيه ذلك من

 حركة ودعوة دينية - عنصرية استيطانية تطالب بتوطين وتجميع اليهود في دولة خاصة بهم على أرض فلسطين كحل للمسألة اليهودية ، مستيحية في ذلك كل الوسائل بدءا بالهجرة ومرورا بالغزو والعنف . . الكلمة مشتقة من اسم جبل صهيون ،

الذي يقع جنوب غرب مدينة القدس ، وفق تعاليم الديانة اليهودية ، فالجبل يعد مزارا ومكان حج لليهود ، يزورونه هاتفين « رثموا للرب الساكن في صهيون » وأول من اشتق الكلمة كان « ناتان برنابام » في عام (١٨٩٠) ليصف بها تحول تعلق اليهود بجبل صهيون وأرض فلسطين من مجرد تعلق ديني الى برنامج سياسي استعماري ، يهدف الى توطين الشعب اليهودي بفلسطين .

وتعود نشأة الصهيونية الى جلور سياسية واقتصادية متفاوتة ، فأول من دعا الى تهجير اليهود الى فلسطين هو « بالمرستون » رئيس وزراء بريطانيا (١٨٤٠) وذلك بقصد إيجاد حاجز بشري غريب يمنع قيام دولة موحدة بين مصر والشرق العربي ، وذلك عقب أن استوعب الغرب تجربة محمد علي في مصر وسوريا ، وتهديده لمصالح الدول الامبريالية ، وتبنى كبار الساسة الاستعماريين البريطانيين الفكرة

ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن ه و لا ي



تيودور هرتزل

اساتذته وطلاب ، ومؤسسة جيش بدون جيش . وقد كان من الممكن أن تظل هذه المحاولات في حجمها ، وقابلة للانهيار ، لولا التحالف الأوروبي اليهودي أثناء الحرب العظمى الاولى ، الذي تبلور في صورة وعد بلفور ، والتزمت بريطانيا بموجبه بالمساعدة على إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين . وتشكل العقيدة الصهيونية وجذورها التاريخية الزائفة الاطار الفكري للكيان الاسرائيلي ، الذي تقوم فيه الدولة والسلطة السياسية على أساس ديني ، وقد انعكس هذا الاطار وتمثل في النظم الاجتماعية القائمة على التمييز بين كل من هو يهودي وغير يهودي ، وظهر ذلك في التشريعات والقوانين ، وأوضح مثال لها قانون العودة ، الذي يحق بمقتضاه لكل يهودي في العالم حمل الجنسية الاسرائيلية ، وأن أرض فلسطين هي أرض الميعاد وملك لليهود بأقدمية التاريخ ، الى آخر الأفكار والغيبيات الدينية . إلا أنه من الخطأ النظر الآن الى الصهيونية في ذلك الاطار فقط ، أو فهم العداء التاريخي بينها وبين العرب من خلال هذه النظرة الضيقة ، فواقع الحال لايفصل الكيان الصهيوني الآن عن كل المحاولات الامبريالية الغربية استغلال المنطقة العربية وتبعيتها له سياسيا واقتصاديا ، ليتحول الأمر في النهاية من سلب للأرض الى سلب للارادة . □

تغير في اشكال التنظيم الاقتصادية والاجتماعية ، من تنظيم اقتصادي ديني الى تنظيم اقتصادي اجتماعي . في هذا المناخ من الدعم والرغبة في مساعدة اليهود من أجل ترك أوروبا ، جاء مؤتمر بال الذي أسفر عن تحديد أهداف الحركة الصهيونية ، وانشاء المنظمة الصهيونية العالمية ، لتكون بمثابة الاداة التنظيمية لتنفيذ هذا البرنامج ، وقد حدد المؤتمر هدفه العام وهدف الحركة الصهيونية في خلق وطن للشعب اليهودي في فلسطين بواسطة الهجرة ، مع العمل على ربط يهود العالم بهذا البرنامج ، والتعاون مع الدول الأوروبية لتحقيق ذلك . .

عقب ذلك حاول السياسيون الصهاينة الحصول على تأييد السلطان العثماني للفكرة ، الذي رفضها لأسباب تتعلق بالحفاظ على مملكته والخوف من تمزيقها ، بينما نشط فريق آخر من الصهاينة يتزعمه وايزمان في العمل على خلق حقائق جديدة ، وأمر واقع جديد فوق أرض فلسطين ، وذلك بخلق وجود استيطاني من خلال الهجرة ، وبناء المؤسسات والمستوطنات الصهيونية ، وبالفعل ظهرت الى الوجود مؤسسات كاتحاد العمال والجامعة العبرية ومؤسسة الجيش ، وبذلك تكون الفكرة الصهيونية سابقة لوجود الدولة ومعهدها ، ففي ذلك الوقت كان هناك اتحاد عمال ولم يكن هناك عمال ، وجامعة بدون

ملوثات الهواء

وطرق معالجتها

بقلم : الدكتور فاضل حسن

■ التلوث هو التقليل من نقاء الجو والماء . . .

والارض بواسطة المواد الضارة بالصحة والتقايات . أي انه تركيز للمواد الضارة المؤثرة على الانسان ومحيطه .

فماذا تعرف عن ملوثات الهواء ؟ !

دقيقة ملوثة تؤثر على بعض أعضاء الجسم . أما ثاني أكسيد الكبريت فينتج عن احتراق الفحم والزيت في وحدات التدفئة المنزلية ، أو محطات الطاقة ، وهو أحد نواتج مصانع الورق والتعدين والبتروك . ان الحدود العظمى التي يسمح بها لتركيز الغاز تتراوح بين (٣ - ١٠ جزء / بالمليون) حيث تعتمد على زمن التعرض . ويتج أول أكسيد الكربون عن التدخين والتدفئة المنزلية ومكائن احتراق المركبات ، ويكثر بشكل خاص في المدن المزدهمة بالمواصلات . وهو خطر جدا لانه لا يرى ولا تشم له رائحة . ان تركيز الغاز نتيجة

ان اهم ملوثات الهواء هي المواد الدقيقة ، وثاني أكسيد الكبريت ، وأول أكسيد الكربون ، وأكاسيد النيتروجين ، والاوزون ، والهيدروكربونات ، وكبريتيد الهيدروجين ، والفلوريد والمواد المسببة للحساسية . تتج المواد الدقيقة عن العواصف الرملية في المناطق الصحراوية ، والتي تؤثر على جهاز التنفس ، والمواد الدقيقة المنبعثة من المصانع مثل الرصاص والمنغنيز والاسبست والنحاس والقصدير ، وكذلك المبيدات المختلفة كالمبيدات الزراعية ومبيدات الحشرات التي تنتشر في الهواء ، والمحتوية على مواد

على الصحة . وبوجود ضوء الشمس يتفاعل ثاني أكسيد النيتروجين مع الهيدروكربونات ، لتنتج تفاعلات معقدة جدا وسامة ، ومعظم الهيدروكربونات تنتج عن احتراق وقود المركبات ومصافي النفط وبعض المصانع الكيماوية . ومن الهيدروكربونات ما هو خطر جدا على شكل مواد دقيقة معلقة .

ويتكون كبريتيد الهيدروجين : من تجمع الفضلات الصناعية في ماء راكد ، وخاصة الصناعات النفطية ، ويكثر في محطات تصفية ماء الصرف ، وهو ذو رائحة كريهة ، وتظهر رائحته عندما يتراوح تركيزه بين ٠,١ - ١ جزء بالمليون .

وأما الفلوريد فهو المادة التي تنتج عن تفاعل الفلورين وعنصر آخر . ان أخطر مركبات الفلوريد هو فلوريد الهيدروجين . وتركيز الفلوريد النموذجي في الجو يبلغ ٠,٠٥ ملغم / م^٣ .

وهناك أخيرا المواد المسببة للحساسية : وهي المواد العضوية النباتية أو الحيوانية ، والمواد الصناعية التي تنتقل في الهواء ، والمسببة للحساسية ، وخاصة للأشخاص الذين يسكنون المناطق الزراعية والصناعية .

السيطرة على تلوث الهواء :

تصنف ملوثات الهواء الى نوعين رئيسيين هما : - ملوثات غازية وملوثات ناعمة . لذلك من الضروري دراسة حجم الجزيئية وتصنيف الجزيئات مع تركيزها وسرعة سقوط الجزيئية ، وكذلك دراسة المؤثرات على انتقال الغازات .

يقاس حجم الجزيئية بالميكرون ، وتتراوح الجزيئات بين المرئية بالعين المجردة ، والتي هي أكبر من ٥٠ مايكرون ، الى أصغر من ٠,٠٠٥ مايكرون ، والتي لا ترى الا بالمجهر الإلكتروني . ان تركيز الجزيئات يتغير من ١٠ ملغم / م^٣ كتركيز الهواء الموجود فوق المحيطات الى ١٠ ملغم / م^٣ وكهواء العواصف الترابية . ويصنف تركيز الغبار الى خفيف ووسط ومعتدل وكثيف .

وتصنف الجزيئات حسب حجم الجزيئية ، الى ناعم جدا وناعم ومعتدل وخشن .

المواصلات المزدهمة يتراوح بين ٥٠ - ١٠٠ جزء بالمليون ، بينما معدل تركيزه نتيجة التدخين يبلغ ٤٠٠ جزء بالمليون .

وتبلغ الحدود العظمى التي يسمح بها لتركيز الغاز ١٠٠ - ٣٠٠ جزء بالمليون ، واذا فحصنا أكاسيد النيتروجين ، نجد أن أهم هذه المركبات هي أول وثاني أكسيد النيتروجين . وأهم مصادرها هي ما تقذفه وسائط النقل المختلفة . وأول أكسيد النيتروجين يمكن أن يتحول بوجود الضوء الى ثاني أكسيد النيتروجين .

ان بخار الماء الموجود في الهواء يتحد مع ثاني أكسيد النيتروجين مكونا حامض النتريك ، الذي يعمل على تآكل النباتات ، ويؤثر على المزروعات . وتبلغ الحدود المسموحة العظمى لتركيز هذه الأكاسيد ٣ - ١٠ جزء بالمليون .

ويتنتج الاوزون عن تأثير ضوء الشمس على ثاني أكسيد النيتروجين والأكسجين ، ويؤثر الاوزون على العين والقصبات الهوائية . وتكون رائحة الغاز واضحة عند ازدياد تركيزه . وتتراوح الحدود المسموحة لتركيزه بين ٠,٥ - ١,٥ جزء بالمليون .

أما الهيدروكربونات : وهي مركبات الكربون والهيدروجين فتشكل معظم المواد الكيماوية في الكازولين والمنتجات البترولية الأخرى ، ولها تأثير



المنظفات منها : غرفة الترسيب ، والمجمع الذي يستخدم القوة المركزية ، والمجمعات الرطبة ، والمجمعات النسيجية ، والمرسبات الالكتروستاتيكية ، وطريقة الامتصاص والحرق .

ان غرفة الترسيب بالجاذبية هي أبسط وأقدم الطرق لجمع الغبار الصناعي ، وهي ذات فعالية لازالة الجزيئات الكبيرة الحجم نسبيا ، وخاصة في معامل الطابوق التي تستخدم الزيت كوقود . أما المجمعات التي تستخدم القوة المركزية فانها تشبه الاسطوانة ، حيث تنقذ الجزيئات نحو الجدار خلال دوران الاسطوانة ، وترسب نحو الأسفل ، ويخرج الهواء النقي من أعلى الاسطوانة . وأما النوع الثالث من المنظفات فانها المجمعات الرطبة ، ومن أهمها برج الرش ، حيث يرش الماء بشكل رذاذ من الأعلى ، ويدخل الهواء الملوث من الأسفل ، فتلتصق الجزيئات الملوثة مع جزيئات الماء ، وترسب مع الماء ، ويخرج ماء ملوث من فتحة أسفل البرج .

اما الهواء النقي نسبيا فيخرج من الأعلى ، ومن فوائد هذه الطريقة ساطة الانشاء وكلفتها قليلة . ويتم فصل الجزيئات عن الغاز خلال مرورها بالمجمعات النسيجية التي تتكون من ألياف بحجم كبير . وفائدة هذه الطريقة أن فعاليتها عالية . وتستخدم القوى الكهربائية لفصل الجزيئات المعلقة من الغازات في حالة المرسبات الالكتروستاتيكية . ويستخدم البرج المحشو بمادة قابلة للامتصاص للجزيئات الملوثة . ان الامتصاص هو عملية فصل الغاز باذابته أو تحنسه مع سائل ، أو داخل جسم صلب ، أما الامتصاص فهو فصل الغاز باذابته أو تجمعه على سطح الجسم . وتستخدم طريقة الحرق عادة في حالة الملوثات السامة ذات الرائحة ، مثل الهيدروكربونات .

وتستخدم المدخنة لابعاد الملوثات لمسافات بعيدة عن مصدر التلوث ، حيث ان تركيز الملوثات في الجو يعتمد على المعدل الحجمي للملوثات المنبعثة ، وعلى سرعة الرياح والارتفاع الصافي للمدخنة ، بالإضافة الى الظروف الجوية مثل درجة الحرارة والرطوبة . وهناك طرق لازالة تعتمد على النوعية الكيماوية للملوثات ، حيث تضاف مواد كيماوية للتفاعل مع الملوثات ، ويخرج هواء نقي نسبيا بعد التفاعل . □

وهناك قوى مؤثرة على الجزيئية الساقطة . فهناك قوة اتجاه نحو الأسفل نتيجة للجاذبية ، تسمى قوة الجاذبية ، وقوتان مقاومتان نحو الأعلى هما القوة الطافية وقوة المقاومة . وتسقط الجزيئية عندما تكون قوة الجاذبية أعلى من القوتين المقاومتين ، وتطفو الجزيئية عندما تتساوى قوة الجاذبية مع القوتين المقاومتين ، وترتفع الجزيئية عندما تكون قوة الجاذبية دون القوتين المقاومتين .

وللسيطرة على الغازات الناقلة للملوثات ، يجب دراسة الضغط ، ودرجة الحرارة والكثافة ومعدل جريان الغاز .

وتصنف نظم السيطرة على تلوث الهواء حسب تركيز الجزيئات الى : ترشيح الهواء الاعتيادي وترشيح هواء المصانع ، وترشيح الغبار . يتضح مما سبق ذكره أن السيطرة على التلوث تعتمد بشكل أساسي على خصائص كحجم وتركيز الجزيئات ، بينما لا تعتمد كثيراً على النوعية الكيماوية للملوثات ، الا في حالة الأجهزة المعقدة في المصانع ذات التلوث الكيماوي الخطير .

أما عن مرشحات الهواء وهي الأجهزة المستخدمة لازالة التركيز المنخفض في الهواء الجوي وهواء المباني . فهناك ثلاثة أنواع أساسية لمرشحات الهواء ، هي التصادم اللزج ، والمرشحات الجافة ، والمرشحات الالكترونية .

ان مرشحات التصادم اللزج تكون على شكل ألياف مصنوعة من مواد مختلفة ، تعمل كمصدات ، حيث تلتصق جزيئات الغبار بهذه الألياف . أما المرشحات الجافة فهي مشابهة لمرشحات التصادم اللزج ، ولكنها أكثر كفاءة بسبب نعومة أليافها . أما المرشحات الالكترونية فانها تستخدم الشحن الكهربائي لترسيب الجزيئات من الهواء .

منظفات الهواء الصناعي :

ان تركيز الهواء الصناعي أكثر من تركيز الهواء الاعتيادي (١٠٠ - ٢٠٠٠٠ مرة) فالمنظفات تصمم على شكل مجمعات لازالة الغبار الكثيف من المراحل الصناعية ، باستخدام أجهزة التفريغ ، أو مدخنة الفضلات الغازية . وهناك أنواع مختلفة من

أصابعك علاج

للصداع



بقلم : الدكتور نبيل سليم علي

« الصداع » ألم يصيب كل البشر . . في كل الاعمار والاجناس ، ولم يصل الطب حتى الآن الى علاج ناجع له .
ولكن قبل أن نعرف العلاج يجب أن نعلم أولا حقيقة الصداع وأنواعه لكي يتيسر لنا فهم وتنفيذ العلاج . وهو ما يعرضه هذا المقال .

وجود ما يسمى بـ « الاندورفينات » Endorphines أو الأفيون الطبيعي في الجهاز العصبي للإنسان والحيوان ، وهي مادة تشبه المورفين ، مسئولة عن حماية الإنسان من الألم وخاصة الصداع ، وقد رزق الله بها عباده بدرجات متفاوتة ، واتضح أنها موجودة بكثرة في الجمال والأفيال ، ولذلك عرف عنها الاحتمال الشديد للألم . أما البشر فهم يختلفون - فيما

من أبرز أنواع الصداع ذلك الذي ينشأ من تقلص وتعدد مفاجيء ووقتي وعابر بشرائين الدماغ ، وهذا التمدد العابر ما هو إلا نتيجة لارتفاع بعض الهرمونات العصبية في الدم ، وهو يختفي دائما بعد فترة استهلاك هذه الهرمونات .
وعندما تكشفت للطب حديثا أسرار كيمياء الألم حدثت ثورة جديدة في علاج الصداع ، فمثلا ثبت

يسمى صداعا . . كما أنه يمكن أن يصدر عن مرض أو خلل في الضروس ، أو النظر أو التهاب الجيوب الأنفية أو غيرها ، وفي مثل هذه الحالات يخفى الصداع بعلاج الأسباب لأنه كان عرضا وليس مرضا .

أما إذا أصيب الإنسان بصداع لا يوجد له سبب واضح ، فإن الطبيب عادة يصنف هذا الصداع على أنه صداع نفسي ، أي أنه مرتبط باضطرابات نفسية . والواقع أن طب الأمراض النفسية والعصبية تصدى لهذا النوع من أنواع الصداع مستخدما المناهج العلمية السليمة ، وتوصل إلى بعض النتائج التي يقول بعضها : ان هناك أعضاء في الدماغ ، وبالذات في عضلات الرقبة والجبهة والوجه تعتبر مصدرا للصداع نتيجة لتوترها الشديد لفترة طويلة ، وهذه العضلات تعتبر من أدوات التعبير الوجداني ، ولذلك فهي دائمة التوتر ، كما أن توتر هذه العضلات مسئول عن الصداع الذي يحس به كل منا بعد فترة من الانفعال الشديد ، وغالبا ما يتبدد هذا الصداع بعد فترة من الاسترخاء أو النوم . . ولكنه يعتبر مشكلة للذين لا يجدون وقتا للاسترخاء ، حيث أنهم يتزايدون بصفة مستمرة في مجتمعاتنا التي تتسم بالانفعال الدائم واليقظة العالية وقلة فرص الراحة أو الاسترخاء ، إلا أنه أمكن الاستعانة ببعض التمرينات المعينة للاسترخاء كالهروب المنتظم الى المناطق الخلوية الهادئة والخضراء ، كما أن التأمل الروحي في الكون والصلوات تخفف كثيرا من نوبات هذا المرض .

الصداع النصفي

أما النوع الثالث من أنواع الصداع هو الصداع النصفي « الشقيقة » وهو مرض قديم قدم الحضارة ، فقد جاء ذكره في لوحة مصرية يعود تاريخها إلى سنة ١٢٠٠ ق . م ، كذلك وصفه « أبو قراط » ولكن كان أول وصف شامل لهذا المرض قد تم في عام

بينهم - في درجة ما حباهم الله به من هذا الأفيون . فتجد احتمال بعضهم للألم مرتفعا ، وذلك لارتفاع نسبة ما يحتويه جهازه العصبي من هذه الاندورفينات الطبيعية ، وقليل من الناس حرمهم الله من كمية معقولة من الأفيون الطبيعي فأصبحوا نهباً للآلام .

لذلك تجري الأبحاث اليوم على قدم وساق لحل مشكلة هذه الأقلية بتنشيط الأفيون الطبيعي لديهم ، فلم يعد هناك أدنى شك في أن الألم والمتعة والانفعال ، لها إتصال بعمل الاندورفينات ، وعلى ذلك فإن القدرة على تحمل الألم العظيم قد تكون نتيجة لزيادة كمية الاندورفينات عما هي موجودة في الشخص العادي ، وكان أن تم منذ عام اكتشاف عائلة بأكملها من الاندورفينات أو المورفين الداخلي ، كما أمكن تركيبها خارج جسم الانسان ، ولكن بتكاليف باهظة ، حيث أن الجرام الواحد يكلف ثلاثمائة ألف دولار . وفي تقدم آخر لفهم طبيعة عمليات الشعور بالألم والصداع وضع الأطباء أيديهم على مفتاح جديد . . فعند عبور الألم من مصادره الأولى في أعضاء الجسم إلى المراكز العليا في الجهاز العصبي يمر الألم أو الصداع ببوابات متعددة . وهذه البوابات تسمح بأقذار متفاوتة من الألم حسب إتساعها ، فإذا كانت مغلقة خف الصداع أو الألم ، وإذا كانت مفتوحة على مصراعها زاد الصداع .

ويتحكم في فتح البوابات وغلقها أنظمة مراقبة وتقدير داخلية تراعى مصلحة الانسان ككل ، فمثلا تفتح بوابات الألم على مصراعها للألم الذي يهدد حياة الانسان - مثل الذبحة الصدرية أو التي تتطلب إجراء سريعا .

وهناك درجة من السيطرة يمكن أن يمارسها الانسان على بوابات الألم لديه ، ومن الأمثلة الصارخة التي يمكننا أن نقدمها في ذلك المجال ، ما يقوم به فقراء الهنود عند المشي على المسامير ، وما يقوم به الجنود في المعارك .

ان « الصداع » . . هذا الاحساس المزعج الذي يداهنا ، يتم التعبير عنه من خلال جهازنا العصبي والنفس ، وحيث الدماغ - كما نعرف - منطقة متسعة من الجسم ، وهي تحتوي على أعضاء كثيرة مثل المخ والأذنين والعيون وعظام الجمجمة وعضلات الوجه ، وقد اصطلح على أن أي ألم يصدر من هذه الأعضاء



● أصابعك .. علاج للصداع

أما أساليب معالجة الصداع فأمهما تجنب العوامل التي تسبب حدوثها ، واستعمال الأدوية أو العقاقير التي تخفف حدة الألم فور الشعور بحلول النوبة ، من جراء ظهور الأعراض كالإصابة بدوخة واضطراب أو هذيان ، أو إدرار البول أو الجوع غير العادي ، أو النشاط أو الكسل غير الطبيعي وخلاف ذلك ، ويجب على الذي يصاب بنوبات متكررة أن يحمل معه مسكنات الألم ويخلد الى الهدوء في غرفة هادئة وشبه مظلمة . وهناك عدة عقاقير يمكن تناولها ، وهي التي تحتوي على مادة « الأيرجوتامين » ، فهذا العقار يؤثر على قطر الأوعية الدموية بصورة عامة وفي الدماغ أو الجمجمة بصورة خاصة . وله أيضا تأثير على مستويات « الجيروتونين » العالية في الدم والتي يعتقد أن لها علاقة بنوبات المرض .

ومن العقاقير التي تحتوي على هذه المادة : ميجريل ، أفرجوت ، كافيرجون ، وفيمرجين . ولا يؤثر هذا الدواء إلا قليلا على الأعراض التحذيرية التي تنبئ عن قدوم النوبة . هذه الأعراض التي تنجلي تلقائيا خلال ٣٠ - ٦٠ دقيقة ولكن هذه العقاقير إذا استعملت بكثرة قد تؤدي إلى حالة (تسمم) في بعض الحالات .

علاج الصداع في « أصابعك »

والآن نأتى إلى العلاج الجديد للصداع . ونظرا لأهمية هذا المرض وخطورته على المجتمع .. أصدرت الجمعية البريطانية لأبحاث الصداع كتابا جديدا عن أسباب وأنواع الصداع وكيفية وطرق علاجه ، لما له من منغصات العيش لعشرات الملايين من الناس كما ذكرت مسبقا ، كما أن أحد علماء الطب النفسى بجامعة الينوى بالولايات المتحدة يقول ان للأسبرين أضرارا جانبية منها قرحة المعدة ، وسيولة الدم ، ورغم ذلك فإن الولايات المتحدة الأمريكية تستهلك مائة طن أسبرين يوميا .

لذا فقد بدأنا بإجراء تجربة جديدة على ١٢ مريضا من الأطباء ، وتم شفاؤهم جميعا ، وذلك من خلال الضغط على أربعة أماكن في الجسم ، ولكن يجب أن يكون لدينا إقتناع بأننا سوف نحصل على نتائج إيجابية .

١٣٠ م ، فقد جاء في تقرير وصفه « أنه ألم يتركز في قسم واحد من الرأس ، مع إعتلال ، ودوار ، وانزعاج شديد من الضوء وشعور شديد بالغثيان قد يصاحب حدوث النوبة » .

وبعد نصف قرن من الزمن ، استخدم « جالين » الكلمة الاغريقية (Hemicrania) التي تعنى (نصف الجمجمة) لوصف الصداع النصفى ثم تحولت فيما بعد الى (Migraine) وهي الكلمة المستخدمة حاليا .

ويعانى نحو ستة ملايين أو أكثر من البريطانيين - أى بما يعادل عُشر السكان هناك - من ويلات الصداع النصفى الذى يدوم أحيانا بضعة ساعات وأحيانا بضعة أيام ، كما يعانى عشرات الملايين من الأشخاص في العالم من هذا المرض ، ففى أمريكا وحدها يوجد أكثر من سبعة ملايين من السكان يعانون من الصداع النصفى ، ويلاحظ أن عدد النساء المصابات يعادل ضعف عدد الرجال خاصة أيام الحيض ، وهناك نوع واحد غير مألوف من المرض وهو الصداع النصفى العصبى يكاد يقتصر على الرجال . كما يصاب الأطفال من كلا الجنسين بهذا المرض وينفس النسبة ، وتزداد الإصابة به عند الفتيان بعد سن البلوغ .

ونوبات الصداع النصفى تأتى عادة دون سابق إنذار ، وتسبب في بعض الاحيان صحو النائم من نومه ، إلا أن لدى البعض حاسة تدلهم على حلول نوبة الصداع ، إذ يشعرون مثلا بدوخة أو اضطراب بصرى ، أو يشعرون بالجوع ، أو الرغبة الشديدة في أكل الحلويات وما شابه ذلك .

وتشير نوبات الصداع أسباب كثيرة ، منها التدخين ، وهبوب العواصف والأضواء الساطعة والأصوات المزعجة ، أو الضوضاء والروائح الشديدة ، أو تغير الطقس ، أو التأخر عن وجبات الطعام أو شدة حرارة ماء الاستحمام ، أو كثرة المهوم أما النساء فإن كثيرا منهن يعانين من الصداع أيام الحيض وعند استعمال أقراص منع الحمل . ويحدث الصداع أيضا من جراء تعاطى بعض العقاقير الكيميائية إما في الأدوية أو في الأغذية ، فالعناصر الأمينية الموجودة في الشيكولاتة والجبن وبعض المشروبات من العوامل التي تؤدي الى إثارة الصداع النصفى .



المنطقة الرابعة :

الضغط على جانب الرسغ تحت نهاية الأصبع الكبير (الإبهام) .
ولكن هناك شروطا للضغط . . . وهي أن يكون الضغط بطرف الأصبع وليس بجزء كبير منه وذلك لكي يكون الضغط بأصغر سطح من الأصبع :
- أن يكون الإبهام الضاغط متشيا بزاوية قائمة .
- اضغط بشدة ولا تنزعج لهذا الألم لأنه لن يستمر طويلا .

- اندا التجربة بالضغط لمدة نصف دقيقة ثم انتظر قليلا ، ثم أكمل الضغط مدة الدقيقة ، وذلك لانك لن تستطيع أن تضغط منذ اللحظة الأولى دقيقة كاملة من شدة الألم ، لكن بعد ذلك سوف تتحمل الضغط مدة دقيقة كاملة . ويمكنك ممارسة الضغط على اليدين فقط لمعالجة الصداع أثناء جلوسك في مجتمع ما دون أن يشعر بك أحد . إذا احتجت الى جرعة إسعاف سريعة لصداع طارئ اجعل كفيك متشابكين واضغط بالإبهامين على نقطتي حافتي العين . وإذا أصبحت خبيرا في عملية الضغط هذه يمكن بعد ذلك ان تستخدم اليدين فقط في علاج الصداع وذلك بأن « تفرصها » بشدة وهي منقبضة .

فلنجرب هذا العلاج يا عزيزي القارئ وليكن كل منا حكما من خلال تجربته لهذا العلاج ، خاصة وأن العلاج الكامل والناجع للصداع ما زال بعيدا عن التحقيق .

المنطقة الاولى :

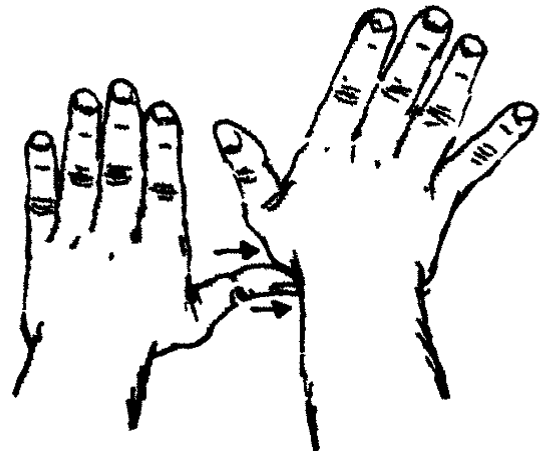
عند التقاء الحاجب بطرف العين ستشعر بوجود عظمة تكون الجدار الخارجي لتجويف مقلة العين . . . أخرج عن هذه النقطة في اتجاه أذنك مسافة نصف سنتيمتر أو سنتيمتر وابدأ الضغط ، ستشعر بأن الضغط على هذه النقطة بالذات يسبب لك ألما أكثر من الضغط على أى نقطة أخرى مجاورة . . . اضغط بالإبهام حوالى دقيقة واحدة ضغطا مستمرا وبالطبع على الناحيتين .

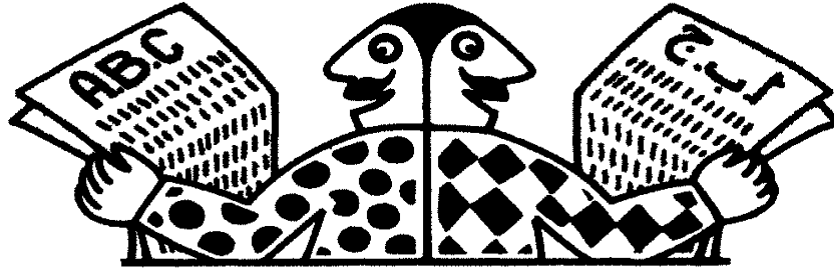
المنطقة الثانية :

- عند خلف الرقبة إنجه داخلها على العظمة الموجودة خلف الأذن وعندما تجد تمهيدا بسيطا تحت أصبعك تكون قد وصلت إلى النقطة المطلوبة . . . اضغط بشدة على هذه النقطة لمدة دقيقة واحدة .

المنطقة الثالثة :

وهي ضغط الإبهام بالإبهام لمدة دقيقة واحدة ايضا .





حكايات شرق وغرب

حكاية أم



وكان شعورها بالألم والعذاب يتضاعف ، كلما قصدت المتجر الصغير الذى تشتري منه ما تحتاج اليه من مواد غذائية ، فقد كان مدير المخزن ويدعى (جبرى) يذكرها بابنها . . كان جبرى شابا فى السادسة والعشرين ، نفس السن تقريبا التى بلغها طفلها الصغير الآن . . وكانت تجد السعادة فى تلك اللحظات القصيرة التى تقضيها فى الحديث اليه وهى تدفع ثمن ما اشترته من متجره وتعود الى بيتها الذى يقع قريبا من المتجر !

الى أن جاء يوم ذهبت فيه الأم الى المتجر كماعتها ولم تجد جبرى ، واستبد بها القلق . . ترى ماذا حدث له ؟ وقررت ألا تعود الى هذا المتجر ثانية قبل أن يعود

● كانت باتريشيا مارشال قد بلغت عامها الثامن عشر عندما رزقت بطفلها الأول بعد زواج قصير انتهى برحيل والد الطفل بعد ولادته ببضعة أشهر .

وتقدم أحد شبان المدينة الصغيرة بولاية ينوى الأمريكية بطلب الزواج من الأرملة الشابة ، ولكنه كان يحمل مع رغبته فى الزواج بها شرطا قاسيا : « لا بد أن تبحث الأم عن أسرة تتبنى الطفل الصغير لانه يريد أن يرى أطفاله هو عندما ينجبون ، ولا يريد أن يرى بينهم طفلا غريبا عليهم » .

وقبلت باتريشيا أن تفرق عن طفلها ، فقد كانت حياتها مليئة بالفقر والحرمان بعد رحيل زوجها الأول ، وكان لا بد لها أن تتزوج لتعيش ، ووقفت تودع طفلها الصغير وهى تبكى وتتوسل الى الوالدين اللذين تبنياه ان يرعياه ويعطياه كل الحب والحنان .

ومضت الأعوام ، والأم تنتقل مع زوجها بريان ماكدرموت من بلد الى بلد حتى استقر بها الأمر فى النهاية فى إحدى المدن الكبيرة فى ولاية أخرى تبعد مئات الأميال عن المكان الذى شهد بداية قصتها مع الأماسة التى بدأت تعيشها . . فلم ترزق باتريشيا بأطفال من زوجها الثانى رغم مرور عدة سنوات على زواجهما ، وبدأ الحنين الى طفلها الذى تخلت عنه يعذبها ويؤرقها . . ترى أين هو الآن ؟ كيف يعيش . . هل مازال يذكرها ؟ لقد افترقت عنه وهو طفل لم يتجاوز شهره التاسع ، وكانت تسخر من نفسها وهى تقف عند هذه الهواجس التى باتت تسيطر على كل تفكيرها .

وكانت الاستجابة سريعة . . وفي خلال أيام استطاعت باتريشيا ان تجمع المبلغ واسرعت به الى المستشفى حيث يرقد جيري . وأجرى له الاطباء العملية الجراحية التي انقذت حياته .

وفي غرفة سجلات المستشفى التي كان يرقد فيها الشاب المريض كان فريق من الاطباء يقومون باسعاف سيدة سقطت على الارض مغشيا عليها ، وفي يدها بطاقة تحمل اسم جيري وتاريخ ميلاده ، والمكان الذي ولد فيه واسم الاسرة التي تبته . . لقد كان جيري هو ابنها الذي تخلصت عنه منذ أكثر من ربع قرن من الزمان . .

قالت عندما افافت من غيبوتها : « لقد انقذت حياة ابني . . كفرت عن الذنب الذي جنيته لقد عاد الى ولدي » .

جيري بدوره اليه ، فقد علمت انه مريض وانه نقل الى المستشفى ، بعد أن قرر الاطباء انه في حاجة الى جراحة خطيرة وعاجلة ، ولكنهم لا يستطيعون اجراء العملية لانها ستكون مبلغا يزيد على الستين الف دولار .

وأحست الام بأنها قد تستطيع أن تساعد هذا الشاب الغريب ، ربما بدافع من الشهور بامومتها التي حرمت منها ، وذهبت الى البيت لتروي لزوجها قصة جيري مع المرض . . وكان الزوج بدوره كان يحس بالذنب لانه فرق بين أم وطفلها دون أن يحقق امنيته في انجاب الاطفال . فقدم لها عشرة آلاف دولار ، هي كل ما كان يدخره ، وحملت الام المبلغ وذهبت الى دور الصحف لتتشر نداء صغيرا الى اصحاب القلوب الرحيمة .

رصاصه في قلب الطبيب !

وتضميد جراحه . وعندما اطمأن عليه اتصل بالاسعاف الذي سارع بنقله الى المستشفى لاستكمال علاجه .

ونجا الشاب من الموت . أما الدكتور فرومان ، فقد أمسك بالسلاح الذي اشتراه ليدافع به عن نفسه وألقى به في البحر ، وكتب يقول : لقد قضيت حياتي كلها أضمد جراح الناس . وأحاول أن أعيد لهم نبض الحياة ، ولا أريد أن أختتم أيامي الأخيرة بأن أتحول الى سفاح !



● عندما أعلن الدكتور دارفينج فرومان التقاعد عن ممارسة مهنة الطب ، قرر البقاء في بيته الذي كان يعالج فيه مرضاه بالجنحة الذي كان مخصصا لاستقبالهم ببلدة كوينز بولاية نيويورك . ولكن الطبيب ما لبث أن اكتشف أن المكان الذي عاش فيه مدة تزيد على الثلاثين عاما لم يعد يشعر فيه بالأمان والهدوء . . فقد أصبح وكرا للصومس وقطاع الطرق والسفاحين .

ولم يجد فرومان من وسيلة لمواجهة موجة الجرائم في كوينز الا أن يمتلك سلاحا يدافع به عن نفسه ، وخاصة بعد أن تقدم به العمر فقد جاوز السبعين واشترى مسدسا ، ولكنه كان يرجو ألا يضطر الى استخدامه في يوم من الأيام ومهما كانت الظروف . ولكنه ما لبث أن وجد نفسه يوما يواجه الموت ، عندما اقتحم شاب باب بيته الخارجي في الفجر ، فما كان منه الا أن اطلق عليه رصاصة من مسدسه استقرت في صدره !

وسقط الشاب داخل بيته والدماء تنزف منه بغزارة ولم يكد الطبيب يرى ما صنعه بيده حتى أسرع الى أدوات الجراحة القديمة التي علاها الصدأ ، وأخرجها من مخزنها ، وراح يعمل بسرعة لانقاذ حياة الشاب

مدخنو السجائر « في المصيدة » !

الاساسية التي تساعد المدخن على مواجهة تقلبات الحياة ، وأن التثبث بالاعتماد على النيكوتين مرده تلك الآثار المتنوعة الكثيرة التي تترك بصماتها على المخ والجهاز العصبي .

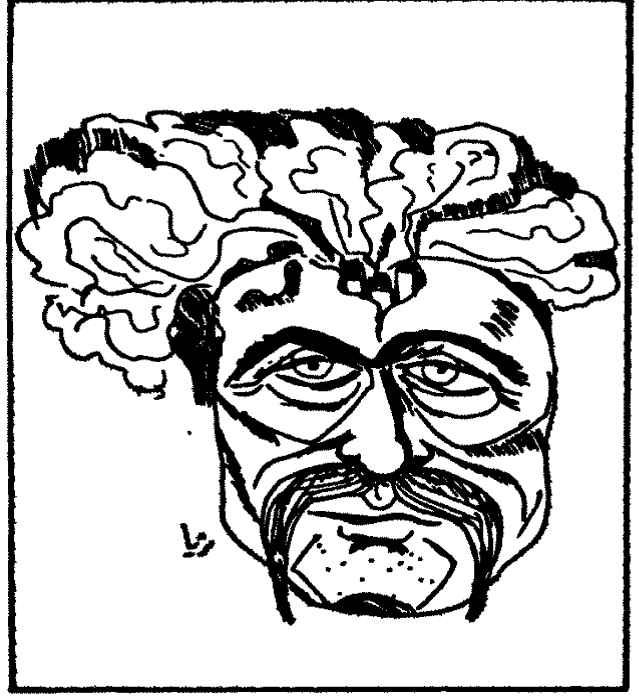
والنتيجة ان يبقى المدخن مرتبطا بالسجارة التي يلجأ اليها في كثير من الظروف التي تواجهه وهو يمضى في رحلة الحياة .

ثم هو يريد أن يجنب نفسه الشعور بالاضطراب الذي يحتويه عندما يبدأ النيكوتين في الاختفاء من دمه عندما يمتنع عن التدخين .

وبالرغم من ان الأبحاث تقول ان عشر سجائر في اليوم كافية لمنع أعراض الشعور باختفاء النيكوتين ، الا أنه من النادر ان تجد مدخنا يكتفى بهذا القدر من السجائر ، فهو يمضى في التدخين ، مادام قد عاد اليه ، لمجرد انه يجد متعة في التدخين ، لانه يغير من الكيمياويات الهامة التي تؤثر على مشاعرنا بالرغاية والاحساس بالتعويض ، كما ان هناك أدلة على أن التدخين يسهم في تسهيل المهام الصعبة ويساعد على شحذ الذاكرة ويقلل من الشعور بالتوتر والقلق ويضعف من قوة الاحتمال للألم والجوع !!

هل هي دعوة الى الاستمرار في التدخين ؟ يقول الدكتور ريشارد بولين مدير المعهد الوطني لبحث آثار المواد المخدرة وسوء استخدامها : « ان التدخين اصبح اليوم أخطر أنواع الادمان في العالم وأكثرها شيوعا ! »

انه أكثر خطورة من الادمان على الهيروين . وبالرغم من هذه المعلومات العلمية الدقيقة عن أثر تدخين السجائر وما تصنعه بالانسان ، الا أن العلماء يقولون انهم لم يتوصلوا حتى الآن الى تفسير واضح محدد للاستمرار في التدخين بشراهة ، كما أنهم لم يتوصلوا الى وسيلة لاقلاع المدخن عن التدخين ، ولن يفلحوا في التوصل الى علاج للمدخنين بالرغم من المحاولات التي بذلت وما زالت تبذل وان ابتكار أنواع جديدة من السجائر الحالية من النيكوتين خرافة علمية . (اقرأ عن التدخين في مكان آخر من هذا العدد) .



● الأبحاث الأخيرة في سيكولوجية التدخين بدأت تفسر لنا ذلك الاصرار الغريب على الاستمرار في التدخين . ويقول الباحثون انه بالرغم من تزايد الأدلة على الخطر الشديد الذي يتعرض له المدخن ، والآثار السيئة التي يتركها التدخين على الصحة ، فلا تزال السجارة حيث كانت دائما بين الأصابع والشفاه ، ولا يزال دخانها المحترق يملأ صدور المدخنين الذين يهربون من التحذيرات .

وفي احصائية أخيرة نشرت في نيويورك جاء: ان ثلث الأمريكيين البالغين قد أحرقوا ما يزيد على ستمائة بليون سجارة خلال عام ١٩٨٤ ، وأن أربعة من بين كل خمسة من المدخنين يريدون أن يقلعوا عن التدخين ، ولكنهم لا يلبثون أن يجهلوا أنفسهم وقد عادوا الى السجارة من جديد بعد محاولات عديدة للتخلص من عبودية السجارة .

لماذا ؟ ما الذي يعطى السجائر هذه السطوة القوية على المدخنين ؟ ان البحوث الأخيرة تؤكد أن التبغ يحمل خصائص فريدة تجعل منه عاملا من العوامل

هل تتحقق الاحلام ؟

وأنا - الى مقدمة الطائرة حيث يجلس القبطان لنحذره من احتمال اصطدام سفيتنا بالنيزك .

ولكن القبطان كان رجلا غريب الأطوار ، انه لم يصدقنا ، كما هي عادة جميع القباطنة الذين يعتدون برأيهم ، ويعرفون كل شيء ! فما كان منه الا أن ابتسم في أدب ولم يتحرك من مقعده حيث كان يجلس وقد تدلى المسدسان اللذان يحملهما من جيبه !

ثم قال اناتولى : « ولكن يبدو أنه ادرك اخيرا حقيقة الموقف ، واستطاع بمساعدة بعض القباطنة الذين كانوا معه أن يغيروا مسار سفيتنا قبل فوات الأوان » .

وبنى ابن وزير الخارجية السوفيتي حديثه عن حلمه بتوله : « لقد آمنت بعد هذا بأن الأحلام لا بد أن تتحول الى حقيقة . . لا بد من انقاذ السفينة ! »

● روى البروفسور اناتولى جروميكو بن اندريه جروميكو وزير خارجية الاتحاد السوفيتي ، تفاصيل المغامرة التي رآها في حلمه ، وكان بطلها رجلا يشبه الى حد كبير رونالد ريجان رئيس الولايات المتحدة الامريكية !

قال البروفسور اناتولى ، وهو دبلوماسي سابق محدثا أعضاء معهد البحوث الدولي للسلام في استوكهلم ، انه رأى في الحلم انه كان بين ركاب سفينة فضاء يقودها قبطان يحمل مسدسين في جيبي سترته ، وهي الصورة الكاريكاتير التي تنشرها الصحف السوفيتية للرئيس الأمريكى ريجان .

ومضى اناتولى يكمل ما شاهده في حلمه قال : « ان السفينة كانت (كوكب الارض) وكانت متجهة بسرعة الى أحد النيازك الذي يحمل اسم (سباق التسلح) ، واسرعنا - مجموعة من ركاب السفينة ،

الرحلة الاخيرة !

الغرفة الصغيرة التي يسد فيها النزلاء نفقات علاجهم واقامتهم وقدم له الموظف المسئول فاتورة الحساب . . وما كاد الرجل يلقي نظرة سريعة عليها حتى سقط على الارض مغشيا عليه . . وجاء الطبيب مسرعا لاسعافه بالعلاج ، ولكنه ما كاد يقترب من صدره ليفحص دقات قلبه ، حتى ارتد مذعورا . . لقد مات ادوارد هيل . . مات من الصدمة ، والقي نظرة سريعة على الفاتورة التي كانت لا تزال بين اصابعه ، فاذا به يقرأ : (٣٨ ألف دولار مجموع نفقات العلاج والاقامة بالمستشفى) .

● قال له الاطباء في مستشفى (هوستون) بولاية تكساس : « لقد زال الخطر تماما وتحسنت صحتك وتستطيع أن تغادر المستشفى في أى وقت تشاء » . وبدأ ادوارد هيل - وهذا اسمه - يجمع ملابسه ويستعد لترك فراشه الذي أمضى ثلاثة اسابيع راقدا عليه تحت العلاج من نوبة قلبية اصابته وهو يقترب في رحلة الحياة من عامه الستين . .

وحمل هيل حقيبتة الصغيرة وراح يبط الدرج مسرعا وقد أحس أنه ولد من جديد . . وكانت وجهته

الزوج المثالى

الرجل الأصلع زوج مثالى ! هذه هي نتيجة الاستفتاء الذي قام به عالم النفس المجرى الدكتور استغان بوكرا لأكثر من ثمانمائة زوجة على مدى خمس سنوات كاملة . فقد أجمع ثلاثون في المائة من الزوجات على إنهن يعتبرن أنفسهن أسعد زوجات في العالم ، وعندما التقى بوكرا بازواجهن الذين نجحوا في اسعادهن ، وجد أنهم جميعا قد فقدوا شعر رؤوسهم !



قصة : جار النبي الحلو

في سيارة الأجرة قالت أمه - السيدة ذات الشال -
والتي يشبهها تماما ما عدا شعره المجعد :
- كم لعبت بذلك المنزل وأنت صغير ، وكنت تقعد
على حجر جدك حتى تنام ، ويشيلك الله يرحمه حتى
السريـر ، ويلفك بالسروب الحريـر ، وتنزل ستائر
(الدانتلا) عليك فتبدو كملاك نزل حالا من
السماء .

صرخت العجوز وهي تمسح شعرها :
- يا ساتر . . العناكب تفرش السقف والاركان ،
انظري النجفة

كان المكان مظلما تماما ، رطبا ، تقدم الشاب ،
فتح الشباك بصعوبة ، فأحس باندفاع هواء جديد .
قالت خالته العجوز :
- الآن نفتح كل النوافذ ، ثم نبدأ في التفتيش .

عندما انفتح الباب نفتحت الشقة رائحة زمن 
قديم ، وأنفاسا محبوسة ، فاح عبقتها المخزون
مع هواء عطن ، وضعت السيدة ذات الشال يدها
على أنفها الدقيق ، وقالت الأخرى العجوز بينما تدير
وجهها نحو الشارع الضيق :
- زمن طويل يا أختي .
وتهدج صوتها ، ثم قالت :
- الله يرحمك يا بابا .

قالت السيدة ذات الشال بصوت مسموع يصطنع
الحزن:

- الله يرحمك يا بابا .
بينما تقدم الشاب بتؤدة ، عدل رباط عنقه ذا
الدبوس المذهب ، واندesh لأنه لم يتذكر المكان
أبدا .

كانتا تتفاخران في الماضي بأنهما لن تبيعا البيت ،
ويتردد دائما في الأحاديث والجلسات :
- بيت بابا .

وظل بالفعل شاهدا على أنها ليستا في حاجة له ،
وأنها لا تطمحان في ارث . . . كانت هي تحكي :
- لما مات بابا وجدوا في جيب بيجامته ورقة بمائة
جنيه ، وأعدنا له (عتاقة) لم يشهدها الشارع ،
وأحيا تلك الليلة الشيخ محمد رفعت .

خلع الشاب الجاكته ، ووقف فرأى في منتصف
الصالة صورة جده في اطار من الخشب لونه بني
غامق ، اقترب فرآه برأسه الاصلع واسنانه المكسرة ،
وكانت ابتسامة حقيقية تشع من وجهه العجوز .

أخرج الشاب منديلته الأبيض ومسح الصورة من
تراب السنين ، فأتسعت ابتسامة جده .
صرخت ذات الشال :
- يا بابا .

قالت العجوز وهي تغلق عينيها بجفنين
مترهلين :
- كفى يا أختي . . زمن بعيد . . هيا .

ونفضت وفتحت باب الحجره الكبيره . . زيق
الباب ، وكانت الظلمه ، تقدم الشاب مسرعا وأضاء
الحجره مصباح مترب ، فرأى السرير وعرف أنها
حجره النوم ، ورأى أنها حجره بسيطه ، وليس فيها
ما يبهر ، همس :
- حجره عاديه .

سمعت أمه ، التفتت في حده ، قالت خالته بلا
اكتراث ، وهي تنظر لأمه معاتبه :
- ألم أقل لك .
قالت أمه بهمس كالفحيح :
- أنت لا تعرف شيئا . . كانت أفخم حجره نوم . .

بابا الله يرحمه اشتراها من اسطنبول .
تصوره دائما - كان - لبيت جده أنه ذو بوابة ضخمة
ودرجات سلم عاليه . ولكن الباب الخشبي والهواء
العطن والظلمه جعلوه لا يفهم ، وتوتر .

صاحت خالته :
- لا تفضحنا ياباش مهندس ، انتظرنا كل هذه
السنوات ، قافلين على باب أبينا سره وسرنا .
استندت الأم بيدين معروقتين على شبك السرير
الخشبي وقالت :

فتح الشاب النافذتين الوحيدتين في الصالة
والحجره المطله على الشارع ، وسعل ، وحين هم
بالجلوس ، نظرت له الأم مشيرة للخالة ، وأحس في
عيني أمه قسوة ، كان المقصود هو متابعة الخالة حتى
تتم قسمة الاشياء مناصفة ، ان لم تكن هي الفائزة .
الصالة واسعة عالية الجدران ، لها مائدة طويلة
وكراس من النوع القديم ، وكنبه مبطنه ومنجده
بالقطن ذات تليسة من القטיפه الحمراء . لم يتذكر
المكان أبدا .

لم يحك له أبوه عن بيت جده ، كان يقول انه تزوج
بأمه من بيت خاله الكبير ، الذي توفي بعد زواجهما
بشهر ونصف ، لم يحك ، وهو على الأرجح لم يأت
لهذا المكان أبدا .

- في العيد كنت تلبس البدلة الضباطي والكاب
وتذهب لجذك فيعطيك العيدية ورقة بخمسة
جنيها ، وتظل عنده يوم العيد الأول لتأكل الديوك
الرومية والبط ، واللوز والجوز .

لم يتذكر أبدا ، عندما مات جده كان صغيرا لا
يتذكر سوى البكاء ، والسرادق الفخم الذي سد
الشارع ، وأن أباه كان يأخذه الى المطبخ ليأكلا - بين
الحين والآخر - دون ان يراها أحد .

أقسمت أمه أن البيت ذا الطابق الواحد لن يباع
مدى الحياة ، لأنه الذكرى الباقية لأبيهما الذي رباها
أحسن تربية .
كانت خالته تقول :

- بابا الله يرحمه اشترى لي من باريس حذاء أبيض
وشمسية بيضاء . . ولكن الزمن الأغبر . .

وضعت أمه الشال على كرسي متسخ ، فبان
القرط والخواتم والعقود الفالحو ، وكانت تبرق ،
وضعت ساقا فوق ساق ، قالت الأخت الكبرى .
- كما قلت قبل ان نأتي : النجف . . النجف من
نصيب .

حين سأل الشاب أمه الليلة الماضية :
- لماذا قررنا بيع البيت ؟

قالت وكانت قلب مجله بعصية :
- ان العقارات ارتفع ثمنها ، ومن سيشتريه سيحول
لعمارة . . هذا مكسبنا . . ثم . . ان الحى أبقي من
الميت .
ورمت المجلة .



والطانية المؤطرة - (الستان) رمتها الحالة من الباب الى الصالة ، وتحدثت بهمس ومرارة :
- شفقي يا אחتي البطانية التي اشتراها زوجي من بورسعيد الأسبوع الفائت .. أو البطانية التي أهداها لنا (سلفي) وهو عائد من السعودية .. حاجة تهوس !!
غمزتها الأم قائلة :

- الدنيا تغيرت ، هل تريدین زمن أبیک كزمن بورسعيد ؟ الدنيا تغيرت يا אחتي . في أعياد الميلاد والافراح ، وفي استقبال الراجعين من السعودية ، وفي كل المناسبات كانتا تتكلمان عن بيت الأب المخلق بالمفتاح ، عن طوابقه وأشجاره وأثاثه ومن كنوزه ينبهر السامعون ، هو نفسه كان مبهورا ، وبعد أن أصبح مهندسا مدنيا أفضى لأمه بشوقه لرؤية بيت جده ، قالت :

- مات أبوك وكانت أميته أن يرى بيت حدك .. فاهم .. إياك ان تلفظ .

لما عرف بحكاية بيع البيت وأن أمه وخالته اختاراه من بين جميع الأهل ليذهب معها لأخذ الأشياء الثمينة قبل البيع ، كان في حلم وشوق لرؤية المرايا التي تزين الجدران ، والسجاجيد العجمية ، والزجاج الملون ، والنجف الكريستال ، والكنبة ذات الكنوز .

انحنى ولمس بيسده السجادة المفروشة على الأرض .. من النوع العادي .. ولا تبدو نقوشها واضحة .

كانت أمه تقول عندما تزعل مع أبيه :

- أنا من عائلة ، لو دخلت بيت بابا الله يرحمه كنت تنكسف من نفسك .

اندفعتا تفتشان في الدولاب وتمجدبان المراتب ، رمت الأم الوسادة ذات الزهرة على الجانب الآخر ،

- لا تكن فضوليا مثل أبيك .. هذا كنزنا الذي نعيش به .

اتجه الى الحائط حيث شماعة خشبية عليها بيجامة مقلمة ، متسخة قليلا (عندما مات وجدوا في جيبه ...) .

ارتفع صوتاهما مختلفا على بعض الجلابيب والبيجامات وملاءتين للسريير . قالت الخالة : - خذي ما تريدين .. سأخذ النجف .

خرج مسرعا للصالة ، لم تكن سوى نجفة واحدة من الزجاج الهاديء اللون . كانت هي تحكي :

- عند بابا نجف كريستال .
- عند بابا ثلاث فازات من الصين أيام كان يطوف العالم .

بالنجفة الزجاجية ثلاثة مصابيح .
خرجتا من الحجرة ، قالت الخالة :

- سأخذ النجفة وأبيعها في أول محل ، وخذي ما تريدين على شرط بيعه قبل وصولك للبيت .

اتجه الشاب الى الكنبه ذات القطيفة الحمراء الانيقة ، وكانت يباين صغيرين ، جاهد في فتحها وهويركز على ركبتيه . قالت له أمه :

- ماذا تفعل ؟ ربما تفزعك الفيران .
اندهش كثيرا .. هي ليست كنبه الكنوز اذن !

حاول مرة اخرى فتح الباب ، حتى انفتح عنوة . مد يده يتحسس ، قال لخالته :

- أصبىء النجفة من فضلك ياخالتي .
قالت : النجفة لا تضيء يا روجي .
مد يده بتوجس وقلقى ، تحسس كتباً ، عبث بيده ليتأكد ، ثم أخذ يخرجها كتابا كتابا .

لا يتذكر أن أمه قالت على جده أنه كان يقرأ الجريدة ، رغم انها في كل صباح تنادي على بائع الصحف وتقول - وهي ما تزال بقميص النوم -

الجورنال بسرعة .
جلس على الأرض تماما . كتب في الأدب والموسيقا . كتب ضخمة وصغيرة ومجلدة ومنزوعة الجلد .

قالت الأم وهي تنهد :

- قم .. بلاهم .
امتلات الصالة بالكتب التي تخرج منها رائحة

قديمة نفاذة ، تصور للحظة أن يشتري مكتبة ويضعها في صالة بيتهم ، ويجلس بجوارها كلما زارهم أحد ، وتصور نفسه أيضا وفي يده (بابب) وكلما تحدث يشير به للمكتبة .

قام متلهفا الى أمه التي كانت تتناقش مع خالته عن : من سيدفع أجرة العرببة التي ستحمل هذا الكوم من العفش والهدوم القديمة .

- أمي سأخذ الكتب .
زعقت فيه :

- ولد .. لا تفضحنا .. قلنا لك هذا سرنا الذي به عشنا .. لن نعرض زبالتنا على الناس .
نهضت الخالة ، مسحت وجهها العجوز بمنديل صغير ، وقالت لأمه :

- كوني عاقلة ، سأذهب وأعود برجل يشتري ما في الشقة ، ونخرج بالمفتاح ، وبعد ذلك تتم عملية البيع بسهولة ، ولا تنسي أن تحطمي الاطار وتحفظي بصورة أبيك .

وخرجت ..
اتسخ قميص الشاب وينظفونه من زحفه وراء الكتب التي لم يرها في حياته ، هو يشتري مجلة السينما ومجلة الشبكة ، وبنات عمه وبنات خالته وبنات العمارة ، كلهن يعولن عليه في شراء أشرطة أفلام الفيديو ، لكن ولع ما أصابه هذه اللحظة من هول

الكتب . جعله ينهض على مهل ، وقال مشيرا للحجرة مغلقة :

- وهذه الحجرة !
قالت بلا اكتراث وهي تدعك جبهتها بإصبعين مرتعشتين :

- افتحها .. لن نجد فيها شيئا .. كانت حجرة جدك وأصحابه ..

فتحها بشغف فوجدها مفروشة بالحصر ، وفي الركن مكتب صغير بثلاثة أدراج ، وفوق المكتب ما جعله يفزع حقا ، اذ رأى (عودا) اقرب منه ..

حمله .. أزاح عنه التراب بمنديله ، مسح جيدا .. داخله احساس غريب بالمكان والجد والعود ، فتح النافذة الصغيرة فأطلت شمس باهتة صفراء ، جلس على الحصيرة ، واحتضن العود لمست أصابعه الأوتار فاهتزت ، وحاول .. حاول عبثا أن يخرج نغمة

صحيحة . □

الأجنة المجمدة

...حوار المسنفيل

بقلم : الدكتور عامر هشام جعفر

منذ ولدت طفلة الأنابيب الأولى قبل أكثر من ست سنوات تفتحت آفاق جديدة أمام علوم الطب والوراثة والأجنة .
عن امكانية الاخصاب خارج الجسم ، وعن الأجنة المجمدة ، وعن آفاق المستقبل . . اقرأ هذا المقال .

وإذا كان القارئ الكريم قد سمع عن أطفال الأنابيب (الأنابيب : تعبير يقصد به أنبوب الاختبار ، وهو أداة يكثر استعمالها في المختبرات العلمية) ، ويعرف أن الطفلة البريطانية لويز براون هي أول طفلة أنبوب ، ولدت في يوم ٢٥ تموز ١٩٧٨ حيث احتفلت بعيد ميلادها السادس في تموز من العام الماضي ، فإنه دون شك يعرف أن هناك اليوم مئات من الأطفال الذين ولدوا بعد تخصيب بويضات أمهاتهم في الأنابيب ، حيث كان هناك ١٣٨ طفلاً من هؤلاء الأطفال في بريطانيا وحدها حتى بداية عام ١٩٨٤ .

مما لا شك فيه ، أن تطورات عظيمة قد حصلت في مجالات الطب المختلفة في سنواتنا هذه (بدايات العقد الثامن من القرن العشرين) ، وخاصة علوم التشخيص والعلاج لأمراض الانسان . ويظل التطور سنة الحياة . . وسنة الطب في حاضر الانسان .

وضمن التطور ما هو متميز ، ونقصد بذلك تطورات الطب في علوم الولادة والتوليد ، وقبل ذلك في علم اخصاب البويضة ومعالجات العقم عند أي من الزوجين .

إخصاب البويضة

وللطب تفسير لتخصيب بويضة الأنثى في أنبوب الاختبار . فكما هو معروف ، هناك حالات مرضية عديدة تمنع إخصاب الأنثى داخليا ، فقد تكون أنابيب مبيض الأنثى مسدودة ، مثلا نتيجة الإصابة بحالة مرضية معينة أدت الى حدوث ضيق في قطر قناة المبيض ، مما يمنع مسار (حيامن) الذكر خلال هذه القناة فيستحيل الإخصاب ، ويستحيل بالتالي تكون جنين .

وإذا كانت الأنثى تحمل في تجويف جهازها التناسلي أجساما مضادة (لحيامن) الذكر ، استحال الإخصاب كذلك . وهو يصعب إذا كانت نسبة معينة من (حيامن) الذكر غير فعالة أو خاملة . وقد تغلب الطب على كل هذه الحالات بواسطة إخصاب البويضة خارج الجسم (أي في أنبوبة الاختبار) ، وفي ذلك معنى . . وفي ذلك فائدة .

لقد استطاع أطباء التوليد في العديد من المراكز العلمية العالمية استعمال المنظار الداخلي الخاص ، وهو عبارة عن ألياف ضوئية مزودة بعدسات للرؤية ، لغرض إدخاله عبر التجويف السطحي للأنثى ،



في البداية لا تريد نطفة الانسان عن ١٣ مليمترا ويبدو الحوض حيث ستخرج منه القدام .

وفحص مبيضها ، واستخلاص بويضة واحدة أو أكثر من المبيض ، وفي وقت محدد ، لغرض إخصاب هذه البويضة بعد وضعها في أنبوبة اختبار وفي وسط حياتي متوازن ، يحافظ على حيوية البويضة الأنثوية ، حتى إذا خصبت البويضة في الأنبوب ، أرجعت بجهد الأطباء مرة أخرى الى تجويف رحم الأنثى التي تستلقي براحة لعدة أيام حتى تساعد على ثبات البويضة المخصبة في تجويف الرحم لتبدأ عملية الانقسام الخلوي فيتكون الجنين . . وتستمر الحياة . وقد وصل الى الاسماع في نهاية عام ١٩٨٣ أن أول طفلين من أطفال الانابيب قد ولدا في الصين ، وذلك في مقاطعة هونان الوسطى ، حيث كان أول الطفلين بتسا وزن ٣.١ كغم في حين كان الطفل الثاني يزن ٣.٤ كغم . وفي الصين وفرة بشر لاتعد لها وفرة في أي بلد آخر ، ولكنه تقدم العلم ، أراد أن يستدل عليه الصينيون ففعلوا !

التجميد

ومادام التطور سته ، فإن أمر الإخصاب خارج الجسم لم يتوقف عند هذا الحد ، فقد رأى خبراء الطب أن القليل من خصبت بويضاتهن في الأنبوبة قد ثبت عندهن الجنين بعد ارجاعه الى ارحامهن . فكان ذلك مبرراً لأن تنطلق فكرة تجميد الجنين بعد إخصاب البويضة في أنبوبة الاختبار .

إذن ، فهي عملية حفظ وتخزين للجنة تحت درجة حرارة تقرب من ٢٠٠ درجة مئوية تحت الصفر ، وفي غاز نيتروجين مسيل يضمن هذه الدرجة الباردة جداً ، فيحفظ الحياة لبويضة مخصبة لأشهر ، بل لسنوات ، تكون خلالها محفوظة بأمان لتزرع في زمن يعينه الطب في رحم الوالدة، فينمو طفلا بعد أن كان خلية مجمدة . .

وهكذا سمعنا في العام الماضي ، ١٩٨٤ ، ومن ملبورن في استراليا عن مولد أول طفل أنابيب في العالم بعد أن كان جنينا مجمدا لمدة شهرين . حيث ولدت

• حيامن اختصار لكلمتي الحيوان المنوي .



هنا تم تكوين الجنين وأصبح
مخلوقا أو إنسانا متكاملًا في الشهر
السادس وهو داخل المحيط،
يتنفس ويتغذى سائل الأمنيوتك
الذي يسبح فيه !

ومن متابعة مجريات هذا الموضوع علم أن هناك خمس سيدات أخريات يحملن حالياً أجنة مجمدة ويتتظرن الوضع بعد عدة أشهر . .
إلا أن مشاكل برزت من جراء الزراعة والتجميد . . فقد يتوفى والدا الجنين المحفوظ بالتجميد ، وقد يفصلان ، فمن سيكون المسئول عن الأطفال في هذه الحالة ؟

وإن كان الطب قد حفظ بالتجميد حياة جنين فهو لا يمكن أن يحفظ الحياة بالتجميد ولا بغيره . .
ومن هنا كان لابد لرجال القانون والطب والفكر من إعمال الذهن وإيجاد الطرق الأصولية لحل ما قد يترتب على ذلك من مشكلات ، فيحافظ العلم على ماحققه من تطور لخدمة البشرية ، كما يكون ذلك طريقاً لتجاوز مشكلات وتعقيدات يظل الإنسان في غنى عنها .

ومنذ بدايات العام الماضي بدأ فكر الغرب بالاستعداد لمشاكل الأجنة المجمدة . ومازال الحوار محتدماً في المراكز الطبية العالمية . وهم على حق . . فهل يكون لنا نصيب في حوار الحاضر ؟ وهل يكون لنا نصيب في حوار المستقبل ؟
لقد ظهرت بدايات في بعض أقطار العروبة . .
□ ولكل طريق بداية . .

الطفلة (زوني) في المركز الطبي في ملبورن بعملية قيصرية ، ووزن ٢ر٥ كغم ، وبحالة صحية جيدة ، بعد أن ظل والدا الطفلة يحاولان دون جدوى ولعدة أعوام انجاب طفل ، حتى لقيا العون في أحد مستشفيات استراليا ، فخصبت بويضة من الأم ، بحيامن الأب ، في أنوبة اختبار ليحفظ الجنين بعد ذلك ، ولمدة شهرين ، في النيتروجين السائل وتحت درجة حرارة ١٩٦م تحت الصفر قبل أن يررع في رحم الأم . .

وفي آب الماضي وضعت امرأة استرالية أيضاً ثاني طفل أنابيب في العالم من جنين مجمد ، وعرف حينها ، أن هذا المركز قد قام حتى ذلك التاريخ بتجميد ٢٣٠ جنينا في برنامج خاص بموضوع الاختصاص الخارجي للبويضات ، وضعت في جدولته قرابة ٢٠٠٠ امرأة استرالية لا يستطعن الحمل بصورة طبيعية ، أو أن أزواجهن مصابون بالعقم .

وقد حاول الطب الحصول على أكثر من بويضة أنثوية واحدة من مبيض المرأة من خلال استخدام عقاقير تحتوي على هرمونات معينة ، تزيد من إنتاج البويضات مما يتيح تخزين بويضات مخصبة أكثر ، عن طريق التجميد ، إضافة إلى أن تجميد الأجنة أتاح الفرصة الكبرى لدراسة أمراض الأجنة ، وهي خلايا في طور الحياة الأول لدرء المرض قبل حصوله واستفحاله . .

العودة !

كلنا يحمل في عروقه نسبة معينة من الملح في الدم . . في دموعنا عندما نبكي ، وفي عرقنا عندما نبذل جهداً . . اننا جميعاً مرتبطون بالبحر . .
وعندما نذهب إلى مياهه لنسبح فيها أو نبحر فوق صفحتها أو حتى نقرب منها لتأمل الأمواج الصاخبة ، يتأبنا هذا الشعور الغريب بأننا قد عدنا إلى نفس المكان الذي جئنا منه !

(جون كنيدي)

«رمضان كريم»
«عدد خاص»

اقترا
في العدد
القادم من
الحرب

□ «العربي» تدخل «بروناي»

أول استطلاع بالألوان داخل .. سلطنة التحديات
سليمان ظهر

عبد الرحمن الداخل
و ١٢٠٠ عام على
دخول الأندلس

ذكريات
رمضانية

الحاجة إلى
الإسلام
في هذا الزمان

د. عفيف بنسي

عبد الرحمن الشقادي

د. أحمد كاك أبوالمجد

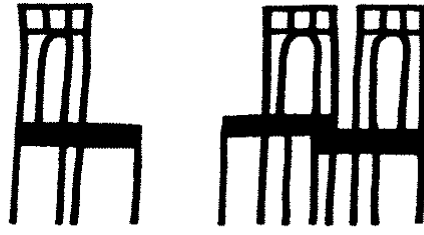
مع مقالات خاصة عن «رمضان» لكبار الكتاب
واقراً: □ موضع تراشفاينا .. للكاتبة بنت الناطق
□ ترجمات القرآن .. للكاتبة من العارضة
□ ١٠٠ عام على تقسيم أفريقيا .. للكاتبة محمد الأمين البشير
□ الكوفة .. تسج من التاريخ والأساطير والشهادة
قصة مدينة : استطلاع ملون - محمود عبد الوهاب

□ البيت العربي .. ملف كامل عن شؤون وشجون هذا البيت
□ مع الأبواب العلمية واللغوية والطبية والقصة والشعر

وتقرأ أيضاً للكتاب :

د. محمد الرميحي - د. فاطمة القريباني - د. صلاح بركات
د. فتحي مجدلاوي - د. حسن فريد أبوغزالة - عباس خضر - وغيرهم

منتدح العرب



قد يستغرب البعض كيف أن متخصصا في ميدان التاريخ يكتب عن المستقبل ، بينما المعروف أن التاريخ يتعامل مع الماضي ، وقد يغالي بعض المهتمين بالتاريخ في نقد كاتب هذا المقال ، من منطلق فهم التاريخ على أنه يتعامل مع الزمن الماضي وأحداثه وفكره ، ومن ثم تكون دراسته عن طريق مصادره ووثائقه بينما المستقبل ليس له وقائع أو وثائق ..

قضية

تاريخ المستقبل

بقلم : الدكتور عبد المالك خلف التميمي

التفكير الجاد بالمستقبل

لقد بدأت الدول المتقدمة الاهتمام بالمستقبل والتفكير الجدي به بعد الحرب العالمية الثانية . ومنذ ذلك التاريخ حتى الآن تفاوتت نظرة المفكرين والمجتمعات والحكومات الى المستقبل حسب طبيعة النظام الاجتماعي السائد ، أو الفكر الايديولوجي . وبدون شك فإن المجتمعات - أيا كان النظام السائد فيها رأسماليا أو اشتراكيا أو ناميا - لديها تطلعات مستقبلية وتسؤلات منهجية ومشروعة عن مصيرها ، ومحاولات التفكير والاعداد للغد تتراوح ما بين جادة وواضحة للبعض ، وقلقة وغامضة للبعض الآخر ، وربما معدومة أو شبه معدومة لطرف ثالث ، لكنها في مجملها تحمل دلالة على أن الاهتمام بالمستقبل أخذ يحتل مكانه في نفوس وفكر الافراد والجماعات البشرية المعاصرة . ولربما يعود ذلك الى ضغط ظروف

الاهتمام بالمستقبل اهتمام حديث ، وهو لا يعني المتخصصين أو العاملين في حقل التاريخ فحسب ، ولكنه يعني كل من لديه حس وطني ويؤمن بتطور المجتمع وتنميته ، وضمان استقراره وأمنه وبنائه في الحاضر والمستقبل ، أي يعني المختصين والثقافين ، وكذلك الانسان العادي صانع التاريخ الحقيقي . ونعود الى سؤالنا : هل يمكن للمؤرخ أن ينظر الى المستقبل ؟ وإذا لم يكن من حقه ذلك فلماذا تخصص في التاريخ ؟ هل يعمل حفارا للقبور ويقدم لنا قصصا ومواعظ ، أم ليحلل التجارب التاريخية ويستنتج منها ما يفيد المجتمع في الحاضر والمستقبل ؟ هذه الاسئلة وغيرها نحاول في هذه المقالة الاجابة عنها كمدخل لحوار في هذا الموضوع ، خدمة لوطننا ومجتمعنا العربي الذي يتلمس طريقه نحو المستقبل ، وسط ركام هائل من التخلف والارث التاريخي المجيد والمرير معا .

الواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والعلمي . وهذا الاهتمام لا يمكن أن يحدث بدون تطور في الوعي لدى عامة الناس ، سواء كان ذلك بسبب انتشار التعليم أو ضغط ظروف الواقع على الانسان المعاصر أو نتيجة لدراسة عميقة لبعض تجارب الماضي أو لأي سبب آخر .

قد يرى البعض ونحن بصدد الحديث عن تاريخ المستقبل أن هذا التفكير يتناقض مع فهمنا للتاريخ على أنه علم المتغيرات التي حدثت في الماضي ، وهذا يتطلب منا أن نوضح بأن أي تصور أو كتابة للمستقبل لا يمكن أن تكون كاملة ودقيقة بكل معالمها ودقائقها ، ولكنها تضع ملامح صورة المستقبل وتحدد أبعادها وإطارها التقريبي ، وتترك مجالاً للمستجدات والمتغيرات التي هي حتمية في المستقبل . كما أن تصور المستقبل والاعداد له لا يتناقض مع التعامل مع الماضي لأن أصول المستقبل تكمن في الماضي والحاضر ، وأن المستقبل في يوم من الايام سيصبح حاضراً وماضياً .

ان تاريخ المستقبل يعبر عنه اليوم بالتخطيط . فنحن عندما نخطط لمستقبلنا نرسم خطوط تاريخنا المقبل ونكتبه مقدماً . فعندما نضع خطة خمسية أو عشرية مثلاً في مجال من المجالات فنحن بذلك نكتب تاريخ المستقبل في هذا المجال أو ذاك ، أو بمعنى آخر نرسم المسار الذي ينبغي لنا أن نتبعه . وعلى هذا يمكن أن يقال ان الصحافة بجهودها اليوم تسجل تاريخنا . وان دراسات مراكز التخطيط وجهود الافراد في هذا المجال انما هي سجلات تاريخ المستقبل ووثائقه ، بغض النظر عن الأخذ بها أو عدم تطبيقها .

ان أحداث الماضي والحاضر وتجاربه تضطر الانسان وتدفعه للتفكير بالمستقبل . فالثورة الصناعية في أوروبا أدت مع غيرها من أسباب الى نشوء الاستعمار الذي بسادر الى نهب المواد الخام في مستعمراته وجعلها سوقاً لتصريف المنتجات المصنعة ، وأخذ في استغلال الأيدي العاملة واحتكارها ، كما أن تقلص نفوذ الاستعمار التقليدي أدى الى التفكير في المستقبل ، فقاد الى نشوء ظاهرة الاستعمار الجديد بجوانبه الاقتصادية والسياسية والثقافية . وإن أهوال الحربين العالميتين الأولى

والثانية جعلت الشعوب تفكر بقلق في مستقبلها وكيفية تأمين السلام لها ولأجيالها القادمة ، وان تطور الاسلحة النووية جعل أطرافاً أخرى تتسابق في هذا المجال لتحدي التوازن في صناعة هذا النوع من الاسلحة في المستقبل . وهو توازن خطر ، كما أن للنفط دوراً هاماً في حياة الشعوب المنتجة والمستهلكة في وقتنا الحاضر ، ولكن مهما طال عمره فان الدول المتقدمة تفكر جدياً في توفير بدائل عنه في المستقبل . ان هذا التفكير جاء نتيجة تجارب الماضي وظروف الحاضر ، ولم يعد مجرد تفكير بما هو آت ولكنه أيضاً تخطيط وبرمجة وإعداد .

الضريبة المكلفة

ان المجتمعات المتقدمة اليوم سعيدة بتقدمها ، ولكنها مع غيرها من المجتمعات الاخرى تدفع ضريبة هامة ومكلفة نتيجة هذا التقدم العلمي ، تتمثل في البطالة بسبب تطور الآلة ، واهدار الموارد الطبيعية ، وغلاء المعيشة وفي تلويث البيئة ، وتضخم المدن وتقلص الريف ، وزيادة هائلة في عدد السكان ، ونقص خطير في المياه العذبة ، وظهور أمراض تسمى أمراض المدنية المعاصرة ، اضافة الى خطر قيام الحروب الاقليمية والعالمية المدمرة ، التي أصبحت تهدد الانسان أكثر من أي وقت مضى .

ان المعرفة المتدفقة والسريعة تزداد وتتطور ، وتكاد تكون ثورة علمية في حاضرتنا ، وسنشهد المزيد منها في المستقبل ، فهل تفكيرنا بالمستقبل هو في اتجاه اللحاق بذلك التقدم والاستفادة منه أم بالمشاركة في هذا التقدم ؟ وبمعنى آخر هل ستتحرر من التبعية للدول المتقدمة بتقدم الحضاري على كل المستويات أم أن الفجوة بيننا وبينهم كبيرة وشاسعة لا يمكن ردمها أو القفز عليها ، ولذلك كتب علينا أن نلهم وراء الآخرين ، وقد نلحق بهم ، وقد لا يتسنى لنا ذلك ؟ ان هناك فجوة تفصل بين شعوبنا النامية والدول المتقدمة ، وان عملية اللحاق بتلك الدول مع الاحتفاظ بشخصيتنا الحضارية واستقلالنا الحقيقي لا يمكن أن تتم بدون تطور شامل أساسه الحرية والديمقراطية ، والتفكير العلمي على هذا النهج لن يتحقق بدون الاستقلال الحقيقي لشعوبنا ، لأن

العرب التغلب على اسرائيل على الرغم من أن عدد العرب يبلغ مائة وستين مليوناً في الوقت الذي يبلغ فيه عدد سكان فلسطين المحتلة ثلاثة ملايين فقط ؟ ! ان المشكلة تكمن في أسباب عديدة منها التبعية للغرب ، والتخلف الذي تعيشه أمتنا الى جانب سبب هام هو أننا مجتمع أو مجتمعات تقوم على الفردية . ولا يمكن أن نتقدم ونتخلص من التخلف والتبعية والتجزئة الا باقامة المؤسسات الديمقراطية على كل المستويات ، وهذا لا يتأتى الا بخلق رأي عام مستنير وضابط . تبقى قضية لا بد من الاشارة اليها ، وهي أن هناك خطراً يواجه التفكير المستقبلي ، يتمثل في ضغط الظروف والاحداث القائمة بحيث يتجه تفكيرنا أساساً لمواجهة هذه الظروف والاحداث المتسارعة والمتلاحقة مما يستنزف طاقتنا ، ويصدنا عن التفكير الاستراتيجي المستقبلي ، ونورد هنا مثلاً قضية فلسطين . . . وبمواجهة هذه القضية علينا أن نقرر بوضوح ، هل يجب أن تعود فلسطين عربية كاملة الى الوطن العربي ، ويعود أهلها لها ؟ اذا أصبح هذا قراراً فإن علينا أن نضع استراتيجية عربية ثابتة لا تؤثر فيها الظروف الآتية القائمة مهما كانت وأيا كانت ، هكذا فكرت الحركة الصهيونية بالمستقبل وهكذا فهمته في نهاية القرن التاسع عشر عندما وضعت استراتيجيتها باقامة الوطن القومي في مؤقمرها الاول ، وهي اليوم تفكر بالمستقبل وللمستقبل بنفس العقلية .

ان اهتمامنا بالماضي يجب ألا يفرقنا في تفاصيله الى درجة الادمان والابتعاد عن الحاضر والمستقبل . يجب أن نختار من الماضي ما يفيد الحاضر والمستقبل ، ونؤمن بعدم تجزئة التاريخ ، ونؤكد التواصل الزمني بين الماضي والحاضر والمستقبل ، فاذا كنا نحلم بنهضة حقيقية في الوطن العربي في بداية القرن الواحد والعشرين ، فإن من متطلبات تحقيقها ونجاحها التفكير بها الآن ، بل كان يجب التفكير بها قبل الآن والاعداد لها ، وذلك بتركز الاهتمام على الانسان وبنائه باعتباره وسيلة وغاية للنهضة والتطور الحقيقي لمستقبل هذه الامة ، وليس من سبيل للحكم على المستقبل الا في ضوء الماضي والحاضر . □

التبعية للدول المتقدمة لا تسمح بتطور نوعي حقيقي للبلدان النامية ، ولأن جزءاً هاماً من تطور البلدان المتقدمة يقوم على تخلف وتبعية أقطارنا النامية . ان القلق والاغتراب الذي نعيشه اليوم يمكن أن يكون بداية الوعي بالواقع والتفكير العلمي به وبالمستقبل ، ويبدوننا أن نقطة البداية هي في التوجه الصحيح لاصلاح التربية والتعليم اذا أردنا أن نبني مستقبلاً حضارياً متقدماً لهذه الامة ، وعملية الاصلاح هذه يجب أن تنطلق من نظرة جديدة للتربية والتعليم تقوم على التحرر من عملية حشر المعلومات في عقول الناشئة وحفظها ، فهذه المهمة أصبحت تقوم بها الآلة والكمبيوتر ، بل يجب أن يتجه التعليم الى التحليل والاستنتاج ، الى الخلق والابداع . ان وقف تدهور التربية والتعليم في أقطارنا من أولويات التفكير بالمستقبل ، ولا يقتصر دورنا عند هذا الحد بل يتعداه الى عملية الاصلاح الحقيقي لهذا المجال الحيوي في حياة شعوبنا .

بناء الانسان

ان بناء المستقبل يتوقف على بناء الانسان اليوم ، وهذه مهمة التربية والتعليم في الدرجة الاولى ، وان اصلاح هذا المجال في الحاضر هو اصلاح لهذه الامة في المستقبل ، وهي صناعة حقيقية لتاريخ أمتنا في المستقبل . ان التعليم في أقطارنا لا يتجه الى بناء الانسان ، بل الى توظيف الانسان كي تتوفر له مستلزمات المعيشة فقط ، وليس هذا هو الدور الحقيقي والاساسي للتعليم والتعلم .

كما أنه لا يمكن اقامة المؤسسات ولا بناء مستقبل أمة بدون اقامة مجتمع المؤسسات الديمقراطية .

كما أن آفة الفردية هي إحدى آفات المجتمع العربي وأن تطور المجتمعات وضغط تحديات العصر أثبتنا ضرورة قيام مجتمع المؤسسات الديمقراطية لأن تلك المؤسسات ضماناً لقوة وتماسك وتطور المجتمع ، وهي أقدر من الافراد على التفكير والابداع والانتاج ، وخلق التطور . ويتساءل البعض لماذا لا يستطيع

معسكر السلام في الكيان الصهيوني

بقلم : توفيق أبو بكر

كلما ازداد سقوط الضحايا في صفوف الاسرائيليين ، فان معسكر السلام يكبر ويتوسع في الكيان الصهيوني .
فأي حجم يحتله الان هذا المعسكر ؟ وما هي القوى التي وراءه ،
وما هي احتمالات المستقبل ؟؟

السلاح والعنف ، لحل هذا الصراع . وفيما عدا هذا العنوان العام ، فان غالبية هذه القوى والاحزاب واللجان تختلف كثيرا في برامجها تجاه هذا السلام بخطوطه العامة ، وتختلف في مدى استجابتها للحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني ، كما تفاوتت في مدى اعتناقها للصهيونية كأيديولوجية وحركة تحرر وطني ، كما يزعمون . فبعض هذه القوى معادية للصهيونية فكرا وممارسة ، مثل حزب (راکاح) ، وبعضها قوى صهيونية مثل حركة السلام الآن ومجلس السلام الاسرائيلي الفلسطيني ، الذي يتزعمه يوري أفنيري ، والجنرال المتقاعد متياهو بيليد وغيرهم والذي لم يعد له وجود في انتخابات الكنيست الأخيرة في صيف ١٩٨٤ .

ان حجم تأثير هذا المعسكر السلامي ، مازال محدودا في المجتمع الصهيوني ، فالقوة الاولى في هذا المعسكر ، والتي تتبنى برنامجا يدعو للاعتراف بمنظمة التحرير ، ولإقامة دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين ، لها أربعة نواب في الكنيست من أصل مائة وعشرين عضوا يتكون منهم البرلمان الصهيوني ، أقصد الجبهة الديمقراطية للسلام

يكثر الجدل عادة في الأوساط السياسية :  العربية والفلسطينية والدولية ، حول حجم معسكر السلام في اسرائيل ، ومدى فاعليته : في اللحظة الراهنة والأمد المنظور ، ومدى استجابته للحد الأدنى من الحقوق الوطنية الفلسطينية . وهذا الجدل ليس ترفا نظريا ، بل هو جدل هام ، لأن نتائجه تدخل في حساب التكتيكات الكفاحية الوطنية للفلسطينيين والعرب ، وتدخل في حساب الاستراتيجية المرحلية لهذا الكفاح على الصعيدين الوطني والقومي . لذلك فان الخطأ في قراءة تضاريس خارطة ما يعرف بمعسكر السلام في اسرائيل ، سواء باتجاه الاغراق في التفاوض ، أو الانسحاق وراء التشاؤم ، يؤدي بالقطع الى خلل في الحسابات .

أحزاب وقوى عديدة

يضم معسكر السلام في اسرائيل العديد من القوى والاحزاب واللجان المتناثرة ، التي تتفق على خط عام عنوانه ضرورة التوصل لسلام مع العرب والفلسطينيين ، وعبث الاستمرار في استخدام

ثمة ملاحظة جوهرية ومحورية تتعلق بمسار تطور معسكر السلام في اسرائيل . هذه الملاحظة الهامة تقول إن حجم هذا المعسكر يتناسب طردياً مع سقوط الخسائر في صفوف الاسرائيليين . فكلما تعرض هذا المجتمع الاستيطاني للضربات ، أفساق ببطء شديد وبالتدريج من أحلامه العدوانية المعاكسة لحركة التاريخ .

الحقائق تقول انه بعد حرب أكتوبر مباشرة ، حيث سقط آلاف الاسرائيليين قتل وجرحى ، نمت بعض لجان البحث عن السلام في اسرائيل ، وبعد غزو لبنان ، حيث تكبد الكيان الصهيوني خسائر فادحة . ولا يزال العديد من اللحان التي تبحث عن السلام مثل « لجان الاهل ضد الصمت والجند ضد الصمت ، والأمهات ضد الصمت ، ولجان الشجاعة من أجل السلام ، وحركة « ياش غفول » أي الحد الأقصى لحدود اسرائيل تعارض الغزو وبذبح البحث عن السلام من فوهات البنادق .

حتى غلاة الصهاينة والمتطرفين من حركة « غوش ايمونيم » الذين يدعون صراحة لطرد الفلسطينيين من أرض اسرائيل التاريخية والكاملة ، حسب زعمهم ، هؤلاء المتطرفون غير بعضهم رأيه في الحل العسكري ، فقط حين دخل الدبابة واكتوى بنيران الصواريخ الفدائية أثناء غزو لبنان .

قال جنود من غوش ايمونيم لصحيفة معاريف (١٩٨٣/٨/٢٧) :

« ان الآراء لدينا تغيرت حين رأينا الدماء والالام والاهوال ، وأصبحنا أكثر اعتدالا ، فلاحديث حول الاحتفاظ بالمناطق بأي ثمن (وهو موقف الحركة) لم نذكرها ولم نذكرها أثناء القتال ، فمن خلال الدبابة أنت ترى الامور بمنظار يختلف عن منظار البيت » .

وبالمقابل ، فقد نمت وترعرعت وازدهرت كل الحركات الارهابية اليهودية الرافضة للسلام ، والعاملة بالفعل على ارهاب العرب الفلسطينيين وانتزاعهم من وطنهم ، في فترة اللاحرب والاسلم ، وقد عكست نتائج انتخابات الكنيست الأخيرة ، درجة نمو وازدهار هذه الحركات ، حيث نجح الارهابي ماثير كاهانا ، ونال ١,١٪ من اصوات اليهود ، وتوقع له استطلاعات الرأي أن يفوز في

والمساواة . وقد راوحت في عشر دورات برلمانية منذ انشاء الكيان الصهيوني بين ٤ - ٦ نواب فقط . والنقطة الثانية المهمة أن غالبية أعضاء وأنصار هذه الجبهة هم من العرب ، مما يعطى مؤشرا على ضعف تأثير هذه الجبهة على الجماهير اليهودية . والقوتان الثانية والثالثة في هذا المعسكر ، لم يكن لهما أى عضو في الكنيست (العاشر) وحركة « شلى » المعروفة باسم المجلس الاسرائيلي الفلسطيني للسلام ، كانت القوة المتماسكة رقم ٢ في هذا المعسكر وكل أعضائها من اليهود ، لكنها تضم الشريحة العليا من بعض أبناء الطبقة الوسطى والانتلجنسيا اليهودية . هذه الحركة ترفع شعار : شعبان ودولتان أى : دولتان في فلسطين للشعبين : الفلسطيني والاسرائيلي ، ولذلك يرسم العلماني : الفلسطيني والاسرائيلي على شعارها . وهذه الحركة صهيونية على رؤوس الاشهاد ، وتقول في النقطة الاولى من برنامجها أن الصهيونية هي حركة التحرر الوطني للشعب اليهودي .

كانت هذه الحركة قد فازت بعضو أو اثنين في دورات الكنيست السابقة ، لكنها في الكنيست العاشر فشلت في الفوز بأي عضو . وهي تتعرض الآن لانقسامات عديدة . وقد ظهرت في ثوب جديد في انتخابات الكنيست الحادى عشر (٢٣ يوليو ١٩٨٤ م) ، متحالفة مع بعض الشخصيات العربية من داخل الكيان الصهيوني ، في اطار الحركة التقدمية للسلام التي فازت بمقعدين في الانتخابات .

السلام الآن

أما القوة الثالثة فهي حركة السلام الآن . وهي حركة ذات طابع جماهيري عام ، تستطيع تحريك المظاهرات كما فعلت أثناء الغزو الاسرائيلي للبنان ، حيث شاركت بفعالية في مظاهرة المائة ألف احتجاجا على الغزو ، وفي مظاهرة الاربعمائة ألف احتجاجا على مذابح صبرا وشاتيلا . لكنها حركة غير متماسكة ، ولا تملك برنامجا واضحا للسلام ، وليس لها موقف واضح من حقوق الفلسطينيين ، سوى بعض الاشارات العامة ، حديثا ، حول حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني .

● معسكر السلام في الكيان الصهيوني

انه يدل على ان المجتمعات الفاشية ، المشبعة بالافكار الرجعية والعدوانية ، لا يمكن لها ان تراجع أطروحاتها ، فقط بالحوار المجرد وبالحجة المقنعة ، وبإظهار الاعتدال والحمائية من الطرف الآخر . بل يحدث هذا التراجع حين يتوافق ويتزايد طرح أفكار السلام العادل مع حوار الرصاص والضربات الصبورة المتتالية . هكذا تقول التجربة الملموسة المباشرة ، وليس التحليل النظري المجرد . وهكذا تقول التجارب التاريخية المعاصرة في دحر الفاشية والنازية . فقد حاول الاوروبيون في المراحل الاولى لتوسع النازية العدوانية ، حوارها بالعقل والمنطق ، ولكن ذلك أدى الى تسعير نار عدوانيتها أكثر ، وفتح من شهيتها التوسعية . بعد أن أخطأ الاوروبيون وقدموا تشيكوسلوفاكيا قربانا للطوفان النازي لعلهم يوقفونه ، فاندفع كالسيل العارم يحتاج كل بلدان أوروبا .

ان الصراع مع العدو- أى عدو- يستهدف في النهاية دفعه للتخل عن أفكاره وخططه العدوانية ، ويستهدف دفعه للعقلانية والاعتدال ، وتغذية روح السلام في صفوف قواعده ، التي تضللها قياداتها لتحقيق أهداف معينة . ولذلك ، لا غبار إطلاقاً على محاولات تعزيز وتنمية معسكر السلام في اسرائيل ، شريطة ان يتم ذلك بأساليب تؤدي لتعزيزه فعلاً ، ضمن السياق الذي طرحناه ، والا كانت النتيجة معاكسة للدرجات تماماً .

وعلينا أن نعترف بأن حجم معسكر الفاشية والعدوان في المجتمع الصهيوني ، مازال قويا الى درجة كاسحة ، معسكر السلام ينمو في الجهة المقابلة ببطء شديد ، ويتعرض للتقدم والتراجع والانتكاسات المتعددة ، ويتعرض للتنكيل من القوى الفاشية الصهيونية ، كما حدث عند لقاء القابل من المتطرفين الصهاينة على مظاهرة « حركة السلام الآن » مطالبة باستقالة شارون في القدس المحتلة ، والذي سقط فيها عضو الحركة أميل حرس فابع . ويبقى الحاسم في النهاية : الفعل العربي والفلسطيني قبل أى شئ . وبعده ، فهو الذي يدفع بهذا المعسكر نحو التقدم للأمام ، بمقدار ما يستطيع أن يثبت للاسرائيليين استحالة الاعتماد على السيف الى أمد غير منظور .

□



السلام والسلاح هل يتفقان ؟

الانتخابات القادمة بنسبة ٢,٢٪ من الاصوات ، وحصلت حركة هاتحيا- النهضة- اليمينية المتطرفة التي انضم اليها الجنرال روفائيل ايتان على خمسة مقاعد في الكنيست ، وهو حجم كبير لم تحصل عليه قوائم راسخة تخوض الانتخابات منذ عقود من الزمن ، وتقدمت الحركات الدينية اليهودية ، والحركات العرقية المقاومة لاماني الفلسطينيين في تلك الانتخابات ، بينما فشل زعيم معتدل هو أرييه الياف ، في دخول الكنيست رغم أنه سكرتير عام سابق لحزب العمل ، وله حضور سياسى قوى .

مرحلتان من الاحرب والاسلم

وفرة الاحرب والاسلم تنقسم الى مرحلتين ! المرحلة الاولى ما بين حرب حزيران ١٩٦٧ وحرب أكتوبر ١٩٧٣ ، والمرحلة الثانية تمتد من زيارة الرئيس السادات للقدس المحتلة في نوفمبر ١٩٧٧ م ، حتى الغزو الصهيوني للبنان في حزيران ، يونيو ١٩٨٢ م . وهي ، بشكل ما ، مرحلة مستمرة حتى الآن اذا استثنينا القتال الفدائي في الجنوب اللبناني . سلام يدل ذلك ؟ وما الدرس السياسى الهام الذى نستنتجه منه ؟

منتدى العربي تعقيبات

الحوار الحر .. وطرح مختلف وجهات النظر .. هو أبرز الطرق للوصول الى الحقيقة .. وعندما تلتقى الأفكار تبدأ المعرفة الحقيقية .. وحول الجامعة العالمية الاسلامية نعرض هذا الرأى ..

الجامعة الإسلامية في ماليزيا

الجامعات والمؤسسات التعليمية في بريطانيا ، فاليحوث تدرس بمعزل عن بعضها البعض خلافا لما كانت عليه في الجامعات الاسلامية كبيت الحكمة (في القرن التاسع) والنظامية (في القرن الحادى عشر) والمستنصرية (في القرن الثالث عشر) بل ذهب الأمر في تدريس موضوع الدين في المدارس البريطانية اليوم الى أنه أصبح موضوعا عاما في تدريس علم الأخلاق ، مشوبا بعلم الأديان المقارن مع حشر مذاهب سياسية وفلسفية لاتعترف بالله ضمن موضوع الأديان .

ومن مساوئ النظام العلمانى الجامعى المخالف للنظام الجامعى الاسلامى في القرون الوسيطة أنه يرمي الى تجزئة العلم الذى يجب أن يكون وحدة كاملة موسوعية متصلة بالحقيقة الكونية العظمى التى تشير الى أن المظاهر العلمانية مترابطة تحت تأثير قوة هائلة خلقة ، لذلك فقد أساءت التجزئة الاكاديمية الى وحدة تفكيرنا الاسلامى ، بحيث غدت بعض قضاياها مشوهة في موضعها بالنسبة الى قضاياها الأخرى ، وهى خلاف التفكير الاسلامى الذى يعتمد النسبة والتناسب والانسجام والتوافق موازين عادلة في التفكير ، وقد جاءت الطريقة العلمانية

لاأغالى اذا قلت أننى قرأت مقال (كولالمبور نقطة اللقاء بين المتناقضات) في عدد العربي ٣١٣ (ديسمبر ١٩٨٤) بغاية الاستمتاع خاصة واننى قمت بزيارة خاصة للجامعة الاسلامية العالمية في ماليزيا لأسباب عديدة ، منها أننى كنت ولا أزال أدعو لاقامة جامعة إسلامية عالمية في بريطانيا منذ أوائل السبعينيات ، ولكننا لم نستطع حتى الآن - لأسباب مادية بحتة - إلا اقامة دورات للدبلوما في الدراسات الاسلامية ، ومع ذلك لانزال دائئين جاهدين لتحقيق حلمنا الأسمى وهو إنشاء جامعة عالمية في بريطانيا .

ان أنظمة التربية والتعليم السائدة في بعض الأقطار الاسلامية اليوم مستقاة من الأنظمة الغربية . وهى أنظمة علمانية تضع حدا فاصلا بين مظاهر الروحانية والمادية ، جاعلة موضوعات العلوم والانسانيات خالية من قيمها الاخلاقية المتصلة بالدين ، وقد يدرس موضوع الدين مستقلا عن الموضوعات الأخرى من دون إقامة وشائج بينه وبين الموضوعات العلمانية ، وحيثما يدرس علم الأخلاق يحمل فيه ذكر البارئ عز وجل . وهذا سر الصراع القائم بين المجلس الاسلامى الأعلى للتربية والتعليم والثقافة في المملكة المتحدة وايرلندا ، وبين مختلف

بماليزيا ، تعد محاولة رائعة في هذا الاتجاه التربوي المتطور ، وقد قامت فلسفة هذه الجامعة على أسس من توصيات المؤتمر الاسلامي التربوي الأول الذي عقد في مكة المكرمة سنة ١٩٧٦ .

ولقد كان الخوف عند بعضهم أن مثل هذه الجامعة قد تعانى تصادما بين ماهو طبيعي وبين ماهو روحاني ، والواقع خلاف ذلك ، لأن الاسلام دين طبيعي يجمع بين الماديات والمعنويات ، وكذلك بين الماديات والروحانيات ، فبوسع الجامعة الاسلامية العالمية اذن أن تقدم لطلابها جميع صنوف المعرفة من علوم وانسانيات وتقنيات ، غير أن الأسلوب سيكون اسلاميا ، ليس معنى ذلك مسخ مفاهيم الذرة والالكترون والحجيرات والكروموسومات لخلق رأى اسلامي جديد فكل هذه قد أشير اليها بشكل ظاهر أو ضمنت في القرآن الكريم .

الدكتور صفاء خلوصي

نتيجة لتضخم (الانا) وانعكاسها الجنوني في الكون ، مما جعل الكثيرين يعتقدون أن كل مانراه هو نتاج ظواهر طبيعية ليس غير ، وعندما يتنقل مثل هذا التفكير من العلوم الطبيعية الى الاجتماعية تحمل المشاكل بدعوى الحرية الفردية التي لاتحدها سلطة كونية عليا ، اذ يصبح الانسان سيد مصيره لايعبأ الابالقيم المادية المتمركزة حول متطلباته الفردية ومكاسبه الشخصية ، وازاء هذه المخاطر لابد من العودة الى الفلسفة الاسلامية في التربية القائمة على التوحيد في كل شيء ، والتخلي عن الثنائية في التفكير والقيم ، وجعل العلم والتقنية الحديثة اللذين يسيطران على الحضارة المعاصرة أدواتين محكومتين لاحكمتين في تطوير الحضارة الاسلامية .

لذلك ينبغي لنا في هذه الصحوة الاسلامية الاخيرة أن نغير فلسفتنا الجامعية الاكاديمية بتأثير من فكرة التوحيد وسلطانها المبدع ، فالعلم هبة آلمية وأمانة يجب ألا يساء التصرف فيها ، بل يعد ضربا من العبادة ، والجامعة الاسلامية العالمية التي أقيمت

أعظم مخترع في العالم

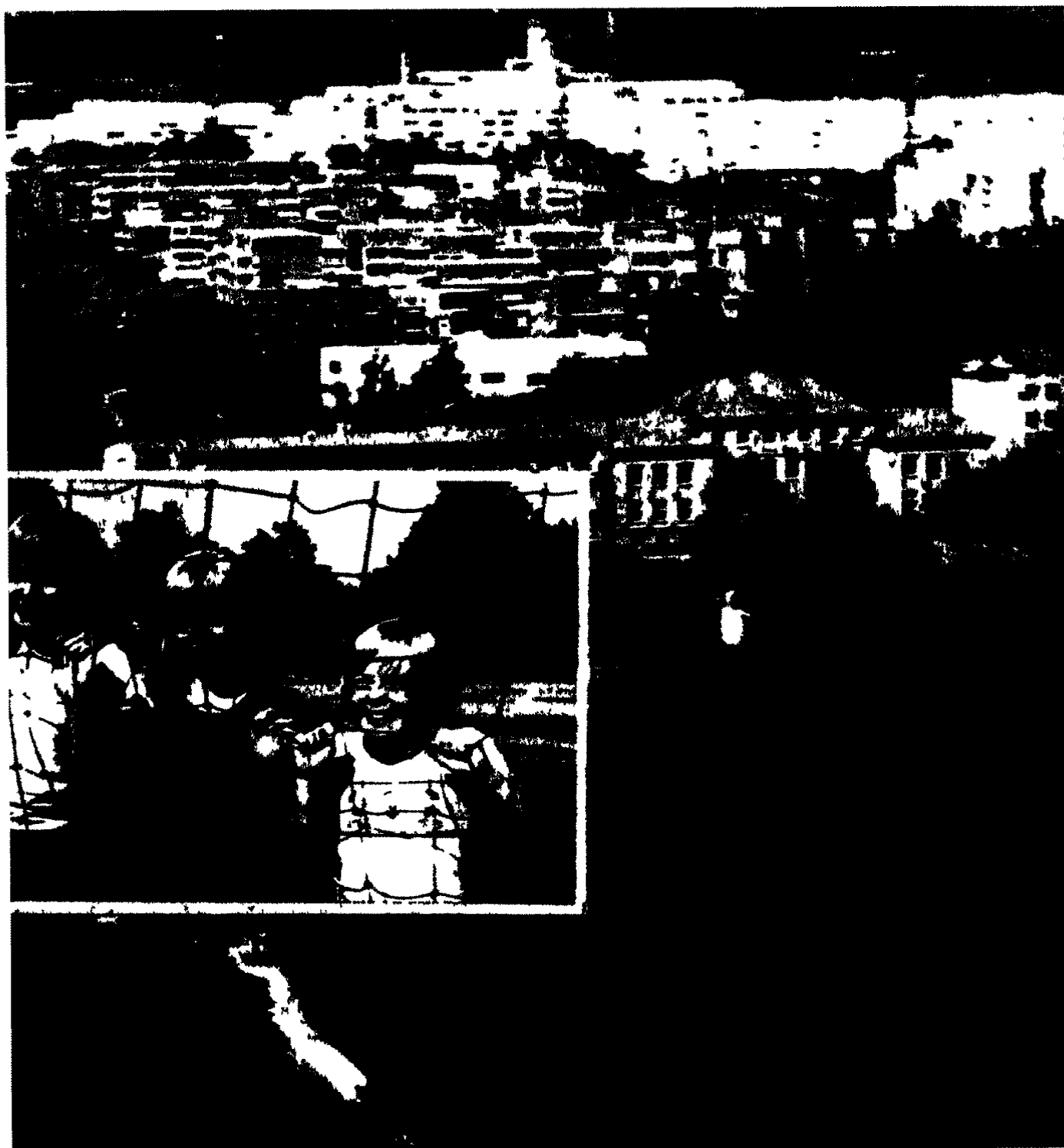
كان توماس اديسون المخترع الأمريكي يجلس في احدى حدائق فينا ، عندما رآه صحفي شاب واقرب منه محاولا أن يحصل على حديث صحفي من الرجل الذي قدم للبشرية أكثر من ألف اختراع !

ولكن اديسون رفض أن يتكلم ، وقام من جلسته ليكمل رحلته في الحديقة ويعود الى بيته . وعاد الصحفي الشاب بدوره الى مكتبه ، وجلس يكتب حديثا طويلا زعم أنه قام باجرائه مع المخترع الكبير ! ونشرت الصحيفة الحديث تحت عنوان « أعظم مخترع في العالم ! »

وعندما قرأ اديسون الحديث سارع بارسال برقية الى الصحفي قال فيها : « لقد أصبح واضحا الآن أن أعظم مخترع في العالم ليس أنا ، وانما أنت ! » .



الألوان والأنغام



عائد من آخر ركن في العالم ..
 قادم من ارض البحيرات والغابات ، بلاد الضياء والجليد ،
 من فنلندا بلد الذهب الاخضر وملكات الجمال ، التي تعد اغلب
 الصحف بالورق ..
 والتي تردد اسمها عندما ساهمت في قوات حفظ السلام ،
 وقدمت الجنرال سيلاسفو قائدا لهذه القوات ..
 ماهي حكايتها ؟ وكيف قدمت الكاميرا صمت الطبيعة
 وجمالها ؟ ..

وتقع هلسنكي على بحر البلطيق ، ويجوار قلعة
 سيومي التي كانت خط دفاع قوى عن العاصمة ، كما
 ان مياه بحر البلطيق لاتتجمد ولاتشمل الحياة ، وميناء
 هلسنكي آخر ميناء يصل اليه تيار المكسيك الدافئ ،
 والذي يبغي الملاحة قائمة على مدار العام ..
 وأمسيات هلسنكي تمتلئ بلمسات الفن
 والجمال ، فالفن مقدس في حياة شعبها ، والرحلة الى
 فنلندا رحلة الى عالم جميل ومثير ، يطلق عليها بلاد
 الف لون ولون ، وعرفت فنلندا بملكات الجمال التي
 قدمتهن للعالم ، وهي ارض بكر مازالت فيها الطبيعة
 كما هي ، والهواء نقياً والماء لم يتلوث ..
 والفنلندي طيب ، رغم الجهامة التي تظهر على
 وجهه نتيجة قتامة المناخ ، وان كنا محظوظين عندما
 زرناها في أفضل ايام العام ، والفنلندي ينكفىء على
 داخله ، ويميل الى الانطواء ولايفتح قلبه بسهولة
 للغرباء ، ولكن اذا نشأت صداقة بينه وبين احد ،
 فهي تتسم بالصدق والعطاء ، وهو منضبط كأنه ترس
 في آلة ، ولعل هذه الصفات هي نتاج العزلة الطويلة
 الناتجة عن المناخ ، ففنلندا لم تكن يوما منطقة عبور
 وتقع في آخر ركن في العالم .. وشعبها شعب يتسم
 بالخجل ، ويصدق على الفور كل ما يقال له ..

دعوة على العشاء

وتلقينا في اليوم الاول لوصولنا دعوة على العشاء في
 قلعة سيومي ، وجه الدعوة جمعية الصداقة

هلسنكي عاصمة فنلندا ، مدينة صغيرة ولكنها
 جميلة ، برزت بين أشجار الغابة العذراء مثل
 مدينة الاحلام ، كل مساكنها اقيمت بعيدا عن الطرق
 العامة ..

في شوارع هلسنكي تلاحظ انها تشبه احدى
 عواصم اوروبا الشرقية ، المباني القديمة ، والشوارع
 والميادين الواسعة ، الغنى يغلب الضخامة ، والمباني
 جزء من البيئة الحية المحيطة بها ، وتلمس حرصا
 واضحا على اقتراب الشعب الفنلندي من الطبيعة ،
 عندما تتداخل الغابة مع الكثير من انحاء العاصمة ،
 وترى لمسات الفن في كل مكان ، في العمارة
 وواجهات المحال ، حتى في الاثاث وآنية الطعام ..

وتوقفت طويلا عند الكاتدرائية القديمة ، وفي
 المزج بين القديم والحديث الذي يظهر واضحا في
 كنيسة تايفا لاهتي المنحوتة وسط الصخر ،

ورغم علامات القدم التي تظهر في المباني الرئيسية
 مثل جامعة هلسنكي ، وفي مبنى البرلمان ، الا انه لم
 يمض سوى اربعة قرون على انشاء هلسنكي ..

تنتشر التماثيل في ميدانين ، وفي قلب المدينة
 نصب تذكاري ضخم تخليدا لمن لحن مقطوعة
 فنلندا ، الملحن سيبالوس ، والتمثال يمثل صورة
 انايب من القولاذ صهرت ثم لحمت ، وعلى جانب
 منها وجه الموسيقي الكبير ..

ومازالت بعض احياء العاصمة تعود بيوتها الى
 القرن التاسع عشر ، عندما لم يكن يستخدم في بنائها
 سوى الخشب ، والذي عدل عنه نتيجة الحرائق ..

مؤتمر الغجر

وحول البيوت الخشبية القديمة ، وفي الاسواق ، وفي المهرجانات ، شاهدنا الغجر بلباسهم المميز وروحهم العالية ، ترتدي النساء ملابس تشبه الملابس العربية ، وأحجامهن تميل الى البدانة وترتدي الفستان الطويل الغني بالدانتيل ، والحلق الواسع في الاذنين ، والحلي ذات الطابع الشرقي ، والعيون السود والشعر الاسود . . انهم يتشرون في كل مكان ، لا يعرف أحد عددهم ، لاحظت انهم لا يقبلون التصوير بسهولة ، ولقد رأيتهم في المجروفي بلغاريا وفي العديد من الدول الاوروبية ويطلقون عليهم في الهند (البنجارا) ، ولهم اسلوب حياتهم المميز والغني بالفلكلور ، يحترفون مهنا خاصة تجدهم في الموالد في الشرق وفي المهرجانات والاسواق في الغرب .

وعلمت انهم عقدوا مؤتمرا في فرانكفورت للبحث حول أصلهم وحكايتهم ولماذا يتوزعون على العديد من بلدان العالم ، وأعلنوا أن الدراسات قد بينت أنهم يعودون الى بلاد الرافدين مسقط رأسهم . . !

الصراط المستقيم

وحان وقت التأمل . . وتلاحقت اللقاءات مع اساتذة جامعيين وصحفيين ورجال اعمال ، كما التقينا وزير خارجية فنلندا .

وكان موضوع هذه اللقاءات سؤالاً يلح على ، وهو كيف استطاعت فنلندا البلد الصغير والتي تجاور الاتحاد السوفيتي أن تحافظ على توازنها ؟ ثم . . كيف استطاعت أن تحقق علاقات وطيدة وفي نفس الوقت تحافظ على نظامها الديمقراطي واقتصادها الحر . . ؟ حتى أصبح في علم السياسة ما يمكن أن يطلق عليه (الفنلدة) اي النمط الفنلندي . . ؟

تقع فنلندا في الركن الشمالي الغربي للاتحاد السوفيتي ، ولا يتجاوز عدد سكانها خمسة ملايين ما كان له اكبر الاثر على اختيارات فنلندا السياسية ، فهي مع الاتحاد السوفيتي في الارض والبحر ، وتطل على ليننجراد التي لا تفصلها عنها سوى بضعة اميال ،

الفلسطينية الفنلندية . ووصلنا الى القلعة عن طريق زورق بحري لنصل الى جزيرة تقوم فوقها القلعة ، ورأينا القلعة التي كانت تغلق خليج فنلندا وتحول دون اقتحامها من الاعداء ، أما اليوم فقد تحولت الى قلعة يقصدها السياح ، تضم قاعة للطعام ، الذي يقدم على ضوء الشموع ، بعد أن تحول كل ركن منها الى عمل فني راق ، وأدهشني الاهتمام الواضح بالقضايا العربية ، والمعرفة الدقيقة بالسياسات القائمة في المنطقة العربية .

وفي اليوم التالي ، قال مرافقي : اكرام الضيف عندنا . . حمام ساخن جدا . .

ولم افهم ، ثم تبين أن معنى حمام السونا ، تلك العادة الفنلندية التي انتشرت من فنلندا الى جميع أنحاء العالم فلا يوجد بيت في فنلندا ليس به حمام الساونا الشهير ، وأضاف مرافقي : للساونا تقاليد وطقوس ومواصفات خاصة ، ويتكون الساونا من الصخر الفنلندي وليس الفحم ، فجمرات الصخر الفنلندي تمتص الرطوبة ، وتعكس الحرارة ، وقد بدأت هذه العادة على حواف البحيرات ، ويخرج الفنلندي من غرفة الساونا الساخنة ، ليلقي بنفسه في البحيرة الباردة ، وبذلك يتجنبون الانفلونزا

وعاد مرافقي يقول : لا بد أن تجرب الساونا ولو مرة واحدة . ودخلت في حجرة خشبية درجة حرارتها تصل الى ٩٠ مئوية . وبدأ العرق يتصبب من كل مسام جسمي واستمر الأمرين خمس وعشر دقائق . . أما الخروج بعد ذلك فليس الى البحيرة كما كان في الماضي ولكن الى حمام السباحة البارد في الفندق . .

وبعد الانتهاء من حمام السونا شعرت بحالة من النعاس والخمول سرعان ما تحولت الى شعور قوي بالنشاط والحيوية . ويرددون هنا مئات المزايا لحمام الساونا أقلها أنه ينشط الدورة الدموية ، لذلك يقيم الفنلنديون حمام السونا قبل اقامة البيت . ولحمام الساونا تقاليد ، فلا يجوز ان يتبادل افراد الاسرة الحديث خلال الاستحمام فهي فترة خصصت للتأمل وإعادة الحسابات .

ويضيف مرافقي بأسى : لقد تحول حمام الساونا في الكثير من الفنادق الى فرصة لعقد الصفقات . واصبح حمام الساونا جهازا يعمل بالكهرباء وليس من صخر فنلندا المشهور .



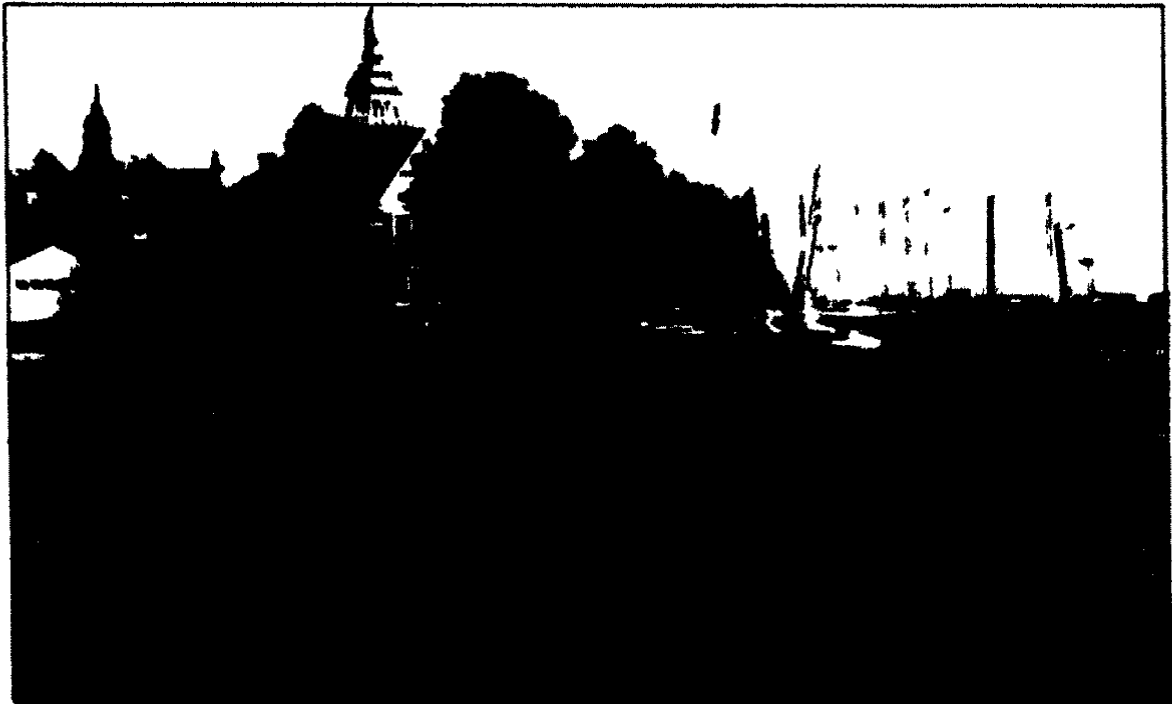
- فجيرة تدفع عربة حفيدها في أحد شوارع مدينة
كويو هربت من العمة عدة مرات ولكن مصور
العربي استطاع أن يحتس هذه الصورة للجددة والحفيد
علايهما المولكلورية !



- بائنة الزهور في كويو . . كم هو مقيد عمرها .
عمر الزهور طبعاً ! انها هناك مع ساعات الفجر الاولى
كل صباح تباع زهورها قبل أن يقتلها الصقيع !



- بحر البلطيق الذي تشرف عليه هلسنكي القوارب تسبح بأصحابها مع أشهر الدفء



- تشتهر فنلندا بقلعتها القديمة ، ويرجع تاريخ هذه القلعة وتسمى « هياپوري » ، الى القرن الثامن عشر

المواقف السياسية فهي جزء من هذه الدول ، وهي احدى دول (التورديك) أي اتحاد دول الشمال ، والذي يضم فنلندا والسويد والدنمرك والنرويج ، وهو اتحاد يتعاون اعضاؤه في المصالح المشتركة ، ورغم ارتباط كل دولة على حدة ، فنجد بينها من اختار الحياد ومن اختار الانضمام الى الحلف الاطلنطي ، الا أن التعاون مستمر في المجالات الاقتصادية والثقافية والفنية، وهو درس على الدول العربية أن تستوعبه فرغم أن اللغة في فنلندا أحد العوامل التي تفرقها عن جيرانها - بعكس الدول العربية فاللغة الفنلندية تكون مع بعض لغات شمال الاتحاد السوفيتي فرعا للغات قائمة بذاتها بما فيها اللغة المجرية . .

وفنلندا علاقات خاصة بالسويد . فحوالي ٦٪ من تعدادها سويديو الأصل واللغة، وجانب من الشعب الفنلندي مازال يتكلم اللغة السويدية ، وهي تعتبر لغة رسمية ثانية ، ولا ينسون أنهم كانوا جزءا لا يتجزأ من مملكة السويد ، حتى وقعت الحرب بين السويد وروسيا عام ١٨٠٩ ، وكانت فنلندا من بين الغنائم التي كسبتها روسيا فأصبحت تابعة للقيصر حتى قيام الثورة الروسية .

وأدى هذا الوضع السياسي الى زيادة التعاون الاقتصادي مع دول الشمال ومع الاتحاد السوفيتي ، وأصبحت فنلندا بالنسبة للاتحاد السوفيتي تشبه ماكانت عليه هونج كونج بالنسبة للصين ، فكما أن هونج كونج كانت أحد مصادر الصين في القطع النادر ، أصبحت فنلندا مصدرا للتقنية الحديثة بالنسبة للاتحاد السوفيتي ، وأصبح الاتحاد السوفيتي اكبر شريك تجاري لفنلندا ، وتستورد فنلندا من السوفيت الغاز الطبيعي عبر الانابيب التي أقيمت في بداية السبعينيات ، كما تستورد من السوفيت ثلثي احتياجاتها من النفط الخام .

كانت فنلندا تعاني من الهجرة الى الخارج ، فمستوى الاجور في السويد كان أعلى من فنلندا ، وفي الماضي حدثت هجرة فنلندية الى امريكا في مطلع هذا القرن ، وهاجر حوالي ٦٠ ألف نسمة سكنوا الشمال الامريكي في مينسوتا وميتشجان التي تتمتع بظروف مناخية مشابهة لفنلندا . .

والى الغرب تلتحم مع ارض السويد ، ثم النرويج ، وتقوم عند الممر العريض عند القطب الشمالي ، وهي اقصى دولة في الشمال بعد ايسلندا ، وجنوبها مباشرة مركز حلف وارسو ، وفوق رأسها واحدة من دول الناتو هي النرويج . . فكيف اختارت طريقها ؟ استطاعت فنلندا ان تخرج من هذا المأزق الجغرافي ، وقدمت درسا مفيدا لكل الدول الصغيرة التي تهدف في بحر السياسة الدولية الهائج . .

وتمكن من الحفاظ على نظام اقتصادي حر كجزء من العالم الغربي . يقوم اقتصادها على المشروعات الخاصة ، حتى أن ثمانى عائلات يملكون أهم المنشآت الاقتصادية وفي نفس الوقت للدولة نصيب كبير في بعض فروع الصناعة ، واصبح لذلك ترجمته السياسية المتمثلة في تعدد الاحزاب والحياة الديمقراطية على الطريقة الغربية ، ومن جانب آخر لاتتجاوز فنلندا في سياستها الخارجية والأمنية الموقف السوفيتي .

وقد وصلت الى هذه الصيغة بعد معاناة طويلة . . فعقب ثورة ١٩١٧ في روسيا ، عندما كانت فنلندا جزءاً من الامبراطورية القيصرية شهدت هلسنكي معارك بين الحمر الذين يؤيدون الثورة وبين البيض الذين يعارضونها، وانتهت العلاقات مع روسيا الى حرب قصيرة سميت حرب الشتاء ، دامت ثلاثة أشهر ونصف تمكن الاتحاد السوفيتي من الاستيلاء على جزء من أراضي فنلندا ، وعندما جاءت الحرب العالمية الثانية لم تتمكن فنلندا من تجنبها . .

وعلى ضوء التجارب القاسية التي عاشتها ، وصلت الى صيغة للعلاقات مع الجار القوي ، ولم تتوقف عند المشاكل القديمة ، ولا عند الاراضي التي استولى عليها السوفييت ووقعت معاهدة مع الاتحاد السوفيتي عام ١٩٤٨ ، مقابل ضمان حياد فنلندا والتزامها بمنع استخدام أراضيها في العدوان على الاتحاد السوفيتي من أطراف ثالثة . .

وتبنى هذه السياسة وقدم لها الدعم الرئيس السابق كيكنين ، والذي بقي في منصب الرئاسة خمسة وعشرين عاما ، والذي مازال يحظى بمكانة كبيرة بعد أن اصبح كهلا وبعد أن نجح في السير على الصراط المستقيم بين الشرق والغرب . . وتقدم فنلندا درسا آخر في علاقاتها بالدول الاسكندنافية ، فرغم تباین

الصقيع والظلام

وخرجنا من هلسنكي الى اراضي فنلندا الواسعة ، فزرنا اهم مدينة في الشمال هي كوبيو ، وزرنا ضيعة وعددا من المصانع، فمن رأى ليس كمن سمع ، وأبحرنا في عالم الغابة والبحيرات والجزر ، وتتميز فنلندا بقلّة مدنها والتي لا تتجاوز ٤٧ مدينة يقع نصفها على الساحل . .

ان الجغرافيا هي الحقيقة الاولى التي تهيمن على حياة أهالي فنلندا ، وهي التي تلقي بظللها على النشاطات الاقتصادية وتؤثر على العادات والتقاليد، فهي أرض الصقيع والظلام، مختقضي أجزاء كبيرة من البلاد حوالي ستة اشهر في ظلام دامس ولا ترى الضياء ، ينامون ويستيقظون في الظلام ، ويذهب العاملون الى اعمالهم في الظلام، ويستمر الليل مدة تصل الى ٧٠ يوما في بعض المناطق .

وتعيش اجزاء اخرى ستة أشهر في نهار ساطع ، وفي أقصى الشمال لا يوجد ظلام في الليل على الاطلاق لهذا أطلق على الشمال أرض الحقائق الساطعة ، عندما يكون لحفيف الشجر مغزّي خاص . . انه فعل الأيام الطويلة الدافئة التي تتنوع فيها الألوان والضياء . .

وفي بلاد اللاب (اللابلاند) لا يذوب الجليد على مدار العام ، وتغطي الثلوج هذه المنطقة سبعة أشهر في العام ، وعندما يأتي الصيف ويذوب الجليد في الجنوب تكون صحوة الحياة .

ورغم تلك الظروف القاسية ، ترى في فنلندا اجمل الغابات ، فأكثر من ٧١٪ من أرضها تغطيها الغابات الجميلة الباسقة ، اشجار الصنوبر والسنديان والبلوط والبتولا التي تمد اخشابها الفلاح بالدفء .

فالغابة هبة الله ورأس مال فنلندا الاساسي ، وهي التي تعوض القتامة التي تسري مع الصقيع والظلام . .

ويعتبر مشهد الجذوع القائمة فوق المياه منظرا مألوفاً ، واصبح منظر الانسان الآلي الذي يقوم بدور الخطاب فيقطع الاشجار وينحني لالتقاط جذوعها ويقطعها ويعدها للاسواق منظرا متكررا .

ويأتي بعد الغابة اجمل وأمتع ماتشاهده ، وهو

البحيرات التي تحيطك في كل مكان ، والتي من كثرتها ليس لها أسماء ، وليست محسدة العدد ، وتكتفي الاطالس بذكر انها الاف البحيرات ، يصل البعض بعددها الى ٦٠ ألف بحيرة ، وهي بحيرات عذبة تستمد مياهها من ذوبان الجليد ، وتغطي المياه مايزيد عن خمس اليابسة في مساحات لامتناهية من البحيرات والانهار التي تصب في البحر ، ولهذا البحيرات ألوان متعددة تختلف مع تغير المكان واختلاف البيئة ، وهي توصف بأنها العيون الزرقاء في البشرة البيضاء . .

وتتولد من البحيرات الجزر التي تصل الى ٣٥٠ ألف جزيرة ، ووسط البحيرات التي تحيطها الغابات ترى جزيرة لا تزيد مساحتها عن كيلومتر واحد ، وفوقها بيت تسكنه الاسرة ، والجزيرة والبيت فوقها هو حلم كل مواطن في فنلندا ، والجزيرة تتمتع بنوع من الاكتفاء الذاتي ، مولد الكهرباء وزورق بحري هو أداة الانتقال وتليفون هو أداة الاتصال وحياة هادئة يحيطها الجمال من كل جانب .

ومع البحيرات والجزر تزدهر رياضة البحر والتزلج والسباحة وسباق اليخوت، وفي الشتاء تبدأ الجزر الواقعة جنوب شرقي هلسنكي في استقبال آلاف الطيور البحرية المهاجرة وتعيش فيها حتى نهاية شهر مايو ، وتبدأ رحلتها العكسية متجهة نحو أقصى الشمال . .

ومع هذا الجمال وتلك العزلة ومع الطبيعة القاسية تشكلت رموز هذا المجتمع ومفاهيمه الخاصة، فمثلا اذا شوهدت البومة تبنى عشها فمعناه صيف جميل ، واذا امتنعت عن حضانة بيضها فينذر ذلك بموسم قاسي ، واذا تشبث حمام الثلج بجذع شجرة ، فلا بد لمن يسير في الطريق من أن يتقي العاصفة ويبحث عن غيباً لتفاديا . .

كوبيو

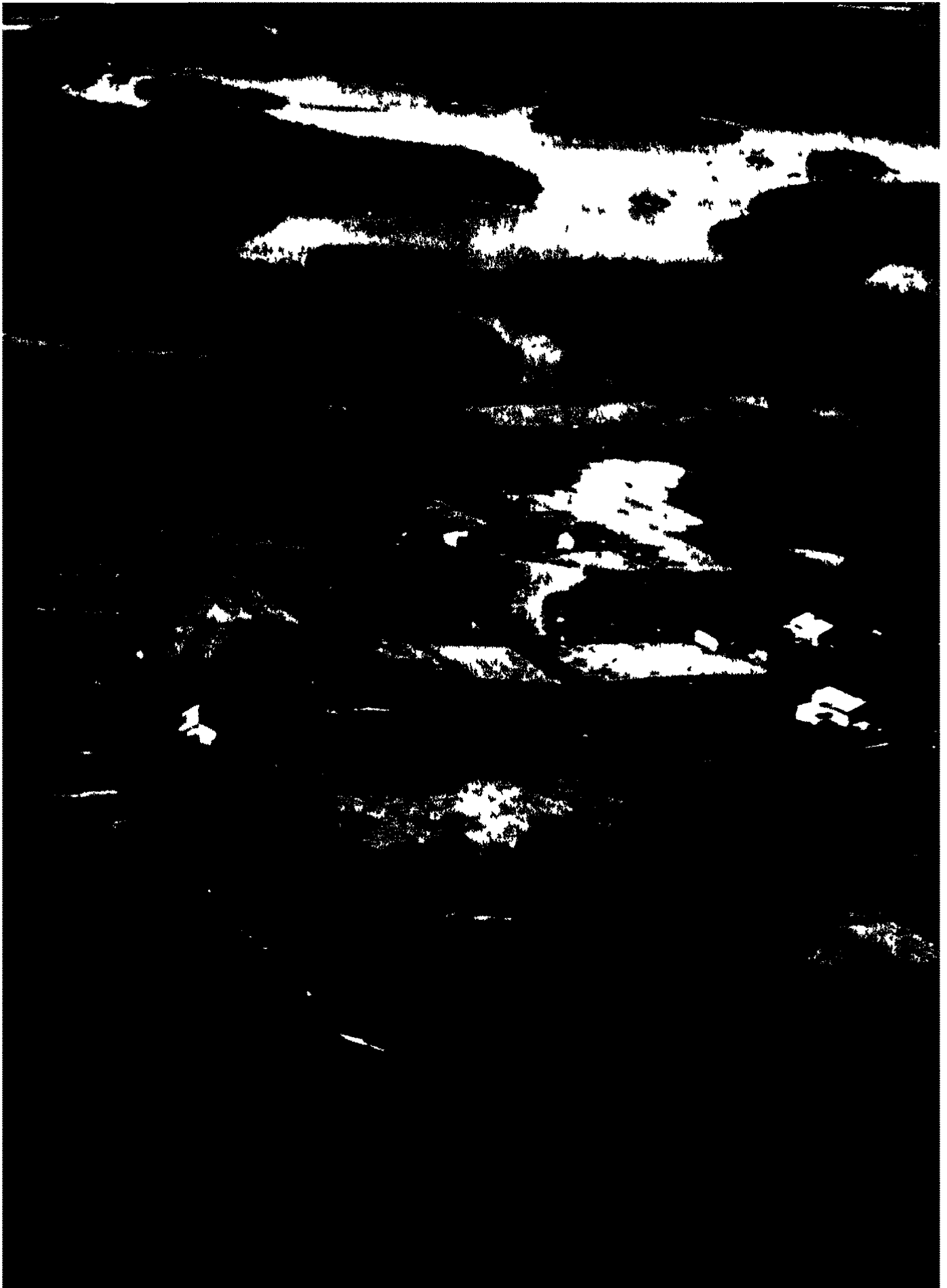
وعندما وصلنا الى كوبيو في الشمال قضينا اجمل الايام ، مدينة هادئة جميلة وسط الغابات والبحيرات ، وهي في حالة مهرجان دائم، مهرجان للزهور وآخر للحصاد وثالث للرقص ، يشربون ويغنون ويرقصون ويعزفون الموسيقى في الميادين العامة ، تظهر على وجوههم النضرة سعادة غامرة



- سوق الزهور في إحدى أحياء مدينة فنلندا مدينة كوبيو



- كاسحات الجليد في بلد تكسوه الثلوج في الشتاء ...
وبساعة الصحف بملايسهم التقليدية في شوارع
هلسنكي .. انها مدينة البحيرات والغابات الكثيفة التي
احترقت مرتين وأحترقت معها العاصمة ثم أعيد
بناؤها ...



والغابات والالوان ، وصلنا الى بيت ريفي يطل على البحيرة ، وتمتد امامه ارض الضيعة ومنشأتها ، البيوت الريفية تتشابه في كل مكان ، وان اختلفت لمسات الذوق والنظافة ، وهو عالم يحن اليه ويحلم به أبناء المدن الصاخبة استقبلنا صاحب الضيعة واسرته على فنجان قهوة في بهو يشبه بهو الكنيسة ، وتعلق على جدرانها صورة السيدة العذراء والسيد المسيح ، التقينا بالجد والاب والابن والزوجة والام والبنات ، الكل يعمل في الضيعة بعد أن تنازل الجد لابنه عن الضيعة . .

العلاقات العائلية حميمة مثل الريف في كل مكان ، الضيعة وحدة انتاجية متكاملة ولكنها جزء من المجتمع ، اذا قطعت اشجار الغابة فلا بد أن تزرع غابة بديلة على ذات المساحة ، الواحد والكل في تناغم ظاهر ، هنا تتنوع المحاصيل وترعى الماشية والطيور ، وتعمل الفتيات على التراكثور في وقت الحصاد ولكل دوره . .

حام الساونا على البحيرة كما كان في الماضي ، فالريف بحق هو مستودع العادات والتقاليد القديمة ، ولكنه أخذ بكل حديث في البذور والتطعيم وتربية العجول وقطع الاشجار ونقلها .

الشرق والغرب

أبحث على ذهني خلال جولتي تلك العلاقة القديمة بين الشرق والغرب ، التي تبرز عند المقارنة بين حالنا وحالهم ، بين أوضاع الشرق وأوضاع الغرب . . فحيثما ذهبت نجد كل شيء منظماً وترى وجه الدولة ، ليس في صورة التعليمات بل في العناية التي تقدمها ، وفي القواعد التي تجعل حياة الناس اسهل وأجمل ، ترى الدولة في أقصى الغابة او في جزيرة معزولة في صورة الخدمات التي تقدم للسكان ، وفي تنظيم المباني وفي اعداد مواقف السيارات ، وفي وضع نظام للمصيد وفي الحفاظ على الغابة . . وحتى في علامات الطريق .

وتداعي الافكار وتلاحق الصور . قديماً كان الشرق ينظر إلى الغرب على أنه مصدر الهمجية والمادية ، واليوم يتغير الحال ، وعلى مر الايام تراوحت العلاقات بين الشرق والغرب في صور التعاون احياناً

وحب حقيقي للحياة . .

وما أشد غرابة ما نسمع ، فاهم وأجمل مكان في كوبيو مصحة للأمراض النفسية والتي تنتشر في البلاد ، من القتامة التي تسري من الصقيع والظلام ، او حتى من الضياء المستمر فاكشف الاطباء ان النهار بلا ليل والليل بلا نهار ، يؤدي الى الاختلال النفسي وأمراض الاكتئاب وكثيراً ما يؤدي الى الانتحار . .

ووصل الاطباء الى ضرورة اضاءة المصانع في الايام المظلمة لتصبح كالنهار ، وتسدل الستائر في أيام النهار المتصل حتى تبدو كالليل ، وما زالت هذه الظاهرة تقلق المجتمع الفنلندي . .

حفارات بحر الشمال

ورغم كل هذه الظروف القاسية استطاعت فنلندا ان تشق طريقها في الصخر ، وأقامت في ظروف مناخية صعبة وفي ارض صخرية ، اقتصاداً قوياً واصبحت جمهورية الغابة دولة متقدمة صناعياً ، قادرة على صنع سفن حديثة وكاسحات ثلوج معقدة وآلات صناعية متقدمة ، وسيارات نقل وجرارات ومساعد ومنازل جاهزة ، علاوة على الورق والاثاث . وخلال عشرين عاماً تحول العجز الى فائض وأصبحت أكثر الدول الاسكندنافية انتاجاً . .

وفي المصانع التي زرتها ، رأينا كيف قطعت الصناعة خطوات متقدمة وأصبحت تستخدم الطاقة الرخيصة ، وأدخلت مصانعها التحكم الآلي عن طريق الكمبيوتر مما يسد نقص العمالة . . ويعتز أهالي فنلندا بأنهم تخصصوا في عدد من الصناعات الدقيقة ، وأنهم صنعوا حفارات بحر الشمال لبريطانيا . .

وأثبت هذا الشعب رغم قلة عدده أنه قادر على أن يصل الى مقدمة الشعوب ، بدون قوة عسكرية وبدون العمل في تجارة أسلحة الدماء .

في الضيعة

اليوم موعداً لزيارة ضيعة فنلندية قريبة من كوبيو ، الطريق الى الضيعة خلاب يمر بين البحيرات

● فنلندا : الألوان والأنغام

ومالكة ، كان هذا المناخ السياسي كفيلا بأن يسمع العالم بالشرق ويزداد اهتمامه به خاصة عقب أن وصلت جيوش الشرق الى أراضي اليونان وجزر المورة ، والحرب التي خاضتها أوروبا ضد محمد علي . في هذه الفترة وصل أول مستشرق فنلندي فمكت في مصر عامين أتقن خلالها اللغة العربية وارتدي الزي العربي وأطلق على نفسه اسم الشيخ عبد المولي . ومن مصر انطلق الى القصيم ثم الجوف ، وكتب عن مدينة حائل في الجزيرة العربية كما زار العراق ، وترك فاين مذكراته الشخصية وانطباعاته العامة ودراساته المتخصصة في مجموعة كتب تحتفظ بها جامعة هلسنكي ، في قسم دراسات اللغة العربية والاسلامية الذي يرأسه البروفيسر « هايكي بالن » الحاصل على درجة الدكتوراة في اللغة العربية وصاحب عدة أبحاث في لغة تراث البدو وعوياً بالاضافة الى ذلك جمعية المستشرقين الفنلندية .

ويقول د . بالفني « كان المستشرق فاين صاحب أول اتصال ثقافي بحضارة الشرق في العصر الحديث » وتعد كتاباته - سواء منها الانطباعات أو الدراسات - بمثابة رصد حي لحياة المنطقة وسكانها وعاداتهم . فمثلا يقول « فاين » وهو يصف الطريق بين القاهرة والسويس أن « البدو يتخوفون من الافرنج الذين يقومون بمد خطوط السكك الحديدية ويصفونهم بالبخل والحسد لانهم - من وجهة نظر البدو طبعاً - يحرمونهم من المكسب الزهيد ومصدر دخلهم الذي يعتمد على النقل بالجمال » وعلى غرار هذه الملاحظات والانطباعات التي تتميز بسعة رؤية كتب فاين عن البدو والقبائل وتحالفاتها وغير ذلك من موضوعات . وفي الوقت الحالي فان قسم دراسات اللغة العربية وجمعية المستشرقين ترعى الاهتمام بثقافات الشرق وآدابه ، فتتمت ترجمات أدبية كثيرة منها مثلاً ما قام به البروفيسر « يوسي آرو » أستاذ اللغات الشرقية الذي ترجم كتاب الايام لطف حسين كما أن هناك ترجمة لكتاب « النبي » لجبران خليل جبران ، ورواية للكاتب الفلسطيني غسان كنفاني مترجمة من الفرنسية لرواية للكاتب الجزائري محمد ديب ، كما قدم الاديب الفنلندي « ميكافالتارك » الى الادب العالمي رواية استمد وقائعها وتاريخها من قصة « سنوحي » المصري والتي سجل فيها تاريخ مصر في عهد الفراعنة .

والمواجهة أحياناً ، وفي كل الاحوال كان الاخذ والعطاء . . . وعلى الرغم من أن فنلندا بلد غربي صغير . . . ويقع في آخر ركن في العالم الا أن تدفق تيار المعرفة بينه وبين الشرق العربي متصل وثري ، فالعرب هم أول من كتب عن « الفايكنج » السكان الاصليين الاوائل لأراضي فنلندا ، بل هم المصدر التاريخي الموثق الوحيد عن حياة أهل الشمال ، وعلى الجانب الاخر فان تراث وأعمال المستشرقين الفنلنديين تزخر بها جامعة هلسنكي وجمعية المستشرقين . ويحفل هذا التيار من التواصل المعرفي بحقائق واهتمامات تثير الذهن وتنشط الخيال .

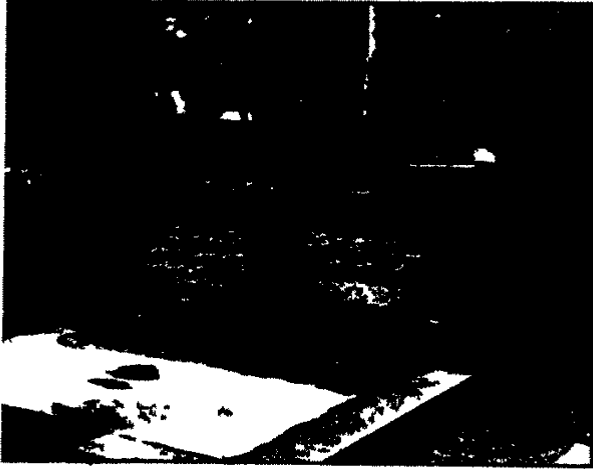
يعود اهتمام فنلندا بالشرق الى بداية القرن التاسع عشر ، عندما قرر المستشرق الفنلندي « جورج أوجست فاين » الرحيل الى الشرق بعد أن درس اللغة العربية في جامعة بطرسبرج على يد الشيخ المصري محمد عياد الطنطاوي . وبالفعل وصل الى مصر عام ١٨٤٤ ، في هذه الفترة كان اهتمام العالم كله بالشرق يتكثف ويزداد ، ويضغط على نخاع أعصاب مصالحي العالم ، وبالطبع لم تسلم من هذا الالحاح فنلندا التي كانت ضمن الامبراطورية القيصرية الروسية ففي هذه الاونة كانت أوروبا وروسيا القيصرية تضع أنظارها على الشرق في انتظار انهيار الامبراطورية العثمانية وتقسيم تركة الرجل المريض ، روسيا بمصالحها في ممرات المياه التركية وتأمين فنائها الخلفي ، وأوروبا بمصالحها في الشرق وثرواته

مازال الريف منطقة جذب للشعب الفنلندي ، ومازالت نسبة كبيرة من الفنلنديين تفضل الحياة في الريف .

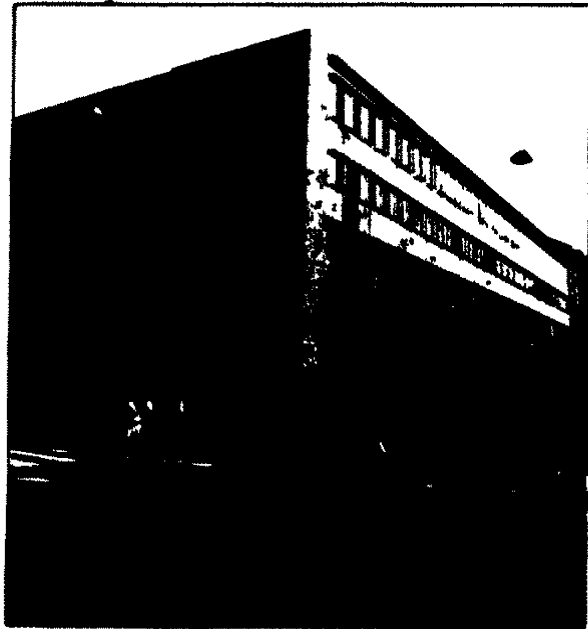




- مبنى الكاتدرائية الكبرى في أكبر ميادين العاصمة كل شيء في الميدان الذي تشرف عليه الكاتدرائية يحمل ذكرى الاسكندر الثاني قيصر روسيا ، حتى التمثال الذي شيد في قلب الميدان الفسيح !



- مسلم يقرأ الفاتحة في مقابر المسلمين التي تتوسط غابة في إحدى غابات هلسنكي الحميلة (فوق)



- في شقة في الطابق الخامس من هذا المبنى الذي يقع في قلب مدينة هلسنكي ، أقيم المسجد الذي يصل فيه المسلمون الستون العرب والفنلنديون



- جانب من غابات العاصمة (الى اليسار)



- جانب من ميناء هلسنكي . هنا يجد أهل المدينة فرصة لصيد السمك والقراءة على رصيف الميناء تحت الشمس الدافئة في عطلة نهاية الاسبوع



- في قلب العاصمة هلسنكي ،
تخرج ربات البيوت لشراء
الخضراوات والفواكه بأنواعها
من السوق الذي أقيم فوق
هريبات وأكشاك صغيرة ..
إنها رحلة كل يوم .





فنلندا كلها غابة من الاشجار التي تلف المياني والمدن والحقول ومن لب هذه الاشجار - التي تعتبر كلها الثروة القومية الاولى - يصنعون الورق ، أما الاشجار نفسها فيستخرجون منها أجود أنواع الأخشاب .

الوثيقة :

شرائع الاسلام وتبني له مسجدا وتقيم له حصنا ضد ملوك الخزر من اليهود والذين كانوا يعتدون على قومه ويفرضون عليهم الضرائب ، ويتزوج ملوك الخزر من يريدون من بنات ملوك الصقالبة غصبا .
وبالفعل استجاب الخليفة العباسي وأرسل وفدا على رأسه ابن فضلان .

رحل الوفد من بغداد يوم الخميس ١١ صفر ٣٠٩ هـ (٢١ يونيو ٩٢١ م) فعبر نهر جيحون ووصل بخاري ثم أوغل حتى وصل نهر الفولجا يوم الاحد (١٢ محرم ٣١٠ هـ) استغرقت رحلة ابن فضلان احد عشر شهرا ، وكتب ابن فضلان رحلته هذه بكل تفاصيلها ووقائعها . . ووصف فيها كل ما مر به وصفا شيقا بارعا . وأكثر مراحل الرحلة اثارة هو ما حدثه الصدفة ، ففي الطريق اختطفه جماعة من الفايكنج سكان « اسكندنافيا » فأخذوه معهم وأجبروه على أن يحيا حياتهم ويشترك في معاركهم . هذه الصدفة - التي لا يمكن لاحد أن يزعم ان ابن فضلان سعى اليها - منحته أعظم ما يتوق اليه رحالة أو مكتشف في كل العصور ، فقد كتب ابن فضلان اسمه في التاريخ كصاحب أقدم تسجيل كتبه شاهد عيان عن حياة

قلنا ان تيار المعرفة بين فنلندا والشرق العربي متصل وثري ، وهذه حقيقة فالاصل الوحيد المتاح والتاريخ المكتوب الدقيق لسكان الشمال كتبه الرحالة العربي ابن فضلان منذ مايزيد عن ألف سنة . ولا تقتصر أهمية رسالة ابن فضلان على أهميتها التاريخية والعلمية كمصدر أول لكل دول الشمال الاوربي في زمن لم تكن تعرف فيه هذه الدول القراءة والكتابة ، بل تجاوزت الرسالة كل ذلك وصارت واحدة من مصادر كثير من الاعمال الفنية والادبية ، لعل أكثرها شهرة ماقدمه الروائي الامريكي « مايكل كرتشون » في روايته « أكلة الموت » التي اعتمدت على تفاصيل ماكتبه ابن فضلان في رسالته عن أهل الشمال .

ولكن ماذا كتب ابن فضلان في وثيقته وكيف وصل الى آخر ركن في الدنيا كان ذلك في عام « ٩٢١ م » في عهد الخليفة العباسي « المعتذر بالله » الذي وصل اليه رسول من ملك الصقالبة « بلاد الروس » يطلب باسم مليكه ايفاد بعثة « لكي تفقهه في الدين وتعرفه

المسجد . . . في الطابق الخامس :

وبعد ابن فضلان جاء الاسلام الى هذه البلاد بحمله التجار ، الذين كانوا يجوبون روسيا ووصل نشاطهم الى فنلندا ، وفي المتحف الوطني نقود عربية عثر عليها في فنلندا ، وقد اكتشفت في أماكن مختلفة وخاصة في الاولاند ويقال أنه حملها الفيكانج أثناء سفراتهم في القرن الثامن . .

وفي فنلندا أقلية اسلامية ، تعرفت عليهم عندما زرت الجمعية الاسلامية في الطابق الخامس من إحدى العمارات الكبيرة في أحد شوارع هلسنكي ، والتي تضم مسجدا ومدرسة تدرس الاسلام ، ويبلغ عدد المسلمين ألف وخمسمائة مسلم ، ورغم قلة عددهم إلا أنهم أقلية نشيطة ومنظمة . .

وأغلب هؤلاء المسلمين من الترك والتتار ، ٤٠٪ منهم يسكنون هلسنكي ، ومازال الكثيرون منهم يتجسرون في الفراء والماس ، ولديهم مقبرتهم الخاصة ، حيث يدفن موتاهم في صناديق خشبية ، والتقيت في الجمعية بالسيد عبدالله رئيس الجمعية الاسلامية ، وصاحب أحد محلات الفراء ، وكان عائدا من جولة لكل من العراق وتركيا وليبيا وتونس والجزائر ، ولاحظت أنه الى جانب الدين الاسلامي يدرس التاريخ القومي فهنا أقلية اسلامية امتزج داخلها التاريخ القومي مع العقيدة الاسلامية حتى أنه يتعذر على الجمعية قبول أعضاء جددا من المسلمين الذين يعيشون في فنلندا سواء للدراسة أو العمل . .

وتقيم الجمعية شعائر صلاة الجمعة التي يحضرها حوالي مائة مسلم . . كما تحتفل بالاعياد والمناسبات الاسلامية المختلفة . .

وطوال الطريق الى المطار . . وعيناي تلهثان من شجرة الى شجرة . . وأسأل نفسي بقدرية : أي الاشجار هذه سأكتب عليها يوما ، ولم لم يفكر أحد أن يكتب عن الورق الذي يخرج من هنا . . فيطوف العالم . . بعد أن يملؤه الكتاب والصحفيون بسواد الحبر وألوان الصور ، وقطع سيل التساؤلات رجاء زميل الرحلة وهو يرجو السائق أن يقف لحظة لتلتقط الكاميرا آخر منظر في بلاد الغابات والاشجار والجليد والضياء . . . آخر ركن في العالم . . □

الفاتينج ومجتمعهم هو انه صاحب الوثيقة الوحيدة الفريدة في التاريخ المكتوب عن حياة سكان هذه المناطق .

ووصف ابن فضلان الفترة التي قضاها مع الفاتينج بدءا من الدهشة والاستغراب من مظاهر الطبيعة وانتهاء بالحياة والاجتماعية ، فهو يسجل ويحكي عن حيرته الشديدة في تحديد موعد صلاة المغرب في أيام النهار الممتد ويروي عن عذابه في انتظار صلاة الفجر مع الليل الذي لا يتهي ، ويحكي قصص الصراع الدموي بين الممالك ، ويصف القتال ووحشيته وكيف يصل العداء الى أكل لحوم القتلى وكيف تمزق الجثث ويؤكل لحمها الطري ، وكيف تعلق الرؤوس شواهد على الطرق دليلا على البطش والقسوة . حياة كاملة لصراع دموي يرصده ابن فضلان ويشارك فيه ، وبالطبع لم يدرك ابن فضلان وهو يكتب هذا انه يقدم تحليلا اقتصاديا وتاريخيا للمجتمعات ، يطرح فيه منهجا جديدا لم يكن العالم بعد قد سمع به ، ففي مجتمعات فقيرة وطبيعة قاسية مع مصادر للطعام محدودة جدا يصبح الصراع هنا صراعا دمويا لان ثمن الاسترخاء والضعف هو فقدان الحياة جوعا وبردا ، فكما يقول ابن فضلان : « كان الناس يأكلون لحم السدواب ويستعملون زيت السمك ، ثم كانوا لا يجيدون مكانا يحفظون فيه الطعام فيحفرون الارض ويضعونه في باطنها » ، هذه السطور على بساطتها تساهم في فهم وتحليل كيف كانت الحياة هنا من ألف عام فقط .

حتى على مستوى الحياة الاجتماعية لم يغفل ابن فضلان أن يرصد واحدة من العقوبات التي تحدد شكل القانون الاجتماعي السائد فيقول ابن فضلان :

ان عقوبة الزنا كانت شديدة فهم يقطعون المجرم بالفأس من رقبته حتى فخذه ، في نفس الوقت فان حياتهم الزوجية عجيبة لحياء فيها ولا عار . . هكذا يضع ابن فضلان يده على مفاتيح هامة للتحليل الاجتماعي من شكل هذه المجتمعات ، الامر الذي يحتاج الى دراسة انثروبولوجية كاملة عن حياة وطبائع وكنه السكان الاصليين لذلك المكان البعيد القابع في ركن الدنيا .

وسأقتصر في هذه الدراسة على عالمه القصصي كما تحسد في مجموعاته القصصية

بدأ محمد عبدالمملك الكتابة في اعقاب احداث الحركة الوطنية في البحرين سنة ١٩٦٥ ، لذا فانه انطلق من اتونها - وصورت اولى قصص مجموعته الاولى « موت صاحب العربة » (١٩٧٢) ، المعونة - « رمس » احدى مطاهرات الحركة الوطنية من خلال اسباب تيار الوعي لدى شخصية بطلها « الحاح مظلوم » ، السحار القديم الصلب الذي انتهى به الحال الى بيع الحصاروات بعد كساد تجارة اللؤلؤ ، والذي يحاول مع انه من المشاركة في المطاهرات اهاتمة سقوط الاستعمار وسقوط الشركة ، الا انه لم يستطع كبح حاح نفسه ، فاندفع مشاركاً في المطاهرة هاتفاً ضد الظلم والجور ، و « الظلم هو الجور » ، ويصم انه بدوره الى صفوف المتظاهرين ، ويستشهد مصاباً بالرصاص ويجلس الأب « الحاح مظلوم » - والأسماء ها دلالة في قصص عبدالمملك - صامتا يدحر السارجيلة ، ويردد كلمة وحيدة تتعجب والم « رمس » ٤٢

عالم البحر

ويجمع أسلوب محمد عبدالمملك المهي في هذه القصة بين تقطيع الرمس وتداخل الأرملة والأمكنة ، والتداعي ، وتيار الوعي ، والصور الحرة ، والتراث الشعبي دون افتعال فعندما يسمع الأب بطل القصة هتاف « يسقط الظلم » فان « الحاح مظلوم تذكر عاشوراء والحسين » ، فتحركه الذكرى للمشاركة في المطاهرة بالهتاف « الظلم هو الجور » قالها الحاح مظلوم يسقط الظلم « ومن تراث البحر ومفردات عالمه يصف عبدالمملك حركة بطله السحار القديم « اندفع كالقيل ورفع شراع يده « يسقط الظلم ! » غير أن القصة ، بسب موضوعها السياسي ، ولأنها من اعمال البدايات حملت بعض العبارات الخطابية والحماسية المباشرة ، كتكرار عبارة « التعب عاصب » وغيرها من العبارات التقديرية ، اصافة الى الحوار السياسي الذي لا يتحملة قالب القصة القصيرة المحدود والمكثف

كما تعص بعض قصص مجموعة عبدالمملك الأولى بالسرد التقريري والوصف الخارجي والشخصيات المسطحة ، غير انها تجمع بين واقعية الحدث والتعبير عن الشخصيات المعدلة والمطحونة والمهانة والمسحوقة ، والتي تتطلع الى تغيير واقع حياتها النابس والمظلم الى حياة افضل ، وتستعين على ذلك بقواها الالجابية وتراثها الشعبي

ويخرج محمد عبدالمملك في قصته « احر سمية » بين معاناة بطله السحار التي دامت ثلاثين عاماً في العوص على اللؤلؤ ، وبين معاناته في عمله الحديد بمعمل تكرير النفط بعد كساد اللؤلؤ وهجرة عالم البحر ، عندما يشه رئيسه في العمل « بالسوحدا » (رسان السمية) حين أبلغه بأمر فصله من العمل وادا كانت القصة تستعيد عر موبولوح بطلها العاطل المعدب صور حياة العمل في البحر وأعباء « الهام » (معى السمية) وحياة العرى الشاقة بحثاً عن اللؤلؤ ، الا انها تصف عربة بطلها في حياته الجديدة بين آلات معمل التكرير بأكثر الالفاظ تقريرية ومباشرة « ها عرفت العربة ، عرفت الصياغ بين آلات رابضة كالموت من حولي »

وتحتتم القصة بعبارة تقريرية ايضاً قائلة « فرمس العوص انتهى ، وتوقفت أحر سمية » ولكن معاناة الانسان استمرت بالرغم من ظهور النفط

موت صاحب العربة

أما قصة « موت صاحب العربة » التي محت مجموعته الأولى عواها ، فهي قصة مأساوية تصور عذاب حمال عحور وحيد ومعاناته الأليمة في عمله الشاق ، ومحاطته لسقف ححرته ، عن وحدته وفقره وضعفه واصطراره لمواصلة العمل طوال يومه دون راحة ، على نحو يدكرنا بحودي « تشيكوف » الوحيد الذي كان يحدث حصاه عن مأساة فقده لاسه الوحيد - وتمرح القصة بين الموبولوح الداخلي والحلم في تصوير معاناة البطل الأليمة وتطلعاته وأشواقه لحياة افضل ، غير أنها تحتتم بوفاته وحيدا في كوحه ، حتى تأكله الديدان ، وتعوج منه رائحة العوص هكذا يموت صاحب العربة بعد أن أيقن بأنه « لاراحة ها - الراحة في القبر - الراحة في



صاحب العربة ، وكنا نسميه عبدالله (حبان) لضيق عينيه ، كان رجلا عظيما ، وهو يقود عربة كبيرة من الحارة التي أقطنها الى قلب السوق في برد الشتاء وحر الصيف ، وكان طيبا ، ذا كبرياء ، وقد مات موتتين ، مرة حين هذه العمر فمد للناس يده فتألمت ، ومرة حين وجدناه جثة ننته في بيته المصنوع من سعف النخيل في « حي لبنان » ، هكذا كنا نسميه تهكما في الطفولة ، لم نكن نعلم ان لبنان سيصيبه الدمار اكثر من هذا الحي في عام ١٩٨٢ . . كنت اريد ان احكي حكاية عبدالله للناس ، وقد حاولت وانا عديم الثقة في نفسي ، ولكن ردود الفعل جاءت مشجعة ، ومع ردود الفعل المستمرة من الناس وجدت الثقة في نفسي . « هذه هي رواقد الواقعية في عالم محمد عبد الملك القصصي » .

الناطور

تلح القضايا الوطنية والاجتماعية على قلم محمد عبد الملك ، وتنعكس بقوة في عالمه القصصي منذ بداياته الاولى . واذا كان قد صور اضطرابات الحركة

القبر . . . تلك الراحة هي حلمه السعيد الذي ظل يحلم به . أما الاطفال الذين تمكنوا اخيرا من الاستيلاء على عربته واللعب بها فانهم « لم يشعروا بسعادة » . فلا سعادة لدى شخصيات محمد عبد الملك المعذبة التعسة .

وقد حدثني محمد عبد الملك عن هذه القصة حديثا متعا اجابة عن سؤال لي عن تجربته الأدبية . وانقل هنا فقرة من هذا الحديث لانها تلقي أضواء كاشفة على الينابيع الواقعية التي تتدفق منها ابداعات هذا الفنان الواقعي اللؤوب .

فبعد ان تحدث عن اكتشافه لرغبة عارمة في الكتابة والتعبير والبوح قال لي : « لقد وجدت هذه الرغبة في نفسي مثل الآخرين ، واعتقدت في البداية - وانا اكتب قصتين في وقت واحد ، ذات مساء حار وحزين - بانني امارس نوعا من الألم والتألق على الطريقة البوذية ، والاغتسال والتطهر . هناك اشياء أعرفها ولا يعرفها الآخرون ، هناك تجارب وخيالات اريد ان يشاركني الآخرون في الاستماع اليها او يتحدث عنها ، مثلا : « حكاية عبدالله

نحن نحب الشمس

وفي مجموعته القصصية الثانية « نحن نحب الشمس » تقدم محمد عبدالمملك شخصياته الباعة من حارات وأرقة أحياء المامة الشعبية صوب الموم المسية والروحية ، ومن ثم تقلصت مساحة الوصف الخارجي والسردي التقريري في بعض القصص ، التي لحا فيها الكاتب الى استيطان شخصياته والدحول في اعماقها وهي شخصيات معدة ايضا ولكن عداها روجي وبسي ومعيوي ، كعداب سطل قصته « الانتظار » الذي يعاني الوحدة بعد وفاة روحته واعتقال امه الوحيد ، غير ان الكاتب لم يتحل تماما عن تدخله بالتعليقات المباشرة كقوله « عحت اي حرن مدمر يعيشه مد حادث الاعتقال »

غير ان المباشرة واقتاد الرمن المحدود طلا يلازمان معظم قصص مجموعته الثانية « نحن نحب الشمس » وخاصة في القصص السياسية المصمون مثل قصة « مطر يعيد الحياة » التي تستعرض هموم الوطن العربي كله ، من انقلابات وثورات وانكسارات في عبارات سياسية مباشرة ، تندفق على قلم بطلها وهو يدون مذكراته او كالاسلوب التقريري المباشر الذي يقدم به الكاتب تجربة التعذيب في السحر في قصة « الربرة » ، وتجربة الهي في قصة « سد » وهي قصص سياسية مباشرة تقترب من اسلوب المقالات السياسية وتحاول ان تصور الصراع السياسي والاجتماعي او كقصة « البادة » التي تناول حياة الفتاة العاس « سارة » وهمومها ، دون مراعاة لمحدودية الرمن الاساسية في من القصة القصيرة

وفي هذه المجموعة القصصية الثانية تتقدم موضوعات قصص محمد عبدالمملك نحو الثقافة والسياسة ، وادا كانت موضوعات السحر والاعتقال والهي هي العالة في قصص هذه المجموعة ، فاما بطلع اسماء « حيمارا » و « حوركي » حسا الى حب مع الأحاديث المباشرة عن القومية العربية ، وحكم العسكر والورحوارية ، والاستغلال الطبقي من تحار اللؤلؤ والواحدة الى المقاولين وشركات المعط والى حوار الشخصيات الشعبية ظهرت شخصيات المثقفين في قصص هذه المجموعة الثانية □

العمالية في قصصه فانه يصور اصرانات الطلبة ايضا ، الذين تنابعهم من حلال رؤية « احمد الباطور » حارس بوابة المدرسة الثانوية الذي اعطى القصة عواها ، والذي اثرت فيه هتافات الطلبة ضد امريكا والمطالبة بالمساواة الاجتماعية ، فاندفع حلمهم يهتف معهم بدلا من ان يعلق السواسة في وحوهم ومعهم من الاصراب ، فيفصل من عمله لقاء ذلك ، في حين يمزج عبدالمملك بين الطلبة وبين مفردات عالم البحر ايماء الى قوتهم قائلًا « اهم يدون كاسماك كبيرة في عرص البحر ، يحومون ها وهماك صاربين بأيديهم في الهواء كما يعمل سمك القرش تماما ! اهم لا يقلون عنه تسراسة هؤلاء الصغار الطيبون ، وفي اللحظات الحاسمة لن يوقهم هذا الحدار ، ولا سواسة العم احمد التي استدلت بأحشائها الحديد ، وتموج الساحة امام عيبه باللهول اسطر آه صاح بارتياح كيف تتجمع الحلقات السرية ، وهاهم كتلة امواج عاتية صاحبة ، عارمة ، عيفة الوحه في اصواتهم التي تشق طريقها بلا توقف » اما شخصيات ايجاميه تؤثر في سواها من الأحيال السابقة ، لأنها شخصيات من الشباب ، تمثل العد والمستقل ، وتلوح بقدرتها على صياعته وصعه وانداعه ، وادا كان العمال ، في قصص عبدالمملك ، يهتمون ضد الجوع والظلم ، والطلبة يددون بأمريكا ويطالسون بالمساواة الاجتماعية ، فان عمال الساء في قصة « حمارة الخردان » يهتمون أيضا « يسقط المقاولون » ويتحدثون عن نائهم للعمارات وحروهم صمر الايدي

وتشع قصص محمد عبدالمملك الواقعية الأولى بدفء الواقع في أحياء « المامة » الشعبية التي شأ وتكون فيها ، ومن هذه الأحياء يتقي الأديب الواقعي شخصياته الشعبية ، من عمال وحمالين وباعة وبحارة وعاطلين وسحاء ومفيين وأطعمال وطلبة ، فيصور حياتهم التي يحيم عليها الجوع والنؤس والحرمان وتتصاعد منها نعمات الاحساس بالظلم والتوق للعدل والحلم بمستقبل افضل فهو يحرص على الا يدع اليأس يسد منافذ الأمل بالرغم من قسوة الصور الواقعية المتقاة بمهارة ، لتعبر عن موقف الأديب الممان من هذا الواقع

أشعار

شعر : عبد الفتاح الصبحي

أيا مهرة الليل هيا خذي
ولا تتركيني لهذا الصقيع

مُعنَى هو القلب وسط الفيافي
فما عاد يسكن عش الضلوع

ويخنقه القمع والدمع حيناً
فلن لاح وجهك طاب الخشوع

تبارك حلم بجفنيك يغفو
كمشتل ورد وفل يضوع

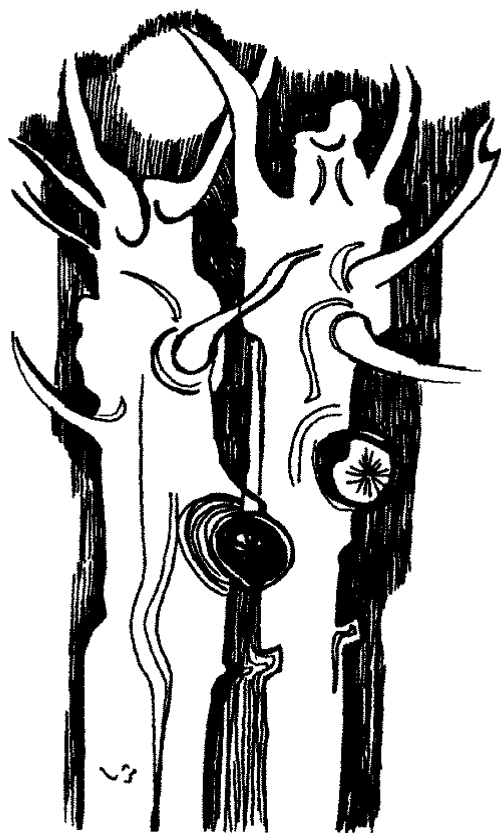
تبارك فجر بعينيك يصحو
فيرقص صيف ويشدو ربيع

تبارك نهر بكفيك يستحو
فيطمئنا بعد خوف وجوع

أحلق في الأفق والنجم يزمو
ولم يبق في الليل الا هزيع

فألمح طيفك في الريح يمدو
على شجر حملته الجموع

أناديك : يا عروس روعي .. خذي
طريق الهوى ما به من رجوع !





الجوع

وأثره على جسم الإنسان

بقلم : الدكتورة فاطمة الغرباوي

رأينا وقرأنا أخبارا كثيرة عن الجفاف في المناطق الافريقية ، ومايتج عنه من المجاعات ، وأفزعنا

الضحايا التي سقطت نتيجة لها ، والأخرى التي تنتظر . فما أثر الجوع على جسم الانسان ؟ وكيف

يؤدي الى الوفاة ؟

أوبالسحب من الاحتياطي المختزن في أنسجة الجسم المختلفة .

والجلوكوز ، أو السكر الاحادي ، هو العنصر الاساسي والمطلوب أبدا للاحتراق واستنباط الطاقة اللازمة ، خاصة للمخ - الذي يتطلب لحيويته ٨٥٪ من الجلوكوز من الدم ، وللأنسجة الأخرى بدرجة أقل من ذلك .

يمكن إجمال أنسجة الجسم في ثلاثة أنواع : الأنسجة الدهنية، والبروتينية ونسيج الكبد النشوي . وعندما يقل ما يحصل عليه الجسم من الغذاء الكافي والسرعات الحرارية اللازمة ، بدرجة كبيرة عن المعدل الطبيعي لاحتياجاته اليومية ، تتحرك ميكانيكية التمثيل الغذائي للتوفيق بين أمرين ، إما بالاقلال من النشاط الجسماني ،





عندما يذوب الدهن والعضل في الجسم بعد طول حرمان من الغذاء ، يكبر بطن المصاب لامتلاء تجويفه بالماء .

بالأملاح ، وأهمها عنصر الصوديوم في الأنسجة مما يتطلب امتصاص الماء من الدورة الدموية الى تلك الأنسجة .

الحرمان الغذائي

إن النتائج الوخيمة - وآخرها الوفاة-للحرمان الغذائي متوقعة تماما اذا ما فقد الجسم ثلث أو نصف مخزون البروتينات منه .

ومن النتائج الأخرى المترتبة على المجاعة ضعف المقاومة للأمراض المزمنة ، وذلك عند من يقل وزنهم

وفي الجسم العادي مخزون قليل من السواد النشوية ، يحتاج صيام ليلة واحدة ليحترق كله . وحتى بين الوجبات ، عندما ينخفض معدل الجلوكوز في الدم يحاول الجسم انتاج الحديد منه بطريقة أو بأخرى ، ليكون معدله في حدود كافية - بين ٥٠ الى ١٥٠ مللجم - وهي المعدلات التي يتعطل فيها المخ عن عمله اذا قلت عنها ، وتزدحم الكل في التخلص منها اذا زادت عن ذلك .

أما إذا صام المرء مدة طويلة فعلى الكبد أن يبدأ انتاج الجلوكوز ، وانتاج هذه المادة في الجسم أسهل وأكثر مباشرة في البروتينات منها في الدهون . لذا يستخدم الجسم عضلاته في انتاج الطاقة ، لتذوب رويدا رويدا بالرغم من وفرة الدهون فيه . تتكسر بروتينات العضلات الى أحماض أمينية ، وهذه تصل الى الكبد عن طريق الدم ، ليتكون منها النشا ، وهذا بدوره يتكسر الى جلوكوز .

أما اذا طالت مدة الحرمان كالحال في المجاعات أو في معسكرات الاعتقال ، فلن الجسم يعزف عن استخدام البروتينات في انتاج الطاقة ، ويبدأ في استخدام الدهون المخزنة ، وذلك باستخلاص الأحماض الدهنية ، وكل ذلك لصالح نشاط الجهاز العصبي في الدرجة الأولى . وبانتهاء المخزون في الدهون يحس الانسان بالوهن ، ويفقد القدرة على التفكير ويعزف عن الطموح ، ويهبط ضغط دمه ، ويغشى عليه ، وينتهي به الأمر الى الوفاة اذا استمر الحرمان من الغذاء .

ويذويان الدهن والعضل يبدأ الجسم في التورم . فالجلد في القدمين والساقين يصبح مثل كيس مليء بالماء ، لأن الأنسجة الذائبة تكون قد تركت فراغا خلويا مكانها ، وكذلك يكبر بطن المصاب لامتلاء تجويفه بالماء ، وتنتفخ جفونه ويفور خداه .

ولعل هناك أسبابا أخرى لهذا التورم غير ذويان الأنسجة ، مثل انخفاض معدل الزلال في الدم مما يقلل الضغط الأسموزي في الأوعية الدموية ، ويساعد على الارتشاح الى الأنسجة الخلوية . كما يؤدي الى انخفاض ضغط الدم ، اذ يقل اندفاع الدم الى القلب ، ويقل بالتالي معدل ضخه في الكلى ، ليقل بذلك معدل افراز البول ، فيحفظ الجسم

يفقد يوميا حوالي ٢٠٠ - ٣٠٠ جم من وزنه الاجمالي في كل يوم من أيام الحرمان .

وإذا كان معدل نقص الوزن أكثر من هذا ، يكون السبب إما ازدياد ادرار البول ، او زيادة تحطيم الأنسجة بزيادة معدل التمثيل الغذائي عن المعدل الطبيعي .

هناك هرمونان اثنان يتحكمان في عملية التمثيل الغذائي للجلوكوز ، الأنسولين والجلوكاجون ، وهما متضادان تماما ، فعندما يصوم المرء ، ينخفض الأنسولين ، الذي يحرق الجلوكوز ، ويزداد الجلوكاجون ، الذي يساعد على استنباط الجلوكوز ، وهنا تنشط في الصائم عملية تكسير الدهون وينشط انتاج الجلوكوز في الكبد .

الصيام الطويل

ويختلف الحال عند الصيام لمدة طويلة لأكثر من عدة أيام ، فللجسم حيثذ طرق متعددة للتكيف حتى لا يهدم كثيرا من البروتينات . اذ يقل استعمال المخ للجلوكوز ، ويبدأ باستعمال بعض مشتقات الدهون والكيثونات كبديل له . ويتبع ذلك انخفاض معدل تكسير العضلات الى أحماض أمينية ، ويقل ما يحتويه البول من مواد نيتروجينية الى حوالي ٣ جم يوميا ، مما يعكس تكسير حوالي ٢٠ جراما من البروتين ونقص ما يقل عن ١٠٠ جرام في وزن الجسم الحقيقي يوميا . وبذلك يتحول انتاج حوالي ٩٥٪ من الطاقة المطلوبة من المخزونات الدهنية في الجسم . ويمكن وصف الانسان وقتها بأنه يتعيش على غذاء داخلي ذاتي عالي الدسم .

تعتمد كل العمليات السابقة على أن جسم الصائم كان سليما معافى عند بداية صيامه . أما اذا كان مريضا أصلا بمرض حاد أو مزمن مثل الالتهابات أو الحروق أو الاصابات وما يتبعها من عمليات جراحية ، فاستجابة الجسم عندها تكون بزيادة في تكسير البروتينات ، وهي تناسب وكمية الطاقة اللازمة للجسم . فمثلا ، الحمى ، تتطلب استخدام كمية أكبر من الاوكسجين - بمقدار ١٥٪ زيادة لكل درجة حرارة واحدة ارتفاعا .

عن المعدل الطبيعي وتتوزع احتياطات جسم الانسان الذي يزن ٧٠ كجم ، وهو المتوسط الطبيعي كما يلي :

١٥ - ٢٥٪ دهون

١٢ - ١٧٪ بروتين في شكل عضلات

٣٪ نشويات في هيئة نشا الكبد ونشا العضلات وسكر الدم .

والدهون هي الخطوط الامامية للدفاع عن استنزاف طاقة الجسم حيث يولد كل جرام منها ما يوازي ٩ كيلو/كالورى ، أما جرام البروتين فيولد ٤ كيلو/كالورى .

واختزان الدهون في الجسم غني عن التعريف ، فالسمنة أو زيادة الوزن كلمتان مترادفتان لمعنى واحد ، فهي تعني زيادة الدهون في الجسم وهي لاتعني أي زيادة فعلية في البروتينات أو النشويات في الجسم . .

فزيادة الوزن بمقدار ٢٥٪ تعني مضاعفة وزن الدهن فيه . وعلى العكس من ذلك فان نقصان الوزن كما يحدث في المجاعات والأمراض المزمنة تعني هدم ملحوظا في كمية البروتين على السواء .

وأعود لأؤكد أن المخ يستهلك حوالي ١٠٠ - ١٥٠ جراما من الجلوكوز يوميا ، ويحرقها الى ثاني أوكسيد الكربون . والماء والأنسجة الأخرى مثل محتويات الدم وخلايا الكلى وخلايا العضلات تستخدم كميات أقل من تلك المادة ، بين ٥٠ - ٧٥ جراما يوميا . ونسيج العضلات هو المستهلك الأكبر للطاقة في الجسم ، أما القلب والأمعاء فلا تعتمد على الجلوكوز سواء في حالات الشبع أو الحرمان ، بل هي تعتمد على أكسدة الأحماض الدهنية من النسيج الدهني المختزن ، وكذلك من الكيثونات التي تتكون في الكبد أثناء أكسدة الدهون .

عندما ينشط الكبد في استخدام الأحماض الأمينية التي وصلته من العضلات لتحويلها الى جلوكوز ، يفقد الجسم بهذه الطريقة حوالي ٦٠ - ٧٠ جم يوميا من البروتين ، وهذه نتج حوالي ١٠ - ١٢ جم من النيتروجين في البول . وبما أن الماء يكون ٧٥ - ٨٠٪ من وزن العضلات فان الجسم بهذه الطريقة ،

● الجوع وأثره على جسم الانسان



نقصان الورد يعنى هدما ملحوظا فى كمية البروتين وريادة فى تحطيم اسجة الجسم

الالتهابات والأمراض المزمنة ، خاصة حالات الاسهال والتهابات الجهاز التنفسي . فنجد ارتفاعا ملحوظا في نسبة وفيات الاطفال دون سن السادسة في البلاد النامية أعلى منها في العالم المتقدم ، والسبب سوء التغذية . فمقاومتهم ضعيفة والأسباب معروفة . فنقص البروتين وفيتامين أ ، ج وجميع مشتقات الفيتامين ب تحول دون انتاج الجسم للمواد التي تقويه من عدوى الأمراض .

ولقد أعطى بعض المتطوعين مواد مضادة لبعض الفيتامينات ، فانخفضت نسبة المواد المناعية في دمائهم .

ولوحظ أن الاطفال الذين يعانون من سوء التغذية وانخفضت في دمائهم نسبة المواد المناعية ولكن بدرجة قليلة ، كان عدم التوازن في الغذاء كافيا لتعطيل ثوبهم ونضج تفكيرهم .

والأسرى في المعتقلات ، الذين ينعلم التوازن في غذائهم تكثر اصابتهم بمرض « البري بري » لأن مادة الثيامين تنقصهم وتكثر بينهم الاصابة بنزلات الأمراض الميكروبية المختلفة . وإذا ما أصيب أحد قروء التجارب بنوبة برد فقط ، ظهرت أعراض الأنيميا وفقر الدم اذا كان غذاؤه لا يحتوي على مادة حامض الفوليك .

وعند الاصابة بالأمراض الميكروبية يزيد افراز فيتامين ج في البول ويقل معدل في الجسم ، وتلك ظاهرة ملحوظة عند الاطفال المصابين بسوء التغذية ، ويعانون من التهابات الاذن الوسطى ، والتيفود أو الالتهاب الرئوي وبعد التطعيم ضد الجدري ، فهم أرض خصبة لمرض الاسقربوط ونقص فيتامين ج .

ولتنقص المواد الغذائية من الغذاء دور هام وعلاقة وثيقة ببعض الأمراض . فالأمراض الميكروبية تقلل نسبة الحديد والزنك . والاصابة الشديدة بالديدان الشريطية كافية لأن يصاب المرء بأنيميا خطيرة حتى لو كان غذاؤه غنيا بالحديد ، وهذا يذكرنا باصابة الفلاحين في مصر بدودة البلهارسيا ، حيث يفقد المصاب عنصر الحديد أثناء النزف الطويل في الجهاز البولي والأمعاء .

ومرضى الدرن ، يفقدون عنصر الكالسيوم والفوسفور . والمرضى المصابون باسهال ميكروبي ،



عدم التوازن في الغذاء يعطل النمو ونضج التفكير ويظهر اعراض الانيميا وفقر الدم .

ولا تتطلب العمليات الجراحية غير الفجائية ، زيادة في الحاجة للأوكسجين . وعلى العكس من ذلك فان الكسور المضاعفة ، والالتهابات الشديدة مثل التهاب الغشاء البروتوني في البطن ، تتطلب زيادة قد تصل الى ٥٠٪ من الحاجة للأوكسجين .

وتحتاج الحروق الكبيرة الى زيادة بنسبة ١٠٠٪ من الأوكسجين . ومع هذه المتطلبات العالية للطاقة يتحتم تكسير البروتينات المخزنة وبسرعة ، لذا يحتوي البول وقتها على مشتقات النيتروجين التي قد تصل الى ٢٥ جراما يوميا ، وهو معدل أكثر من ضعف الكمية التي يحتويها البول عند الصائمين المحرومين . وهي أيضا كمية تعكس تكسير حوالي ١٥٠ جراما في البروتين يوميا ، أي ما يعادل فقدان رطل من وزن الجسم الاجمالي يوميا ، ولذا يبدو هزال المصابين واضحا خلال فترة قصيرة .

انخفاض المناعة

ان سوء التغذية عموما هو صورة من صور الحرمان الغذائي ، فاذا كانت التغذية غير متوازنة انتشرت



المرضى المصابون بسعال ميكروبي يفقدون الكثير من الصوديوم والبوتاسيوم وقد يؤدي الامر الى الموت .

العلاج

ويتطلب علاج حالات الجوع والحرمان الغذائي حرصا شديدا . فيجب أن يكون استرجاع الاستطعام والتغذية تدريجيا وبيطا شديدا جدا . فلقد أصيب الأسرى في الحرب العالمية الثانية ، ممن عادوا الى بلادهم ، باغواء وصدمات عصبية (Shock) عندما أكلوا بشراسة . وتوفي عدد كبير منهم عندما تناولوا أغذية غنية على عجل . والحال نفسه ينسحب على المرضى بأمراض أخرى غير ضحايا المجاعات والاعتقالات ، مثل مرضى سرطان المرئ الذين لا يتمكنون من التغذية الطبيعية ، فهؤلاء عندما تعمل لهم فتحات جانبية في المعدة لتناول غذائهم عن طريقها ، قد يصابون بصدمة مفاجئة تنتهي بهم الى الوفاة اذا ماشحتت المعدة بغذاء غني في وقت قصير . □

يفقدون الكثير من الصوديوم والكلورايد والبوتاسيوم والفوسفور بدرجات متفاوتة قد تكون شديدة لدرجة مميتة .

المدمنون

ولاستكمال بحث موضوع الحرمان الغذائي أجدني مضطرة لذكر موضوع حيوي وهام . وهو عن المدمنين على المشروبات المسكرة . فبعد أن يتقنوا في الشراب وتتخم المعدة ، يتقيثون ماشربوا وما أكلوا ويعتبرون في عداد المحرومين غذائيا . وهنا يتفاعل الجسم بأن يزيد من هدم البروتينات وترتفع نسبة الكيتونات في الدم ، بعكس من يصوم وجسمه سليم ، الذي تتفاعل أنسجته وتزيد من انتاج الجلوكوز ولا تزيد عندهم نسبة الكيتونات . وحتى لو صاموا عدة أيام أو عدة أسابيع يستمر معدل الجلوكوز عندهم لأكثر من ٥٠ مللجم . .

وعندما ترتفع نسبة الكيتونات عند المدمنين ، تقل نسبة الجلوكوز عن ٥٠ مللجم فيصاب المرء بالاغواء ، أو يبقى في حالة اعياء شديد ويصبح تنفسه سريعا وعميقا . والسري في ذلك هو زيادة معدل هدم الدهون ، وربما اختلال طرق الاكسدة في خلايا الجسم نفسها عندما يتم الاجهاز على مخزون النشا في الكبد تماما بفعل القىء المستمر أو عدم الغذاء لعدة أيام . والكحول بذاتها حائل دون انتاج الجلوكوز في الكبد بالاضافة الى تليفها ، مما يحرم خلايا المخ من مصدر الطاقة والعمل والحياة والحيوية .

ويتسبب الادمان أيضا في حرمان الجسم من عنصر المغنسيوم وذلك بعكس الحرمان عند الشخص العادي ، حيث الكلى حريصة تماما على تنظيم افراز تلك المادة ، أما الكلى عند المدمن فخلاياها غير قادرة على الاحتفاظ بها أو منع افرازها .

ان للمغنسيوم وظيفة هامة في الجسم ، وهي المساعدة على الحفاظ على مستوى الكالسيوم في الدم . كما أن له علاقة وثيقة بالغدة فوق الدرقية . لذا نجد المدمن وقد اعترته رجفة وتشنجات عضلية ، وهو سهل الاثارة من أقل شيء ، وغير قادر عموما على التحكم في تصرفاته باتزان .

بقلم : محمود المراغى

مائة عام مرت على أول سيارة في العالم تعمل بالمحركات التى تخضع للنظريات الحديثة . قبلها كانت هناك سيارة فرنسية تحتاج شوارع باريس ، لكنها تعمل بالبخار وتسير بسرعة خمسة كيلومترات في الساعة . و . . قبلها تطورت وسائل الانتقال بشكل بطيء رغم أن مصادر المعرفة القديمة تقول إن صناعة وسيلة للنقل كانت سابقة لصناعة المساكن ، فحاجة الانسان الى الانتقال وحمل الاثقال كانت تنافس حاجته لمسكن صناعى يؤويه .

بدلاً من النقل بالدواب

وعضلات الانسان رحلة طويلة ، تأكدت خلالها باستمرار أهمية ما ندعوه الآن « صناعة النقل » . . فالطريق والسيارة والقطار والباخرة والطائرة ليست من زخارف الحضارة ، لكنها فى الأساس عملية اقتصادية يتحقق من خلالها التبادل ، وينمو الانتاج . ويعنى آخر يمكننا القول أن حجم ما تملكه الدولة من طرق ووسائل نقل واتصال يحدد بصورة ما درجة التقدم والنمو الاقتصادى والاجتماعى . والاكيد أن المسافة بين من ينقلون سلعهم بالدواب ومن ينقلون المعلومات بالأقمار الصناعية مسافة بعيدة . . والسؤال : أين نحن العرب من هذه الرحلة الطويلة ؟ . . ماذا نملك من وسائل نقل واتصال ؟ . . وما هو موقع ما نملكه من رحلة التطور والاقتراب من العالم المتقدم ؟

تقول الأرقام ، التى أوردها آخر تقرير اقتصادى عربى موحد : أن قفزة قد حدثت في السنوات الأخيرة ، فيما يسمى الاهتمام بالمرافق أو البنية الأساسية . وان قطاعات النقل والتخزين والمواصلات والكهرباء والماء والغاز قد احتلت ربع الاستثمارات المستهدفة في النصف الاول من

في البدء : كانت جذوع الأشجار الطافية فوق ماء النهر أو البحر وسيلة للانتقال . وفى البدء : كانت الطاقة المحركة لوسائل النقل البدائية تعتمد جميعها على قوى الطبيعة وعضلات الانسان ، تدفق الأنهار ، حركة الرياح . . و . . كان ذلك كفيلاً بتوليد الحركة .

وعندما اخترع المصرى القديم السفينة الشراعية كان ذلك فى وقت قريب لا يتعدى عام (٢٥٠٠) ق . م أيضاً ، وعندما استخدم هنود أمريكا الشمالية العربات البدائية كان ذلك فى تاريخ أقرب . لكن القفزة الكبرى فى وسائل النقل كانت باختراع المحركات والقوة الميكانيكية التى بدأت فى القرن التاسع عشر . ولأن الحاجة أم الاختراع فقد سارت الامور بعد ذلك بأسرع مما نتصور ، وتعددت أشكال وسائل النقل والاتصال من باخرة الى سيارة وطائرة وصاروخ ومركب فضائى وقمر صناعى .

فى عام ١٩٦١ وصل الانسان - ومن خلال رحلة جاجارين - الى الفضاء الخارجى لأول مرة . . ولكن بين رحلة جاجارين والنقل بالاخشاب والدواب

الثمانينيات ، وبما يزيد عن كل ما انجز في مجال البنية الأساسية خلال حقبة السبعينيات . . . ولكن . . . ووفقا لنفس الأرقام فإن معظم التطور كان في دول النفط والتي احتلت وحدها ٥٩٪ من الاستثمارات في هذه المجالات ، فإذا أخذنا النقل بمفرده وجدنا نفس المعدل المرتفع من التطور ، ومع ذلك نجد أن الهوة مازالت واسعة بين الدول العربية والدول المتقدمة .

وإذا كان الطريق البري هو المعبر الذي تسير عليه السيارة - كأداة نقل رئيسية - فإن الوطن العربي فقير في طرقه ، ولا يملك منها - غير (٤٤٩) ألف كيلومتر ، بينها (١٧٦) ألفا فقط تم تغطيتها بالأسفلت وبطريقة أخرى في الحساب فإن كل ألف من السكان عام ١٩٨١ كان يقابلهم (٢,٦) من الكيلومتر ، وهي نسبة صغيرة بالقياس لمساحة هذا الوطن الذي يمتد من الخليج الى المحيط ، ويهبط الى أعماق افريقيا ويصعد الى حدود تقترب من أوروبا ويحتل جزءا من آسيا .

وبتحليل أكثر نجد أن ثلثي الطرق العربية في افريقيا . . . لكن الطرق الأكثر تعبيدا وتجهيدا يقع معظمها في آسيا حيث دول النفط الأكثر قدرة ، أما الطرق العربية المشتركة التي تصل بين أكثر من بلد عربي فتقتصر نسبتها على ١٨٪ فقط من جملة الطرق .

و . . . فوق هذه الطرق - ووفقا لإحصاءات وتقديرات عام ١٩٨٣ - يجرى أكثر من (٧) ملايين سيارة معظمها سيارات خاصة ، وأقلها سيارات شحن ونقل للأفراد (باصات) ، وبترتيب النسب تحتل السيارات الخاصة (٧٠٪) من عدد السيارات ، والشاحنات ٢٦٪ ، والباصات ٤٪ فقط ، وفي المتوسط العام نجد لكل ثلاثين عربيا سيارة . . . ولكن في التفاصيل يرتفع الرقم الى خمسمائة سيارة لكل ألف من السكان في قطر ، ينخفض الى ثلاث سيارات في الصومال ، وسبع سيارات في السودان ، وتسع سيارات في موريتانيا . . . لكل ألف من السكان . . .

وتعكس الأرقام على هذا النحو الحقيقة الأساسية الأولى وهي أن الجزء الأعظم من سياراتنا لا يرتبط بالنشاط الاقتصادي بشكل مباشر ، لكنه يكاد يدخل مجال السلعة الاستهلاكية ، وهو ما تترجمه حقيقة أن لكل شخصين أو لكل ثلاثة في بعض الدول سيارة ،

ولكل سيارة مساحة في الطريق واحتياجات من الطاقة والفنيين اللازمين للصيانة .

و . . . ربما يكون القطار أكثر تعبيرا عن الارتباط بين مرفق النقل والمرافق الانتاجية ، فهو القادر على أن يحمل أكثر ويتكلفة أقل ، ومع ذلك فإن استخدام القطار يقتصر على نصف الوطن العربي (١١ دولة) وشبكاته لا تزيد أطوالها عن ٢٢ ألف كيلومتر ، في مطلع الثمانينيات . . . منها تسعة آلاف في مصر والسودان ، وثمانية آلاف في الجزائر وتونس والمغرب وموريتانيا ، وخمسة آلاف في بقية أنحاء الوطن العربي .

وفي أكثر من بلد يقتصر استخدام القطار على نقل بعض الخامات مثل خام الحديد .

القطار هو الوسيلة الأرخص للنقل ومع ذلك فإن مصر - التي تملك أكبر شبكة للسكك الحديدية - ظلت نحو ربع قرن لا تضيف لشبكاتها شيئا ، ولكن عندما اكتشف خام الحديد ، وأقيمت مصانع الصلب واعتمدت على فحم مستورد ، أنشئت خطوط تنقل سنويا بمقدار كل مائة كانت تنقله خطوط السكك الحديدية حينذاك . . . واخترقت الخطوط الصحراء من الواحات البحرية الى حلوان والاسكندرية ، في أطول رحلة احتاجها مشروع صناعي مصري .

التطور الاقتصادي اذن لصيق بتطور وسيلة النقل ، وهو ما عكس نفسه على النقل البحري في دول النفط ، وإن كان الاعتماد على الناقلات غير العربية كبيرا .

و . . . مع ذلك فإن توقعات الخبراء تقول إن نسبة النمو في السيارات سوف تكون في الثمانينيات والتسعينيات أقل من ذي قبل ، بعد أن بلغ البعض حد التشبع ، وضاعت طرق البعض الآخر في وجه المركبات ، وأصبحت مشكلة الطريق تفوق مشكلة وسيلة النقل ، وفي هذا المجال يضيف خبراء النقل قائلين : لكن أرخص وسائل النقل لا تستخدم على الوجه الأمثل ، ومن قال إن القاهرة - أكبر المدن العربية - لا تستطيع نقل الملايين على سطح طريق مناسب اسمه : نهر النيل ؟ . . . والنموذج متكرر ، فنحن في صناعة النقل نطلب الأحدث لا الأرخص ، وفي الأحدث كثيرا ما تطفو رغبات الأفراد وليست حاجات الاقتصاد ! □

الجمالية العربية

صفحة لغة

بقلم : محمد خليفة التونسي

مازال ولا زال

مكانكم أنتم وشركاؤكم ، فزينا بينهم ، وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون (أى فصلنا بعضهم عن بعض . ومنه (تَزِيلُ) كما في الآية : (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطئوهم فتصيبكم منهم معرفة بغير علم ، ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما) أى لو انفردوا بعيدا عن المؤمنين والمؤمنات لحلت بهم النعمة .

٢ - ويقال (زال يزول زوالا) بمعنى ذهب أو انتقل أو هلك ، كقوله تعالى : (إن الله يمسك السماء والأرض أن تزولا ، ولئن زالتا إن أمسكها من أحد من بعده ، إنه كان حليما غفورا) ، ومنه وقت الزوال حين تزول الشمس عن وسط السماء نحو الغروب ظهرا .

وهذان الفعلان تأمان أى يكتفيان بالفاعل لتمام المعنى .

٣ - ويقال (زال يزال) وليس هناك مصدر مستعمل له ، والكلمة تدل على النفي فإذا سبقتها أداة نفي أو نحوه دلت الجملة على الإثبات ، لأن نفي النفي إثبات ، أو سلب السلب إيجاب كما يقول أهل

يخلط كثير بين (مازال) و (لازال) في الكلام فيستعملونها بمعنى واحد ويضعون كلا منها مكان الآخر ، مع أن لكل منها استعماله تبعا لمعناه ، وإن كان النحاة يعدون (زال) فعلا ناقصا ، من أخوات كان ، وكلها نواسخ تدخل على الجملة الاسمية المكونة من مبتدأ وخبر ، فيبقى المبتدأ بعدها مرفوعا كما هو في الأصل ، ولكن الخبر إذا كان اسما أو نحوه معربا يصير منصوبا ، ولا يتم معنى الجملة على كل حال إلا بذكر الخبر أيًا كان .

وندع الكلام هنا فيما إذا كانت هذه النواسخ أفعالا أو أدوات ، لفقدتها الفعلية مع التطور وبقاء دلالتها على الزمن فحسب ، وأي كلمة - كما حدد النحاة - لا تسمى فعلا إلا إذا دلت على حدث وزمن معا .

و (زال) فعل ماض ، له ثلاثة أفعال مضارعة لكل منها معناه على حسب صيغته ، وكذلك مصدره .

١ - يقال (زال يزيل زيلا) مثل باع يبيع بيعا ، أى مِيزَ وقَصِّلَ ، فنقول : (زال الراعي غنمه يزيلها زيلا) أى مِيزَها وقَصَّلَها عن غيرها ، ومنه زِيلَ كما في الآية : (ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا

المنطق والنحو والبلاغة ، ولهذا يرى ابن الأنباري في كتابه (الانصاف) في كلامه على (مازال) ، إن (ما) هنا حرف نفى (بدليل أنا لو قدرنا زوال النفي عنها لما كان الكلام إيجابا) . « و زال » هنا مع أداة النفي قبلها هي التي تعد من الأفعال الناقصة التي تدخل على مبتدأ أو الخبر ، ولا يتم معنى الجملة معها إلا بذكر الخبر أيًا كان نوعه ، فلا بد من ذكر معموليها معا لتزيد الاستمرار مع الديمومة كقولنا : (ما زال الله سميما بصيرا) ، و (ما زال الشجر ذا جذور) ، وقد تفيد الاستمرار حتى وقت الكلام ثم بعده إلى زمن طويل أو قصير ، كقول عترة العبيسي يصف اقدام حصانه عند قتال أعدائه .

مازلت أرميهم بشفرة نحرة
وَلَبَّائِهِ حَقَّ تَسْرِيلٍ بِالذَّمِّ
وكقوله تعالى من وصف قوم ظالمين : (فما زالت تلك دعواهم ، حتى جعلناهم حصيدا خامدين)
وكقول المتنبي يصف أسدا في قتاله مع أحد الفوارس :

ما زال يجمع جسمه في زوره
حتى حسبت المعرض منه الطولا
ويجيز بعض النحاة تقدم الخبر على «مازال» كقولنا : (ساهرا ما زال الحارس) . « وما زال » في كل الجمل السابقة إخبارية ، لأن الجمل معها أخبار بدأ حدوثها في الماضي .

ولكن إذا قلنا : « لا زال حظك ميمونا ، أو لا زلت في سعادة ، أو لا زلتا متحابين في الله » فكل هذه الجمل تفيد الدعاء ، ولا زال فيها دعائية ، فإذا أردنا الاخبار قلنا (مازال) .

وقد قدمنا أن مضارع «زال» هذه هو «يزال» وهذا المضارع تدخل عليه « لا » فتفيد الجملة الاثبات ، لأن (لا) تفيد النفي سواء كانت نافية أو ناهية ، و «تزال» تفيد النفي أيضا ، ونفي النفي إثبات كقوله تعالى في بعض المنافقين : (لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم ، إلا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم) ، وكقوله في بني إسرائيل مخاطبا النبي (ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم ،

فأخف عنهم وأصفح ، إن الله يحب المحسنين) ، وكقوله : (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين . إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم) وكقول الشاعر :

وَرَجَّ الْفَقَى لِلْخَيْرِ مَا إِنَّ رَأْيَتَهُ
عَلَى السَّنِّ خَيْرًا لَا يَزَالُ يَزِيدُ
ويجيز النحاة هنا أيضا تقدم الخبر ، كما في قولنا : « سابقا لا يزال محمد بين المتسابقين » وكل هذه الجمل خبرية .

وقد يأتي المضارع مع لا الناهية مع قصد النهي حقيقة ، كقولنا : (لا تزل ساعيا إلى المعالي ، مترفعا عن الدنيا) ، وقد تفيد الدعاء عند قصده ، وإن كان ظاهرها النهي ، كقولنا : (لا تزل في نعمة من الله وفضل) ، وكثير من الأفعال المضارعة تدخل عليها (لا) الناهية فتكون للدعاء كما في قول مالك بن الربيع التميمي من شعراء العصر الأموي :

يقولون لا تَبْعَدْ وهم يبدفنونني
وأين مكان البعد إلا مكانيا
وهكذا كان العرب يدعون لكل عزيز عليهم « لا تبعد » عند شدائد الاحتضار .

وقد تدخل لا النافية على أى فعل ماض وتكون للدعاء أيضا ، كما في قول النبی (ﷺ) وهو يدعو للناطقة الجمعدى بعد أن سمع له قصيدة رائية جيدة في مدحه ومدح الاسلام ، « لا فُضْ فوك » ، أو « لا فض الله فاك » ، وكقول شوقي في أبيات من قصيدته (نوح البردة) وتغنيها أم كلثوم رحمها الله :

يا ناعس الطرف لا دُقَّتْ الهوى أبدا
أضنيت جفنيك في جفط الهوى قنم
وقد لا تتكرر (لا) مع الفعل الماضي كما في الأمثلة السابقة أو تتكرر كما في قولنا : (لا زلت ساعيا في الخير فلا خابت مساهيك ، ولا جُعِلَتْ حَاجَتُكَ إِلَّا إِلَى كَرِيم) ومن تحصيل الحاصل أن نقول : إن كل الجمل الدعائية إنشائية ، وإن الفعل الماضي في الجملة الدعائية إنما هو ماض صرفيا ، ولكنه للمستقبل نحويا ، أى ماض في صيغته ، ولكنه في معناه للمستقبل . □

راجع (الانصاف في مسائل الخلاف) لأبي البركات بن الأنباري ج ١ : المسألة ١٧ ، « ومعنى اللبيب » لا بن هشام المصري : فصل (لا) ، وفصل (ما) .

الجمالية العربية

صفحة لغة

بقلم : محمد خليفة التونسي

ما زال ولا زال

مكانكم أنتم وشركاؤكم ، فزيلنا بينهم ، وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون (أى فصلنا بعضهم عن بعض . ومنه (تَزِيلُ) كما في الآية : (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطئوهم فتصيبكم منهم معرفة بغير علم ، ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما) أى لو انفردوا بعيدا عن المؤمنين والمؤمنات لحلت بهم العقوبة .

٢ - ويقال (زال يزول زوالا) بمعنى ذهب أو انتقل أو هلك ، كقوله تعالى : (إن الله يمسك السماء والأرض أن تزولا ، ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده ، إنه كان حليفا غفورا) ، ومنه وقت الزوال حين تزول الشمس عن وسط السماء نحو الغروب ظهرا .

وهذان الفعلان تأمان أى يكتفيان بالفاعل لتمام المعنى .

٣ - ويقال (زال يزال) وليس هناك مصدر مستعمل له ، والكلمة تدل على النفي فإذا سبقتها أداة نفي أو نحوه دلت الجملة على الإثبات ، لأن نفي النفي إثبات ، أو سلب السلب إيجاب كما يقول أهل

يخلط كثير بين (ما زال) و (لا زال) في الكلام فيستعملونها بمعنى واحد ويضعون كلا منهما مكان الآخر ، مع أن لكل منهما استعماله تبعا لمعناه ، وإن كان النحاة يعدون (زال) فعلا ناقصا ، من أخوات كان ، وكلها نواسخ تدخل على الجملة الاسمية المكونة من مبتدأ وخبر ، فيبقى المبتدأ بعدها مرفوعا كما هو في الأصل ، ولكن الخبر إذا كان اسما أو نحوه معربا يصير منصوبا ، ولا يتم معنى الجملة على كل حال إلا بذكر الخبر أيًا كان .

وندع الكلام هنا فيما إذا كانت هذه النواسخ أفعالا أو أدوات ، لفقدتها الفعلية مع التطور وبقاء دلالتها على الزمن فحسب ، وأي كلمة - كما حدد النحاة - لا تسمى فعلا إلا إذا دلت على حدث وزمن معا .

و (زال) فعل ماض ، له ثلاثة أفعال مضارعة لكل منها معناه على حسب صيغته ، وكذلك مصدره .

١ - يقال (زال يزيل زِيلا) مثل باع يبيع بيعا ، أى مِيزَ وفَصِّلَ ، فنقول : (زال الراعي غنمه يزيلها زِيلا) أى مِيزَها وفَصَّلَها عن غيرها ، ومنه زِيلَ كما في الآية : (ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا

المتنق والنحو والبلاغة ، ولهذا يرى ابن الأنباري في كتابه (الانصاف) في كلامه على (مازال) ، إن (ما) هنا حرف نفى (بدليل أنا لو قدرنا زوال النفي عنها لما كان الكلام إيجابا) . « و زال » هنا مع أداة النفي قبلها هي التي تعد من الأفعال الناقصة التي تدخل على المبتدأ أو الخبر ، ولا يتم معنى الجملة معها إلا بذكر الخبر أيما كان نوعه ، فلا بد من ذكر معموليها معا لتفيد الاستمرار مع الدهومة كقولنا : (مازال الله سميما بصيرا) ، و (مازال الشجر ذا جذور) ، وقد تفيد الاستمرار حتى وقت الكلام ثم بعده إلى زمن طويل أو قصير ، كقول عترة العبي يصف اقدام حصانه عند قتال أعدائه .

مازلت أرميهم بشفرة نحره
وَلَبَّائِهِ حَتَّى تَسْرِبَلْ بِالسُّمِّ
وكقوله تعالى من وصف قوم ظالمين : (فما زالت تلك دعوهم ، حتى جعلناهم حصيدا خامدين)
وكقول المتنبي يصف أسدا في قتاله مع أحد الفوارس :

مازال يجمع جسمه في زوره
حتى حسبت المعرض منه الطولا
ويجيز بعض النحاة تقدم الخبر على «مازال» كقولنا : (ساهرا مازال الحارس) . « وما زال » في كل الجمل السابقة إخبارية ، لأن الجمل معها أخبار بدأ حدوثها في الماضي .

ولكن إذا قلنا : « لازال حظك ميمونا ، أو لازلت في سعادة ، أو لازلتما متحابين في الله » فكل هذه الجمل تفيد الدعاء ، ولا زال فيها دعائية ، فإذا أردنا الاخبار قلنا (مازال) .

وقد قدمنا أن مضارع «زال» هذه هو «يزال» وهذا المضارع تدخل عليه « لا » فتفيد الجملة الاثبات ، لأن (لا) تفيد النفي سواء كانت نافية أو ناهية ، و «تزال» تفيد النفي أيضا ، ونفى النفي إثبات كقوله تعالى في بعض المنافقين : (لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم ، إلا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم) ، وكقوله في بنى إسرائيل مخاطبا النبي (ولا تزال تطليح على خائنة منهم إلا قليلا منهم ،

فأعفت عنهم واضفح ، إن الله يحب المحسنين) ، وكقوله : (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين . إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم) وكقول الشاعر :

وَرَجَّ الْفَقَى لِلْخَيْرِ مَا إِنَّ رَأْيَتَهُ
عَلَى السُّنِّ خَيْرًا لَا يَزَالُ يَزِيدُ
ويجيز النحاة هنا أيضا تقدم الخبر ، كما في قولنا : « سابقا لا يزال محمد بين المتسابقين » وكل هذه الجمل خبرية .

وقد يأتي المضارع مع لا الناهية مع قصد النهي حقيقة ، كقولنا : (لا تزال ساعيا إلى المعالي ، مترفعا عن الدنيا) ، وقد تفيد الدعاء عند قصده ، وإن كان ظاهرها النهي ، كقولنا : (لا تزال في نعمة من الله وفضل) ، وكثير من الأفعال المضارعة تدخل عليها (لا) الناهية فتكون للدعاء كما في قول مالك بن الريبب التميمي من شعراء العصر الأموي :

يقولسون لا تَبْعُدْ وهم يدفنونني
وأين مكان البعد إلا مكانيا
وهكذا كان العرب يدعون لكل عزيز عليهم « لا تبعد » عند شذائد الاحتضار .

وقد تدخل لا النافية على أى فعل ماض وتكون للدعاء أيضا ، كما في قول النبي (ﷺ) وهو يدعو للناطقة الجمعدى بعد أن سمع له قصيدة رائية جيدة في مدحه ومدح الاسلام ، « لا فُضْ فوك » ، أو « لا فُضْ الله فاك » ، وكقول شوقي في أبيات من قصيدته (نهج البردة) وتغنيها أم كلثوم رحمها الله :

يا ناعس الطرف لا دُقْتُ الهوى أبدا
أضنيت جفنيك في حفظ الهوى قنم
وقد لا تتكرر (لا) مع الفعل الماضي كما في الأمثلة السابقة أو تتكرر كما في قولنا : (لازلت ساعيا في الخير فلا خابت مساعيك ، ولا جُعِلَتْ حَاجَتُكَ إِلَّا إِلَى كَرِيم) ومن تحصيل الحاصل أن نقول : إن كل الجمل الدعائية إنشائية ، وإن الفعل الماضي في الجملة الدعائية إنما هو ماض صرفيا ، ولكنه للمستقبل نحويا ، أى ماض في صيغته ، ولكنه في معناه للمستقبل . □

راجع (الانصاف في مسائل الخلاف) لأبي البركات بن الأنباري ج ١ : المسألة ١٧ ، « ومعنى اللبيب » لا بن هشام المصري : فصل (لا) ، وفصل (ما) .

العربية

صفحة شعر هكذا غنت الآباء

لامية العجم في شكوى الزمان للطغرائي

تسمى «لامية العرب» ومطلعها :

أقيموا بنى أمى صدور مطيكم
فانى الى قوم سواكم لاميل

نظم الطغرائي هذه القصيدة في بغداد سنة ٥٠٥ هـ وقد ساءت حاله ، ومن هنا شكواه ، وله ديوان ، وللاديب العراقي الاستاذ علي جواد الطاهر كتاب مستقل في ترجمة حياته ومجالات نبوغه .
الطغرائي نسبة الى الطغراء (الطرة) وهي العلامة التي كانت ترسم على المسكوكات والرسائل السلطانية .

وجليّة الفضل زاتني لدى المظل^(١)
بها ، ولا ناقتي فيها ولا جملي^(٢)
كالسيف عرّى متناه من الخيل^(٣)
ولا أنيس اليه منتهى جلي^(٤)
على قضاء حقوقي للاملا قبل^(٥)
عن المال ، ويقرى مرة بالكسل^(٦)
في الارض ، أو سلكا في الجو ، فاعتزل^(٧)

هو مؤيد الدين (٤٥٥ - ٥١٣ هـ) ولد وشأ في اصبهان فنسب اليها ، وانتقل الى العراق ، وأتم تعليمه فيها وكان من ائمة عصره شعرا ونشرا ولقبه الاستاذية تقدمت به الحال حتى ولى الوزارة في مدينة أربيل لاحد صغار السلاطين السلاجقة بالموصل ، ودفعته مآزق السياسة الى التدخل بين هذا السلطان وأخيه فانهمز السلطان ، ومات الطغرائي قتيلا في سوق بغداد ، متها بالاحاد ، وله ديوان شعر من أجوده هذه القصيدة ، التي اشتهرت باسم «لامية العجم» ، لان صاحبها أعجمي ، مقابلة لقصيدة للشنفرى احد صعاليك العرب من اجل الشعر في وصف حياة أمثاله المستوحشة في بيته البدوية ،

أصالة الرأي صائني من الخطل^(١)
فيم الإقامة بالزوراء ، لاسكني^(٢)
ناء من الأهل يفر الكف منفرد^(٣)
فلا صديق اليه مشتكي حزني^(٤)
أريد بسطة عيش استمين بها^(٥)
حب السلامة يثني عزم صاحبه^(٦)
فإن جنحت اليه فاحذ نفقا^(٧)

ودع غِمارَ المُلاَ للمُقيمين على
يرضى الدليلُ بخفضِ العيشِ مَسْكَنَةً
إن المُلاَ حَدَّثَنِي . وهى صادقةٌ
أُمِيتُ بالحظِّ لو ناديتُ مستقيمًا
لعملةٍ - إن بدأَ فضلي ونقصهم
غاليَ بنَفْسِي حِرْقَانِ بقيمتيها
اعلَلُ النفسَ بالأمالِ أرقبها
لم أرتضِ الميثرَ والأيامَ مقبلة
أصلى عدوك أذن من وثقت به
وإنما رجلُ الدنيا وواحدُها
غاضِ الوفاةَ ، وفاضِ الغدرَ ، وانفجرت
وحسنَ ظنك بالأيامِ ممجزةً
وشانَ صدقك عند الناسِ كذبهم
يا وادًا سوءَ عيشٍ كله كدر
فيم اعتراضك لُجَّ البحرِ تركبه
ترجو البقيةَ بدارٍ لا ثبات لها
ويا خبيرًا على الأسرارِ مَطلما
قَدْ رَشَحوكَ لأمرٍ ان قُطِنْتَ له

رُكوبها ، واقتنِعَ مِهْنُ بِالْبَلِّ (٣)
والعزُّ عندَ رسيمِ الأيتنِ الدَّلِّل (٨)
فيها تحدَّث - أن المِرْ في النُقْل (٩)
والحظُّ عنيَ بالجُهاك في شغل
لمينه - نامَ منهم ، أو تنبَّه لي
قُصْنَتها عن رغيصِ القدرِ مُتَذَل (١٠)
ما أضيقَ العيشَ لولا فسحةُ الأملِ !
فكيف أرضى ، وقد ولتُ على حَبَل ؟
فحاذرِ الناسَ ، واصحَّهم على دَخل (١١)
من لا يَمُولُ في الدنيا على رجل
مسافةُ الخلفِ بينَ القولِ والعملِ (١٢)
فطن شرا وكن منها على وجل
وهل يُطابقُ مصوِّجٌ بمُعتدل
أنفقتَ همركَ في أيامك الأول
وأنت يكفيك منه مَصَّةُ الوُشَل (١٣)
فهل سمعتَ بظلٍّ خيرٍ منتقل
أنصت ، ففى الصمتِ منجاةٌ من الزلِّل
فاربأُ بتغيبك أن تَرعى معَ الحملِ (١٤)

(١) الخطل : الحماقة . العطل : التجرد من الزينة (٢) الزوراء : بغداد (٣) صفر : فارغ . الخلل : غمد
السيف (٤) بسطة : سعة قلب . امامي (٥) يثني : يلوي (٦) جنحت : ملت (٧) غمار : واحدا غمرة : الماء
الغزير (٨) الأيتن الدلل : النياق السهلة الركوب ورسيمها : سيرها (٩) النقل : الانتقالات (١٠) غالي
بمسي : رفع قدري في نفسي (١١) دخل : مكر ودهاء (١٢) غاض : نقص ، أذهب (١٣) اللجة : الماء
الغزير . والوشل : الماء القليل (١٤) الحمل : من لا راعي لهم

من لامية العرب للشنفرى في الالباء

أقيموا بني أمي ، صُدورَ مطيكم
وفي الأرضِ منأى للكريمِ عن الأذى
لعمرك ما بالأرضِ ضيقٌ على امريء
(هنا يذكر الشاعر الشريد أن أصدقائه من وحوش الصحراء ولكنها تكتم سره ولا تحذله)
وإن مُدَّت الأيدي إلى الزادِ لم أكن
وماذاك إلا بسطةٌ عن تفضيل
أديمٍ يطالُ الجوعَ حتى أُميتَه
وأستفُ تُربِ الأرضِ كي لا يُرى له
ولولا اجتنابُ الزادِ لم يُلفَ مشربٌ
ولكنَ نفساً مُرةً لا تُقيم بي
(اخترنا هذه الايات لانها مأنوسة الالفاظ والمعاني ، والقصيدة تزيد على الحسين بيتا)

فلان الى قومِ سواكم لأميلُ
وفيها لئن خاف القيلَ متحولُ
سرى راغباً أو راهباً وهو يميل
بأصجلهم ، إذ أجشعُ القومِ أهجلُ
عليهم ، وكان الافضلُ المتفضل
وأضربُ عنه الذكْرَ صفحا فأهمل
على من الطولُ أمرؤ متطولُ
يماشُ به الا لذى وماكلُ
على الضنيمِ الا زينما أمحولُ
(القصيدة تزيد على الحسين بيتا)

رسالة
المغرب
العربي

تونس :
**علم الاجتماع ..
هل هو
علم استعماري؟!**
الجزائر :

زيادة تعميم "العربية" في قطاعات جديدة .

بقلم : رشيد خشانة

نحرص في « العربي » على ان يكون كتابنا من جميع اقطار الوطن العربي . . لهذا فاننا نرجو ان تكون هذه الرسالة الاولى من مراسلتنا في تونس الذي يقوم بتغطية النشاطات الثقافية في اقطار المغرب العربي ، فاتحة خير لانتاج متواصل من تلك الاقطار .

تونس

ندوة من أجل : علم اجتماع عربي

عل أن علم الاجتماع ولد ونما كعلم استعماري (وانه من واجب العرب تخليصه من هذه الخلفية الاستعمارية العنصرية لاستخدامه في تنمية المجتمع العربي . وبلغ الامر بأحد علماء الاجتماع الى حد التساؤل عن جدوى بقاء علم الاجتماع (فنحن ان ألفيناه تماما لن يؤثر ذلك على المجتمع بأي وجه من الوجوه) . . .

الا أن الرأي الذي ساد في الندوة انتهى الى فكرة ايجابية تقول بأن أدوات المعرفة ، وتقنيات العمل في علم الاجتماع هي تقريبا واحدة في المجتمعات العالمية كلها ، ولكن مجال بناء علم اجتماع عربي يكمن في وضع اشكاليات تنبع من صميم همومنا القومية .

مجاميع شعرية جديدة

محمد العوني : مملكة القرنفل
صدرت للشاعر التونسي محمد العوني في (دار

 كان أهم حدث ثقافي شهدته تونس في شهر كانون الثاني (يناير) هو ندوة (من أجل علم اجتماع عربي) نظمتها المعهد العالي للتنشيط الثقافي بالتعاون مع المجلس القومي للثقافة العربية ، ومركز دراسات الوحدة العربية والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وحضرها نحو أربعين من علماء الاجتماع العرب . .

وقمت الندوة في أجواء البحث عن أدوات معرفية عربية في ميدان العلوم الاجتماعية حتى أن أحد المشاركين ذكر بقول اميل دوركايم في مجلته عام ١٩١٥ . (كما أن نهر السين يفصل باريس الى باريس شمالية وباريس جنوبية ، فإن البحر الابيض المتوسط يفصل فرنسا الشمالية عن فرنسا الجنوبية وذلك تدليلا

الجزائر

تصوير الفيلم التلفزيوني

(آثار وفنون اسلامية)

تم خلال الاسابيع الأخيرة تصوير الجزء الخاص بالجزائر من العمل التلفزيوني الجديد (آثار وفنون اسلامية) في مدينة تلمسان ، وهذا العمل مستمد من فكرة المخرج الارمني عدنان أحمد الرعي الذي أخرج عدة مسلسلات منها (الحقيقة والخيال) . ويتناول الجزء الخاص بالجزائر من هذا العمل ثلاثة مواضيع رئيسية هي دخول الاسلام الى الجزائر ، وفترة الزاهية في عصور الحماديين والمرابطين والموحدين والزيايين ، ومكانة تلمسان باعتبارها عاصمة قديمة للمغرب الاسلامي ، وأخيرا تاريخ مدينة الجزائر . . .

ومعلوم أن هذا العمل التلفزيوني « آثار وفنون اسلامية » هو إنتاج عربي سيتم تصويره في ١٦ بلدا عربيا واسلاميا وسيضم ٦٠ ساعة من التسجيلات ، ومن المنتظر أن يعرض في ٢٢ مؤسسة ومحطة تلفزيون عربية . . .

إحكام خطة التعريب

تستمر جهود التعريب في الجزائر ، وتعد سنة ١٩٨٥ سنة واحدة بتعميم استخدام اللغة العربية في قطاعات جديدة ، ويشرف على تنسيق حملة التعريب وتخطيطها جهاز وطني هو (المجلس الاعلى للغة الوطنية) وقد عقد المجلس أخيرا اجتماعا مهما للمسؤولين عن تعميم استخدام اللغة العربية في القطاعات الرئيسية ، وذلك لمزيد الاحكام والتنسيق في خطة التعريب الوطنية . كما عقد المجلس الاعلى للغة الوطنية اجتماعا مشتركا مع وزارة الداخلية لتقويم عملية تعميم استخدام اللغة العربية في الوزارة واعداد خطة العمل في هذا المجال لسنة ١٩٨٥ ، وبعد هذا الاجتماع الاول من نوعه ، ستلوه اجتماعات مشتركة مع بقية الوزارات ، مما

دعيتير للنشر) مجموعة شعرية بعنوان (مملكة القرنفل) قدم لها الشاعر الفلسطيني عزالدين المناصرة . والعوني من شعراء الحركة الجديدة في تونس التي تعلن انتهاءها للهموم العربية مع استمرار التصاقها بالهموم المحلية . ويتميز الشاعر في قصائد المجموعة السبع بنضج التجربة الفنية و (النضج الموسيقي) كما قال المناصرة . . .

وتشكل فلسطين و (الحرية) موضوعين رئيسيين في المجموعة ، وخصوصا قصيدتي (مملكة القرنفل) و (مروان الحاج موسى) التي كتبها الشاعر على إثر استشهاد صديقه مروان (الطالب الفلسطيني في الهندسة) الذي تطوع للدفاع عن المقاومة في لبنان . سوف عبيد : - امرأة الفيسفاء

- نورة الملح

وصدرت أيضا للشاعر سوف عبيد - وهو من الشعراء الذين برزوا في السبعينيات - مجموعتان شعريتان هما : (امرأة الفيسفاء) الصادرة عن دار الرياح الرابع ، و (نورة الملح) الصادرة عن دار ديمتير .

وفي كلتا المجموعتين يضع الشاعر قدما ثابتة في مجال الابداع والتفرد ، ويصوغ لفته الشعرية المميزة فيتخطى التجربة الغضة التي ضمنها مجموعته الاولى (الارض عطشى) . . .

ومن أبرز خصائص الكتابة الشعرية عند سوف عبيد حضور الارث الشعري العربي في قصائده ، بشكل يجعله منصهرا في الحداثة ، فهو يستخدم ألفاظا وصورا قديمة ويلبسها ثوبا حديثا ويدمجها في سياق شعري معاصر . .

على دب : تعجلت الفرح

على دب من الشعراء التونسيين الذين نضجت تجربتهم منذ السبعينيات ، وهو في كل دراساته النقدية وقصائده الشعرية يمتاز عن سائر الشعراء بتوهج النفس القومي المنساب في ثنايا شعره ، وخصوصا قصائده (شمعة للقتيل) و (مرثية القمر) و (صولة البار) . .

وفي مجموعته الجديدة (تعجلت الفرح) الصادرة عن دار الرياح الرابع يؤكد على دب مجددا انتهاءه العربي ، ويمضي مرسخا تجربته الابداعية باحثا عن التجديد الجمالي . .

يؤكد أن تعريب الادارة ومؤسسات الدولة مستمرا بشكل مكثف ..

كتاب جديد عن الحركة الوطنية الجزائرية

يتابع د . حميدي عميراي ، أستاذ التاريخ في جامعة قسنطينة الجزائرية ، في كتابه (جوانب من السياسة الفرنسية وردود الفعل الوطنية في قطاع الشرق الجزائري) تطور الكفاح الوطني ضد الوجود الفرنسي في فترة مهمة من تاريخ الجزائر المعاصروهي بداية الاستعمار . ويفسر د . عميراي عنايته بهذه الفترة بأن (الدراسات الوطنية سكنت عنها ، خلافا للدراسات الفرنسية التي أشارت إليها بشيء من الغموض والتزييف) ، ويؤكد أن معظم ماكتب عن هذه الفترة كان يعبر عن وجهة النظر الفرنسية ..

ويركز الباحث كتابه على ثورة زغاية سنة ١٨٦٤ ، وعلى عرض مجموعة من الوثائق النادرة عن تلك الفترة والموجودة خارج الجزائر ، أما من حيث تسلسل الكتاب فهو يبدأ بمختصر عن النظام الإداري والاجتماعي في قطاع الشرق الجزائري أواخر العهد العثماني ، محلا معالماً النظام الإداري (لباليك) الشرق الذي ينقسم الى اربعة أقسام تديرها السلطة المركزية بمعاونة (رجال المخزن) (الموظفون) ، ثم يشرح البنية الاجتماعية ويقسمها الى مجتمع مديني يتكون من طبقة أرستقراطية حاكمة وأغلبية من الاهالي المحكومين ، ومجتمع ريفي يجمع بين سكان السهول وسكان الجبال

ويبحث د . عميراي في نهاية هذا القسم أنواع الملكية التي كانت سائدة في الشرق الجزائري آنذاك ، ووسائل خدمة الارض وأنواع الضرائب التي تمول الخزينة ، وفروع الصناعات التي كانت قائمة ومسالك التجارة خصوصا مع مدن المغرب العربي الاخرى . ثم يخلص في القسم الثاني الى تحليل جوانب من الحياة الثقافية في أواخر العهد العثماني وأوائل العهد الاستعماري الفرنسي ، مشددا على اهمال الحكام للثقافة ، وانصرافهم الى حفظ الامن في البلاد وحماية الحدود وجباية الضرائب) . وفي بداية الاستعمار تغير هذا الوضع بمجرد أن أحكم الفرنسيون قبضتهم على المدن

الرئيسية فالمستعمرون - كما يقول المؤلف - (لم يأتوا حاملين السلاح فقط ، وإنما جاءوا أيضا حاملين وسائل الاعلام اذ أدخلوا المطبعة والصحيفة والكتاب والمدرسة ولكن هذا الاعلام كان بلباس جزائري - أوروبي وعقل أوروبي ، وكان يهدف الى تكوين جسم أوروبي في الجزائر واحلاله محل الجسم الجزائري العربي المسلم

ثم يرصد الباحث مراحل الاحتلال التي اعقبت السيطرة على مدينة الجزائر ، وأقوال الجنرالات الفرنسيين حول ضرورة الاحتلال الشامل لكامل التراب الجزائري ، وخاصة قسنطينة والشرق الجزائري ، وبين تزامن الاجتياح العسكري مع الهجرة الفرنسية الى الجزائر ، وأثبتت جدولا يؤكد بداية هجرة الاوروبيين وخاصة الفرنسيين الى الجزائر بعد الاحتلال ..

وحلل د . عميراي ردود الفعل الوطنية على الاحتلال وقسمها الى ثلاثة أصناف :

أ - المقاومة العسكرية التي وجدت صعوبات كبيرة جعلتها محدودة التأثير ... ب - النخبة السياسية التي اعتمدت اسلوب العمل السياسي ومن أشهر رموزها حمدان خوجة وأحمد أبو ضربة - ج - الطرق الدينية التي حاربت الاستعمار في البداية لكنه احتواها في مرحلة لاحقة ..

ثم تابع الباحث السياسة الفرنسية في الشرق الجزائري بعد استكمال الاحتلال ، وخصوصا ظاهرة الاستيلاء على الأراضي بعد صدور قرار ١٩٤٨/٩/١٩ ، وتغيير الأنظمة الادارية والمدنية ، والصراع بين نابليون الثالث والمستوطنين الفرنسيين الذي شبهه المؤلف بصراع الجنرال ديغول مع غلاة الاستعمار بين أيام حرب التحرير الجزائرية ...

ولعل أهم اضافة يقدمها هذا الكتاب هو كشفه لثورات مغمورة مثل ثورة زغاية ، وعرضه وثائق هامة

أطروحة عن نظرية الشعر

عند الفلاسفة الاسلاميين

(نظرية الشعر عند الفلاسفة الاسلاميين) هو موضوع أطروحة الدكتوراه التي تقدم بها الطالب

للشعر غلبت عليه الرؤية الاخلاقية .
ونالت هذه الرسالة في الأدب العربي درجة مشرف
جدا ...

تجارب قصيرة وقضايا كبيرة

كتاب الناقد عامر مخلوف (تجارب قصيرة وقضايا
كبيرة) ، الصادر عن المؤسسة الوطنية الجزائرية
للكتاب يتناول بالدرس آثار كبار الروائيين
والقصاصيين الجزائريين في السبعينيات مثل عبد
الحמיד بن هدوقة ، وجيلالي خلاص ، وطاهر
وطار ، والحبيب السائح ، وأحمد منور وسواهم ...

وتعود أهمية هذه الدراسات النقدية التي يتضمنها
الكتاب الى أن مخلوفا هو مجامل لجميع الادباء الذين
كتب عنهم ، فهو أيضا من كتاب السبعينيات ومقايسه
في الحكم على المؤلفات التي درسها مقياس مزدوج :
مضموني وجمالي ، فمن حيث المضمون يشدد الناقد
على ضرورة الالتصاق بالواقع وما يسميه (سنوات
التحولات الديمقراطية) (في السبعينيات) ، أما من
حيث الجمالية فهو يشترط في العمل الروائي أو
القصصي الناجح توفر جوانب فنية متبلورة
ومكتملة ...

وعند التطبيق يخلص عامر مخلوف الى نتيجة
مؤداها أن « طاهر وطار » هو صاحب التجربة الأكثر
كثافة والاغزر عطاء ، الا أنه يقسم هذه التجربة الى
نوعين متفاوتين من حيث القيمة ، فوطار يكون مبدعا
ومتألقا وعميقا عندما يكتب عن تجربة الحرب
التحريرية التي عاشها ، ولكنه يكون دون ذلك حين
يكتب عن التجربة القرية ..

واذا كان النقد قد رحبوا بصدر هذا الكتاب ،
فانهم عابوا على مؤلفه ، مع ذلك ، قلة تعمقه في
دراسة الجوانب الفنية والجمالية للآثار التي تصدى لها
النقد ، وتركيزه على احصاء الاخطاء النحوية
والاسلوبية في تلك الآثار ، لذلك اعتبروا (نقده)
بمجرد سقط للمواقف الايديولوجية في الروايات
والقصص من دون تقويم حقيقي لاسهام كل عمل في
اثراء التجربة الابداعية الجزائرية . □

الاخضر جمعي الى جامعة الجزائر باشراف د . محمد
حسين الاعرجي . وناقشت الاطروحة لجنة من
الاساتذة رأسها د . أبو العبد دودو ...

تعرض الرسالة الى آراء أربعة فلاسفة اسلاميين
في الشعر هم : الكندي وابن سينا وابن رشد
والفارابي ، أما الفلاسفة الآخرون فلم يتطرق
الباحث لأرائهم بسبب (عدم نضجها) . وكانت
آراء الفلاسفة الأربعة مثورة في كتبهم ويغلب عليها
طابع التأثير بن الشعر عند أرسطو ، وذلك اضافة الى
صعوبة أخرى متمثلة في قلة الدراسات السابقة حول
هذا الموضوع باستثناء اشارات في كتاب د . شكري
عياد (نظرية أرسطو في الشعر) ودراسة عصام
القصبي عن نظرية المحاكاة ...

وقسم الاخضر جمعي رسالته الى خمسة فصول
كالآتي :

الفصل الأول : ماهية الشعر وحده ، الفصل الثاني :
ماهية المادة والصورة ، الفصل الثالث : وظيفة
الشعر ، الفصل الرابع : دراسة الجزء الاول من
(وسائل المادة والصورة) ، الفصل الخامس : تصور
الفلاسفة لوحدة القصيدة ...

وناقش د . جيلي عبد الرحمن الرسالة فأكد على تأثير
الطالب بأفكار أرسطو ، فلم يشر الى نسيبتها
ومحدوديتها بعد أن تخطتها البحوث والنظريات
الحديثة ، استيطيقية كانت أو منطقية ، وخصوصا
نظريات الخيال والاهتمام بالمبدع لدى الرومانسيين ،
ومنطق هيكل الذي يقبل وحدة التناقض ...

أما الدكتور دودو فعاب على صاحب الاطروحة
اعراضه عن الرجوع الى المراجع الاجنبية ، ما عدا
مرجمين بالرغم من أن المستشرقين كتبوا كثيرا عن ابن
رشد مثلا ، كما عاب عليه أيضا عدم وضع الفلاسفة
في عصورهم وفي بيئاتهم الثقافية والاجتماعية ...

ومن أهم النتائج التي توصل اليها الباحث أن آراء
الفلاسفة في الشعر لم تخرج عن كتابات النقد
القديم ، والافكار التي صاغوها عن الشعر ، وإن
الفلاسفة حددوا حقيقة الشعر في مواجهته لفكرة
المحاكاة اليونانية بصوغ فكرة التخيل ، وأن مفهومهم

الجديد في العلم والطب

اعداد : يوسف زعلوي

الصناعات .. في الفضاء



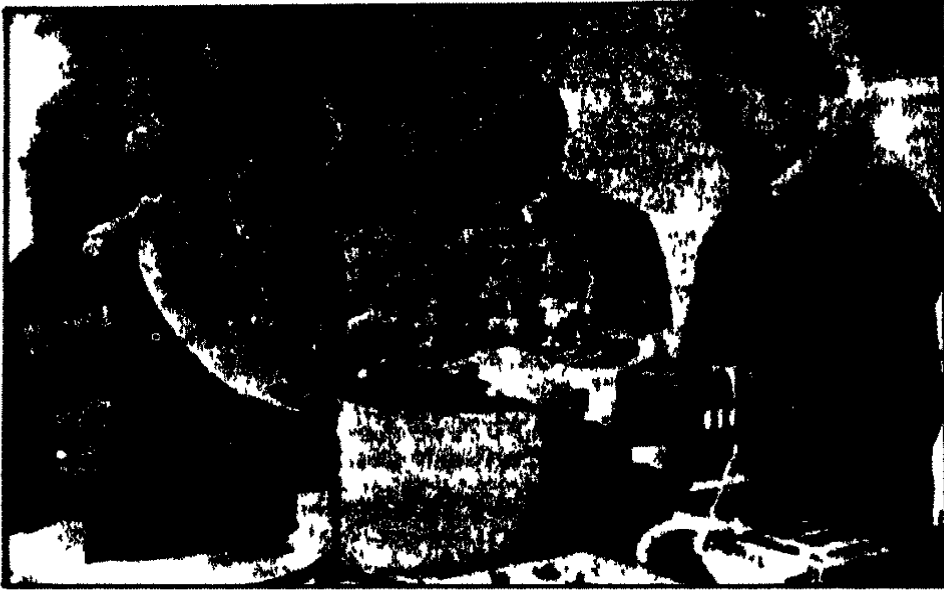
العلم والخيال العلمي في تقارب مستمر متواصل ، وقد تداخلوا في المدة الأخيرة حتى أصبحا شيئا واحدا أو كادا ... وليس أدل على ذلك من حرب النجوم التي مازالت الموضوع المحبب لهواة أشرطة الفيديو من الفتيان والاطفال ، وقد أصبحت هذه الحرب الهدف المحبب للرئيس ريغان ، بل قل البرنامج الباهظ التكاليف الذي احتضنته وزارة الدفاع الأمريكية ، ورصدت له المخصصات الضخمة ... ويصدق هذا أيضا على مصانع الفضاء ... المنشآت الصناعية التي تقام في الفضاء ، حيث ينعدم الوزن تقريبا ، وحيث يتيسر انتاج بعض السلع بقدر من الأثقال يتعذر على سطح الأرض حيث الجاذبية والوزن .. وتأتي العقاقير على رأس تلك

السلع ... عقاقير لمعالجة السرطان بخاصة .. وتبلغ الرساميل التي رصدتها الشركات المتخصصة لإنشاء مصانع الفضاء التي تنتج مثل تلك العقاقير حوالي ٢٧٠٠٠ مليون دولار ..

أما المصانع التي ستقام في الفضاء لانتاج الزجاج النقي الصافي الخاص بالبصريات فقد رصدوا لها ١١٥٠٠ مليون دولار .. وقل مثل ذلك في مصانع المنتجات التي تتطلبها صناعة الالكترونيات ، وقد بلغ مجموع رساميلها

٣١٠٠ مليون دولار ... والمقرر أن يتم انشاء هذه المصانع جميعا في الثمانينيات والتسعينيات وقبل حلول عام ٢٠٠٠ على كل حال . وغني عن البيان أن الشركات المعنية لا يمكن أن ترصد الرساميل الضخمة التي ذكرنا ، ما لم تكن قد فرغت من مرحلة التجارب ، وأيقنت من جدوى الصناعة التي تعتمد انشاءها في الفضاء .. ولعل أولى تلك التجارب هي الكرات الصغيرة التي لا يزيد حجمها على حجم كرات الدم الحمراء الا قليلا ، التي عمدوا الى صنعها في الفضاء على سبيل التجربة ، وذلك على متن المكوك شالنجر ، في احدى رحلاته في شهر ابريل سنة ١٩٨٣ ، فقد صنعوا ١٠٠٠ كرة تقريبا ، وبلغ قطر الواحدة منها ١٠ ميكرونات بالضبط .. وطرحت العينات في الأسواق ، فثبتت كفاءتها على الأجهزة العلمية والطبية ، وعلى قتل خلايا السرطان في كثير من الحالات .. لا عجب اذ أصبحت كرات الفضاء هذه تصنع حاليا على نطاق واسع ، ولاغراض البيع في الأسواق .. وسيبلغ ثمن الكرة الواحدة منها - ٣٥٠ - ٤٠٠ دولار !

ونذكر من تلك التجارب التجربة التي أجريت على متن المكوك دسكفر في رحلته التي قام بها في أواسط شهر نوفمبر الماضي ... ١٩٨٤ ... وذلك لصالح شركة مينوسوتا للتعدين والانتاج ،



بعض علماء شركة ٣ م يجّهرون المعامل الكيماوي الذي حمله مكوك
دمكفري الى الفضاء في شهر نوفمبر ١٩٨٤

بتكاليف كبيرة رصدت لها الشركة ٨٠٠٠ مليون دولار .
ونذكر أيضا التجارب التي تقوم بها
شركة ماكدونالد دوجلاس - المختصة
بمنتجات الفضاء - بالتعاون مع شركة
جونسون الشهيرة بالصناعات الطيبة . .
والأمل معقود على أن تتكامل هذه التجارب
الأخيرة بالنجاح ، في صنع خلايا قادرة
على صنع الأنسولين ، وذلك في مستقبل
قريب جدا . . في السنة القادمة ١٩٨٦ □

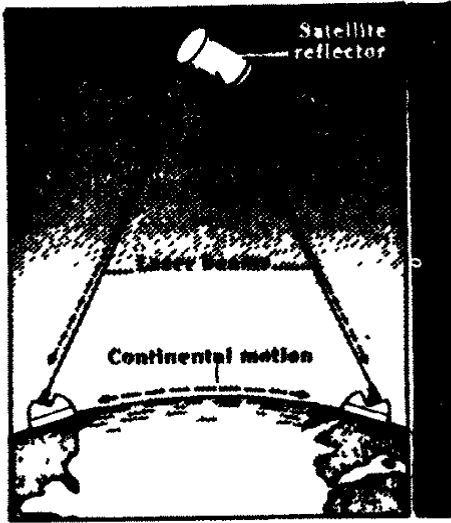
الشهيرة باسم MS 3 وقوام تلك التجربة
٦ كرات من الفولاذ الذي لا يصدأ
ويحجم كرات القدم . . . وكانت تلك
الكرات تحمل من المواد الكيماوية ما أعد
للاتحاد الكيماوي في الفضاء ، وحيث
تتعدم الجاذبية ، وذلك بقصد انتاج
كريستالات صافية لاسييل الى مضاهاة
نقائها على سطح الأرض . . وتنوي
الشركة المذكورة اجراء ٧٢ تجربة في ذلك
القبيل حتى أواسط التسعينيات ، وذلك

الادمان ليس وقفا على النيكوتين والهيريون
الخ . وانه في مجال الممارسات الجنسية
أيضا . فالمدمنون الجنسيون يجلبون
الراحة النفسية في تلك الممارسات ،
ويستمدون الشعور بالقيمة الذاتية
والاحساس بالسكينة . . ولكن هذه
المشاعر لا تثبت أن تعود اليهم عقب
فراغهم من الممارسات فيعودوا بدورهم
الى الممارسات وهكذا دواليك . .

طلما ركز العلماء والاطباء جهودهم
على الذين يعانون من البرود أو
الضعف الجنسي من النساء والرجال ،
وأهملوا الذين يعانون من طغيان الغريزة
الجنسية وسيطرتها على حياتهم كلها . .
وقد تبين للدكتور باترك كارنيز
Carnes من علماء النفس في جامعة مينا
بوليس ، أن الكثيرين من ضحايا الغريزة
الجنسية إنما هم من المدمنين . . أي أن

المدمنون

جنسيا



المشكلة في بعض النظريات العلمية هي في أنك مضطر للتسليم بها ، بالرغم من عدم توافر الأدلة التي تثبتها . . . ولأنك لا تملك دليلا أو نظرية ضدها . . . ويصدق ذلك بخاصة على نظرية زحزحة القارات أو انجرافها . . . وهي النظرية المعروفة والتي نشطت من جديد في السنوات الأخيرة . .

على أن التطورات العلمية الحديثة أفسحت المجال لاقامة الدليل على صحة هذه النظرية . . بل دليلين اثنين لادليلا واحدا . .

القارتين تتباعدان بمعدل ٦ , في البوصة كل سنة .

أما الدليل الثاني فيعتمد على أشعة الليزر التي أطلقت من قمر صناعي في الفضاء الى نقطة معينة في استراليا وفي جزر هوائي . . وأجروا الحسابات فثبت لهم أن هذه الجزر والقارة المذكورة تتقاربان بمعدل ٧ , ٢ بوصة سنويا . . ولكنهما تباعدان بدورهما وفي الوقت نفسه عن أمريكا الجنوبية . □

الأول بواسطة أشعة الراديو التي التقطها تلسكوبان فلكيان من تلسكوبات الراديو . . موجهان الى كوزار واحد معين . . فقد اكتشف العلماء العاملون في مركز جودارد التابع لناسا (Nasa) اكتشافوا أن الفارق الزمني في وصول اشارات الراديو الى كل من التلسكوبين المقيمين في شمال أمريكا وشمال أوروبا هذا الفارق يختلف على مر السنين . . وأثبتت لهم الحسابات التي أجروها أن

الانجراف القاري

اورام سرطانية معينة . . ويتناولون أحد انواع الانتروفرون هو (Leukocyte Ainterferon) علاجا لتلك الاورام وتحث اشرف الطبيين الدقيق . . وثبت للدكتور كنت فون Foon والدكتور جرارد دوفر Doupher أن الانتروفرون المذكور هو سبب تلك الظاهرة المباشرة . . وتداركا لما قد يترتب على اكتشافها هذا من نتائج في صناعة التجميل فقد قالوا أن المريض يتناولون الانتروفرون بمقادير كبيرة . . وتكلف المستشفى مبالغ هائلة . . ولولا ذلك لما كانت الظاهرة □

اكتشف الطبيبان أن رموش اثنين من نزل مستشفى لاجونا بيتش Lagune Beach في كاليفورنيا ، تطول وتمتد باستمرار حتى اضطروا الى قص تلك الرموش وقد بلغ طول بعضها ٥ , ٦ سنتيمتر . . وبلغ من سرعة نمو تلك الرموش انهم اضطروا لقصها مرة كل اسبوعين . . والغريب ان تلك الرموش لم تكن بالغة النمو فحسب . . . ولكنها كانت مجمدة وسميكة . . ويبحث الطبيبان في سر تلك الظاهرة فاكشفوا ان المريض يعاني من

رموش طولها ٢ سم

مكتشفون

مشرعون

كريستوفر شولز (Sholes) مخترع الآلة الكاتبة ١٨٩٠ - ١٨١٩

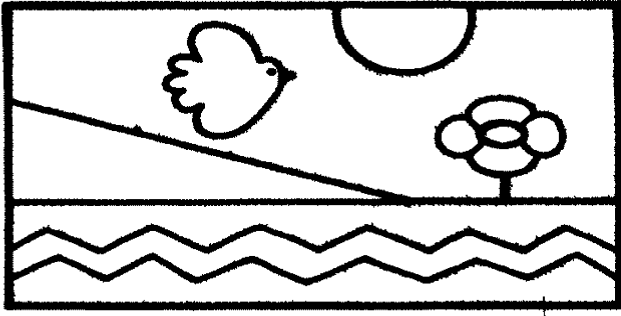
المحاولة الثانية والخمسين وذلك سنة ١٨٦٧ .. ثم سجلا اختراعهما في السنة التالية .. ولكن سوله وجلدين ما لبثا أن تخليا عن المشروع ، مشروع تطوير الاختراع واستثماره .

ومضى شولز في العمل على تحسين اختراعه .. ومضى في ذلك بضع سنوات ... ثم اتفق مع توماس اديسون بقصد تطوير آله لتصلح للاستعمال في التلغراف ... ولما عجز شولز عن احراز ترجمة مورس (شيفرة التلغراف) بالسرعة المطلوبة ، عمد الى بيع اختراعه الى رمنجتون وذلك سنة ١٨٧٣ مقابل (١٢٠٠٠) دولار .. وما لبث رمنجتون أن باع الآلة الى مؤسسات صناعية مستقلة .. نظرا لقلة موارده وبالتالي لفشله في صنع الآلة على نطاق واسع .. كان ذلك سنة ١٨٨٦ .. أي قبل نجاح تلك المؤسسات في مهمتها بنحو ربع قرن .. ذلك ان استكمال الآلة الكاتبة وانتاجها على نطاق تجاري وتصديرها الى الخارج لم يبدأ الا سنة ١٩٠٩ .

وتجدر الاشارة الى أن العقبة التي عرقلت تطوير الآلة الكاتبة كانت في ترتيب الحروف .. فلطالما تشابكت الحروف وتشابكت القضبان التي تحملها .. وتوقفت الآلة عن العمل ، ووجدوا الحل لتلك المشكلة في تحديد الحروف الأكثر استعمالا وابعادها بعضها عن بعض ما أمكن ، وهكذا ظهر ترتيب كورتى (QWERTY) للحروف الانجليزية . □

بدأت قصة الآلة الكاتبة في بريطانيا سنة ١٧١٤ ، حين منحت الملكة آن براءة اختراع آلة كاتبة لرجل انجليزي يدعى هنري ميل .. الا أن ذلك الاختراع بقي طي المجهول ولا يعرف عنه شيء ... ومضت مائة عام أو تزيد قبل أن تمسح البراءة الثانية سنة ١٨٢٩ لمساح أمريكي اسمه وليم أوستن برت .. ولكن برت هذا عجز عن تطوير اختراعه بسبب عدم توفر المال .. ومضت أربعة أعوام على ذلك حين نجح الفرنسي (زافير بروجان) في صنع آلة كاتبة تستطيع على حد قوله : « مضاهاة الخطاطين من حيث سرعة الكتابة ... ! » على أن تلك الآلات جميعا لم تعد كونها محاولات بدائية لم يكتب لها البقاء .. فالآلة الكاتبة التي نعرفها في الوقت الحاضر انما ابتكرت وطورت في الولايات المتحدة .. فهي اختراع أمريكي صميم ، يعود الفضل الأكبر في استكمالها الى كريستوفر شولز .

وكانت نقطة البدء في أواسط القرن الماضي وفي دار الجريدة التي امتلكتها شولز وشريكه سوله ... فقد فكر الرجلان في صنع آلة ترقيم للجريدة ومضيا يجران المحاولة بعد الأخرى .. حتى رأهما رجل ثالث هو جلدين (Glidden) فشجعهما على مواصلة مساعيها وعلى محاولة صنع آلة كاتبة بدلا من آلة ترقيم .. واستجاب الرجلان وتكررت محاولتهما حتى بلغت ٥٢ محاولة .. ولم يكتب لها النجاح الا في



سلامة البشرية فجب سلامة البيئة

الحيتان ... هل تتحرر أم ماذا ؟

بيومغناطيسي .. يوجهها وهي تمخر عباب البحر ويحسن توجيهها .. فهو يجنبها على الاقل السباحة في مياه الشواطئ الضحلة .. ولكن بعض الشواطئ تقذف موجات مغناطيسية شاذة .. ومن شأن هذه الموجات أن تعطل عمل المجس الموجود في الحوت . ذلك هي النتيجة التي توصل اليها العلماء في معهد كاليفورنيا للتكنولوجيا .. وذلك بعد دراسة ٢١٢ حادثة من حوادث ضلال الحيتان .. وقدر رفع تقرير بهذه الدراسات الى الاتحاد الجيوميتراي الامريكي في مؤتمره في مطلع ديسمبر سنة ١٩٨٤ . □

من الظواهر التي حيرت العلماء ظاهرة انتحار الحيتان .. فلطالما اقدمت جموع كبيرة منها على الخروج من أعماق البحار الى الشواطئ الضحلة التي يتعذر عليها العوم فيها .. فتصطدم بقاع الشاطئ ويضغط وزنها الثقيل على صدرها بحيث يستحيل عليها التنفس .. فتتفقد .. فكيف تفضل الحيتان سبيلها في البحار .. وهل هي تسمى الى حتفها طواعية كما يظن البعض ؟ .. فهي تفضل سبيلها مكرهة غير لاشيء من ذلك .. ذلك انها مقطورة على مجس غتارة .. □

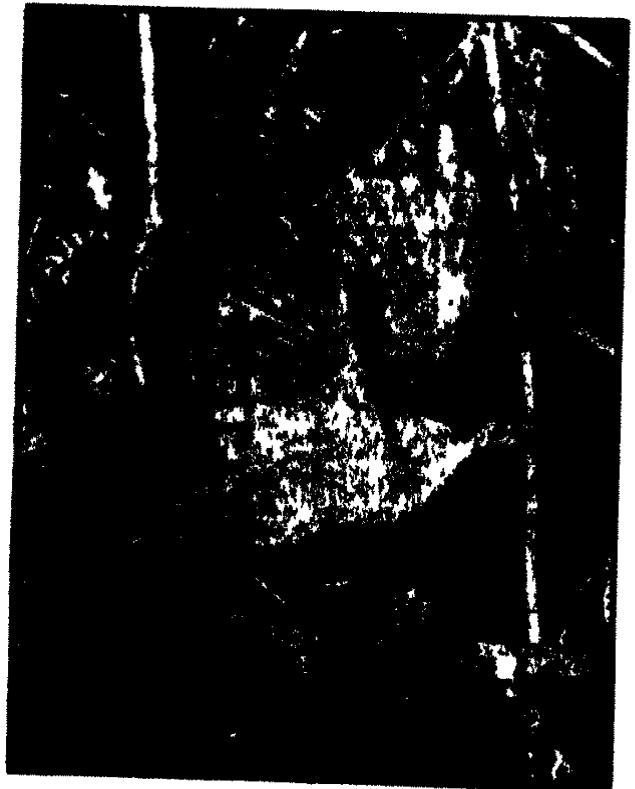
قبرص .. تلف البيئة العالمية

ككل .. لقد تم ذلك عن غير قصد ، ولا ريب .. وصدر عن المواطنين - لا عن الحكومة .. ولكن المسؤولية انما تقع على الحكومة القبرصية بلا شك ، سادمت قبرص تفتقر الى القوانين والنظم البيئية الكفيلة بوضع حد لتمادي الصيادين في ممارسة هوايتهم وانقاذ عالم الطيور من الدمار الذي يتهده .. □

اشتهرت قبرص في الماضي القريب بتصدير الحمير .. واشتهرت في الحاضر بمصايفها التي يؤمها الكثيرون طلبا للراحة والاستجمام ... ولكن لجزيرة قبرص شهرة أخرى ، ومن نوع آخر ، أخذت تكتسبها في السنوات الأخيرة وفي منأى عن الانظار ... تلك هي القضاء على صنف من الطيور بكاملها والعمل على اتلاف البيئة .. البيئة العالمية □

ذلك أن قبرص هي إحدى محطات ثلاث تقف فيها الطيور المهاجرة القادمة من أوروبا إلى أفريقيا . . . والعائلة من القارة السوداء إلى الشمال . . . تقف فيها ملايين الطيور كما تقف في المحطتين الأخيرتين : بحر قزوين والبحيرات العظيمة عند الحبشة . . . ولا تلبث تلك الطيور أن تستأنف طيرانها بسلام في المحطتين الأخيرتين . . . ولكنها تعجز عن ذلك في قبرص . . . حيث تلقى حتفها على يد الصيادين لدى هبوطها على أرض الجزيرة . . .

وينادي الصيد هي الطريقة المألوفة في صيد تلك الطيور . . . ولكنها لم تعد الطريقة المفضلة في قبرص . . . فقد وجد صيادو الجزيرة في طلاء أغصان الأشجار بالمواد اللاصقة الطريقة الأسهل والأرخص والأكثر مردودا . . . ووجدوا - فيما يسمونه بالشباك الضبابية (Mist Nets) الطريقة المثل الكفيلة بصيد تلك الطيور على نطاق واسع ، بل قل حصدها حصدا والحكم على الكثير من صنوفها بالفناء . ويقدر عدد الطيور التي يمجرى صيدها في قبرص بالطريقتين



الأولين بخمسة ملايين طير في السنة أما عدد ما يمجرى حصده منها بالأسلوب الثالث فقد ارتفع إلى ٢٠ مليوناً سنوياً في الأعوام الأخيرة . وقد ترتب على ذلك انقراض بعض صنوف الطيور . . . نذكر منها فصيلة (القبة السوداء) على سبيل المثال ، وطيور القبة السوداء هذه طيور سويدية صغيرة . . . يروق للقبارة أكل لحمها . . .

ويعجب المرء أكثر ما يعجب للشباك الضبابية ، التي انتشرت في شتى مناطق قبرص ، حتى بلغ عددها ٤٠٠٠ ر في منطقة بارالمني وحدها . . . وبلغ طول الشبكة الواحدة منها ١٠ - ١٢ متراً . . . ولا تصنع هذه الشباك في الجزيرة . . . فهي مستوردة ، وقد بلغ ما استورده القبارصة منها ٢٠ ميلاً . . .

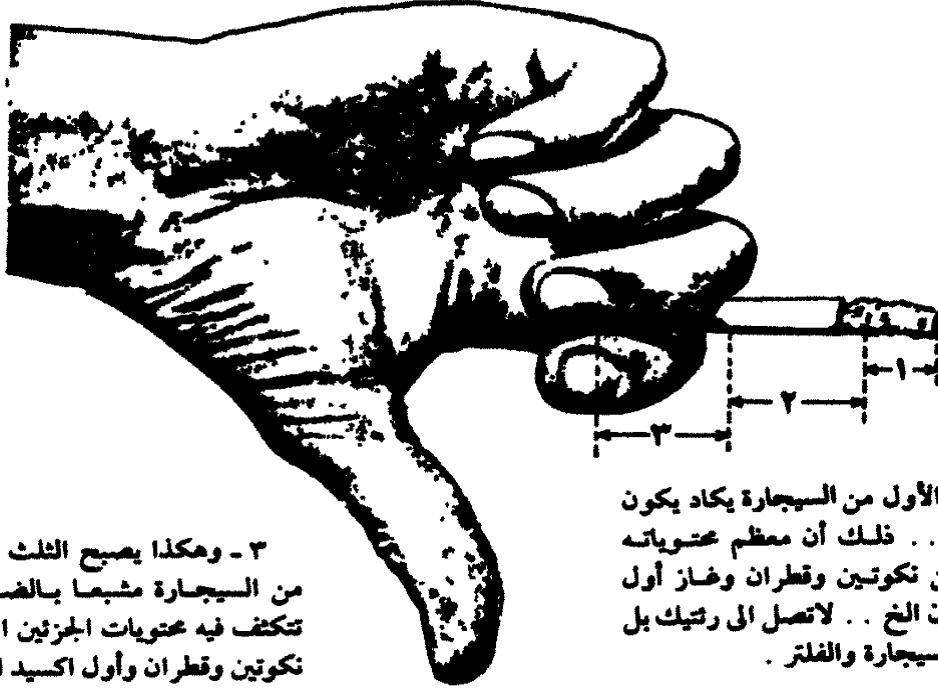
ويؤكد علماء الطيور القبارصة أن نسبة ما يمجرى صيده من الطيور المهاجرة عبر قبرص تبلغ ٥٠ - ٧٥٪ من تلك الطيور . وقد جاء في التقرير الذي أعده فرع الطيور المهاجرة التابع لمجلس حماية الطيور . . . وهو من المجالس التابعة للمنظمة الدولية . . . جاء في هذا التقرير أن قبرص تحتفظ بالرقم القياسي بين بلدان البحر المتوسط قاطبة . . . من حيث مجموع ما تصيده من الطيور المهاجرة في الميل المربع الواحد . . .

وقد صدرت تقارير ودراسات أخرى عديدة . . . دولية وقبرصية . . . وحذرت كلها ودون استثناء من مخبة استمرار المأساة البيئية الخطيرة في قبرص . . . ولكنها لم تلق اذناً مصغية من الحكومة القبرصية . . . فقد استمرت هذه على منح رخص الصيد كالسابق ومنح رخص استيراد الشباك الضبابية - كالسابق أيضاً . . . علماً بأن اتفاقية بيرن لحماية الحياة البرية تحظر استعمال الشباك المذكورة . . . وان حكومة قبرص وعدت مجلس أوروبا بتحريم استعمال تلك الشباك . . . ولكن دون تنفيذ .

لا عجب إذن إن أقدم المجلس الدولي لحماية الطيور على حث شتى الحكومات ووكالات السياحة (أعضاء هذه الوكالات = ٤ ملايين عضو في أوروبا وحدها) . . . حثها على مقاطعة قبرص سياحياً . . . بقى أن نذكر أن منطقة بارالمني ، وهي المنطقة الأولى في حصد الطيور المهاجرة - طيور ألمانيا واسكندنافيا بالذات - هي أيضاً المنطقة السياحية الأولى في قبرص . . .

□

هل حاولت الاقلاع عن التدخين ، وفشلت .. ؟
وهل ترغب في مواصلة التدخين وترغب حقا في تجنب ما يمكن تجنبه من اضراره ومخاطره ؟
عليك إذن بالتخلي عن الثلث أو الربع الأخير من السيجارة .. بذلك تضمن تفادي الكثير من تلك الاضرار والمخاطر ، دون الشعور بأية خسارة أو تضيعة ..



٣ - وهكذا يصبح الثلث أو الربع الأخير من السيجارة مشبعا بالضرر والأذى .. تنكشف فيه محتويات الجزئين الأول والثاني من نكوتين وقطران وأول اكسيد الكربون وما الى ذلك ، وتتراكم فيه تلك السموم وتكدس فوق ما يخصه منها أصلا .

إذن : تخل عن الثلث أو الربع الأخير من السيجارة لتجنب الكثير من اضرارها .

١ - الجزء الأول من السيجارة يكاد يكون عديم الضرر .. ذلك أن معظم محتوياته الضارة .. من نكوتين وقطران وغاز أول اكسيد الكربون الخ .. لاتصل الى رتيك بل تعلق في تبغ السيجارة والفلتر .

٢ - ويبدأ الأذى لدى مباشرتك تدخين الجزء الثاني من السيجارة .. إذ تبدأ تلك المحتويات المؤذية في التسرب الى رتيك .. ولكنها لا تتسرب كلها بل يبقى بعضها حالقا في الجزء الأخير من السيجارة .

غرامة ١٠٠ دولار يدفعها المدخن

الذين نزلوا فيه طوال الثلاث سنوات التي مضت على تأسيسه ، وقد جاوز عددهم ٥٠,٠٠٠ نزيل ... لقد أنشأه المدعولندون ساندروز (٥٥ سنة) الذي يعد من ألد أعداء التدخين ، ذلك أن التبغ قضى على أبيه ، وفكك بعدد من أعز أصدقائه ...

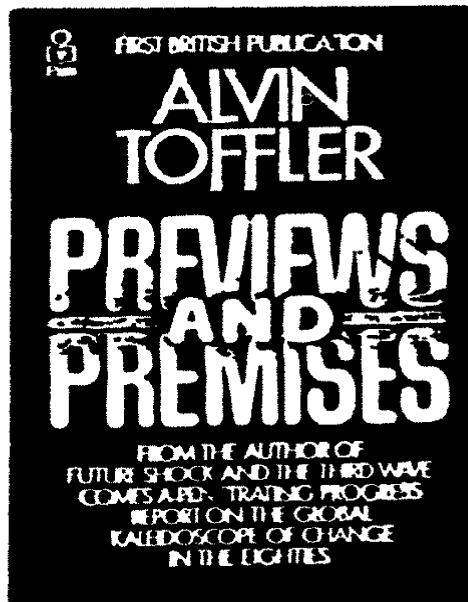
ويلغ من اقبال الناس على هذا الفندق أن حذت حذوه موتيلات أخرى في شتى مدن الولايات المتحدة ، الا أنها لم تحظر التدخين في كافة غرفها وقاعاتها ، وإنما في بعضها وحسب . □

لعله الفندق الوحيد من نوعه في العالم كله .. فهو يرفض استقبال النزلاء اذا كانوا من المدخنين .. ويطالبهم على كل حال بالتعهد بعدم التدخين أثناء اقامتهم في الفندق .. ويدفع غرامة ١٠٠ دولار اذا هم أخلوا بتعهدهم لسبب أو لآخر ...

ويقع هذا الفندق بالقرب من مدينة دالاس في ولاية تكساس .. وهو صغير الحجم بالمقاييس الأمريكية ، وهو موثيل لاوتيل ، ولا يزيد عدد غرفه على ١٣٤ غرفة .. الا أنه فندق معروف (ومحبب الى

مجلة العربي

كتاب الشهر



المؤسَّسات الإجتماعية وحاجات العصر

تأليف : ألفن توفلر

عرض : الدكتور أمين العيوطي

أصبح للتقنيات الحديثة دورها الواضح والأساسي في حياة الإنسان ...
لكن هل من الممكن أن يبقى أمر التعامل مع هذه التقنيات ضمن صيغته البريئة
والخارجية دون أن يصل الى تضاعيف الحياة الاجتماعية ويتغلغل في مفاصلها
الاساسية ؟

عن هذا السؤال وغيره يجيبنا صاحب كتاب « الموجة الثالثة » ...

كتاب الشهر

الانقلاب الاقتصادي :

لا يشخص (توفلر) الأزمة الاقتصادية الحالية على أنها أزمة إعادة توزيع الثروة ، أو ارتفاع معدلات الانتاج وانخفاضها ، أو مسئولية الدول العربية النفطية ، أو هجرة العمالة أو سوء الادارة ، أو عدم كفاية الاستثمارات ، أو غلبة الواردات اليابانية ، أو معدلات الفائدة ، مثل هذه التشخيصات لا تطابق الحقائق المعاصرة ، فإذا كان الكساد الاقتصادي الحالي ، شأن كساد الثلاثينيات ، قد ضرب الصناعات الأساسية ، مثل السيارات والصلب والنسيج والمطاط ، الا أنه قد صاحبه انفجار في صناعة الاليكترونيات والصناعات الفضائية والطاقت البديلة ، والتوازن الجغرافي السياسي والاتجاه نحو اللامركزية . ان ما يحدث هو إعادة بناء الأساس التقني الاقتصادي للمجتمع ، مما يدمر أسلوب الحياة الصناعية التقليدية ، ويحتاج الى نموذج اقتصادي جديد يحدد هوية العلاقات المتغيرة . فنحن نعيد بناء الاقتصاد لاننا نعيد بناء الحضارة ذاتها .

والأمة تتمثل في الاتجاه الى الاقليمية ، ففي حين اتجهت الثورة الصناعية من العمل على نطاق محدود لخدمة المجتمعات المحلية الى شركات تعمل على نطاق قومي الى مؤسسات عالمية الجنسيات الى انتاج عالمي لأسواق متعددة الجنسيات ، نرى اليوم الاتجاه الى الانتاج الاقليمي لأسواق محلية في كيوشو في اليابان وفي اسكتلندا وكوبك وتكساس ، هربا من الأنماط الاقتصادية القومية ، ومن القوانين واللوائح والضرائب واجراءات البنوك التي وجدت التطبيق على المستوى القومي ، مما يعني ان ادارة اقتصاديات هذه الاقاليم من العواصم سيصبح أكثر صعوبة .

فالأزمة في حقيقتها تنطوي على تحول شامل من عصر الانتاج بالجملة ، الى تحول المستهلك الى انتاج منتجات للاستهلاك الشخصي ، بحيث تتحول

في هذا الكتاب يتناول (آلفن توفلر) بالتحليل والنقد سرعة التغير الاجتماعي واتجاهاته ، معتمدا على معلومات مستقاة من علم النفس والاقتصاد والتكنولوجيا والسياسة والسياسة الصناعية وفلسفة التاريخ . وهو يبدأ بافتراض ان المؤسسات الاجتماعية الحالية لا تلائم احتياجات العصر ، وضرورة تغييرها حتى تتجاوز الأزمنة المضطربة التي نتظرنا .

ويجيب عن أسئلة حول امكانية بقاء المجتمع الانساني على أساس عدم المساواة والاستغلال ومستقبل العمالة والبطالة ، واستراتيجيات الدول الصناعية في مواجهة انهيار المجتمع الصناعي ، ومستقبل الرأسمالية والاشتراكية . وفي الاجابة عن هذه الأسئلة يثير (توفلر) أسورا تتعلق بالملكية والطبقة والسلطة السياسية والعنصرية في المجتمع المعاصر وفي مجتمع المستقبل .

الكتاب في الواقع استمرار لكتاب الصدمة المستقبلية (١٩٧٠) والموجة الثالثة (١٩٨٠) حيث تناول (توفلر) تزايد سرعة التغير الاجتماعي والتكنولوجي الذي جعل من العسير على الأفراد والمنظمات والمؤسسات ملاحقة وطرح فكرة أن الثورة الزراعية منذ عشرة آلاف سنة خلقت موجة من التغير في المجتمع الانساني ، وأن الثورة الصناعية منذ ثلاثمائة سنة جلبت معها صراعا اجتماعيا وسياسيا ، وخلقت بذلك موجة ثانية من التغير ، وأنا الآن نمر بمرحلة انتقالية جديدة صوب أشكال وعلاقات اجتماعية جديدة ، تقوم على أساس من اقتصاديات التكنولوجيا ، وهي ما يسميه بالموجة الثالثة . وهو لهذا يرى أن المؤسسات الاجتماعية الحالية قد عفا عليها الزمن ، وأنا بحاجة الى ثورة في أساليب تفكيرنا وتعاملنا مع السياسة والاقتصاد ، بل والحياة العائلية ، لأن نظم الاحزاب السياسية والمؤسسات الحكومية ومحور اليمين واليسار في السياسة أصبحت أمورا بالية في الامم المتقدمة تكنولوجيا .

مستقبل العمالة :

ان كل تصوراتنا عن العمل تنطبق على العمل الصناعي التقليدي الذي يجزئ العمل في المصنع والمكتب ، ويقوم الفرد فيه بعملية متكررة دون احساس بعلاقتها بالعملية ككل ، أو بالابداع ، هذا الشكل من العمل الروتيني قد أصبح موضة بائدة في الأمم المتطورة تقنياً ، وسوف يستمر محلل هذا النوع من العمل رغم كل محاولات الحكومات والشركات واتحادات العمال . ولدينا اليوم مهن جديدة مثل الفنيين في المستشفيات ، والمشتغلين بالانتاج المنزلي ، واستخراج المنجنيز من المحيطات ، وعلم آثار البحار وهندسة محطات الفضاء . وكلها مهن لا تخضع للروتين . كما أن هناك أشكال الانتاج التي يمارس فيها العامل عمليات معقدة . هذا النوع من العمل يشترك فيه العامل في اتخاذ القرار ، وتوسيع واثراء العمل بدلاً من تجزئته ، ويشجع الابداع بدلاً من الطاعة العمياء ، ويوفر البيئة المبهجة للعمل . فلم تعد شركات الموجة الثالثة تضاعف أرباحها من خلال ارهاق عمالها وموظفيها ، ولم يعد الانتاج يعتمد على العضلات بل على المعرفة والخيال . لقد تغير طابع العمل ونوع العامل .

فعامل الموجة الثالثة أكثر استقلالاً وتطوعاً في المهارات ، يتمتع بمعرفة متخصصة تقنية تتفق مع المتغيرات ، هو عامل ذهني يمتلك وسائل الانتاج بشكل لم يكن متاحاً لعمال المصانع غير المهرة . وهو يميل الى نظام عمل مرن غير روتيني ، مما يتطلب أشكالاً تنظيمية جديدة قد تأخذ شكل الجمعيات التعاونية الالكترونية ، أو مجموعات العمل العائلية ، أو الأعمال التي يديرها العمال بأنفسهم ، لا الأشكال التقليدية مثل الشركات الخاصة أو الأعمال التي تديرها الحكومة .

وسوف تتطلب الموجة الثالثة نوعين من العمال، عمالاً مبتكرين مبدعين متعلمين منفردين يخلقون أشكال التنظيم الخاصة بهم ، ويفرضون تغيرات هامة في اتحادات العمال وايدولوجيتها ، وعمالاً لا تعتمد مهاراتهم على المعرفة فقط بل على الحساسية الجمالية ، بحيث تجزئ بعض المهارات أكثر من



علاقات المنتج والمستهلك الى علاقة المستهلك بنفسه ، أو بجماعات صغيرة تخدم نفسها ، مما يؤدي الى اقتصاد يقوم على منتجات غير منظورين ، يعملون من بيوتهم ، ويهددون النظام الاقتصادي الحالي . وسوف تؤدي هذه الأكوخ الالكترونية بالضرورة الى تنظيم شبكات جديدة ، وارتباطات مهنية جديدة ، وأشكال جديدة من الجماعات التي تدير أمورها وتحمي نفسها . وفي حين أن الانتاج داخل المصنع قد دمر الروابط الانسانية ، فإن الانتاج المنزلي سوف يشجع الانخراط في الأنشطة الاجتماعية والاتصالات الانسانية بعد أن يفرغ المنتج من عمله في المساء . كما سيتيح هذا النوع من الانتاج الفرصة للمعوقين والمجائز والنساء الذين يفرض عليهم المجتمع أن يكونوا غير منتجين . وسيؤدي هذا كله الى تغيرات اجتماعية قوية .

ومما يشجع هذا الاتجاه تزايد تكاليف الطاقة والمواصلات والضرائب الباهظة ، وتكاليف الصيانة والأجور التي يدفعها صاحب العمل ، وضيق الوقت والجهد المنتج في المواصلات والوقود اللازم لها . فالتكاليف في صناعات الموجة الثالثة أقل ، والحياة العائلية أكثر استقراراً وارتباطاً .

كتاب الشهر

الصناعات التي تلفظ أنفاسها الأخيرة ، بعد منحها فرصة خمس سنوات حتى لا تدمر منطقة بأكملها ، مع الإبقاء على صناعة الصلب حتى تلمي الاحتياجات القومية ، وتشجيع الصناعات على التحول من تقنياتها الحالية الى تقنيات ومنتجات جديدة ، مع إعادة تدريب عمالها ومديريها وإعادة بنائها تنظيمياً . .

خراقة اليابان وغيرها :

أصبحت اليابان منافساً قوياً للغرب في صناعاتها وربما كانت صناعات السيارات اليابانية وأجهزة الاستقبال والصلب أكثر سرعة وأقل تكلفة ، وكان النظام يحمي الكثيرين ضد التقلبات الاقتصادية ، مما يساعد على تزايد سرعة التغيير التقني ، وتقبل العمال لأحدث الابتكارات التكنولوجية ، واليابان تمتلك ميزة تقبل التقنية المتطورة والوعي بالمستقبل ، على العكس من إنجلترا التي لا تزال تندب امبراطوريتها الضائعة ، وتعيش في الماضي مما يخلق مقاومة للابتكار وصناعات الموجة الثالثة ، والتشبث بصناعات الموجة الثانية التي أوجدتها بريطانيا نفسها . وهذا هو سر بقاء اليابان . لكن اليابان أقل كفاءة في إنتاج الألمونيوم والمواد الطبية والكيميائية والغذائية والنسيج - كما أنها أقل كفاءة إدارياً وتنظيماً . كما أن بيوت الأعمال الصغيرة لا توفر عمالة مضمونة دائمة وخاصة للنساء والشباب . أما الفرنسيون فقد أبدوا اهتماماً بوسائل الاتصال الحاسوبية ، لكن فرنسا مازالت مترددة بين تطوير التقنية الحديثة وبين تراجعها عن مشروعاتها التقنية . كذلك تتمثل أوجه ضعف فرنسا في تكنوقراطيتها وتأكيداتها على التأميم . ورغم ذلك فقد بدأت فرنسا تدرك أنها لا تستطيع إعادة بناء اقتصادها على أساس الصناعات القديمة .

غيرها ، وسوف تتجه المجتمعات التقنية الى اقرار حد أدنى للدخل لمن يسهم في الانتاج ، والا تعرضت لانفجارات الصراعات الاجتماعية .

ثم ينتقل (توفلر) الى مناقشة مشكلة البطالة الحالية ، أسبابها وطرق علاجها فيقول ان أسبابها متعددة . هناك أولاً البطالة التي تنشأ عن التحول عن صناعات الموجة الثانية الى صناعات الموجة الثالثة . واحدى نتائج هذا الانقلاب هو اشتداد حدة ضغوط التجارة الدولية ، والتنافس ، واختلال توازن السوق العالمية ، مما يخلق بطالة مرتبطة بالتجارة . وهناك بطالة التقنية ، فكلما تطورت التقنية قلت الحاجة الى العمال . ثم هناك البطالة التي تنشأ من أسباب محلية ، مثل زيادة الانتاج المحلي ، وتغير اختيارات المستهلكين . وهناك بطالة الذين يتحولون من وظيفة الى أخرى ، ويرتبط بهذا النوع بطالة تنشأ من أنه كلما أصبح توزيع العمل أكثر دقة قل عدد الوظائف التي يمكن التحول اليها . وهناك أخيراً البطالة التي تنشأ عن سياسات الحكومة الغبية التي تهدف الى تزايد البطالة . فالبطالة اذن ليست مشكلة واحدة ، بل عدة مشكلات متداخلة ومعقدة . ولذلك فليس لها علاج واحد .

وقد كان الحل الرأسمالي لها هو التنمية أو زيادة عدد الوظائف ، لكن مشكلة البطالة أصبحت تعتمد لا على كم الوظائف بل على نوعية الوظائف ونوعية شاغليها . ولحل مشكلة صناعات الموجة الثالثة لا بد من إعادة تدريب العاطلين ، سواء من خلال القطاع الخاص ، أو نظام التعليم ، أو وسائل الاعلام أو الجيش ، أو كل هؤلاء مجتمعين ، خاصة وأن مثل هذا التدريب يعد قفزة نوعية من مستوى من المهارات الى مستوى أكثر تفوقاً يمثل قفزة ثقافية . كذلك نجب مواجهة هذه المشكلة بتشجيع المنتج المستهلك بتوفير أدوات ودعم اجتماعي وسياسي ومادي له . ومن ناحية أخرى يجب اطلاق رصاصة الرحمة على

فيما وراء الرأسمالية والاشتراكية :

والعالم ليس مشتبكا في أزمة اقتصادية وسياسية فحسب ، بل أيديولوجية أيضا . والأحداث تتجاوز الآن كل الأيديولوجيات الرأسمالية والاشتراكية والليبرالية ونظريات العالم الثالث . وربما كان الانيار الأيديولوجي خطوة ضرورية تمهيدا لظهور أيديولوجيات جديدة أكثر شمولية ، فعبارة اليمين واليسار صيغتان لتوزيع الثروة والسلطة في النظام الصناعي الذي يخرج منه العالم الآن . وقد ظهر الآن صراع آخر أكبر تتضاءل بجانبه كل الأيديولوجيات - وهو الصراع بين الموجة الثانية والموجة الثالثة . ولابد من إعادة تقييم الأيديولوجيات ، لأن النظام ينهار ، لا النظام الرأسمالي أو الاشتراكي ، ولكن النظام الصناعي الذي يضم الاثنين معا .

فالنظامان من انتاج الثورة الصناعية . كلاهما يعتمد على وقود الحفريات والانتاج والتوزيع والتعليم بالجملة ، ووسائل الاتصال والتسليّة الجماعية ، وكلاهما يجعل من العائلة النووية الفردية نموذجا للمجتمع ، ويقوم على أساس المدن الكبرى ودولة الأمة . وحتى التوترات بينهما فهي نتاج العصر الصناعي .

وبالنسبة للمجتمع الاشتراكي ، ففي عالم الغد الذي لا يقوم على الانتاج بالجملة ، ويعتمد على تقنية معقدة ، ويختفي فيه السوق المركزي ونظام التوزيع الحالي ، ويختفي منه وسائل الاتصالات الحالية ليحل محلها اذاعات مباشرة من الأقمار الصناعية والكاسيت وشبكات الارسل لمجموعات صغيرة ، وتحل فيه الآلات الحاسبة في كل مطبخ بدلا من بنوك المعلومات ، لن ينحصر هذا المجتمع للتخطيط المركزي والادارة المركزية وهذا ما تفعله الموجة الثالثة . فالمخططون المركزيون يتعاملون مع الانماط العريضة . لكنهم لا يستطيعون التعامل مع ظروف عملية قصيرة المدى . ولهذا سيكون اتخاذ القرارات من شأن الناس العلويين الذين يعيشون في موقع معين ويعرفون كل دقائقه . والتخطيط القائم على الديمقراطية والمشاركة ممكنان فقط على مستوى ضيق في مجتمع الموجة الثالثة . وهذا يعني أن اتخاذ

وفي ألمانيا ما بعد الحرب أعيد بناء ألمانيا على أساس النموذج الصناعي ، فأصبحت مثالا لمجتمع الانتاج والاستهلاك بالجملة ، ولهذا فانها من جانب لا تزال تحتفظ بصناعات الموجة الثانية ، والتكريب التكنولوجي والاجتماعي القديم ، ومن جانب آخر لا يزال الشباب يتعلق بالماضي الذي يمثل الموجة الأولى ، فلم تحفل ألمانيا بخلق قطاع صناعي يتمشى مع الموجة الثالثة ، لأنها ليس لديها فهم واضح للامكانيات الجديدة .

ومن الناحية الأخرى لا تزال روسيا ، كما يقول المؤلف ، تحافظ على النظام الذي يخلق القدرات الابداعية ويعوق التطوير التقني . فهي مثال على الموقف الثوري الذي تعوق فيه علاقات الانتاج الاجتماعية ثمر قوى الانتاج ، وفي المقابل تتمتع أمريكا بمواردها الطبيعية واللامركزية ، وشعبها المتعلم ، ووسائل اتصالاتها المتقدمة ، مما يمكنها من الخروج من العصر الصناعي التقليدي . وفي حين أن أمريكا تعيد بناء نظمها الاقتصادية ، فانها تعيد أيضا بناء علاقتها الجغرافية السياسية في العالم كله . فقد برز المحيط الهادي كقوة اقتصادية ، وانهار تركيب التحالفات في أوروبا ما بعد الحرب ، وهناك دول متعددة ذات تقنية متطورة وكل منها يراقب زوال صناعاتها التقليدية ، وظهور صناعات جديدة وتكنولوجيات وترتيبات اقتصادية ، وأشكال اجتماعية وسياسية جديدة . وحتى تبلور الأبنية العالمية الجديدة فسنتقل نعيش عدة عقود من عدم الاستقرار .



كتاب الشهر

المعلومات ، فالتنوع والتغير يساوي معلومات أكبر تساوي تكنولوجيايات أعقد . وديناميكية ثورة المعلومات التي بدأت تمحو المجتمع الصناعي جزء من موجة التغير . وفوق ذلك فكلما زادت المعلومات فإننا نعمق فهمنا العلمي للطبيعة بحيث تغير عمليات الإنتاج . فبدلاً من استخدام التجميع اليدوي لآلة التصوير مثلاً ، أو لجهاز التلفزيون ، فإننا نستخدم معلومات أكبر ومعرفة أعمق لتقليص عدد الأجزاء ، أي أننا نحقق الآلات نفسها بمعلومات أكبر ، بما يؤثر في الثقافة والاقتصاد .

وفي العصر الصناعي كان الاهتمام ينصب على كيفية صنع الأشياء . أما الآن فإنه ينصب على إدارة الأشياء ، وتحليل المشكلات ومشكلات الثقافة والايديولوجيات . وفي السياسة تصبح قضايا التحكم في المعلومات ، والسرية ، وإدارة انسياب المعلومات مسألة تقنية . وبعض التقنيات يهدد الديمقراطية ، وبعضها يضاعف من قوة الفرد ضد الدولة ، في العصر الصناعي مثلاً كانت الدولة والشركات تتحكم في وسائل الاعلام من المركز . أما الآن فإن أنسهنك يستطيع استخدام المسجل لإرسال رسائل وتداولها وإعادة نسخها كما فعل أعداء الشاه . والمسجل لا يمكن التحكم فيه من المركز . وهكذا في مجال الآلات الحاسبة وكل الالكترونيات الحديثة في مجالات المعلومات والاتصالات التي تقلل من التحكم المركزي في حياتنا .

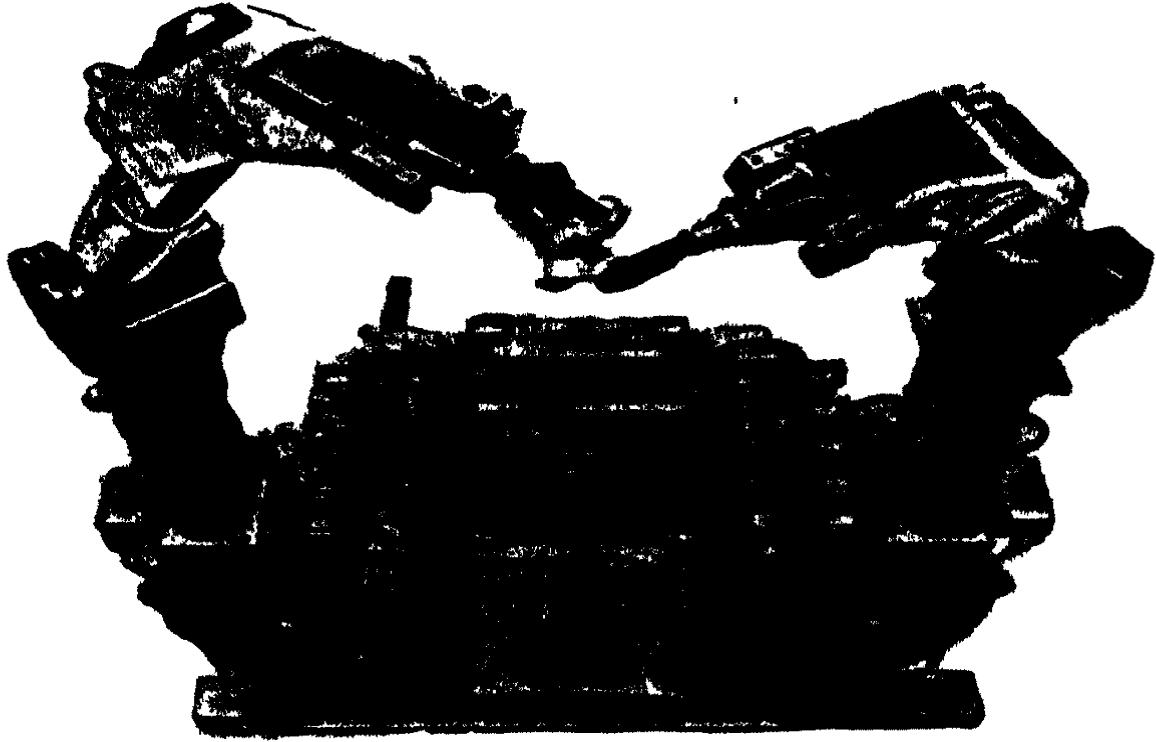
وسوف يؤثر هذا في علاقات الطبقات . فالثورة الصناعية أوجدت الرأسمالية والعمال ، والثورة التكنولوجية أوجدت التكنوقراطيين من مهنيين ومديرين وعلماء . الذين يتزايد حجمهم وتتزايد احتمالات احتكارهم للقوة . وهم « طبقة » تمتلك المعلومات المنظمة والخيال والثقافة اللازمة للإنتاج ، وتملك القدرة على المساومة أكثر من طبقة العمال . لكن هذه « الطبقة » طبقة مثقفة أكثر منها طبقة

القرار سوف ينتقل إلى أسفل بحيث يتحقق حكم ذاتي محلي .

أما بالنسبة للرأسمالية فإن التناقض يكمن في مفهوم الملكية ، فليس من يملك الإنتاج هو الذي يسيطر على المجتمعات الرأسمالية ، بل المديرون التنفيذيون الذين يتحكمون في وسائل التكامل ، ويبروقراطيو الحكومة الذين يقررون إلى أي المناطق توجه الاستثمارات . لقد أصبحت القدرة على اتخاذ القرار أهم من الملكية ، أما في مجتمع الموجة الثالثة فإن الملكية الأساسية تصبح المعلومات ، وهذا تحول ثوري لأنه شكل من أشكال التملك غير مادي لا حدود له . فعندما امتلك سهما في شركة فأنا لا أهتم بمباينها أو آلائها ، كل ما يعني هو المعلومات المنظمة التي تتحكم فيها . هكذا تتحول الملكية من ملكية رمزية (ورقة) إلى ملكية غير محددة ، ويصبح مفهوم الملكية في الرأسمالية نفسها مفهوماً بائداً .

دور المعلومات في حياتنا السياسية :

لقد أدت سرعة التغير إلى زيادة حجم المعلومات المطلوب التعامل معها لنصل إلى قرارات تلائم الظروف . فلو أنك نظرت إلى العمالة في المجتمعات الصناعية لوجدت هبوطاً في العمل اليدوي وارتفاعاً في الأعمال الإدارية منذ منتصف الخمسينيات . لقد تعقد النظام وتزايدت متطلبات المعلومات حتى وصلت إلى نقطة أزمة ، فتزايدت متطلبات العمل والتنسيق والاجتماعات والقرارات اللازمة لإنجاز عمل ما . وقد استجاب النظام لهذا الضغط تقنياً ، فدخلت الآلات الحاسبة مجال الأعمال الإدارية . كذلك لم يعد نظام الهواتف يفي بالغرض فدخل نظام الكمبيوتر . هكذا دخلت أنظمة اتصال جديدة وتقنية جديدة لاختزان المعلومات ، مثل الميكروفيلم والمساحات البصرية لتخفيف حمل



فقد أحدث تغييرا أساسيا في التوازن الاستراتيجي العسكري والاقتراع السياسي ، وطريقة تحديد القرارات السياسية . وهنا نجد أنه بدلا من بضع حاسبات آلية هائلة تتحكم فيها السلطات العليا ، ظهرت ملايين الحاسبات في طول المجتمع وعرضه وفي البيوت والمدارس والكنائس والكراجات ، بعيدا عن تحكم الحاسبات المركزية ، مما يعني تزايد نسبة من يتخذون القرارات السياسية والعسكرية .

المرأة والحياة السياسية :

في المجتمع الزراعي والصناعي كانت أشكال العمل تعتمد على قوة الرجل العضلية ، رغم الاعتماد أيضا على عمل المرأة الجسماني . إلا أن المرأة ظل مكانها في البيت مع الأطفال . هكذا أبقت الثورة الصناعية على عدم المساواة بين الجنسين ، وفي المجتمع الزراعي كانت العائلة كبيرة تعمل أجيال منها معا في وحدة انتاج واحدة ، وتعيش تحت سقف

اقتصادية ، وبالتالي لا تنصرف ككتلة موحدة ، غير أنها تشترك في صنع القرار .

ففي المجتمعات الزراعية كانت الأقلية تشترك في صنع القرارات السياسية أو الاقتصادية . وفي المجتمعات الصناعية حدثت انفجارات ديمقراطية أدت الى توسيع قاعدة الاشتراك في صنع القرار ، نتيجة لتداخل الاقتصاد وضرورة التنسيق بين أنشطة مختلفة ، وأدى هذا الى زيادة المشتركين في مجالات العمل والسياسة والمجتمع .

وانتظمت هذه المجموعة في شكل هرمي من الصفوة ومن دون الصفوة ، ممن يشكلون العمود الفقري للطبقة الوسطى ، مع استبعاد العمال والفلاحين الذين لم يكن لهم الا حق التصويت . هذه ديمقراطية جزئية . وفي مجتمع الموجة الثالثة ستؤثر ثلاثة أشياء في المستقبل السياسي : تزايد العمالة الذهنية ، تزايد عبء القرار ، الآلة الحاسبة ، وهذا يعني دخول العمال في اتخاذ القرار والادارة وتزايد اشتراك الجماهير ، وتوسيع قاعدة الديمقراطية . والحاسب الآلي له تأثيره على النظام السياسي .

كتاب الشهر

والمواد الخام . لكن فيما بين ١٩٥٥ - ١٩٦٥ حصلت معظم المستعمرات على استقلالها ، فحدث تغير في التوزيع العرقي للقوة في العالم ، فظهر العرب كقوة مالية وسياسية ، وظهرت اليابان وتايوان وهونج كونج وسنغافورة وكوريا الجنوبية كقوة اقتصادية تنمو بسرعة ، وسوف يصبح هؤلاء شركاء مع الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وأوروبا في النفوذ العالمي . وكلما توغلت الآلات الحاسبة في آسيا ، ونقلت الأقمار الصناعية المعلومات من وإلى المحيط الهادي الذي كان معزولا فيما مضى ، سوف تنتقل المؤثرات المالية والثقافية من الشرق الى الغرب ، فقد بدأ تحرك مركز التأثير الثقافي والاقتصادي في العالم .

وهناك عوامل أخرى تؤثر في توزيع القوة في العالم ، أحدها تغير توزيع السلاح فيه . فحتى الدول الصغيرة يمكن أن يكون لديها اليوم أسلحة فتاكة ، مما يغير موازين القوى في العالم . ثم لا يزال النظام الحالي يعتمد على مصادر الطاقة والمعادن بكميات هائلة . ولكن عندما تنتشر وسائل التصنيع الفردية ، ويصبح الانتاج لامركزيا ، فسوف تستخدم مصادر متنوعة بكميات أقل ، مما يعني إعادة توزيع القوة الاقتصادية في العالم .

هكذا نشهد إعادة توزيع تاريخية للنفوذ والسلطة على كل المستويات . ولن تقتصر الموجة الثالثة على أجزاء دون غيرها . فهي موجة تنتمي الى كل الأجناس ، وسوف تصبح سيطرة البيض سيطرة متعددة الأطراف ، وسوف يعود السوفييت والأمريكيون في العقود القادمة على توزيع السلطة في العالم ، كما تعودت بريطانيا وفرنسا فقدان امبراطوريتيهما .

صدارة الثقافة

أما عن احتمال أن تؤدي الاقتصاديات التقنية الى مضاعفة حجم الطبقات الدنيا ، فإن (توفلر) يرى أن هذه مسألة سياسية اجتماعية لا

واحد . أما في الموجة الثانية فقد تزايدت أهمية المصنع والمكتب ، وتقلصت أهمية البيت وظلت المرأة فيه . وقد ساعدت وسائل الاعلام على تعميم هذه النظرية ، والتأكيد على انعدام قدرات المرأة حتى تبقى في عالمها المغلق ، وحتى من شارك منهن في العمل كان يوكل اليهن أعمال أقل أجرا وسلطة .

وخلال الحرب العالمية أصبحت النساء قوة عمل احتياطية ، ثم فقدت المرأة هذا الدور . وفي منتصف الستينيات كان الاقتصاد مزدهرا فاحتاج الى عمالة أكبر . وبدأت الموجة الثالثة بتفوق العمالة المكتبية على العمالة المصنعية ، كذلك دخلت عوامل أخرى مثل حركات الاستقلال وحبوب منع الحمل ، والأقمار الصناعية . . . وبدأت التساؤلات حول الأدوار القديمة التي فرضها التصنيع . كان هذا جزءا من حركة تاريخية تحملنا وراء العالم الصناعي التقليدي ، وتشير الى مجتمع بديل .

وسوف تشهد الفترة القادمة ظهور أبنية اجتماعية جديدة قد تكون وحدة من الأم والأب والابن يعملون معا في كوخ الكتروني صغير ، أو في (كوميون) ، مما سيخلق علاقات مختلفة بين الجنسين غير تقليدية ، لأن المرأة ستشارك في الانتاج من خلال عملها في البيت . فالثورة في الأدوار جزء من الموجة الثالثة التي يقف الدفع الأساسي للتغيير فيها في وصف مساواة الجنسين ، بفضل ظهور قيم جديدة مع الترتيبات التقنية والاقتصادية الجديدة .

العرق ، القوة ، الثقافة

ومن الخطأ أن نعتقد أن السيطرة ستظل للرجل الأبيض في الحضارة الجديدة . فليست سيطرة الرجل الأبيض الا تطورا تاريخيا حديثا منذ ٣٠٠ - ٤٠٠ سنة ، عندما اكتشف القارة الأمريكية ، وطرق التجارة في الهند ، ووسع المستعمرات ونجاعة العبيد ، وأنشأ سلسلة من المجتمعات تفتح له الطعام والطاقة

كلمة أخيرة

بهذا يطرح (توفلر) رؤية مستقبلية حول تأثير الثورة التقنية في مستقبل المجتمع الانساني . لكنه في كل هذا يبدو كما لو كان يؤمن بقدرة التغيرات التقنية وحدها على تغيير العالم . فهو في تناوله لهذه التأثيرات يدور في فلك محاولات تفسير نظرية داروين - التفسيرات الاجتماعية التي ظهرت في القرن ١٩ - مع توسيع مجال هذه التفسيرات بما يتلاءم مع تغيرات العصر . فهو ينظر الى المجتمع الصناعي على أنه متجانس ، والى المجتمع التقني على أنه متنوع ، بنفس الاسلوب الذي رأى به منظرو البرجوازية في القرن ١٩ المجتمع الزراعي على أنه مجتمع متجانس ، والمجتمع الصناعي مجتمعاً متنوعاً . ولذلك فانه يؤكد على مزيد من التجزؤ أو التنوع ، لا على مزيد من الترابط .

ولعله لهذا السبب ذاته ، حين يشير مستقبل الرأسمالية والاشتراكية فانه لا يرى في مدلول الاشتراكية الا مركزية نظامها ، في حين أن مركزية النظام ليست أمراً مقصوراً على الاشتراكية ، بل هي موجودة بالفعل في كل أنظمة العالم الثالث ، بل ودخل النظم الغربية ذاتها ، كما يشير هو نفسه الى هذا . وكذلك فانه حين يحاول تحديد مفهوم الملكية في المستقبل فانه يتكلم عن « مفهوم » الملكية لكنه يغفل « فكرة » الملكية في حد ذاتها ، واضافة الى هذا فان حديثه عن « طبقة » التكنوقراط لا يحدد لحساب من يعمل هؤلاء ، ولا مع من ترتبط مصالحهم ، كما أنه في حديثه عن علاقات الانتاج الجديدة ، مثل علاقة المنتج المستهلك بنفسه ، لا يشير الى من سيوفر لهذا المنتج المستهلك أدواته الخام وآلاته ومعداته التقنية ، مما يشير الى أن علاقات الانتاج الحالية سوف تؤكد ذاتها مرة أخرى في مجتمع المستقبل .

ان (توفلر) يجيب عن تساؤلات عديدة ، لكنه يشير لتساؤلات أخرى أكثر . وربما كان هذا لأن « نظريته » لا تعدو أن تكون « نظرية » فرضية ما زال (توفلر) يعمل على استجلاء كثير من جوانبها . لكنها تظل رغم هذا « نظرية » مشوقة مثيرة تستحق منا أن نتأملها بمزيد من العناية والاهتمام ؟ □

تقنية . فالهدوء السياسي الحالي لن يدوم اذا سقط عبء التغيرات على ظهور الأقل استعداداً له . وكبار السياسيين وأصحاب الأعمال لا يدركون أن الاضطرابات لن تكون مثل اضطرابات الثلاثينيات ، بل ستكون أكثر لامركزية بحيث يصعب تحديد مداها أو قمعها . وسوف يعتمد التخطيط للفترة الانتقالية على مدى ذكاء الحكومة وأصحاب الأعمال .

ولهذا فان الاستراتيجيات القائمة على التمسك باجراءات الموجة الثانية ، مثل ايجاد وظائف في صناعات تحتضر ، ليست كافية ، ومن الأسهل أن نحقق مكاسب في برامج التدريب في قطاع الموجة الثالثة ، وهذا يعني اعادة دراسة البنى الخفية ، التي تحدث في الدول المتقدمة تقنيا ، أي معرفة التحول البعيد المدى الذي يحدث باتجاه الانتاج الاقليمي اللامركزي والتوزيع ، وخلق وظائف الموجة الثالثة حيث يعيش العاطلون بالفعل ، وكذلك البحث عن أشكال جديدة من العمل المنزلي باستخدام التقنية الحديثة ، وعن خدمات وبيع جديدة وايجاد الأسواق لها . كما يعني أيضا برامج تدريب وتعليم للأطفال ، ومواجهة المستقبل لا الماضي .

فنحن نواجه حضارة جديدة لا تمثل فقط في الآلات الحاسبة وأجهزة الفيديو ، بل في مواد جديدة تجاه العمل والجنس والأمة والسلطة وأوقات الفراغ . ففي الموجة الثالثة ليست هناك ثقافة واحدة ، بل ثقافات متنوعة ومتغيرة ، وكلما تحركنا باتجاه الموجة الثالثة زادت أهمية الثقافة ، ومعظم المهن الجديدة في هذه الصناعات تعتمد على الثقافة ، ولم يعد الأمر مجرد الاعتماد على المواظبة ، وطاعة السلطة المركزية ، وفهم كيفية عمل البيروقراطية ، والخضوع للعمل المتكرر المحفوظ . وسوف يكون اقتصاد الموجة الثالثة مجزياً للقادرين على التغير ، والعمل واكتساب الخبرة في أكثر من مجال ، وتوسيع مجال الخيال للتلاؤم مع ثقافات الموجة المستقبلية . وليست هناك جماعة عرقية واحدة تحتكر هذه الصفات . فكل ثقافة شرقية أو غربية ، سوف تأتي الى الموجة الثالثة وقد تطورت طبيعتها الاجتماعية . فنحن ندخل عصراً جديداً تلعب الثقافة فيه دوراً مهماً . وسوف تستوعب الحضارة الجديدة عدة ثقافات ، ولم يعد الماضي كافياً لمواجهة المستقبل .

من المكتبة العربية

ممرات في دقات الطفولة

بقلم : فاضل خلف

صدرت حديثا المجموعة القصصية « ممرات
في دقات الطفولة » للأديب العراقي أحمد محمد
أمين ، احتوت على ١٣ قصة قصيرة .
فهل هي من الطفولة بعامة ؟ - أو هي عنها
كمرحلة عاشها الكاتب ، وأخذ بعد ذلك
بعض أجوائها وتفصيلاتها ؟ وصيها في قوالب
فنية قصصية ؟

عالم أحمد محمد أمين مزيج من الرؤى ذات
الدلالات الانسانية التي تتفاوت بين الرمز ..
الرمز المغلق أحيانا .. والواقعية النقدية يخلق بها على
جناح لغة شفيفة ترقى الى مستوى الشعر ..
وتزويقات استعارها من الطفولة والحلم .. وتكاد
الطبيعة بكل ما فيها من تألق وحركة ، وعبر لقطات
في غاية الدقة ، أن تكون هي المحور الرئيسي
والشخصية التي تتحرك فوق المساحات القصصية -
كما أن المضامين الانسانية التي يطرحها داخل قصصه
ترتكز على وعي عميق بالحياة .. وإدراك صادق لما
يدور في عالم الذات ، ورواية متقدمة في النقد ،
ورصد ذكي لسلوك الانسان من جميع هذه المعطيات
في طرح فني جاد دون الوقوع في مزالق المباشرة ..
فليست قصصه لافتات هشة تعرض محتوياتها للقارئ
وانما هي عميقة الغور في دروب الواقع .. اذن نحن
أمام رؤية قصصية ، ينبغي أن تكون لدينا كل
معطيات الثقافة اذا أردنا أن نفحص فيها ، فهو قد عبر
من خلالها عن كل رؤاه الفنية والثقافية .

لقد حملني المؤلف الى أجواء السحر والحلم والواقع
المر الذي كان يحاصر طفولتنا . انه يختار عدته الكتابية
من جميع المدارس الفنية .. وهو أقرب الى الفنان
التشكيلي الذي تتراوح فرشاته بين العديد من
المدارس الفنية - التعبيرية والانطباعية والسريالية
والخيالية الابداعية وحتى الكاريكاتورية .

انه لا يصرخ : ان جيلنا كان مضطهدا للطفولة
كأنما لانفاسها ، وقتلا لحريتها .. لكن الطفولة
كالمارد ، كانت واعية لما يدور حولها ، حريصة على
التعلم ، وتلقي الدروس من الحياة ، ويمكن ملاحظة
ذلك في قصص « عربة الملك » ، « الفرج » ، « ضجة في
القلب » ، وحتى في اللوحة الأخيرة » .

قصص قصيرة
أحمد أمين
ممرات في دقات الطفولة



دخول في التفاصيل

ان القضايا المطروحة في القصص ، هي قضايا الساعة ، قضايا الانسان ومعاناته ونضاله . ولو أردنا التفصيل فالتنا نضع هذه الاشارات :

١ - في قصة « الصحو والحلم » نقف حيال المرأة واضطهاد الرجل لها ، وظروفها المتعبة في عالم سيطرته المطلقة ، لذلك فهي تلوذ بالحلم ، ولا تكاد تضع أولى خطواتها في دائرة تحقيق رغبتها - رغم سذاجة هذه الرغبة - حتى يكون زوجها قد عكر عليها عالمها ، وحطم بمطرقته كل شيء . . وتكون هي أيضا ضحية تنكسر مثل اناء زجاجي . .

والملاحظ أن رغبة المرأة جاءت سقيمة في الحلم . . وأظن أن المؤلف كان متبها ويقظا في جعل تصرفها صيانيا . لأن الحرية التي تفهمها بعض النساء تكون باهتة أحيانا !

٢ - « رحيل المساء الحجري » . . وهي قصة عن موظف يعيش حلم اليقظة ، ويسدور داخل الأوهام . . انه مضطهد ، ومحاط في العمل بالرتابة والتعب وعدم التقدير لاختلافه ، ومضطهد في البيت من قبل زوجته . هذه المرأة التي تمثل كل النماذج المسيطرة والضحلة من نساءنا . . فالبيت في نظر الرجل مزدحم بالروتين والعلاقات الرتيبة المهترئة مثل الوظيفة تماما ، لذلك نراه يهرب من واقعه ويخلق لنفسه عالما خاصا : عالمة هو . . يتحدث مع التلفزيون ، ويضرب موعدا مع طيبة ، ثم تكون النتيجة الفشل المر . . وبعدها تكون الصحوة .

القصة رغم منحاسها الخيالي ممتلئة بالوصف الواقعي للطفولة ، يسترجمها ليؤكد لنفسه على الأقل أن أوهامه تتركز على أرضية من الواقع . . والذكريات التي تزخر بها ذاكرته . . والقصة بعد ذلك نقد للحياة أينما كان المرء . . في البيت ، في المؤسسة التي يعمل فيها ، في الشارع ، في الأماكن العامة . . وهي تشبه الأولى في كون البطل يحلم ، ويهرب ويصطدم بسور الواقع القاسي .

٣ - « ممرات في دفاتر الطفولة » . . هذه القصة مستلة من الطبيعة ، كأنما غمس « فان جوخ » ، أو « سيزان » ، أو أي فنان تشكيلي متقدم ، فرشاته في

الالوان ، وجسد لنا هذه الطبيعة التي تتفاوت وتتحرك في دائرة الضوء ، والقتامة ، والرهبة ، والممرات الغامضة ، انها الحياة المتشابكة ، ومتاهاتها ، وما نحن الا كائنات نناضل . . وقد نضيع فيها الى الابد ، وقد نخرج الى خير منها .

القصة عن الخرافة وأثرها فينا ، فالمجتمع في أيامنا هذه وهو يعيش في دائرة العلم ومعطياته يرفض أن يقع تحت طائلة التخلف والأفكار البدائية ، والأساليب غير التربوية التي حشا الآباء رؤ وسنا بها . وهذه القصة في نظري من القصص الجميلة . . أداتها لغة في غاية الشاعرية وهي مليئة بوصف تفصيلات الطبيعة ، ويمكن أن يقال فيها الشيء الكثير من الاحكام والتأويل .

٤ - « بعيدا عن الايام القاتمة » . . هي أيضا قصة ممتعة ، مصوغة بعناية تتحدث عن قوة الانسان النابعة من الذات حيال البطش والاضطهاد للذين يسودان العالم وتستند الى ثلاثة محاور . . التلال والمذبحة ، العرس والفرح ، ولقاء الطفولة بالطفولة . . طفولة كهلة وطفولة في ميعة البراءة .

انها معقدة ، مليئة بالرموز المغلفة ، لكن اللغة فيها جميلة ويعني الوصف فيها بالتفصيلات ، مما جعلها أنيسة لا تثير فينا الملل والاستياء .

زمن الاحزان المنسية

« زمن الاحزان المنسية » . . عن الهروب في ظروف سياسية ونفسية صعبة . والفق الهارب يجد في الغربة منفى آخر . . تحاك ضده مؤامرة أخطبوطية ، ويعود الى الوطن الذي يكتشف فيه لأول مرة مثواه ، والأرض التي يمكن الاطمئنان اليها : « اذا كنت تحبها حقاً فامنحها كل دمك » .

ولست أجافي الحقيقة عندما أقول : ان هذه القصة من أحسن النماذج الجديدة التي قرأتها . يوجد في القصة عدة محاور لكل محور ضمير خاص ، يتحدث به البطل - ضمير المخاطب في المحور الأول ، وضمير المتكلم في المحور الثاني والثالث ، وضمير الغائب في المحور الأخير - ورغم أن القصة تضحج بالأشخاص والوجوه فان الشط والنخيل وملايين الذرات الضوئية المتراقصة فوقه وصور الطبيعة من داخل القطار . .



المنسية « التي يعود فيها البطل من المنفى الى الوطن ، وهنا يهرب من واقع مريض آمن مليء بالحقد والملاحقة وتجريد الانسان من انسانيته ، الى واقع يعبق بالصفاء والطهر .

ورغم أن القصة لا تنتمي الى زمان ومكان ومجردة من الشرثرة اللفظية ، لكنها زاخرة بالمواقف الانسانية ، تؤكد لنا معنى الحرية التي يناضل الانسان ويضحي من أجلها . وقد تكون تلك المدينة التي تراءت له من بعيد ، وهي تستلقي في أحضان البحر والضوء والسماح ، هي مدينته الفاضلة .

١٠ - « عربة الملك » يبقى لها موقع خاص في النفس ، انها لمحة مضيئة من الأداء . وملاحقة صادقة للطفولة المعذبة وواد أمانيتها . .. تحفل بالصور والالوان والمشاعر الحبيسة في الذات ، وهي بمجملها - ويكل ما فيها من تصوير فني عال ، ووصف جميل من خلال عيني طفل - احدى القصص الواقعية التي تظل تضيء في الذاكرة .

١١ - « عائدة من أقاصي النسيان » .. وهي من النمط القصصي الخيالي المتعب ، أضاف اليها المؤلف هوامش مكملة للقصة ، وهي تحكي قصة امرأة عادت الى الحياة بعد عشر سنوات من النسيان عن طريق امرأة عجوز تمارس السحر والشعوذة ،

تبقى هي شخوص القصة ، التي تستوي فوقها معاناة الانسان ، أمام الظروف غير الطبيعية .

٦ - السفر داخل العيون الأليقة» .. عالم زاخر بالرموز التي تتحرك في عدة محاور : المراوح والناس الذين ينظرون الى السماء ، الحديقة والانتظار ، والاختيار القاسي للأشخاص الثلاثة مع الوردة ثم المستشفى والبحث عن الفتاة .. الشخصيات الثلاثة يمثلون في نظري ثلاثة اتجاهات سياسية ، وكل يحاول بوسيلته احتواء الوطن (الفتاة) والقصة بلا نهاية ، لان النضال سيظل قائما ما دام الاستغلال سائدا يعيش في نفوس الناس ، ورغم الغموض الذي يكتنف هذه القصة فانها لا تخلو من لمسات فنية بارعة أضاءها القاص في أجوائها وحناياها .

٧ - أما القصة « الفرح » و « ضجة في القلب » فتتبعان الى القصص الواقعي الذي لا يخلو من رمز .. الحية الاولى رمز للعدوان والقوى الشريرة التي تريد استلابنا وسرقة مملكاتنا . والمهر رمز القوة والحياة الجديدة .

قصتان تعتبران نموذجين متقدمين للقصة الواقعية الجميلة التي تقوم على بناء وصفي رصين ، وتكون فيها الطفولة في حالة من الوعي المسؤول .

الهروب الى مدن الشمس

٨ - «الهروب الى مدن الشمس» .. رصد وتحميد وادانة لعدم المبالاة التي يتذرع بها الناس - وكأنا الاحياء قد استحالوا الى تمائيل حجرية أمام مسئولياتهم .. فلجأ القاص الى استخدام هوراي الملك المتحضر ومنحه فرصة لأن يعود انسانا .. انسانا عاديا يلمس وجه الحياة .. يعمل ويكد مثل الناس . ان تمرد هوراي ليس سوى اداة صارخة للاحياء متحجري الأحاسيس .. المجردين من الشعور بالمسئولية تجاه ما يدور حولهم .. وعلى أرض الواقع . القصة برمتها استنهاض للانسان ، وتحريض له على أن يكون متحضرا في موقعه المسؤول ، بعيدا عن الجحود والاسترخاء .

٩ - «البحر في النافذة» أشبه بقصة « زمن الأحزان

● ممرات في دفاتر الطفولة

في قصة « رحيل المساء الحجري » حيث مزج بين عالين باقتدار عال ، عالم الخيال ، وعالم الواقع .

ب - الوصف الجميل للطبيعة والحياة واستخدام التزيينات (أو التزاويق) الفنية المتقدمة ، والاستفادة من المعطيات الفنية كالسينما والفن التشكيلي والحلم ومزج الألوان والتصوير الجميل للماء ، لقد استطعنا أن نلمح المطر والغيم في عدة لقطات . . في القصة الاولى والثانية ، وضجة في القلب وثمانى لوحات مائية ، كما أن فيها أجواء قصصية غريبة جدا ، وحين ندخلها كأنما ندخل في حلم جميل أو نرتاد عالما من الخيال الفضفاض .

ج - حاءت اللغة عذبة وشاعرية ، وكأني به يكتب شعرا في بعض القصص ، وأحسن أن اللغة المتألقة غير العادية ضرورية لكتابة القصة الجديدة ، وهي مكتملة للشروط الفنية الأخرى .

د - كل قصة حملت هما انسانيا خاصا ، وعالجت مسألة معينة تشغل بالنا في كل لحظة .

اذن نحن أمام ثلاث عشرة قصة ذوات مضامين انسانية ، ترتفع في لغة مترفعة عن الابتذال والهشاشة والسذاجة . . تحيى أحيانا واضحة وأحيانا رمزية فيها عذوبة وشاعرية ، وكتبت بصيغة متقدمة ومتطورة □

لإعادة الوثام الى الاهل ، ورأب الصدع بينهم ، لكنها تفشل لأنها تتعثر بأخطاء تجاوزها الزمن ، ومع ذلك تترك لدينا حافزا الى العمل والتضامن والتصافح .

والقصة تلاحق مسألة الشعوذة ، وعدم قدرتها على اضاءة حياتنا بالأماني والآمال ، لأنها أساسا تستند الى العقم والخواء .

١٢- «ثمانى لوحات مائية» ، وهي عن الشاعر الراحل بدر شاكر السياب ، أراد المؤلف من خلالها أن يسهم في تمجيد هذا الشاعر العربي الكبير ، فصور حياته المأساوية عبر ثمانى لوحات أنيقة ، لا تخلو من اللوحة القصصية البارعة .

حقائق

وأخيرا يمكن أن نخرج من خلال هذه المجموعة القصصية بالحقائق التالية :

أ - استعمال «تكنيك» مبتكر في صياغة القصص ، واعتماد السرد والتداعيات والمنولوج الداخلي . . تبدأ القصة أحيانا من النهاية مثل القصة الأولى ، وأحيانا يحشر في القصة لوحة قد تبدوا لأول وهلة أن لا صلة لها بها ، لكنها امتداد لها . . مثل لوحة من زمس الطفولة

أين جمال المرأة

ما أجمل مافي المرأة ؟ حاولت مجلة « وومان » أى المرأة ان تبحث عن أجابة لهذا السؤال ، فأجرت استفتاء بين مجموعة من الرجال ، قال البعض إن أجمل مافي المرأة غموضها ، وقال البعض الآخر ان سر ابتعادهم عن المرأة هو أنهم لايفهمونها ، وبمعنى آخر ان غموضها يحيرهم !

وقال فريق ثالث إنهم يفضلون المرأة الجميلة بشرط الاتكون ذكية ، لان ذكاء المرأة يزعج الرجل !

مجلة العربي

مختارات

الاسلوب والاسلوبية .

ترجمة : كاظم سعد الدين

الناشر : دار آفاق عربية - بغداد

سنة النشر : ١٩٨٥

عدد الصفحات والحجم : ١١٥ صفحة

من القطع المتوسط .

الأمر لا يمكن أن تكون مجردة من هذه العلاقة ، وإن دراسة اللغة ودراسة الادب ، كما هو واضح ، لها حدود مشتركة ، وبهذا تكون الاسلوبية المنطقة الفاصلة بينهما) .
وقد استعرض المؤلف مدارس عديدة أدلت بدلوها في الاسلوب والاسلوبية .

نازك الملائكة - دراسات في الشعر والشاعرة

بقلم واعداد وتقديم : د . عبدالله المهنا ونخبة من اساتذة الجامعات
الناشر : شركة الربيعان للنشر - الكويت
سنة النشر : ١٩٨٥
عدد الصفحات والحجم : ٩٠٠ صفحة من القطع المتوسط .

منذ أربعينيات هذا القرن والشاعرة الناقدة نازك الملائكة تحتل مكانة مرموقة ورائدة في حياتنا الادبية العربية . .

فهي ممن أسهموا اسهاما بارزا في ارساء موجة الشعر الحديث . وما زالت حتى الآن ترفد هذه الموجة بالرغم من الملاحظات التي يمكن تسجيلها على تبحرتها في المرحلة الاخيرة . اضافة الى ذلك فانها من المنظرين للشعر ، وكتابتها (قضايا الشعر المعاصر) يعتبر مرجعا مهما في هذا المجال . . يقول الدكتور عبدالله مهنا في مقدمته للكتاب : (لا يمكن التأريخ للشعر المعاصر الا انطلاقا منها ومن آخرين ، فمن هذه الكوكبة كان

هذا هو الكتاب الأول ضمن سلسلة كتب (آفاق) الشهرية التي صدرت في بغداد عن دار آفاق عربية التي تصدر عنها المجلة الشهرية التي تحمل نفس الاسم والتي يرأس تحريرها محسن جاسم الموسوي .
والكتاب من تأليف الكاتب الانكليزي غراهام هوف .

جاء في تعريف احد الكتاب للاسلوب بأنه الرجل ، فما الذي يقوله غراهام عن الاسلوب والاسلوبية ؟

جاء في تمهيده للكتاب ما يلي :-

(الغرض من هذه المقالة اعطاء وصف موجز عن الدراسة الحديثة للاسلوب الادبي ، وقد نشأت دراسة الاسلوب من اللسانية في الغالب ، ومن منطلقات اخرى احيانا ، ولا ريب أن الاسلوبية هي دراسة اللغة مهما كان منشؤها ، وان موضع النقاش الوحيد هو كيفية دراسة اللغة الادبية ، وقد أصبحت اللسانية اليوم فرعا عظيما مستقلا عن فروع المعرفة ، وعلاقتها بالدراسات الادبية ليست أسرا يسيرا ، وكثير من اهتماماتها لاصلة له بالأدب ، وبعض من طرقها لا يروق لاغلب طلاب الأدب ، ومع ذلك فهي في نهاية

البدء الحقيقي للشعر المعاصر الذي يضرب بجذوره في حياتنا الآن) . وحول صدور الكتاب يقول الدكتور مهنا : (انطلاقا من ظاهرة الوفاء لشاعرة حفرت اسمها بعمق في الحياة الادبية ، ولاستاذة جامعية علمت الكثير والكثيرات في عدد من الجامعات العربية) انطلقت فكرة اصدار الكتاب الذي احتوى على ثلاثة فصول هي : نازك مع الشعر والحياة ، نازك والادوات الفنية ، نازك نافذة ، واحتوى كل فصل على مجموعة من الدراسات لمجموعة من الدارسين

المؤامرة !

الناشر : دار صبرا للدراسات - دمشق .

سنة النشر : ١٩٨٤

تقديم : د . أحمد أبومطر .

عدد الصفحات والحجم : ٢٠٠ صفحة من الحجم المتوسط .

في عصر يوم الاربعاء الثالث عشر من شهر مايو - آيار سنة ١٩٨١ ، دوى الرصاص في مدينة الفاتيكان في روما ، وسقط البابا يوحنا بولس الثاني مضرجا بدمائه . . وتم اعتقال التركي محمد علي أغجا بتهمة اطلاق النار ، ومع أن أغجا اعترف باطلاق النار وحكم عليه بالسجن مدى الحياة ، الا أن الامر لم يقف عند هذا الحد . فأقوال أغجا المتناقضة وتاريخ حياته ومسار تنقلاته ، وحصوله على المال والسلاح ، وهروبه من السجن في تركيا قبل ذلك ، بعد أن كان محكوما عليه بالاعدام فيها ، أثار الكثير من التساؤلات والشكوك بألا يكون باعث الاغتيال فرديا .

وهكذا وبعد عام واحد من صدور الحكم أعيد فتح ملف القضية . . وتم توجيه مسارها للزج بأسماء وجهات أخرى ، وتوجيه الاتهام لها بأنها هي التي تقف وراء العملية

فمن هي تلك الجهات . . . ولماذا تم توجيه الاتهام اليها بالذات ؟ هذا مايجيب عليه هذا الكاتب

البدء الحقيقي للشعر المعاصر الذي يضرب بجذوره في حياتنا الآن) . وحول صدور الكتاب يقول الدكتور مهنا : (انطلاقا من ظاهرة الوفاء لشاعرة حفرت اسمها بعمق في الحياة الادبية ، ولاستاذة جامعية علمت الكثير والكثيرات في عدد من الجامعات العربية) انطلقت فكرة اصدار الكتاب الذي احتوى على ثلاثة فصول هي : نازك مع الشعر والحياة ، نازك والادوات الفنية ، نازك نافذة ، واحتوى كل فصل على مجموعة من الدراسات لمجموعة من الدارسين

محاضرات في نشوء الفكرة القومية

الكاتب : ساطع الحصري

الناشر : مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت

سنة النشر : ١٩٨٥

عدد الصفحات : ١٧١ صفحة من الحجم المتوسط

بدأ مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت بتجميع وإعادة نشر مؤلفات وكتابات المفكر العربي : ساطع الحصري (أبوخلدون) الذي وقف حياته على الدعوة الى الوحدة العربية ، ونشر الفكرة القومية العربية ، وقد سجل المركز ١٧ كتابا ينوي نشرها لهذا الكاتب ، والكتاب الذي نعرض له هو الكتاب الخامس في سلسلة كتب (الأعمال القومية) للكاتب .

أما محتوى الكتاب فهو ست محاضرات تناولت نشوء الفكرة القومية والحركات التي دعت لها ومسيرتها في : المانيا ، وبلاد البلقان ، وتركيا ، والاقطار العربية . اضافة الى تغطية عامة لمجمل الحركات القومية في أوروبا منذ أوائل القرن التاسع عشر . وقد جاء في الكتاب عن مستقبل القومية العربية مايلي : د يجب أن نلاحظ أن العصر الذي نعيش فيه أصبح

يحتل أو هنري مكانا مميزا بين كتاب القصة القصيرة الكلاسيكية في العالم . ولا يأتي تميز أو هنري من غرابة الاجواء التي يرسمها ، بل من طرافتها ومن النهايات المفاجئة التي تنتهي بها قصصه .
لكن لمفاجآت أو هنري منحى آخر يلقى عليه هذا المقال بعض الضوء .

المفاجأة في قصص أو هنري

بقلم : الدكتور غسان حتاحت

وتلعب المفاجأة دورا كبيرا في قصصه ، فبينما نرى القصة تسير في محى معين ، نجد لدهشتنا ومتعتنا أن هذا المنحى قد انحرف بشكل حاد جدا ، فغير مسيرة القصة كلها وربما كانت هذه المفاجأة في السطر الأخير من القصة أو في الجملة الأخيرة . والمفاجأة في قصص أو هنري طريفة سارة تجلب للقارئ الراحة والمتعة . خلافا للمفاجأة لدى غيره من الكتاب .

جمال المفاجأة

ولتوضيح جمال المفاجأة وميزاتها في قصص أو هنري أورد فيما يلي ثلاثة نماذج منها : الأول في قصة « كف توبين وطالع السعد » . التي تدور حول توبين وهو شاب وفد الى نيويورك من ايرلندا على أن تلحق به خطيبته كاتي ماهرورنر ومعها مدخراتها من المال . وتمضي الاسابيع دون أن يسمع خبرا عنها . وبينما هو يروح عن نفسه برفقة صديق له في مدينة سلاه في نيويورك يدخل الى حجرة عرافة لتستكشف طالعه ، فتحذره من رجل أسود ، وامرأة شقراء . وتخبره بأنه سيخسر بعض المال وسيركب البحر . غير أن طالع السعد سيأتيه في النهاية عن طريق رجل طويل ذي أنف أعوج .

 يقف الكاتب الأمريكي أو هنري في صف واحد مع كبار كتاب القصة القصيرة في العالم ، الذين تركوا بصماتهم عليها خلال السنين . فهو يذكر مع انطون تشيكوف الروسي ، وجي دوموباسان الفرنسي ، ووليام سومرست موم الانجليزي . وكما اختلف انتهاء هؤلاء الكتاب الى بلدان شتى ، كذلك اختلفت طرق كل منهم في معالجة مواضيع قصصه .

ويعتبر أو هنري من ألمع الكتاب الأمريكيين في مطلع القرن العشرين ، واسمه الأصلي وليام سيدني بورتر . وهو كاتب مكافح جرب مهنا عدة ، ودخل السجن متهما بالاختلاس ، وفي النهاية عندما بدأ الدهر يبتسم له سارعت يد المنون اليه وهو في قمة عطائه .

وقد ألف عديدا من القصص التي تعتبر كلاسيكية ، وجزءا من تراث الأدب القصصي الأمريكي . وتمتاز قصصه بسرعة الحركة والايقاع ، وتصف في معظمها المجتمع الأمريكي في مطلع هذا القرن، وخاصة أولئك المكافحين في سبيل لقمة العيش وما يقاسون في حياتهم ، وتدور أكثر قصصه في مدينة نيويورك حيث المتناقضات ، وحيث كان يعيش فيها - آنذاك - أربعة ملايين من الناس .

وهكذا فهو مع وجود المال عاجز عن شراء بعض الوقت الذي يمكنه من خطبة الفتاة . ويذهب الشاب لمرافقة فتاته ويركبان في تاكسي . وبينهما في منتصف شارع برودواي يزدهم السير فجأة ، وتشبك العربات والسيارات اشتباكاً شديداً في كل اتجاه ، وتُشَل حركة المرور بسيارات من كل الحجم والأشكال ، فلاجمال للتقدم الى الأمام ولا الرجوع الى الوراء ، وتمضي قرابة ساعتين قبل أن تتمكن السيارات من التقدم ، يتاح للشاب فيها أن يكلم الفتاة بشأن الخطبة .

وفي المساء يبشر الشاب أباه أنه قد نجح في مسعاه وأن المال لا دور له بذلك . هنا يمكن للقصة أن تنتهي لولا أن أو هنري يريد لها نهاية أخرى .

ففي اليوم التالي نجد شخصا يأتي الى والد ذلك الشاب ليسوي الحساب معه ، فقد احتاج الى مال كثير كي يستأجر العربات والسيارات ، ويكافئ سائقيها الذين التزموا بمواعيدهم وحققوا ذلك الزحام الممتاز .

ويقول الأب لهذا الرجل : انك لا تحترم المال . . . ليس كذلك ؟ . ويجيب الآخر : لو رأيت الرجل الذي اخترع الفقر لعلونه بالوسط .

المواطن العالمي

والمثال الأخير على المفاجأة في قصص أو هنري . في القصة مواطن عالمي طاف حول العالم مرات ومرات ، فالكون موطنه وهو في بقعة مختلفة منه في كل آن . والدنيا بالنسبة له متناهية في الصغر . ومن أراد مراسلته فعنوانه ا . رشمور كوجلان . الكرة الأرضية - المجموعة الشمسية - الكون . وكفى بذلك عنواناً يدل عليه .

ويلتقي الكاتب هذا الرجل في مقهى فيحدثه عن العالم مشرقه ومغربيه ، وهو الضليع العالم ، ثم يغادره والكاتب يشعر نحوه بالاحترام ، فهذا هو المثل الأعلى للمواطنة العالمية . وفجأة يتنبه الكاتب الى ضوضاء عنيفة نجمت عن شجار حصل في أحد أركان المقهى ، وعندما يتساءل عن سببها يرد عليه النادل : ان ذلك الرجل (المواطن العالمي) قد اشتبك مع شخص وجه اهانة يسيرة الى القرية الصغيرة التي ولد فيها . □

لا يصدق توين تنبؤات العرافة ، وبينما يسير في مدينة الملاهي اذ بزنجي يلسمه في أذنه بسيجاره المشتعل فيشتبك معه ليتبين بعد ذلك أنه قد سرق محفظته . ويتوجه مع صديقه الى زورق ليركبا فيرى الى جواره امرأة شقراء جميلة فيرفع قبعته لتحياتها فتطير القبعة الى الماء . عندها يلتفت توين الى رفيقه ويعدد ماجرى له من مصائب ويقول له : ألا ترى ؟ لقد صدقت العرافة في كل ماقلته ، ولا بد لي من البحث عن ذي الأنف الأعوج ، حيث طالع السعد . وأخذ يحملق في الموجودين دون أن يلمح شخصا واحداً يمكن أن ينطبق عليه هذا الوصف ولو من بعيد .

وفي طريق العودة الى البيت يعثر على رجل طويل ذي أنف شديد الاعوجاج فيمسك به مع صديقه ويحكيان له عن نبوءة العرافة ، فيوافق على أن يصحبها الى مقهى ، ويقضون معا وقتاً طويلاً دون أن يبرز السعد في وجهه .

ويكاد توين يشعر باليأس فيشقق عليه الرجل ويدعوها الى بيته لتناول العشاء واحتساء بعض الشراب رداً منه على دعوتها لياه الى المقهى .

لدى قصاصين آخرين تنتهي القصة هنا . أما لدى أو هنري فللقصة بقية . يتابع الرجل : ان زوجتي نائمة ولكنني سأطلب من الخادمة الحديدية أن تصنع لكبا بعض القهوة فان الصبية كاتي ماهرورنر التي جاءت منذ ثلاثة شهور من ايرلنده تصنع قهوة طيبة .

المال والزحام

وأما النموذج الثاني فلا يقل متعة عن الأول . واسم القصة هو « اله المال » .

وتدور حول شاب هو ابن صاحب مصنع للمصابون ، مفرط الغنى ويؤمن أن المال قادر على أن يصنع كل شيء ، وعندما يجبر هذا الشاب أباه أن ثمة أشياء كثيرة لا تشتري بالمال يسخر منه أبوه . ويروي الشاب لأبيه كيف أنه يتمنى أن يخاطب فتاة أحلامه غير أنه لا يوجد لديه وقت لذلك ، اذ ستسافر الفتاة الى أوروبا لمدة عامين ولن يتاح له الا صحبتها من محطة القطار الى المسرح حيث تنتظرهما والدتها ، وهذه الرحلة القصيرة في شارع برودواي غير كافية لاعطائه الفرصة المناسبة لمحدثتها بشأن الخطبة .

الشمطي والنسيدي

بقلم الكاتب الأميركي أو هنري

ترجمة : حسن محمود عباس

في الجزيرة المنشودة سجيناً . ثلاثة أشهر يتوافر له فيها الطعام والشراب والمأوى والأمن ، محترزا من ربح الشمال ومن عيون رجال الشرطة . كان ذلك يبدو له وكأنه غاية المرام .

كان بلاك ويلز المضيف - لسنين عديدة - مأواه الشتوي . وقد أعد سوبي عدته المتواضعة لهجرته السنوية الى الجزيرة ، تماماً كما يفعل مواطنوه النيويوركيون الأوفر حظاً ، عندما يتعاون تذاكر السفر ، ويتجهون الى مشتاهم في (بام بيتش والريفيرا) كل عام .

والآن حان الوقت . ففي الليلة الماضية لم تفلح ثلاث صحف اقترش احداها والتحف بأخرى وأحاط رسغيه بالثالثة ، لم تفلح هذه الصحف في صد البرد عنه ، بينما كان نائماً على مقعده بالقرب من النبع المتدفق في الميدان القديم . لذلك بدت الجزيرة في غيخته كبيرة ومناسبة . كان ينظر بازدياد الى المعونات التي تقدم الى أمثاله من سكان المدن باسم الإحسان . كان القانون في نظر سوبي أكثر رحمة من الانسانية ، كان هناك العديد من المؤسسات الخيرية والمجالس البلدية التي يستطيع الاعتماد عليها في الحصول على ما يحتاجه لحياة بسيطة من طعام ولباس . لكن نفس سوبي الشديدة الأنفة تزدرى الصدقات ،

تحرك سوبي من على مقعده بشاقل في ميدان ماديسون ، فعندما يرتفع صوت الاوز البري في عتمة الليل ، وعندما تأخذ النساء اللواتي لا يملكن معاطف القرو الفخمة في التودد الى أزواجهن ، وعندما يغادر سوبي مقعده في الميدان متاثلاً : يمكنك حينئذ أن تتكهن بأن فصل الشتاء على الأبواب .

لقد سقطت ورقة شجر في حوض سوبي وكانت هذه الورقة بمثابة المؤشر الى قدوم الصقيع . ومن رافة الصقيع بنزلاء ميدان ماديسون المتظلمين ، أنه يقلمهم بمجيئه في كل عام . فعل كل ناصية من النواصي الأربع التي تلتقي عند تقاطع الشوارع ، يلوح الصقيع بريح الشمال منذراً منازل المشردين كافة لعمل هؤلاء النزلاء يعدون العدة ويأخذون الحذر .

لقد بات سوبي على علم بأن الوقت قد حان لأن ينخرط في جمعية تؤمن له وسيلة العيش ، وتصد عنه هذا العنف القادم ، لذلك قام متاثلاً عن مقعده في الميدان .

لم تكن تطلعات سوبي الى مأوى مفرطة في الطموح . فلم يضع في حسابه مثلاً ، جولات في حوض البحر الأبيض المتوسط ، أو رحلات الى خليج ميزوفا . كل ما كانت تتوق اليه نفسه هو ثلاثة أشهر

اليه سيدة ارسالية في يوم عيد الشكر . فاذا استطاع الوصول الى احدى مواثد الطعام فلاشك أنه نجح . ذلك ان نصفه الأعلى - بعد أن يجلس الى المائدة - لن يثير رية النادل . وأخذت أصناف الطعام تترى في مخيلته . قال سوي في نفسه : بطة عمرة لا بد من أن تكون مقنعة ، ومعها كمية من الجبن الفرنسي أيضا وفنجان قهوة وسيجار . أما السيجار فيكفيه دولار واحد ، ولن يكون مجموع التكاليف مرتفعا الى الحد الذي يجلب معه رغبة الادارة في الانتقام ، هذا فضلا عن أن اللحم سيشبعه ويجعله سعيدا في رحلته الى مهجرة الشتوي .

ولكن بينما كان سوي يخطط خطواته الاولى داخل المطعم ، وقعت عينا كبير الخدم على سرواله المهترى وحدائه المنحط . ومالبث أن وجد يدا قوية تمسك بكتفه وتشده الى الوراء ، لتوصله بهدوء الى الشارع ، وتحول بينه وبين البطة المحمرة الفاخرة .

وغادر سوي شارع برودواي ، بعد أن بدا له أن سيبله الى الجزيرة المرجوة لن يكون شهوانيا ، وأن عليه أن يفكر في وسيلة أخرى لبلوغ السجن . وفي احدى زوايا الشارع السادس رأى مجموعة من السلع المعروضة بدهاء ، خلف واجهة زجاجية وشعاع المصابيح ينمكس عليها . كانت مجموعة السلع هذه جميلة رائعة . فتناول سوي حجرا وقذف به الواجهة الزجاجية ، فتدافع الناس نحوزاوية الشارع ، وكان في مقدمتهم واحد من رجال الشرطة . ظل سوي واقفا ويداه في جيبيه ، وقد ابتسم مسرورا برؤية الأضرار النحاسية الصغراء .

سأله الضابط بحق : « أين الرجل الذي فعل هذا ؟ »

« لا تعتقد انه يمكن أن أكون ضالعا في هذا الذي جرى ؟ »

أجاب سوي بشيء من التهكم ، ولكن بتودد كما لو كان يبادل التحية . وانصرف تفكير الشرطي عن سوي انصرافا تاما ، ولم يرض به أن يكون مجرد دليل أو مفتاحا للموقف . ان الذين يكسرون واجهات العرض لا يمكنون ليتبادلوا الحوار مع ممثلي القانون . انهم عادة يلوذون بالفرار . ووقعت عينا الشرطي على رجل في الطرف الآخر من العمارة ، يركض جاهدا آملا في اللحاق بسيارة أجرة ، فأمسك بهراوته



وتنظر اليها على أنها عبء ثقيل . فهو يعتقد أن المرء اذا لم يدفع مقابلًا ثمنا لما يأخذه من صدقات المحسنين فإنه لا محالة ، دافع الثمن من كبريائه وكرامته . لذلك فإنه خير للمرء أن يكون ضيفا على القانون . ورغم انه محدود بقواعد وأصول الا أنه لا يتدخل في أمور الانسان الخاصة .

وما أن قرر سوي الذهاب الى الجزيرة حتى شرع في بلوغ هذه الرغبة . فقد كانت أمامه عدة سبل سهلة يرتادها . أما أكثرها مجلبة للسورور فهي : أن يدخل أحد المطاعم الراقية ، ويطلب وجبة عشاء دسمة . وبعد أن يفرغ من الأكل ويعلن عن عجزه عن سداد الثمن يقتاد بهدوء الى رجل شرطة ، ثم يترك الباقي الى قاض لطيف .

نهض سوي عن مقعده وغادر الميدان متمشيا ثم عبر الشارع عند التقاء شارع برودواي بالشارع الخامس . وفي أعلى برودواي التفت وتوقف أمام مقهى متألق باهر حيث يجتمع فيه ليليا ، نخبة من خاصة الناس ، بلباسهم الفاخرة الانيقة ، وأمام كل منهم ما يشتهي من سائغ الشراب ولذيذ الطعام . وكان لسوي ثقة عظيمة بنفسه ابتداء من الزر الأسفل في صدرته فصاعدا . كان حليق الذقن يرتدي معطفا مناسبا وربطة عنق سوداء أنيقة ، كانت قد أتت بها

في هذا المكان دخل سويي بحذائه اللعين وسرواله المهترىء ، وأخذ مكانا حول إحدى الموائد ، ثم طلب لحما مشويا ، وكعكة بالبيض ، وكعكة أخرى محلاة ، وفطيرة . وأخيرا أشار الى النادل وأخبره بأنه لا يملك من النقود أقلها . وقال :
- « الآن تستطيع أن تتصرف وتدعو شرطيا ، اذ لاداعي لأن تترك رجلا مهذبا مثلي ينتظر » .
- « لست بحاجة الى شرطي » قالها النادل بصوت فيه

وانهمك في مطاردته . أما سويي فقد سار في الطريق متسكما حائر النفس مشمئزا ، بعد أن أخفق مرتين .
وعلى الرصيف المقابل من الشارع رأى مطعما تبدو عليه البساطة نوعا ما ، وهذا المطعم يقدم أطعمة شهية لا تكلف كثيرا ، ففي أجوائه العامة لا تجدد الذوق الرفيع ، ولا في مفارش الموائد أيضا . حتى الألوان الخنزفية فيه والحساء من النوع الخفيف الرقيق .



● الشرطي والنشيد

هذا والشرطي ما زال يراقب الموقف . وما كان ينبغي للسيدة - وهي عرضة للمضايقة - إلا أن تشير بأصبعها ليقتاد سوبي فعلا الى الجزيرة المأوى . وأدارت المرأة وجهها اليه ومدت يدها وأمسكت بكم معطفه جذلة وهي تقول :

- « بالتأكد يا مايك كنت سأكلمك لو أن الشرطي لم يكن يراقبنا » وفيما كانت المرأة تلعب لعبة النبات المتسلق على شجرة البلوط ، سار سوبي وإياها متجاوزا الشرطي وقد انتصر انتصارا كئيبا . وبدا وكأن الحرية قد قدرت عليه بالرغم منه .

وفي الزاوية الأخرى من الشارع أفلت سوبي من صديقه وولى هاربا ، ولكنه توقف في إحدى المناطق حيث تكون الشوارع ليلا قليلة الاضاءة ، وحيث توجد القلوب والنذور وتتجاوب أصدااء الاوبرا . في هذا المكان ، تروح وتغدو نساء يرتدين الفراء ، ورجال يلبسون المعاطف العظيمة ، وهم جميعا يستمتعون بهواء الشتاء .

لكن خوفا مفاجئا استولى عليه ظلما منه أن سحرا رهيبا قد جعله آمنا وحال بينه وبين أن يسجن . فجلبت له هذه الفكرة شيئا من الرعب . وبينما هو يمر برجل آخر من رجال الشرطة ، يتمشى على مهل أمام أحد المسارح الفخمة ، خطرت له بسرعة فكرة التعلق بقشة « السلوك السيء » .

وعلى جانب من الشارع رفع سوبي عقيرته وأخذ بكل ما في صوته من نكر ، يصرخ ويغني . واستمر على حاله يرقص ويهذي ويصرخ الى أن أزعج المارة . وما كان من الشرطي إلا أن لوح بعصاه ثم أدار ظهره الى سوبي وأخذ يشرح لاحد المواطنين من المارة : « انه واحد منهم . أولاد من ييل يحتفلون باهداء بيضة الأوزة الى كلية هارتفورد . انهم مقلقون ولكن لا شيء منهم أذى . لدينا تعليمات بأن نتركهم » .

سوبي من صوته ، وتوقف عن هذه الجلبة . أليس من شرطي يلقي عليه القبض ؟

ت الجزيرة في مخيلته . وكان سوبي قد انتصر انتصارا كئيبا . وبدا وكأن الحرية قد قدرت عليه بالرغم منه .

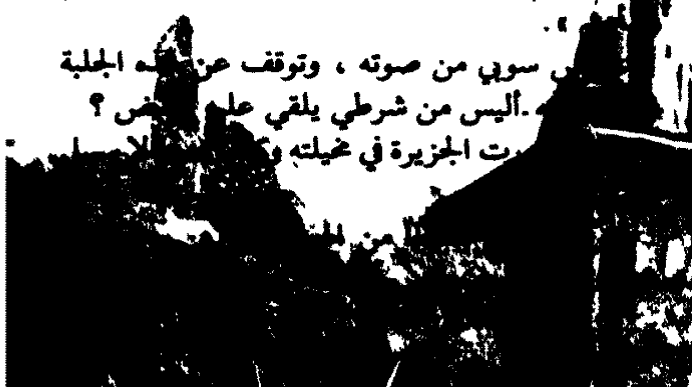
هشاشة الكعك وعين تشبه توت مانهاتن . وصاح : « هاي كون ! » فأمسك به اثنان من عمال المطعم وطرحاه أرضا - الى الرصيف الصلب . ونهض سوبي رويدا رويدا كما تفتح مسطرة النجار ، ونفض الغبار عن ملابسه . ودأ له السجن وكأنه حلم وردي ، وكذلك لاحت له الجزيرة على البعد البعيد . أما الشرطي الواقف على بعد أمتار من أمام مخزن أدوية ، فقد ضحك واستدار متخذذا سبيله على امتداد الطريق .

وسار سوبي على طرل خمس بنايات أخرى ، قبل أن تسعفه شجاعته في طلب السجن ثانية . أما الفرصة التي أتاحت له هذه المرة فهي من النوع الذي اصطلاح مع نفسه على تسميته بـ « الضمانة » ، فهذه امرأة شابة في زي جميل معتدل تقف أمام واجهة عرض ، وتنتظر في اهتمام بالغ الى المعروضات من آلات الحلاقة وأدوات الكتابة ، وعلى بعد مترين منها تنتصب قامة مديدة ضخمة لأحد رجال الشرطة من ذوي المسلك الخشن ، وقد اتكأ على ماسورة ماء .

وكانت خطة سوبي تتلخص في أن يقوم بدور العاشق البغيض . وقد شجعه مظهر ضحيته الأنيق ، واقتراب الشرطي اليقظ منها ، على الاعتقاد بأنه سوف يستشعر في الحال ، قبضة هذا الرجل المرجوة وقد حطت على ذراعه لتؤمن مأواه الشتوي على تلك الجزيرة الصغيرة العزيزة المثال .

وانخذ وضع استعداد . فباشر في تسوية الربطة التي كانت قد منحته اياها إحدى سيدات الارسالية ، وسحب الأزرار المنكمشة تحت سترته لتبدو جليلة واضحة . وأمال قبعة إمالة تسترعي الانتباه ، وانجه نحو السيدة الشابة . فصوب اليها نظراته وعزز تلك النظرات بصوت هو بين السعال والنحنحة ، وتكلف الابتسام وبدأ - بوقاحة - يقوم بدوره الشائن كعاشق أحق .

ولم يفته أن يقتنص النظر الى الشرطي ، فوجده يراقب الموقف عن كثب . لكن السيدة ابتعدت بضع خطوات وصبت اهتمامها كله على أدوات الحلاقة وتبعها سوبي . ثم دنا منها بجسده ورفع قبعة وقال : « آه بيدايا ! ألا تودين المجيء معي واللعب في فناء بيتي ؟ » .



في هذا المكان دخل سويي بحذائه اللعين وسرواله المهترء ، وأخذ مكانا حول إحدى الموائد ، ثم طلب لحما مشويا ، وكعكة بالبيض ، وكعكة أخرى محلاة ، وفطيرة . وأخيرا أشار الى النادل وأخبره بأنه لا يملك من النقود أقلها . وقال :
- « الآن تستطيع أن تتصرف وتدعو شرطيا ، اذ لاداعي لأن تترك رجلا مهذبا مثلي ينتظر » .
- « لست بحاجة الى شرطي » قالها النادل بصوت فيه

وانهمك في مطاردته . أما سويي فقد سار في الطريق متسكعا حائر النفس مشمئزاً ، بعد أن أخفق مرتين .
وعلى الرصيف المقابل من الشارع رأى مطعما تبدو عليه البساطة نوعا ما ، وهذا المطعم يقدم أطعمة شهية لا تكلف كثيرا ، ففي أجوائه العامة لا تجد الذوق الرفيع ، ولا في مفارش الموائد أيضا . حتى الألوان الخشفية فيه والحساء من النوع الخفيف الرقيق .



● الشرطي والنشيد

هذا والشرطي ما زال يراقب الموقف . وما كان ينبغي للسيدة - وهي عرضة للمضايقة - الا أن تشير بأصبعها ليقتاد سوبي فعلا الى الجزيرة المأوى . وأدارت المرأة وجهها اليه ومدت يدها وأمسكت بكم معطفه جذلة وهي تقول :

- « بالتأكيد يا مايك كنت سأكلمك لو أن الشرطي لم يكن يراقبنا » وفيما كانت المرأة تلعب لعبة النبات المتسلق على شجرة البلوط ، سار سوبي وإياها متجاوزا الشرطي وقد انتصر انتصارا كئيبا . وبدأ وكأن الحرية قد قدرت عليه بالرغم منه .

وفي الزاوية الأخرى من الشارع أفلت سوبي من صديقه وولى هاربا ، ولكنه توقف في إحدى المناطق حيث تكون الشوارع ليلا قليلة الاضاءة ، وحيث توجد القلوب والنذور وتتجاوب أصداؤ الاوبرا . في هذا المكان ، تروح وتغدو نساء يرتدين القراء ، ورجال يلبسون المعاطف العظيمة ، وهم جميعا يستمتعون بهواء الشتاء .

لكن خوفا مفاجئا استولى عليه ظناً منه أن سحرا رهيبا قد جعله آمنا وحال بينه وبين أن يسجن . فجلبت له هذه الفكرة شيئا من الرعب . وبينما هو يمر برجل آخر من رجال الشرطة ، يتمشى على مهل أمام أحد المسارح الفخمة ، خطرت له بسرعة فكرة التعلق بقشة « السلوك السيء » .

وعلى جانب من الشارع رفع سوبي عقيرته وأخذ بكل ما في صوته من نكر ، يصرخ ويغني . واستمر على حاله يرقص ويهذي ويصرخ الى أن أزعج المارة . وما كان من الشرطي الا أن لوح بعصاه ثم أدار ظهره الى سوبي وأخذ يشرح لاحد المواطنين من المارة : « انه واحد منهم . أولاد من ييل يحتفلون باهداء بيضة الأوزة الى كلية هارتفورد . انهم مقلقون ولكن لا شيء منهم أذى . لدينا تعليمات بأن نتسركهم » .

سوبي من صوته ، وتوقف عن قلبه الجلبة . ليس من شرطي يلقي عليه القبض ؟

الجزيرة في خيلته وكان سوبي لا يزال

هشاشة الكعك وعين تشبه توت مانهاتن . وصاح : « هاي كون ! » فأمسك به اثنان من عمال المطعم وطرحاه أرضا - الى الرصيف الصلب . ونهض سوبي رويدا رويدا كما تفتح مسطرة النجار ، ونفض الغبار عن ملابسه . وبدأ له السجن وكأنه حلم وردي ، وكذلك لاحت له الجزيرة على البعد البعيد . أما الشرطي الواقف على بعد أمتار من أمام مخزن أدوية ، فقد ضحك واستدار متخذا سبيله على امتداد الطريق .

وسار سوبي على طرل خمس بنايات أخرى ، قبل أن تسعفه شجاعته في طلب السجن ثانية . أما الفرصة التي أتاحت له هذه المرة فهي من النوع الذي اصطالح مع نفسه على تسميته بـ « الضمانة » ، فهذه امرأة شابة في زي جميل معتدل تقف أمام واجهة عرض ، وتنتظر في اهتمام بالغ الى المعروضات من آلات الخلاقة وأدوات الكتابة ، وعلى بعد مترين منها تنتصب قامة مديدة ضخمة لأحد رجال الشرطة من ذوي المسلك الحشن ، وقد اتكأ على ماسورة ماء .

وكانت خطة سوبي تتلخص في أن يقوم بدور العاشق البغيض . وقد شجعه مظهر ضحيته الأنيق ، واقترب الشرطي اليقظ منها ، على الاعتقاد بأنه سوف يستشعر في الحال ، قبضة هذا الرجل المرجوة وقد حطت على ذراعه لتؤمن مأواه الشتوي على تلك الجزيرة الصغيرة العزيزة المنال .

واتخذ وضع استعداد . فباشر في تسوية الربطة التي كانت قد منحته اياها إحدى سيدات الارسالية ، وسحب الأزرار المنكمشة تحت سترته لتبدو جليلة واضحة . وأمال قبعته إمالة تسترعي الانتباه ، واتجه نحو السيدة الشابة . فصوب اليها نظراته وعزز تلك النظرات بصوت هو بين السعال والنحنة ، وتكلف الابتسام وبدأ - بوقاحة - يقوم بدوره الشائن كعاشق أحق .

ولم يفته أن يقتنص النظر الى الشرطي ، فوجده يراقب الموقف عن كثب . لكن السيدة ابتعدت بضخ خطوات وصبت اهتمامها كله على أدوات الخلاقة وتبعها سوبي . ثم دنا منها بجسده ورفع قبعته وقال : « أه بيداليا : ألا تودين المجيء معي واللعب في فناء بيتي ؟ » .



سيجارة عند ضوء متأرجح ، وقد وضع مظلمته الحريرية عند مدخل الباب ، فاقترب سوي من المدخل واختطف المظلة ، وسار بها في الشارع ببطء شديد . فتبعه الرجل صاحب السيجار مسرعا وصاح « مظلي إنها لي »

أجاب سوي بازدرء مضيفا تهمة الاهانة الى هذه السرقة الطريفة واستطرد :
- « لماذا لا تنادي على الشرطي ؟ أنا أخذتها ! مظلتك ؟ لماذا لا تنادي على الشرطي ؟ هناك عند الزاوية يقف شرطي » .

وأبطأ صاحب المظلة في مشيته . وكذلك فعل سوي وفي دخليته شعور بأن الحظ سيخذه مرة أخرى . ونظر الشرطي الى الرجلين باستغراب . قال صاحب المظلة : « طبعاً - هذه - حسناً : أنت تعرف كيف ترتكب مثل هذه الأخطاء - أنا - اذا كانت هذه مظلتك فأرجو المذرة - كنت قد أخذتها هذا الصباح من أحد المطاعم - فاذا أيقنت أنها لك أرجو أن . . » وقاطعه سوي بشدة : « نعم إنها لي » وتراجع صاحب المظلة . وأسرع الشرطي عبر الشارع ليقدم العون الى شقراء طويلة بلباس الاوبرا .

توجه سوي شرقاً في أحد الشوارع المحفورة لغرض الاصلاح ، وفي إحدى الحفر ألقى بالمظلة ، وتمتم بكلمات شتم فيها الرجال الذين يلبسون الخوذ ويحملون المراوات . لقد بدا وكأنهم يقدرونه أعظم القدر كما لو كان ملكاً مبراً من العيب والخطأ ، هذا في الوقت الذي كان بأمر الحاجة لأن يلقوا عليه القبض .

وفي النهاية وصل سوي الى أحد الشوارع شرقاً ، حيث قد خفت الضوء والضجيج ، واتجه ببصره نحو ميدان ماديسون ، ذلك أن غريزة الإقامة والميل اليها يقيان حتى لو كان البيت مجرد مقعد خشبي في حديقة .

وعند زاوية هادئة هدوء غير عادي توقف سوي توقفا تاماً . هنا تنتصب أمامه كنيسة مخروطية الشكل من الطراز القديم . كان النور الخافت يشع من إحدى النوافذ ، حيث يمارس عازف الأرغن التدريب على نشيد الأحد القادم . لقد تسرب صوت موسيقى شجي الى أذنيه ، جعله يتسمر في مكانه متكئاً على السياج ذي اللوائف المعدنية .

كان القمر من فوقه ساطعاً قوياً ووقوراً . وكانت حركة المشاة ووسائط النقل قد قلت . والطيور التي على أغصانها كانت تزقزق ناعسة في المساء . ذلك أن هذا المنظر الذي أمامه ربما تحول بعد ساعات الى قبور في فناء كنيسة . والنشيد الذي كان يعزفه عازف الأرغن هو الذي جعل سوي يلتصق بالسياج المعدني ، لأنه سبق أن سمعه أيام كانت حياته تحتوي على أشياء كالأمهات والطموح والزهور والأصدقاء والأفكار النقية .

ان الرابط بين حالته الذهنية المفتوحة والمؤثرات التي أحاطت بالكنيسة القديمة صنعت تحولاً مفاجئاً ومدهشاً في نفسه . لقد اتضحت أمام بصيرته وبسرعة رهيبية الهوة السحيقة التي وقع فيها ، والأيام التعمسة التي يحياها ، والرغبات التافهة والأمال المريضة والقدرات المحطمة والدوافع الدنيئة التي كان يقوم عليها وجوده .

لقد تفتح قلبه واستجاب لهذا النمط الجديد من التفكير . هكذا تحركت في نفسه دوافع سريعة مفاجئة وقوية ، ليعلن الحرب على حظه التعس . سوف يتشغل ذاته من الوحل . سوف يقهر الشيطان الذي إستوطن روحه . وفي عمره متسع لذلك . فهو ما زال شاباً الى حد ما سيبحث طموحاته من جديد . وسيسعى الى تحقيقها دون تردد . لقد زرعت نغمت الارغن الهادئة العذبة بذور الثورة في نفسه . وغداً سوف يذهب الى المدينة الصاخبة الحافلة بالحياة ليبحث عن عمل .

كان أحد مستوردي الفراء قد عرض عليه ذات يوم أن يعمل سائقاً . سيجد في البحث عنه غداً للحصول على تلك الوظيفة . لا بد أن يكون شيئاً ما في هذا العالم .

ولسوف . . . وأحس سوي بيد تحط على كتفه . واستدار بسرعة ليجد نفسه وجها لوجه مع واحد من رجال الشرطة . سأله الشرطي : « ماذا تفعل هنا ؟ »

أجاب : « لا شيء » . قال الشرطي : « اتبعني اذن » . وفي اليوم الثاني قال قاضي محكمة الشرطة : « حكمت عليك المحكمة بالسجن ثلاثة أشهر تقضيها في الجزيرة ! »

لحظات من الزمن العربي

رحلة الخراساني إلى الموت

بقلم : الدكتور محمد المنسي قنديل

كان أبو مسلم الخراساني سيف الدعوة العباسية البتار . وحين تم للعباسيين الانتصار ، رأى المنصور أن ثمن اكتمال الخلافة له لا يتم الا بمواجهة عنيفة ضد الخراساني . وكان بين الاثنين بحر من المرارة والعداء . وهذه هي قصة اللقاء الاخير بين الخراساني والمنصور في « الرومية » ، تلك الخيمة التي شهدت مصرع الخراساني .

القبر . فهل يجرؤ على رفع سيفه في وجه الخليفة أبي جعفر المنصور ؟ ..

الكلمات العذبة .. الفخ الأول ..

كيف استدار الزمن هذه الدورة .. وتحول أخلص القواد الى فار مذعور يراد له أن يساق الى المصيدة . منذ أن حضر رسول الخليفة اليه وهو عاجز عن النوم . وعاجز عن اتخاذ القرار .. قبل ذلك كان يعتقد أنه قادر على مغالبة الدنيا كلها . في البداية تحدث إليه الرسول بكلمات لينّة عذبة .. ولكن أبا مسلم كان قد رأى ما يكفي من الدماء حتى لا تخدعه بلاغة الكلمات .

عندما حانت ساعة الرحيل قال له « ينزك » : ان كان لا بد من ذهابك الى الخليفة فافعل شيئاً واحداً ولا تفعل غيره .. اذا دخلت عليه فاقتله . همس أبو مسلم في ذهنه : - أقتل الخليفة ! ؟

- والله ان لم تفعل فلن تخرج من عنده على قدميك ..

كأن ينزك كان يقرأ ذات نفسه . يرى روحه المتعبة القلقة التي تشعر بالخوف للمرة الاولى ، وتوشك أن تقوده الى الانتحار . كان أبو مسلم قد خاض عشرات المعارك وقتل آلاف الناس ، وكان يؤمن أنه لا يوجد سوط للعقاب الا السيف ، ولا يوجد سجن غير

المقابلة الأولى اكتشف الامام الشخصية الطاغية لهذا
الفتى وجعله يحتل مركزا هاما في الدعوة وهتف ببقية
الوفود :

- أبو مسلم منا نحن آل العباس . أطيعوه . .
تطيعونا . .

وبدأت رحلته الفريدة تحت الراية السوداء . .
يظهر ويختبئ ، ويستغل نغرات بني أمية
وخلافاتهم ، وجشع الولاة ، وتوق الناس للتغيير .
وأصبحت فارس عجيبة طيبة في يديه يشكلها كما
يشاء ، ولا يراجعها فيها أحد . وقتل الخليفة الأموي
مروان بن محمد الامام وتولى بعده أبو العباس ، ثم
ظهر أبو جعفر المنصور . . وتغير كل شيء . .
في الظهيرة توقفت القافلة للراحة ، وجاء أحد
العرافين الى خيمة أبي مسلم . قالوا له ان هذا
العراف ماهر في التنبؤ بالمستقبل ، فسأله في سخرية
مريرة :

- هل يمكن أن تخبرني أين ساموت ؟ . .
نظر العراف اليه بعينه النافذتين ثم قال في تأكيد :
- تموت في بلاد الروم . .
وضحك أبو مسلم في انشراح . كان من المقرر أن
يتقابل مع الخليفة في المدائن . . وهمس كأنه يحدث
نفسه :

- ما أبعد المدائن عن أرض الروم . .
وأعطاه عطاء جزيلاً رغم أنه لم يصدقه كثيرا .
في خراسان تقابلا للمرة الأولى بعد أن سقطت
دولة بني أمية ، وأعلن أبو العباس نفسه خليفة
للمسلمين وأبا جعفر وليا للعهد . كان أبو جعفر
طوال هذا الصراع الدامي معتكفا في قرية
« الحميمة » يدرس الفقه والتفسير . وخرج فجأة من
هذه العزلة لكي يتصدر الدولة . وقف في وجه القائد
الذي نهضت هذه الدولة على حد سيفه في معقله
بخراسان ، ليأخذ البيعة لاختيه ثم له من بعده . ثم
أفضى بشكوكه حول تصرفات أبي سلمة ، داعيتهم
الأول في فارس ، وصديق أبي مسلم ، عندما تباطأ في
أخذ البيعة ، وتناثرت الأقوال الى أنه يميل للعلويين ،
وأراد أبو مسلم أن يبين لهذا الفقيه الخارج من عمق
الصحراء كيف يتصرف القائد الحازم عندما لا يأبه
بمواظفه الشخصية ، فأسرع باستدعاء صديقه
القديم ولم يسأله . ولم يترك له فرصة لتوضيح أي

. . وهتف بالرسول :

- ارجع الى صاحبك فلست أريد لقاءه . .

وقال الرسول حميد في هدوء :

- أوقد عزمت على مخالفته . . ؟ لا تفعل .

كانت هناك رسالة أخرى أبقاها الرسول حتى
اللحظة الأخيرة . . حتى لحظة اليأس من الموافقة
الطائفة لأبي مسلم . . قال :

- فان الخليفة يبلغك أنه بريء من محمد ان أبيت
أن تأتي اليه أو عصيته .

ولن يألو في طلبك وقتالك بنفسه ، ولو خضت
البحر لحاضه ، ولو اقتحمت النار لاقتحمها حتى
يفتك بك . . أو يموت دون ذلك .

ووجم أبو مسلم . كانت هذه هي المرة الأولى التي
يتلقى فيها تهديدا بهذه الحدة . وهمس :

- هو بنفسه . . قال لك هذه الكلمات ؟

وأوما حميد في صمت وانصرف . . تاركا أبا مسلم
في حالة غريبة . . وظل طوال الليل يفكر في حدة هذه
الكلمات ، ويقارنها بعدوية كلمات الرسالة
الأولى . . ويحاول أن يجد لنفسه بينها مخرجا . تذكر
المرات التي تقابل فيها مع الخليفة أبي جعفر
المنصور . . كما تتقابل النصال .

في كل مرة يتولد جرح جديد لا يصيب مقتله .
فهل حان وقت الاجهاز . . ؟

النبوءات الغامضة . . الفخ الثاني

بدأ الرحيل عن خراسان في قافلة طويلة محملة
بالهدايا لعل الخليفة يرضى . محفوفة بالفرسان لعله
يرتدع . . وأبو مسلم في المقدمة صامت الوجه . .
يردد في داخله بيتا من الشعر . .

ما للرجال مع القضاء محالة

ذهب القضاء بحيلة الأقوام . .
وكان الطريق الى مدينة الري طويلا . وأحاط به
فرسانه فأحس ببعض الأمان . وأراد أن يطمئن نفسه
أكثر ، فأخذ يتذكر كل انتصاراته السابقة . كان يمر
بكل القرى التي غزاها . . والمدن التي اقتنصها من
أيدي ولاة بني أمية . كان ما يزال شابا صغيرا عندما
قابل الامام العباسي ابراهيم بن محمد وكانت الدعوة
سرية أشبه بحلم غامض من أحلام الخلاص . ومنذ



ذلك بفعل المصادفة ، وربما كان تدبيرا عباسيا محكما ، حتى لا يُعطى أبو مسلم أكثر مما أخذ ، ولكنه شعر بالغضب الشديد . . . وهتف وهو يلقي كتاب الخليفة : أما وجد أبو مسلم عاما يحج فيه غير هذا . . . وسمح له الخليفة أن يخرج في رفقة خمسمائة من أتباعه ، فخرج في عشرة آلاف . كأنه أراد أن يؤكد من طرف خفي أن للقوة نفس سطوة الامارة . وسار في الصحراء يفتحها من جديد . أغمد سيفه وسط يده ، فحفر الآبار ، وكسا الأعراب ، وأقام الموائد ، وأجزل العطايا ، ووصل الشعراء ، وترك أبا جعفر على الجانب الآخر قابعا في الظل ، يتأمل كل شيء ، ولا يغيب عن ذهنه شيء . لم يكن في هذه اللحظة

شيء ، ولكن قتله على الفور أمام عيني الفقيه المذهول . . الذي هتف به لحظتها : - حدثوني كثيرا عن شدتك . . لكنني لم أتصورها لهذه الدرجة .

وقال أبو مسلم في سخرية خفية : - لو بحثنا عن فتوى لكل قتلة ما قامت الدولة . كان مقدرا لهما أن يلتقيا للمرة الثانية في موسم الحج . كتب أبو مسلم يستأذن الخليفة أبا العباس في أن يخرج للحج . وكان يريد أن يكون هو قائد الموسم ، وأن يعطي لنفسه نوعا من الشرعية الدينية غير شرعية السيف . ولكن أبا جعفر كتب هو أيضا للخليفة . وأصبح أبو جعفر أميرا للحج ، ربما كان

انتظاره ، في ثيابهم الرسمية . والرايات ترفرف فوق الاسوار . كانوا جميعا قد تركوا بغداد والبصرة والكوفة ، وهرعوا ليكونوا في انتظاره . . حتى الخليفة أيضا سار اليه حتى منتصف المسافة وجلس ينتظره في « المدائن » . . هل كان الامر يستحق كل هذا ؟

لم ينس الخليفة شيئا . . فبين أشراف بني العباس كان عيسى بن موسى خال الخليفة وصديق أبي مسلم . وسأله أبو مسلم في قلق .
- يا عيسى . . أترى الخليفة يغدر بي ؟ . .
قال عيسى في استنكار

- ما هذا . . أوقد غدر بأحد من قبل . . ؟ ! على أي حال لا تخش شيئا . . وسوف أكون معك في مجلسه . .

واطمأن أبو مسلم بعض الشيء . . وتناول الطعام لأول مرة منذ أن غادر خراسان . وأوى الى فراشه لعله يستطيع النوم . . استلقى وسيفه في خاصرته ، وغفا قليلا ، ولكنه استيقظ مفزوعا وأحد الحراس يخبره . . ان هناك امرأة تطلب رؤيته . .
امرأة . أهو فسخ آخر . ؟ ! ظل جالسا حتى دخلت . . ورفعت النقاب عن وجهها . لا بد وأنه كان يحلم . كانت هي أمينة بنت علي . يا الله !! كيف تداخلت الأزيمة . وفتحت شقائق النعمان من الجروح القديمة ، وتحول السيف الى سنبل ، ولحظة الخوف الى ارتعاشة من العشق . ظل مبهورا بدخولها المفاجيء حتى قالت :

- لم يبق لك الا بضعة فراسخ على الموت .
وأحنى أبو مسلم رأسه في مرارة وهو يقول :
- أنت أيضا تتمنين موتي ؟
قالت بصوت بارد :
- ليس وحدك . وددت لو كان موتكما معا . . أنت والخليفة .

- حسبت أنك آتية لتحذيري .
- هل ستقتله لو حذرته ؟ كلا . . أنت لست سوى سيف . . والسيوف عمياء .

- لست أعمى . لقد أحيتك ، وأرسلت الى الخليفة أطلب الزواج بك .
- أترأه كان الحب ؟ أم كان الطموح القاتل يا أبا مسلم ؟

رجلا قويا يأنم الرجال بأمره ولم يكن سخيا ، ولم يكن يحب الشعراء أو يميل لغناء الجواني . وكان يعتقد ان الأبار الموجودة في الصحراء كافية ، ولكن الشيء الذي تأكد له بعد هذه الرحلة انه لا أخوه على عرشه في بغداد ، ولا هو على امانة الحج بملكان شيئا بقدر ما يملك هذا الرجل .

وعندما انتهى الموسم واصل أبو مسلم لامبالاته به . كان يصر دائما على أن يتقدمه على الطريق ، وأن يتركه دائما خلفه ، يشرب من الماء العكر . وتأكل دوابه من بقايا العشب ، ويتأمل عبيده آثار الولاثم ، ولكن في منتصف الطريق جاءت الانباء من بغداد بأن الخليفة قد مات .

وأصبح ذلك الفقيه المتأخر هو الخليفة . . وبدأت وفود الناس تبايعه ، ولكن أبا مسلم لم يرجع حتى يلقاه . ولم يتوقف حتى يلحق به . أرسل فقط رسالة باهتة يعزبه فيها بموت الخليفة ، ولا يهتئ بالخلافة . وللمرة الاولى ثار الفقيه الذي أصبح خليفة . أرسل له رسالة غليظة أن ينتظر في « الانبار » ولا يتزحزح خطوة واحدة حتى يأتي اليه . ورفع أبو مسلم حاجبيه في سخرية ، وجاء الخليفة اليه . أخذ يبعته وهو يشعر أنه محاصر بجنود لا يكونون له أي ولاء وأمر من ذلك أن جروح القرابة القديمة بدأت في النزف مرة أخرى . فقد استيقظ أولاد العم من العلويين ، وبدأ زعيمهم عبد الله بن علي يطالب بالخلافة لنفسه . وكان من العسير على أي خليفة أن يبدأ عصره بمحاربة عمه . ومرة أخرى كانت الحاجة ملحة لأبي مسلم وجنوده من خراسان ، ولكنه قال في استخفاف :

- عبد الله بن علي أمره هين وجنوده قليلون ، وأمر الخوارج على أطراف خراسان أهم وأخطر .
كان كل منهما يفهم جيدا . لذا فقد أصرّ الخليفة على ذهابه . ولم يجد أبو مسلم بدا من الذهاب . وهناك كان موعد آخر . كان مقدرا له أن يرى الشيء الذي زلزل حياته المليئة بالقسوة والدم ، والشيء الذي ملأه بالمرارة والشفقة والحزن والحنين . . كان مقدرا له أن يرى عيني أمينة بنت علي .

الحب المستحيل . . الفخ الثالث

على أبواب « الري » كان أشراف بني العباس في

● رحلة الحراساني الى الموت

الشمس وأصحابه في انتظاره . أحسوا جميعا فجأة أن الخليفة لن يقتل أبا مسلم . . لأنه غير قادر على قتله .

وفي الصباح الباكر توجه الوزير أبو أيوب الى خيمة الخليفة فوجده مستيقظا . عيناه محاطتان بالسواد وهتف به فور أن رآه .

يا بن اللخناء . أنت منعتني أمس من قتله ، والله ما غمض لي الليلة جفن . وحاول أبو أيوب أن يبرر خطئه . كان يريد أن يكسر حلقة التوتر والتأهب حتى لا تحدث مأساة . ولكن الخليفة لم يكن يتصور أن أبا مسلم ما زال قائما على قدميه . يتساءل ، كيف ارتضى كل هذه السنوات أن يكون نصف خليفة بنصف بيعة . . وصرخ في الوزير :

- هيا ، ادع لي رئيس الحرس عثمان بن نهيك . وحضر رئيس الحرس . كان رجلا ضخما يليق بمنصبه . وسأله الخليفة :

- كيف بلاء أمير المؤمنين عندك ؟ . .

قال في حماس :

- انما أنا عبدك ، والله لو أمرتني أن أتكىء على هذا السيف حتى يخرج من بطني لفعلت .

قال أبو جعفر وهو يتأمل وجهه في امعان :

- كيف أنت اذا أمرتك بقتل أبي مسلم .

ووجم عثمان . تبخر حماسه وغرق في الصمت ، وحين رأى ملامح الغضب قد تجمعت على وجه الخليفة قال في صوت ضعيف :

- أقتله يا مولاي .

وصاح الخليفة في غيظ :

لو لم تقتله لقتلتك ، هيا ، اذهب وأتني بأربعة حراس أشداء .

وعندما خرج أبو مسلم من منزله في أول الصباح كان كل شيء قد تم . كان نصف جنوده سكارى ، والنصف الثاني قبض ما يكفي من الدنانير . وكان بعض الذين يسرون خلفه . يسرون فقط حفاظا للهيبة . وكانت عيون الخليفة ترصد كل خطواته . تبعوه حتى دخل منزل عيسى بن موسى . وظل جالسا معه ، وبعد فترة جاء أحد أتباع الخليفة يقول له :

- اذا أردت أمير المؤمنين خاليا فمجل ، لأن وفود فارس على وشك القدوم اليه . وطلب أبو مسلم من ابن موسى أن يذهب معه فاستمهل حتى ينهض

الخيمة الغربية . . الفخ الأخير

في ظهر يوم مشرق صاف دخل أبو مسلم الحراساني « المدائن » من بوابتها الشرقية . وكانت المدينة كلها في انتظاره . الأعلام على الأسوار ، والزهور تفرش الطرقات . وكان أبو أيوب وزير الخليفة في انتظاره . أخذه بالأحضان وهو يهتف به :

- الخليفة في شوق غامر لاستقبالك .

وقاده الى حيث يقيم ، لم ينزل في قصر من قصور المدائن . كان الفقيه الرابض في داخله ينزع عنه الراحة اذا أقام في قصور الأكاسرة . لذا فقد نصب خيمة ضخمة غربية حمراء اللون متعددة الجوانب في وسط ساحة المدينة . وتوقف أبو مسلم مستغربا وهو يهتف :

- يالها من خيمة غربية لم أر مثلها من قبل .

قال أبو أيوب :

- لقد صنعت خصيصا للخليفة في بلاد الروم . .

لذلك فقد أطلق عليها « الرومية » . .

وخطا أبو مسلم خطواته الأولى فوق طنافس « الرومية » ووقف قاذته وفرسانه في الخارج ، أحاطوا بالخيمة بصورة لا يخطئ أحد دلالتها . وكان أبو مسلم يجتاز الأروقة ، ويدوس فوق البسط الحمراء التي بدت كأنها أعدت خصيصا لاختفاء آثار الدم .

ثم وصلا الى حيث يقيم الخليفة . . حاول الحارس الواقف على الباب أن يأخذ سيفه منه فأبى ، وأشار أبو أيوب للحارس فتراجع . ودخل أبو مسلم . كانت يده تحت العباءة ممسكة بمقبض السيف ، والخليفة واقف في مواجهته . لا واجبا ولا مبتسما . كانت تفصل بينهما مسافات طويلة من الخقد والمرارة ، ولم يكن أحد يدري كيف يمكن تخفيها ، وفكر أبو مسلم أنه لو خطا نحوه خطوة واحدة فسوف يقتله ، ولكن الخليفة لم يخط . . ابتسم . . ضغط على عضلات وجهه حتى ابتسم . وقال :

- لملك متعب من سفرك الطويل . اذهب فأرح نفسك . . وادخل الحمام . . وسوف أراك في الغد ان شاء الله .

وانتهت المقابلة الأولى ببساطة آسرة . ووجد أبو مسلم نفسه يحن رأسه وهو يتنهد في ارتياح . وعبر كل الأبسطة ، وخرج من « الرومية » حيث كانت

- منعني منه ما ذكرت من ازدحام الناس ، فقلت تأتي الكوفة فليس عندي لأمر المؤمنين خلاف .
فجارية عبد الله بن علي أردت أن تتخذها لنفسك . .

لا . . ولكني خفت أن تضيع ، فحملتها في قبة ، ووكلت من يحرسها ، وصرخ الخليفة في غيظ وقد زادت حجج أبي مسلم من غضبه :

وعصيانك لي ؟ وخروجك الى خراسان ؟ ومنعك رسلي من احصاء الغنائم ؟ وقتلك أبي سلمة . . ؟ وتحريضك على الغدر بأبن هبيرة ؟ وتغيير نسبك حتى تتسبب لآل العباس ؟ ومحاولتك الزواج من عمي أمينة . . ؟ كل هذا . . وغيره . . هل عندك حجج أخرى . . ؟

وهتف أبو مسلم :

لا يقال لي هذا بعد ثلاثي في دولتك .

ونهض الخليفة صائحا :

- يابن الخبيثة لو بعثنا مكانك أمة سوداء لقامت بما قمت . انما عملت ما عملت في دولتنا وبريحتنا ، ولو كان ذلك اليك لبقيت عاجزا ما أصبت فتىلا .

وصفق بيده فاقتحم الحرس المكان ، وحاصروا أبا مسلم الذي أدرك كل شيء . ورفع عثمان بن غنيك يده بالسيف ، ولكنه ارتعد حين لمح بريق عيني أبي مسلم . وهبطت الضربة خفيفة فلم تصب الا حالة سيفه . وهتف أبو مسلم :

- يا أمير المؤمنين . . استبقني لعدوك .

فصرخ الخليفة :

- لا أبقاني الله اذن ، أي عدو لي أجدى منك . . ؟ . . اضربوه قطع الله أيديكم .

وهوى الحارس الأول على ذراعه . . والثاني على ساقه . . والثالث على خاصرته . . والرابع على رقبته . . وتعالق دقات الدفوف من الخارج تغطي على كل الصرخات ، وتشربت الأبسطة الحمراء كل ما سال عليها من الدماء وانتفض الجسد الذبيح الانتفاضة الاخيرة . ثم هدا كل شيء . وهذا الخليفة أيضا . . وكف عن الارتعاد ، وجلس ساكنا على العرش ، ولف الحرس الجسد الدامي في الابسطة ، ودخل أبو أيوب وانحنى أمام الخليفة وهو يقول :

الآن يا مولاي . . اكتملت خلافتك . □

ويتوضأ . ولكنه غاب طويلا وظل التابع يلح ، وكان أبا مسلم كان مغيبا . نهض وسار معه . وسار القادة خلفها ، وبدأ أبو مسلم رحلته الثانية داخل « الرومية » ، ووقف القادة في الخارج وأخذ الخدم يحولون الفرش والوسائد بين الأروقة كأنهم يبيتون لمجلس طويل . وخرج أبو أيوب ليقول للقادة في هدوء :

ان الأمير أبا مسلم يريد أن يقبل عند الخليفة ، ويطلب منكم الانصراف ، وكان الخدم لا يزالون يواصلون النقل . وصدق القادة ما يروونه ، وكان الخليفة قد أعد لهم مكانا مريحا وهدايا جديدة . وبدت الامور صافية بالغة الهدوء ، كالسما التي تغطي المدينة ، وفي الداخل كان الخليفة يتسم ويتحدث في بساطة عن أشياء عديدة متفرقة .

وبعد برهة ، قال الخليفة بصورة طبيعية :

- سمعت عن سيفين أصبتهما من متاع عبد الله بن علي . أهذا السيف أحدهما ؟

وأوما أبو مسلم موافقا . وفتح الخليفة كفيه يطلبه . وتردد أبو مسلم وهتف الخليفة :

- أرنه .

ولم يكن هناك بد من أن يخلعه ويتاوله اياه . وتأمل أبو جعفر صفحته الناصعة ثم وضعه تحت فراشه وهو يتمتع :

- هذا سيف عباسي . . لا سيف مسلمي .

وتبعته عينا أبي مسلم في قلق . أحس أنه قد وثق في الخليفة أكثر مما ينبغي . وقبل أن يقوم بأي خطوة كان الخليفة قد بدأ معه حساب العسير البارد :

- اخبرني عن كتابك الى أبي العباس تنهائه فيه عن أخذ الأرض الموات .

أردت أن تعلمنا الدين . . !

قال أبو مسلم وهو يحاول الافلات من استفزاز الخليفة :

- ظننت أن أخذها لا يحمل ، فلما أتاني كتابه علمت أن أمير المؤمنين وأهل بيته معدن العلم .

- وكيف كان ظنك حين تقدمتني في طريق الحج .

- كرهت اجتماعنا على الماء فيضرب ذلك بالناس .

- فماذا حين أتاك الخبر بموت أبي العباس ، ومع ذلك مضيت فلا أنت أقمت حتى نلحق بك ، ولا

أنت رجعت إلينا . .

قسم خاص

البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

تقويم المنزل
بين الزوج
والزوجة

الغيرة
وحش
بعيون
خضراء



رسالة باريس

عطور باريسية

بقلم : الدكتور نبيل شعبان

هل صحيح أن المرأة الفرنسية هي نموذج التائق والجمال ؟ وأن الرجل هو نموذج الأناقة ؟ التلفزيون الفرنسي - شاهد من أهلها - يقدم اجابة عن هذا السؤال في برنامج أذاعه عن نظافة أبناء عاصمة النور والجمال ! .

ومدى عدم نظافة الناس في بلد أوروبي في نهاية القرن العشرين . وموجز ما أورده البرنامج هو أنه في المعدل يستعمل الفرنسي صابونتين في كل عام ، ويستهلك فرشاة أسنان كل عامين وأن ٢٠٪ من السكان لا يستبدل ملابسهم الداخلية إلا أحيانا ، وثلاث الفرنسيين لا يغسل يديه أكثر من مرة واحدة في اليوم الواحد . وأن ٣٨٪ من النساء و ٢٢٪ من الرجال فقط يتم بنظافته اليومية ، وأن ٩٠٪ من السكان لا يستحم أكثر من مرة واحدة أسبوعيا ، علما بأن ٩٢٪ من المساكن مجهزة بحمام واحد على الأقل ، وأن معدل ما يقضيه الفرنسي داخل هذا الحمام يصل الى ١٥ دقيقة يوميا . ويستفسر مقدم البرنامج عما يفعله الفرد هناك خلال كل تلك الفترة . وقد يكون الجواب عن استفساره هذا واضحا عند معرفتنا بأن الفرنسيين يستفنون على العطور وموانع الرائحة مبلغا يزيد على ١٣ مليار فرنك سنويا .

لا ندري ما هو مفهوم النظافة لدى الفرنسيين . هل النظافة تخص كل المجتمع أو أنها شيء مقتصر على البعض فقط ، وهذا البعض منهم ، هل هو مسور الحال أو من فقراء القوم ؟ وهل النظافة لديهم مرتبطة بالحسالة الاجتماعية والاقتصادية ؟ وهل يعتقد بأن النظافة أمر يجوز ويجب تنفيذه أو يمكن أن نضعها في جدول نأتي إليها أحيانا وننساها أحيانا أخرى ؟ كل هذه الاسئلة وغيرها خطرت على بالي عند مشاهدتي لبرنامج في التلفزيون الفرنسي بالقناة الثانية وعنوانه (الفرنسيون ، هل هم غير نظفاء ؟) مقدم البرنامج يقول بأن هذا الاعتقاد موجود فعلا ولكن كل فرنسي يرمي التهمة على مواطن آخر ويبعدها عن نفسه . وللوصول الى الحقيقة إختلط معدو البرنامج أساليب متعددة منها الاستبيان السري والمقابلة والاحصاء . وتبين من خلال هذا كله، كبر المأساة



جنون اقتناء الحيوانات

الملابس الجديدة فتبتعد مسرعة عنهم ، أما عاملة صالون التجميل فقد ذكرت بأن عملاءها في غالبيتهم نظفاء لأنهم يأتون بعد أخذ موعد مسبق فتكون أرجلهم قد غسلت .
ولكن البرنامج المذكور لم يتطرق الى شكل آخر من أشكال إغفال النظافة ، وهذه المرة ليست نظافة الاجسام وانما نظافة البيئة والمحيط ، وهذا ما يقوم به الفرنسيون بوساطة كلابهم المدللة التي يزيد عددها على ثمانية ملايين ونصف مليون كلب منها ٥٠٠,٠٠٠ كلب في باريس نفسها (كل أسرة تقريبا تملك كلبا في باريس ، ولكن ليس بالتأكيد لكل أسرة طفل) . هذه الكلاب الباريسية ترمي ٥٠ طنا



نظافة عاصمة النور والجمال أو نظافة الظاهر

تصور عزيزي القارئ بأن كل فرنسي يستنفق مبلغا يصل الى ٢٦٠ فرنكا سنويا لتغطية روائع جسده وعرقه بينما لا يستنفق أكثر من ٨ فرنكات سنويا على ما ينظفه فعلا ألا وهو الماء والصابون . وشاهدنا في البرنامج نفسه مقابلة مع ثلاث سيدات احداهن تعمل في الاسعاف والطب ، والثانية تعمل سائحة ملابس ، والثالثة تعمل في تقليم الاظافر في (صالون تجميل) .
ان ما أوردهه الطيبة عن قدارة أجساد مرضاها وملابسهم قديعتقد بأنه مبالغ فيه أو قد لا يصدق اطلاقا ، وبائعة الملابس كانت تشكو من الرائحة التنتة عندما تضطر للاقتراب من زبائنها عند تجربتهم



رغم جمال المنظر الا أن بقايا الطيور تزعج المسؤولين عن النظافة

من الفضلات الصلبة و ٢٠٠,٠٠٠ لتر من الفضلات السائلة على حداثق وأروقة وأرصفة باريس يوميا مما يؤدي الى تلوث المكان والهواء ، ويسبب احراجا وازعاجا للآخرين . المشكلة ليست خافية على أحد ، وهي ليست خافية على من لا يملك كلبا أو على الزائر الأجنبي وسواء من السائحين . ومن هنا بدأ البحث عن حل . بلدية باريس مثلا ، خططت أرصفة الشوارع ورسمت في أماكن مختلفة منها صورة كلب ، وهذا المكان يكون عادة عند مصب مياه تنظيف الشوارع (باريس مجهزة بشبكة أنابيب تحت حافة أرصفة الشوارع تفتح يوميا لتنظيف ما يتراكم عند حافات الشوارع من أوساخ) ودعت أصحاب الكلاب الى أين يصطحبوا كلابهم الى تلك المواقع



ليست قضية نظافة داخلية بل تعدى الامر الى تعمد التشويه باللون والرسم . لقد راح زمان الاناقة وجاء زمن الجنون .



على رصيف الطريق جلسا ... أحدهم يصبغ اللون والاخر سعيد وفي النهاية يدفع أجرا .

لا تكون تلك المموم مقتصرة على الفرنسي فقط ولكنها شائعة في عالم الغرب . وعجبا لها من هموم وعجبا لها من حلول للتغلب عليها . اذ لم أجد من يقترح أن يقلل الناس هنا من نفقاتهم على شراء علب طعام للكلاب ، والاكتفاء باطعامها عما يتركه الانسان على مائدته ، وأن يرسل الوفير المادي (وهو حتما بالملايين) الى الجائعين من بني البشر ، أو يعطى لتحسين حالة العاطلين عن العمل عندهم . . .
نظافة الجسد أو المسكن أو المدينة أمر يتعلق بأخلاق الناس وأعرافهم وتاريخهم وتربيتهم . ولكن هل تعلم بأن قصور الفرنسيين ومنها قصر فرساي الشهير لم يكن يحتوي على مرافق صحية ، فيا ترى هل كانت تكفي العطور الباريسية ؟
□

المخططة لقضاء حاجتهم بدلا من قضائها على قارعة الرصيف . ومقترح آخر دعا الى فرض غرامات مادية على كل صاحب كلب يشترك له العنان لتوسيع المدينة ، وذلك أسوة بمدينة نيويورك حيث الغرامة تصل الى ١٠٠ دولار . وقد دعا أحدث اقتراح الى بناء مرافق صحية خاصة بالكلاب في أنحاء مختلفة من الشوارع والساحات تنصرف من خلالها فضلات تلك الحيوانات الى المجاري العامة . وحتى هذه اللحظة لم تصل مدينة باريس الى الحل الأمثل ، علما بأنها قد خصصت دراجات بخارية ذات خزانات ، تسير على الارصفة لسحب تلك الفضلات تنفيذا لأحد المقترحات .
هذا - عزيزي القارئ - جزء من همومهم ، وقد

الغيرة

وحش بعينون خضراء!

بقلم : راجي عنايت

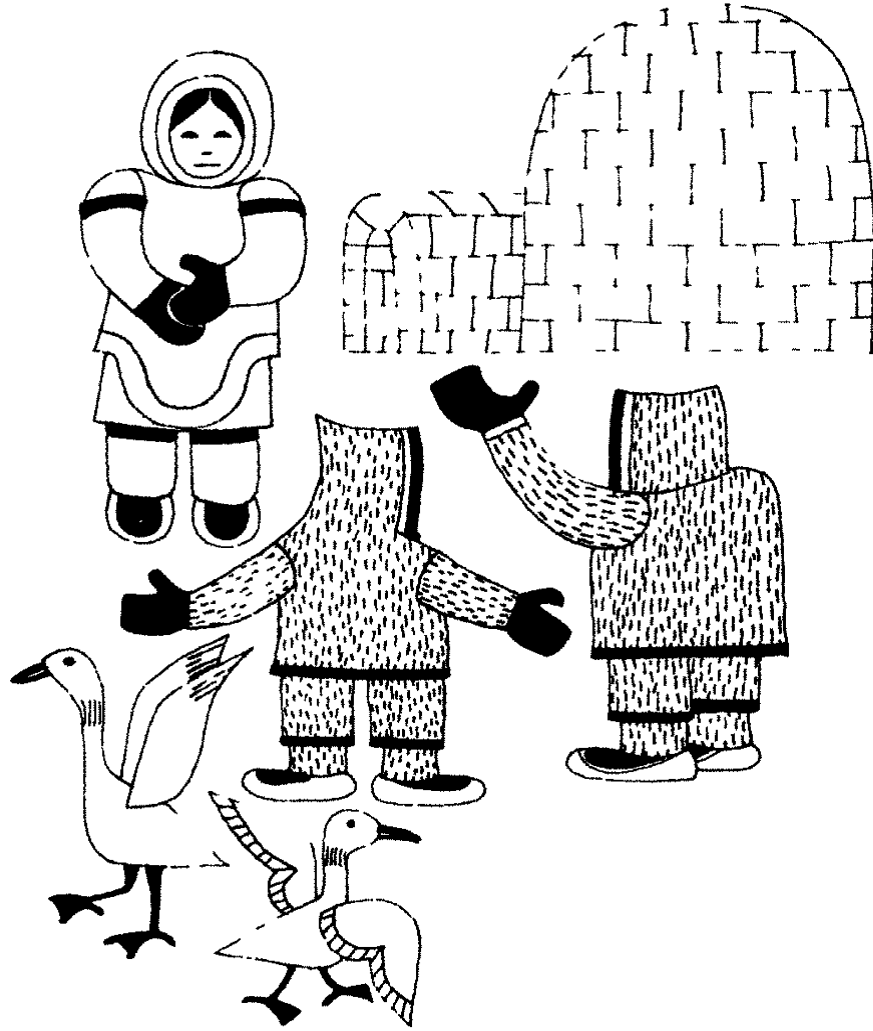
« كلنا قد انتابنا في وقت من أوقات حياتنا الاحساس بالغيرة ، ومنا من نخلص من هذا الاحساس والبعض لم يزل ، واذا كنت ترغب في الخلاص من هذا الوحش الرابض في أعماقك فاقرا هذا المقال بعناية » .

التعبيرات ، رغم ما مر من سنوات على اطلاقها ، ما زالت لها نفس القوة والمصدقية .

ويقول علماء الاجتماع أنهم فشلوا في العثور على مجتمع يخلو تماما من الغيرة . لكنهم وجدوا أن ما يثير الغيرة في مجتمع ما ، يختلف تماما عما يثيرها في مجتمع آخر . على سبيل المثال ، يقول العالم النفسي رالف هوبكا ، من ولاية كاليفورنيا ، بالولايات المتحدة الامريكية ، ان الزوج من قبائل يورك الهندية بكاليفورنيا ، كان في القرن التاسع عشر يدخل في عراك حقيقي مع أي رجل يتجاسر على طلب كوب ماء من زوجته . أما الزوج من قبائل الاسكيمو المعروفة باسم « اما ساليك » فيصل به الأمر الى حد السماح للضيف بالاتصال بزوجه ، شريطة أن يعطي هو الاشارة التي تفيد قبوله لهذا . ومع ذلك فهو يثور ، ويصل به الامر أحيانا الى قتل الرجل الآخر ، اذا قام بهذا الاتصال دون اذن منه .

يعتبر التآلف أرفع أنواع العلاقات البشرية ، وهو الهدف الأسمى في العلاقة الزوجية . والصخرة الراسخة التي يمكن أن تستقر عليها الحياة الزوجية السعيدة . والغيرة هي عامل قوي من عوامل هدم هذا التآلف وتخريبه ، وهي ظاهرة سلبية عامة ، لا تقتصر على مجتمع معين أو درجة معينة من التطور الحضاري . ومن أهم اشتراطات تواصل الحياة الزوجية السليمة ، أن يعرف الزوجان كيف يواجهان مشاعر الغيرة ، وكيف يعملان على تحويلها الى طاقة ايجابية تدعم حياتهما الزوجية السعيدة .

وقد أطلق الشاعر وليم شكسبير على الغيرة تعبير « الوحش ذو العيون الخضراء » ، وهو بهذا يشير الى ما يبديه البعض من تقبل لمشاعر الغيرة باعتبارها مؤشرا من مؤشرات الحب العميق ، رغم ما تحمله من تخريب لذلك الحب العميق . أما الشاعر ميلتون فيطلق على الغيرة تعبير « حميم المحين المحروحين » . . وهذه



بين التحدي والالتصاق

وفي المجتمعات الحديثة ، غالبا ما ينظر الى الغيرة باعتبارها مقياس الحب . خاصة اذا ما كانت هذه المجتمعات تتبنى فلسفة رومانتيكية بالنسبة للحب والزواج . ومن الملاحظ أن المجتمع الذي يعطي وزنا كبيرا لقيمة التملك والملكية الخاصة ، يصبح فيه الناس أكثر رغبة في تملك الأشياء والبشر معا . . . ولذلك فمن بين الأشياء التي تشجع على الغيرة ، اعتبار الزوجة

عصرا من عاصر ملكية الزوج . وفي كتابها عن « الغيرة » يتحدث جوردون كلانتون ولين سميث عن تباين احساس الرجل والمرأة بالغيرة ، في المجتمع الامريكى المعاصر ، فيقولان :
يميل الرجال ، أكثر من النساء ، الى انكار احساسهم بالغيرة ، بينما تميل النساء الى التصريح بمشاعرهن والاعتراف بغيرتهن . الرجال يعمدون في التعبير عن غيرتهم الى العنف ، والى القتل أحيانا . وتكون مثل هذه الانفجارات متبوعة بحالة من اليأس والقنوط في أغلب الاحيان .

ما أن وصلت هذه الخطابات ، حتى بدأت أجراس تليفونات الفندق في الرنين بشكل متواصل . وخلال ساعات تلقى الفندق ٥٠٠ مكالمة من الأزواج والزوجات الذين استولى عليهم الشك في أن شركاء حياتهم قاموا بمغامرة عاطفية ، خلال اقامتهم السرية في ذلك الفندق .

يقول مدير الفندق ان احدى السيدات اللاتي تلقين الخطاب ، وهي أم لثلاثة وحامل في الرابع . اتصلت بالفندق تقول ان زوجها ثار ثورة جنونية ، واتهمها أن الجنين الذي في أحشائها ليس ابنه . واتصلت أخرى وهي تبكي قائلة : « أرجوكم اشرحوا لزوجي الذي ركبته الغيرة ، انني لم أكن يوما مر نزلًا فندقكم » . . .

وقد أثارت ردود الفعل دهشة مدير الفندق ، فقد خاب أمل احدى السيدات عندما علمت أن الخطاب كان مجرد خطأ من العقل الالكتروني . وكانت هذه الزوجة قد اتخذت اجراءات الطلاق من زوجها . قالت آسفة لمدير الفندق : « كنت أطمح في استغلال الخطاب كمستند في قضية الطلاق » .

وكان تعليق مدير الفندق على ما جرى « يبدو أن من الأزواج والزوجات من لا يكون الكثير من الثقة بشركاء حياتهم هذه الايام ! . . »

فنانة الخزف القادمة

وحقيقة الأمر ، أن كل رجل أو امرأة قد مارس في وقت ما من حياته الزوجية الاحساس بالغيرة ، وان اختلف مدى هذا الاحساس .

وبالنسبة لعدد كبير يتحول احساس الغيرة هذا ، الى ذلك الوحش ذي العيون الخضراء الذي تحدث عنه شكسبير . ولكن ما هو السبيل الى ترويض ذلك الوحش ؟

يقول خبراء علم النفس الاجتماعي أن الخطوة الأولى هي الاعتراف للطرف الآخر بمشاعر الغيرة .

والرجال عندما يفارون يركزون على النشاط الجنسي والحسي للمرأة ، وهم غالبا ما يطلبون المرأة بسرد كامل لكل التفاصيل الدقيقة لما جرى . أما النساء الفيورات فيملن أكثر الى التركيز على التورط العاطفي لأزواجهن مع نساء أخريات .

غلطة في الموضوع

ويورد الكاتب روثمان قصة طريفة نشرتها الصحف تحت عنوان « صدقي يا حبيبي . . . هناك غلطة في الموضوع ! » وهو يعتمد على وقائع تلك القصة الواقعية للتدليل على أن مشاعر الغيرة عند الرجل والمرأة تظهر بعدة أشكال .

تبدأ القصة كالتالي : ساد الاندهاش مئات الأزواج والزوجات ، عندما وجدوا أنفسهم مطالبين بأن يقدموا التفسيرات لشركاء حياتهم ، بعد أن وصلتهم الخطابات التي أرسلتها مؤسسة العقول الالكترونية ، التي تتولى الاتصال البريدي نيابة عن العديد من المؤسسات التجارية والمالية . كان الخطاب يشكر الزوج أو الزوجة ، على اختياره أو اختيارها فندقا معيناً يقع على أطراف المدينة للإقامة به في الشهر القادم ، ويتمنى أن يحظى منه أو منه بزيارة قادمة سعيدة . فقد اعتاد فندق اكسفورد بمدينة شيكاغو أن يرسل الى مؤسسة العقل الالكتروني البيانات الخاصة بمن أقاموا فيه كل شهر . عل أن تتولى المؤسسة ارسال خطابات الشكر للنزلاء نيابة عن الفندق ، ويتمنى لهم اقامة بالفندق كشكل من أشكال الدعاية والتشيط ، وتوطيد الصلة مع الزبائن . وقد حدث الخطأ في مؤسسة العقل الالكتروني حيث استبدل الشريط الخاص بأسماء وعناوين نزلاء الفندق ، بأسماء وعناوين أحد المتاجر الكبيرة .

هكذا تلقى أربعة آلاف شخص من سكان المدينة وضواحيها . ذلك الخطاب الرقيق الذي يشكرهم على اقامة لم يقوموا بها في الفندق . . . !

كانت اقامتها معنا ممتعة ، وأصبحت منذ ذلك اليوم صديقة ، بل أفضل صديقاتي ، وغالبا ما أضحك الآن كلما تذكرت الغيرة التي غلكتني ، أو الخوف المجهول الذي استولى على نفسي لعدة أسابيع . وتأكد لي أن عقل الانسان قد يتحول الى عدو له ، اذا ما ترك له العنان ، بمزبد بدون ضابط .

الاحتمالات الستة

ورغم أن الحديث مع الطرف الآخر حول مشاعر الغيرة التي يشعر بها الانسان يأتي بنتائج طيبة في أغلب الأحيان ، الا أن الأمر يقتضي من الشخص أن يبدأ بالاجابة عن عدد من الاسئلة : ما الذي يتوقعه الطرفان بالضبط من بعضهما في المواقف المختلفة ؟ وما هي التصرفات التي تعتبر مقبولة في التعامل مع الجنس الآخر ؟ وما هي المحرمات والمحظورات ؟ ثم ما مدى القلق الذي يشعر به الشخص في هذه المرحلة ؟

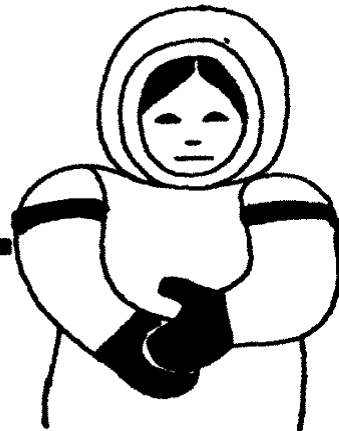
أخصائي العلاج النفسي ، وصاحب الخبرة الخاصة في المشاكل النفسية والعائلية ، دكتور لاري كونستانتي ، يضع قائمة تتضمن ستة احتمالات يمكن أن تثير الغيرة ، وأن تؤثر على علاقة الحب والتآلف وهي :

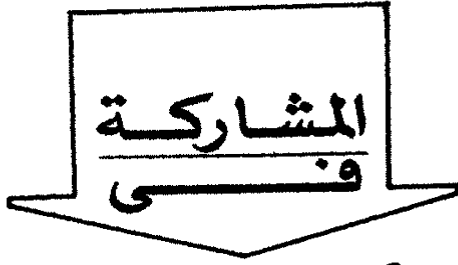
- ١ - فقدان الشخص لكرامته أو احترامه لذاته .
- ٢ - الاحساس بنقص في اشباع الاحتياجات البشرية (جنسية أو عقلية أو عاطفية .. الخ) .
- ٣ - نقص القدرة على التحكم في النفس ، وضعف العلاقة مع الطرف الآخر .
- ٤ - ضعف القدرة على التوقع ، وهبوط الثقة في الطرف الآخر وإمكانية الاعتماد عليه .
- ٥ - نقص الاحساس بالخصوصية ، بالكيان الفردي ، وبالحدود الذاتية ونقص فرص الاختبار الخاص .
- ٦ - تناقص الزمن الذي يمضيه الشخص مع الطرف الآخر ، وضعف قنوات الاتصال به □

والخطوة التالية ، هي بحث ما اذا كان الخطر الذي يشعر به الطرف الغيور ، حقيقيا ، أم من صنع خياله . وللتدليل على هذا ، ندرك واقعة حقيقية بطلتها سيدة في الثلاثين من عمرها وهي أم لطفلين . تعترف السيدة قائلة :

تعلمت من تجربتي الخاصة أن الغيرة ليست أكثر من ضياع لجانب من طاقاتنا . فمئذ عدة سنوات قال زوجي ، أستاذ الخزف ، ان فتاة من مدينة بعيدة ، كانت تراسله منذ زمن ، أرسلت اليه تطلب أن تأتي لتدرس فن الخزف على يديه . لم يكن لدي اعتراض على ذلك ، فقد كان لزوجي العديد من التلاميذ والتلميذات من صفار الفنانين ، لكنني تساءلت : لماذا استمرت المراسلة بينهما لعدة شهور ؟ .. ولماذا كنت في ذلك الوقت أفتقد الأمان في علاقتنا ، وأمر بحالة تشبه الاكتئاب ، فقد قام خيالي بخلق سيناريو كامل لما سيحدث بين زوجي وهذه الفتاة عندما تصل . وأخذت أرسم للفتاة صورة ملكة من ملكات الاغراء اللاتي يظهرن على الشاشة .. الجسد والملابس والحركات . وكلما اقترب موعد وصول الفتاة كان توترتي يتضاعف . وقد كدت أتهجد في مكاني عندما طلب مني زوجي التوجه معه الى محطة السكة الحديد لاحضار الفتاة الى البيت .

بالطبع ، لم أحاول أن أفصح لزوجي عن مخاوفي ، عندما طلب مني أن أصحبه لاحضار صديقه الجديدة . وقفت أنتظرها على رصيف القطار ، ثم ما لبثت أن ظهرت فتاة خجولة جدا ، تبدو في نفس الوقت على قدر كبير من المودة والركة . نظرنا الى بعضنا نظرة طويلة ، ثم حدث كما لو كنا قد وقعنا في حب بعضنا من أول نظرة .





أعمال المنزل



هل يتقاسمها الزوج مع زوجته ؟

اعداد : وفاء طه ناجى

« مازال الرجل يرى أن مساعدة زوجته في أعمال المنزل اهانة له وانتقاصا من قدره ، ورغم أن هذا مفهوم خاطيء الا أن أحدا لم يتساءل لماذا ؟ وكيف يرضى الزوج لزوجته بما يكرهه لنفسه ؟

الزوجات أولا ..

تقول ... وهى طيبة شابة : ان أهم أسباب نجاح المرأة في عملها هو دور الزوج في مشاركتها الأعباء الملقاة على عاتقها اذ يتقبل عن طيب خاطر مساعدة زوجته في أعمال البيت تقديرا منه لجهودها ، ومشاركتها في الاحتياجات المالية للأسرة ، ولأننى زوجة لرجل ، يعتبر أن أدق مساعدة في شئون البيت هى اهانة له بكل المقاييس ، فأننى مازلت المثل وراء استكمال دراستى التخصصية ، وهى جزء لا يتجزأ من عمل كطبيبة ، وذلك بسبب ضيق الوقت ، فأنا

لم تعد المشاركة في عبء الحياة الزوجية .. منطقة ممنوعة ، فقد اقتربت منها وتناولتها أقلام كتاب وباحثين ، وتعرضت لها برامج اعلامية ضمن ارساء حق المرأة في العمل ، ومنذ ذلك الحين ولا أحد يرى في قضية المشاركة الا جانبها المادى وهو راتب الزوجة . وبين اجتهادات كثيرة حول هذا الأمر نسي الناس واغفلوا المعنى الحقيقي للمشاركة .. وهى الحياة داخل المنزل ، ونحن نحاول أن نثير القضية مع أطرافها .. الزوجة والزوج والأم - التى تولت التربية والاعداد - وأساتذة الاجتماع .. لكى نحاول أن نخرج بتفسير لظاهرة المشاركة في البيت العربى

وتقول السيدة س. ن. ، وقد كانت تعمل في مهنة الصحافة :

مشكلتي الأساسية هي انصراف زوجي تماما عن شئون أبنائنا ، فعندما وصلت ابنتي الى المرحلة الثانوية ، وأصبح ابني مرافقا في الثانية عشرة من عمره تطلبت رعايتهما جهودا اضافية .. سواء في متابعة مستوى تحصيلهما العلمي واستذكارهما لدروسهما أو في حمايتهما من مخاطر تلك السن التي كثيرا ما تخلف آثارا سلبية على شخصيات الأبناء ، اذا لم تعالج بحكمة وتوجيه سليم حاولت كثيرا أن أوفق بين عمل ورعايتهما بعدما يشتت من مشاركة أبيهما، لكنني وتعبت ، وترك القلق الدائم بصماته على ملاعبي ، وفي النهاية فضلت البقاء في البيت حرصا على مستقبلهما . والعجيب أن زوجي اعتبرني قد تخليت عن مشاركته في الانفاق على احتياجاتنا !!

أزواج وأمهات

انتهى كلام الزوجات .. فماذا يقول الأزواج - الطرف الثاني في العلاقة - ؟ وماذا تقول الأمهات وهن البعد الثالث اللاتي تولين مسؤولية اعداد وتربية الأزواج . يقول محمود ..

في الواقع أن زوجتي تبالغ كثيرا .. عندما تقول أنني لا أساهم في أعباء البيت .. والحقيقة أنها ترفض مساعدتي . والحجة دائما واحدة أنك تسبب خسائر أكبر من حجم المساعدة ، وتنسى أن علاقتي بذلك النوع من الأعمال حديث جدا بالقياس الى خبرتها فيه منذ كانت في بيت أسرتها .. الزوج يحتاج وقتا حتى يقوم بعمل ترضى عنه زوجته .

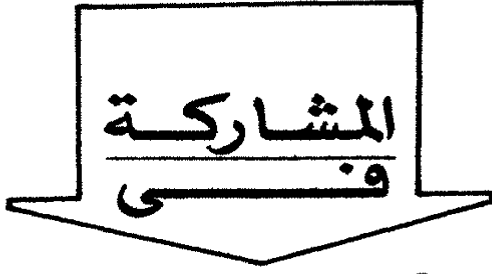
أما ... فيقول : دفعني زوجتي دفعا للتخلي عن مساعدتها .. رغم أنها لا تمل طوال الوقت من الشكوى من كثرة الأعباء عليها .

في أغلب الأحيان أعجز عن التوفيق بين مسؤوليات نحو عمل ونحويتي وأبنائي .

وتقول إحدى العاملات في حقل التدريس : الواقع أن معاناتي الحقيقية تنحصر في أن زوجي يتناقض مع نفسه كثيرا في أمور مسؤوليات العناية بالبيت . والحكاية .. أننا بدأنا حياتنا الزوجية بعيدا عن الأهل .. أهل وأهله ، ولم يكن زوجي يدخر وسعا في المساعدة في متطلبات البيت ، وكثيرا ما كان يشاركني في غسل الثياب وكيها ، أو في تحضير بعض وجبات الطعام الخفيفة ، وكان لذلك أثره في أن نستمتع معا بقضاء أوقات ممتعة خارج البيت ومع الأصدقاء ، دون معاناة أي منا من مشاعر الارهاق التي اختصت بها المرأة أمدا طويلا ، ولكن الأمر يتبدل تماما عندما يقوم بزيارتنا الأهل .. أهل أو أهله .. لافرق فتقلب شخصية زوجي تماما .. ويتلاشى اهتمامه بمتاعبي ، وبالتالي لا يقوم بأي محاولة للتخفيف عني . بل يتكلم باستعلاء ويلهجة أمرة منفرة كأنما يقول لهم :

« انا هنا سيد البيت على طريقتكم ، وزيادة العبء على زوجتي لا يعني ان أتخل عن ذلك المفهوم » من هنا وجدتي أكره أهل وأهله ، وأصبحت أجد في زيارتهم لنا معاناة مضاعفة ، فبالإضافة الى الأعمال الكثيرة في البيت على أن أتحمل نفسية زوجي المتعبة بسبب دوره المتناقض في علاقتنا .

أما السيدة د.أ. فتقول : بسبب طبيعة عمل في إحدى الشركات أضطر الى العودة للشركة مرة أخرى بعد الظهر ، ولايتهي دوامي قبل الثامنة مساء بينما يعود زوجي في الثانية ظهرا ، ونحن زوجان متفاهمان كثيرا ، وتقوم علاقتنا على التقدير والاحترام المتبادل ، وهو يبدي رغبة حقيقية في مساعدتي ، ولكن بعد التجربة تأكد لي أن انجازي لأعمال البيت على أية صورة أفضل من مساعدته .. انه يقلب الأشياء رأسا على عقب لأظلم في النهاية اعانى الارهاق مع زوج « متفهم » .



أعمال المنزل



هل يتقاسمها الزوج مع زوجته ؟

اعداد : وفاء طه ناجى

« مازال الرجل يرى أن مساعدة زوجته في أعمال المنزل اهانة له وانتقاصا من قدرة ، ورغم أن هذا مفهوم خاطيء الا أن أحدا لم يتساءل لماذا ؟ وكيف يرضى الزوج لزوجته بما يكرمه لنفسه ؟

الزوجات أولا ..

تقول ... وهى طيبة شابة : ان أهم أسباب نحاح المرأة فى عملها هو دور الزوج فى مشاركتها الأعباء الملقاة على عاتقها اذ يتقبل عن طيب خاطر مساعدة زوجته فى أعمال البيت تقديرا منه لجهودها ، ومشاركتها فى الاحتياجات المالية للأسرة ، ولأننى زوجة لرجل ، يعتبر أن أدنى مساعدة فى شئون البيت هى اهانة له بكل المقاييس ، فأننى مازلت المهث وراء استكمال دراسى التخصصية ، وهى جزء لا يتجزأ من عمل كطبيبة ، وذلك بسبب ضيق الوقت ، فأنا

لم تعد المشاركة فى عبء الحياة الزوجية .. منطقة ممنوعة ، فقد اقتربت منها وتناولتها أقلام كتاب وباحثين ، وتعرضت لها برامج اعلامية ضمن ارساء حق المرأة فى العمل ، ومنذ ذلك الحين ولا أحد يرى فى قضية المشاركة الا جانبها المادى وهو راتب الزوجة . وبين اجتهادات كثيرة حول هذا الأمر نسى الناس واغفلوا المعنى الحقيقى للمشاركة .. وهى الحياة داخل المنزل ، ونحن نحاول أن نثير القضية مع أطرافها .. الزوجة والزوج والأم - التى تولت التربية والاعداد - وأساتذة الاجتماع .. لكى نحاول أن نخرج بتفسير لظاهرة المشاركة فى البيت العربى

وتقول السيدة س. ن. ، وقد كانت تعمل في مهنة الصحافة :

مشكلتي الأساسية هي انصراف زوجي تماما عن شئون أبنائنا ، فعندما وصلت ابنتي الى المرحلة الثانوية ، وأصبح ابني مراهقا في الثانية عشرة من عمره تطلبت رعايتهما جهودا اضافية . . سواء في متابعة مستوى تحصيلهما العلمي واستذكارهما لدروسهما أو في حمايتهما من مخاطر تلك السن التي كثيرا ما تخلف آثارا سلبية على شخصيات الأبناء ، اذا لم تعالج بحكمة وتوجيه سليم حاولت كثيرا أن أوفق بين عملي ورعايتهما بعدما يشئت من مشاركة أبيهما لكنني وتعبت ، وترك القلق الدائم بصماته على ملاحي ، وفي النهاية فضلت البقاء في البيت حرصا على مستقبلهما . والعجيب أن زوجي اعتبرني قد تخليت عن مشاركته في الانفاق على احتياجاتنا !!

أزواج وأمهات

انتهى كلام الزوجات . . فماذا يقول الأزواج - الطرف الثاني في العلاقة - ؟ وماذا تقول الأمهات ومن البعد الثالث اللاتي تولين مسؤولية اعداد وتربية الأزواج . يقول محمود . .

في الواقع أن زوجتي تبالغ كثيرا . . عندما تقول أنني لا أساهم في أعباء البيت . . والحقيقة أنها ترفض مساعدتي . والحجة دائها واحدة أنك تسبب خسائر أكبر من حجم المساعدة ، وتنسى أن علاقتي بذلك النوع من الأعمال حديث جدا بالقياس الى خبرتها فيه منذ كانت في بيت أسرتها . . الزوج يحتاج وقتا حتى يقوم بعمل ترضى عنه زوجته .

أما . . . فيقول : دفعتمني زوجتي دفعا للتخل عن مساعدتها . . رغم أنها لا تمل طوال الوقت من الشكوى من كثرة الأعباء عليها .

في أغلب الأحيان أعجز عن التوفيق بين مسئوليات نحو عملي ونحويقي وأبنائي .

وتقول إحدى العاملات في حقل التدريس : الواقع أن معاناتي الحقيقية تنحصر في أن زوجي يتناقض مع نفسه كثيرا في أمور مسئوليات العناية بالبيت . والحكاية . . أننا بدأنا حياتنا الزوجية بعيدا عن الأهل . . أهل وأهله ، ولم يكن زوجي يدخر وسعا في المساعدة في متطلبات البيت ، وكثيرا ما كان يشاركني في غسل الثياب وكيها ، أو في تحضير بعض وجبات الطعام الخفيفة ، وكان لذلك أثره في أن نستمتع معا بقضاء أوقات ممتعة خارج البيت ومع الأصدقاء ، دون معاناة أي منا من مشاعر الارهاق التي اختصت بها المرأة أمدا طويلا ، ولكن الأمر يتبدل تماما عندما يقوم بزيارتنا الأهل . . أهلي أو أهله . . لافرق فتقلب شخصية زوجي تماما . . ويتلاشى اهتمامه بمتاعبي ، وبالتالي لا يقوم بأي محاولة للتخفيف عني . بل يتكلم باستعلاء وبلهجة أمرة منفرة كأنما يقول لهم :

« انا هنا سيد البيت على طريقتكم ، وزيادة العبء على زوجتي لا يعني ان أتخل عن ذلك المفهوم » من هنا وجدتمني أكره أهلي وأهله ، وأصبحت أجد في زيارتهم لنا معاناة مضاعفة ، فبالإضافة الى الأعمال الكثيرة في البيت على أن أتحمل نفسية زوجي المتعبة بسبب دوره المتناقض في علاقتنا .

أما السيدة د . . فتقول : بسبب طبيعة عملي في إحدى الشركات أضطر الى العودة للشركة مرة أخرى بعد الظهر ، ولايتهي دوامي قبل الثامنة مساء بينما يعود زوجي في الثانية ظهرا ، ونحن زوجان متفاهمان كثيرا ، وتقوم علاقتنا على التقدير والاحترام المتبادل ، وهو يبدي رغبة حقيقية في مساعدتي ، ولكن بعد التجربة تأكد لي أن انجازي لأعمال البيت على أية صورة أفضل من مساعداته . . انه يقلب الأشياء رأسا على عقب لأظلم في النهاية اعاني الارهاق مع زوج متفهم » .

المجتمع العربي مجتمع أبوي

ويستمر د . ابو زيد قائلاً : « ان مجتمعنا مجتمع أبوي ، بمعنى أن السلطة تكون في يد الرجل ، فله مكانة أعلى من مكانة الأنثى ، وعلى ذلك فإن الصغير لا يقوم بأي عمل من أعمال البيت ، ولا يسهم بأدنى مساعدة كأن يرتب فراشه مثلاً ، بل تكلف الاناث بالقيام بأعمال المنزل كلها ، فينشأ الولد على رفض المساعدة في البيت ، بل ويأنف من تلك الأعمال التي تقوم بها أخته . والنتيجة أن كثيراً من الأزواج يقضون مكتوفي الايدي أمام الاعباء المتزايدة على المرأة في البيت ، ونحو الأبناء ، بل ان هناك أزواجاً يمثلون أعباء إضافية على زوجاتهم ، وللأسف أعرف الكثير من المثقفين الذين يريدون زوجة تسير وراءهم طوال الوقت . . فهم يلقبون الورق وأعقاب السجائر في غير أماكنها الصحيحة .

ويستطرد د . أحمد أبوريد في حديثه فيقول : « الحقيقة أن الأساس في تحميل أعباء البيت على المرأة وحدها يأتي نتيجة أن أنظمة اجتماعية خلال مراحل معينة من التاريخ هي التي خلقت وضعا للمرأة أدنى من وضع الرجل ، بمعنى أن الظلم الواقع عليها ليس من قبل الرجل كرجل ، ولكنه من قبل المجتمع الذي لعب فيه الرجال الدور الأساسي في كل شيء . وقد أثبتت الدراسات الانثروبولوجية ، دراسات ما قبل التاريخ ، أن النساء في عصر الجماعية القبلية كن يتمتعن بمشاركة الرجال هن ، وأن العشيرة التي كان يعمل جميع أفرادها رجالاً ونساء كانت مجتمعاً يعترف بمساعدة الرجل للمرأة عندما تزداد التزاماتها .

ويني د . أحمد أبوزيد حديثه قائلاً : « بعد كل ما سبق نجد أنه من الصعب تغيير اتجاهات الرجل بعد أن نشأ في هذا الوضع الاجتماعي ، ولكن أماناً فرصة واسعة من أجل أن نتدارك

وتقول إحدى الأمهات . . لدى ثلاثة أبناء صبي وفتاتان ، وانني اعترف بمساهمتي السلبية في تربية ابني . . فقد انصب اهتمامي طوال فترة طفولتهم على ضرورة أن تتعلم البنات كل فنون الطبخ وترتيب البيت بما في ذلك فراش أخيهن وخزانة ملابسه ، وعندما كبر ابني ، لم يكن يعرف كيف يلتزم بأبسط الأشياء ، مثل وضع ملابسه في الخزانة ، وبعد زواج ابنتي كنت أقوم بأعباء البيت كلها وحدي .

أم أخرى . . . تقول : لاحظت ان ابني لديه ميل لمساعدتي في أعباء البيت . . وكثيراً ما كان يقوم بترتيب فراشه . وأحياناً كان يحضر الافطار لنا جميعاً ، وتصورت في لحظة أن مساهمته في الأعمال المنزلية تعني أنه سيصبح رجلاً ضعيف الشخصية ، فأجبرته على ترك المهام المنزلية لأقوم بها أنا وأخته الصغيرة .

هذه النماذج موجودة بيننا . . وحكايات المعاناة لدى المرأة العاملة خصوصاً الزوجة والأم كثيرة ومتباينة . فما هي الأسباب وراء احجام الرجل في مجتمعنا العربي عن مشاركة زوجته في أعباء البيت ، ومتى يتخلص الزوج من المفاهيم الموروثة التي انعكست آثارها على الأسرة بكاملها ؟ وكيف تفهم قضية المشاركة على وجهها الصحيح .

حول هذه الاسئلة يجيب الدكتور أحمد أبوزيد أستاذ الانثروبولوجيا محاولاً تفسير الظاهرة فيقول :

« عندما تمارس المرأة العربية العمل بعد زواجها فلا بد أن يتم ذلك عن طريق الاقتناع بينها وبين زوجها . فإذا كان الاقتناع كاملاً بضرورة أن تعمل وتسهم في الأعباء المالية للأسرة ، فلا بد أن يكون هناك اقتناع بالتسالي بمشاركة الرجل في كل الأعباء الأخرى ، وهنا تبرز مشكلتنا التي تتدخل فيها عوامل عديدة ، على رأسها القيم الاجتماعية السائدة ، وبالتالي التنشئة الاجتماعية للفرد .

ووسائل الاعلام المختلفة ، لتفهم مسئولية الشريكين في تكوين الأسرة على قدم المساواة ، سواء كان ذلك بالنسبة لمسئوليات العمل في المنزل ورعاية الأبناء ، أو غير ذلك من أمور الأسرة التي تتطلب المشاركة بين الزوجين في اتخاذ القرارات .

ثالثا : أن يراعى الآباء والأمهات تنشئة أبنائهم - خاصة الذكور - على مفاهيم ترفض تفوق الذكر على الأنثى ، وما يترتب على ذلك من اختلاف وتمييز في التربية والمعاملة الأسرية .

ويستطرد : يحى فيقول :

« والحقيقة أن الاشكالية النسائية بالنسبة للرجل لم تطرح بعبارات جديدة الا منذ فترة قصيرة ، وذلك بفضل العلوم الطبيعية (الفسيولوجيا والبيولوجيا وعلم الوراثة) ، لان المرأة ظلت لفترة طويلة تعاني وضعا أقل ، نتيجة لطبيعتها الانثوية والتزامها الطبيعي بوظيفة الأمومة بين وظائف أخرى ، من هنا تكونت انظمة تفسير هذا الوضع بأنه يعنى أفضلية الرجل عليها » .

وماذا بعد . . ؟

تكلم أطراف العلاقة ، وسمعنا رأى العلم ، ولم يبق ما نقوله ، الا أنه ليس واردا ان نطالب بالمساواة بين الرجل والمرأة بمفهوم يختلف عن قيم واخلاق مجتمعاتنا العربية التي يحددها ديننا الحنيف ، ولكن ما نطرحه للنقاش هو المشاركة في الحياة بين الزوجين ، هذه المشاركة التي يحث عليها الدين وتفرضها التطورات الاجتماعية المختلفة ، فقد كان رسول صلى الله عليه وسلم لا يأنف من عمل شيء بيده ، وكان يعين زوجاته وقد وصفته زوجته السيدة عائشة (رضى الله عنها) بأنه كان في مهنة أهله كما روى عنه أنه كان يخصف نعله ويرتق ثوبه ، وهو القائل (عليه الصلاة والسلام) « خدمتك زوجتك صدقة » وكان أرحم الناس وأضحكهم في بيته فهل يستجيب الرجال . . ؟ !

ذلك في تربية أولادنا ، علينا أن نعلمهم أن المساهمة في أعمال البيت ليست عيبا أو اهانة . . واحكاما للحق فان هناك انهماجا حقيقيا للمشاركة من قبل الرجل في أعمال البيت ، وان كانت في أغلب الحالات ليست تطوعية ، كما أنها ليست مسألة اقتناع ، ولكنها ضرورة فرضتها ظروف عمل المرأة . ولاشك أن ذلك يبشر بأمل كبير .

تطوير القيم الاجتماعية

وحول امكانية تعديل القيم الاجتماعية السائدة محدثنا د . يحى الحداد أستاذ علم الاجتماع بجامعة الكويت فيقول :

« توزيع العمل بين المرأة والرجل في البيت وخارج البيت هو أساس التوازن الجديدي الذي تقتضيه التطورات التي تشهدها مجتمعاتنا العربية ، بما أفرزته من زيادة في احتياجات الأسرة المادية ، وما اقتضته من اتاحة الفرصة لكافة الموارد البشرية - رجالا ونساء - لمواجهة تحديات التنمية واعداد الرجال والنساء وتأهيلهم للمشاركة المنتجة الفعالة . ان تطوير القيم بما يدفع الرجال الى تحمل مسئوليات أكبر في هذا الدور ، واعدادهم لتحمل المسئولية المشتركة في المنزل والعمل ، يتطلب جهودا مكثفة في المجالات التالية :

أولا : توجيه المناهج الدراسية بحيث تستهدف ثقافة مشتركة للابن والابنة ، بهدف تكوين الاتجاهات الإيجابية بين كل من الجنسين ، باعتبارهما شريكين في الحياة . وتتضمن هذه الثقافة المشتركة توضيح مسئولية الجنسين في تطوير المجتمع المعاصر ، والمعرفة بقضايا التطور العلمي والتكنولوجي ، وتوضيح الاتجاهات السليمة نحو الأبوة المسئولة في تكوين الأسرة وتربية الأبناء .

ثانيا : تثقيف الابن والابنة في البيت والمدرسة



هـو... المشاركة

تصرفاته هذه ، ولماذا يخفي عني ما يجب أن أعرفه بوصفي شريكة حياته ورفيقته في تحمل المسؤولية ، ينظر الى طويلا ثم يصدمني قائلا « اذا كان ينقصك شيء في حياتك أو كنت تفتقدين الراحة في أي شيء فقل لي .. وأنا ألبيه لك » ويظل النقاش بيننا عبثا ، هو يرى أن الزوجة ليس من حقها أن تعرف شيئا عن حياة زوجها ، وأن دورها مجرد القيام بالاعباء المنزلية من طهي وتنظيف وترتيب ، حتى مصروف البيت يتولى هو تقديره ، ويقدم في أول كل شهر مبلغا ويطلب مني أن أدبر حياتي بهذا المبلغ من المال ، وأعترف أنني لم أكن أشكو أبدا من عجز الميزانية فقد كان تقديره دائما مصيبا الا أنني لا أعرف ماذا تبقى معه ؟ وأين تذهب نقوده ؟ .. وكل أحاديثنا في البيت لاتتعدى الثروة حول مسلسل في التلفزيون ، أو حادثة مثيرة قرأها في الجريدة ، أو أخبار الجيران ، أو دعايات وضحكات يخلقها هو ونضحك عليها .. ولكن خارج باب المنزل لا أعرف عنه شيئا ؟ حتى أساء زملائه لا أعرفها .. وصديقاتي يعرفن وقائع يوم أروجهن في العمل .. بل منهم من يقول لي أخبار آخر فستان ، أو آخر خنقة بين زميلات وزملاء مع أزواجهن .. صحيح أنا لا أريد من زوجي كل هذه التفاصيل .. ولكن قليلا مع المعاشة والمشاركة له في همومه وآماله .. في عمله مع أصدقائه تكفي .. أليس من حقي كزوجة أن أعرف ما يحيط به وأخفف عنه .. أم أنا مجرد دمية في البيت ؟ ..

● كانت مفاجأة بالنسبة لي ، لم أنم ليلتها ولم أعرف للراحة طعما . كنا في زيارة عائلية ، وفوجئت بالعائلة الصديقة التي كنا في زيارتها تسأل زوجي عن آخر أخبار القضية التي أقامها ضد الشركة التي كان يعمل بها . وأثناء طريق العودة سألته عن القضية ولماذا أقامها وما موقفه فيها ؟ الا أنه لم يجب بشيء وأخذ يردد بسعادة : من تدخل فيما لا يعنيه سمع مالا يرضيه .. . ورغم أنني اعتدت هذا من زوجي دائما . الا أن هذه الحادثة البسيطة قد فجرت داخلي أحاسيسي بعدم الرضا ، فمنذ اليوم الأول لزواجنا وحتى الآن وأنا لا أعرف عنه شيئا الا العموميات الشديدة ، مثل أنه ترك العمل في الشركة وانتقل الى شركة أخرى ، أو أنه قدم أوراقه للعمل بالحكومة .. حتى مواعيد عمله لا أعلمها على وجه الدقة . وبدءا من مواعيد عمله ، ومرورا بحقيقة دخله وراتبه ، وانتهاء بكل تفاصيل حياتنا ، يحرص زوجي على الا أعلم عنها شيئا ، وعندما أحاول أن أناقشه في



هـي

... هجيا

علمني التاريخ

المشورة ، وهي لن تدلي برأي صائب - وهذا ليس تعسفا مني تجاهها - ولكنه إحقاق لواقع ، فهي سوف تغلب العاطفة ، ولن تفصل وجدانها عن الموضوع ، ولن يكون تعلمها محايدا ، مثلما أتناول أنا مشكلة ما تواجهني حتى لو كنت أنا طرفا فيها . تريد مني أن أحكي لها عن زميلاتي وزملائي في العمل وعلاقتنا ، ومن المنطقي أن يكون بين زملاء العمل احتكاكات واختلافات يومية نتيجة للتفاعل الانساني ، أو يكون بينهم مزاح ودعابة .. فماذا ستكون النتيجة لو رويت كل هذا ؟ .. لا أستبعد اطلاقا أن تناقش زميلاتي فيا فعله معي ، أو تعلق على سلوك زميل آخر لم تره حتى لو كان زائرا لبيتي ، وبالتالي سوف يكون لديها آراء مسبقة في الناس وعن الأشخاص والموقف .. وهذا شيء لا أقبله ، ورغم جهدي ، ألا أجعلها تشكو من شيء ، ومحاولتي أن أوفر لها حياة كريمة هائشة ، وأن أجعل من ساعاتي معها بسمه وضحكة ، بدعابة من هنا وقصة مسلية من هناك .. وطرفة عن الزملاء .. وحكاية من شقاوة طفولتي .. رغم كل هذا فهي تصر على أن تشغل رأسها بي .. تصر أن تعرف همومي وعلمي وراتبي . وعجيب أمر المرأة اذا رأت الوردة أعجبتها وخافت شوكتها .. وان اشتتت العسل خشيت وخز الأبر .. واذا أنتها الوردة والعسل نفص حياتها شوقها للشوك وخز الأبر وحل الموموم والتفكير .. ولله في خلقه شئون .

هجو

● قصة من التراث علمتني حكمة هامة في الحياة ، فقد خطفت امرأة طفلا من جارة لها ، وذهبت به الى القاضي . . كل تدعي أمومه ، فقال القاضي : لاحلّ الا أن أقطع الطفل قسمين ، لكل واحدة منكما قسم ، وعلى الفور وافقت الخاطفة في الوقت الذي جزعت فيه الأم ، فحكم القاضي للام بصحة الأمومة واسترداد الطفل .

منذ الصغر وأنا أدرس هذه القصة ، وأضحك من خيبة الخاطفة التي فضحتها عواطفها ، ومن جزع الأم الذي أظهر حنانها ، فلو كانت عاقلة عقلا فوق العاطفة لقالت للقاضي . . ما جدوى أن تقسم الطفل قسمين ، أنت تقتل الطفل وأنا أريده حيا لا ميتا ، وأنت تعاقب طفلا لا ذنب له ، ولو كانت الأم أكثر عقلا ووعيا لقالت للقاضي :

عفو يا سيدي القاضي أنت تحكم فيا لا تملك .. جثثك لتقرر من منا الأم فاسأل القرية التي كنا فيها ، والطرق التي سرنا عليها ، أما أنا فسوف أقاتل من أجل طفلي ، أو أقتلني أنا ودعه فالأمومة فوق القانون . ولكن كلتا المرأتين لم تفعل هذا ولا ذاك .. كلتاهما أثبتت أن عواطفها أقوى من عقلها ، وأسبق في التفكير في رد الفعل ، وبعد ذلك ، ومع الزمن ، عرفت لماذا لا تكون المرأة قاضية ، انها قضية اختلاف نوعي وفروق فردية . ورغم هذه القناعة ، تأتي زوجتي وتريدني أن أقلب ميزان الكون وأغير مفاهيمي ، تريد أن أشركها في كل تفاصيل حياتي ، وأطلب منها

هوَ... المشاركة

تصرفاته هذه ، ولماذا يخفي عني ما يجب أن أعرفه بوصفي شريكة حياته ورفيقته في تحمل المسئولية ، ينظر الى طويلا ثم يصدمني قائلا « اذا كان ينقصك شيء في حياتك أو كنت تفتقد الراحة في أي شيء فقل لي . . وأنا ألبه لك » ويظل النقاش بيننا عبثا ، هو يرى أن الزوجة ليس من حقها أن تعرف شيئا عن حياة زوجها ، وأن دورها مجرد القيام بالاعباء المنزلية من طهي وتنظيف وترتيب ، حتى مصروف البيت يتولى هو تقديره ، ويقدم في أول كل شهر مبلغا ويطلب مني أن أدبر حياتي بهذا المبلغ من المال ، وأعترف أنني لم أكن أشكو أبدا من عجز الميزانية فقد كان تقديره دائما مصيبا الا أنني لا أعرف ماذا تبقى معه ؟ وأين تذهب نقوده ؟ . . وكل أحاديثنا في البيت لا تتعدى الثروة حول مسلسل في التلفزيون ، أو حادثة مثيرة قرأها في الجريدة ، أو أخبار الجيران ، أو دعايات وضحكات يخلقها هو ونضحك عليها . . ولكن خارج باب المنزل لا أعرف عنه شيئا ؟ حتى أسماء زملائه لا أعرفها . . وصديقاتي يعرفن وقائع يوم أزواجهن في العمل . . بل منهم من يقول لي أخبار آخر فستان ، أو آخر خنقة بين زميلات وزملاء مع أزواجهن . . صحيح أنا لا أريد من زوجي كل هذه التفاصيل . . ولكن قليلا مع المعاشة والمشاركة له في همومه وآماله . . في عمله مع أصدقائه تكفي . . . أليس من حقي كزوجة أن أعرف ما يحيط به وأخفف عنه . . أم أنا مجرد دمية في البيت ؟ . .

● كانت مفاجأة بالنسبة لي ، لم أنم ليلتها ولم أعرف للراحة طعما . كنا في زيارة عائلية ، وفوجئت بالمائلة الصديقة التي كنا في زيارتها تسأل زوجي عن آخر أخبار القضية التي أقامها ضد الشركة التي كان يعمل بها . وأثناء طريق العودة سألته عن القضية ولماذا أقامها وما موقفه فيها ؟ الا أنه لم يجب بشيء وأخذ يردد بسعادة : من تدخل فيها لا يعنيه سمع مالا يرضيه . . ورغم أنني اعتدت هذا من زوجي دائما . الا أن هذه الحادثة البسيطة قد فجرت داخلي أحاسيسي بعدم الرضا ، فمنذ اليوم الأول لزواجنا وحتى الآن وأنا لا أعرف عنه شيئا الا العموميات الشديدة ، مثل أنه ترك العمل في الشركة وانتقل الى شركة أخرى ، أو أنه قدم أوراقه للعمل بالحكومة . . حتى مواعيد عمله لا أعلمها على وجه الدقة . وبدءا من مواعيد عمله ، ومرورا بحقيقة دخله وراتبه ، وانتهاء بكل تفاصيل حياتنا ، يحرص زوجي على ألا أعلم عنها شيئا ، وعندما أحاول أن أناقشه في



... هجيا

علمني التاريخ

المشورة ، وهي لن تدلي برأي صائب - وهذا ليس
تسفا مني تجاهها - ولكنه إحقاق لواقع ، فهي
سوف تغلب العاطفة ، ولن تفصل وجدانها عن
الموضوع ، ولن يكون تعلمها عايدا ، مثلما
أتناول أنا مشكلة ما تواجهني حتى لو كنت أنا طرفا
فيها . تريد مني أن أحكي لها عن زميلاتي
وزملائي في العمل وعلاقتنا ، ومن المنطقي أن
يكون بين زملاء العمل احتكاكات واختلافات
يومية نتيجة للتفاعل الانساني ، أو يكون بينهم
مزاح ودعابة . . فماذا ستكون النتيجة لو رويت
كل هذا ؟ . لا أستبعد اطلاقا أن تناقش زميلاتي
فيما فعله معي ، أو تعلق على سلوك زميل آخر لم
تره حتى لو كان زائرا لبيتي ، وبالتالي سوف يكون
لديها آراء مسبقة في الناس وعن الأشخاص
والموقف . . وهذا شيء لا أقبله ، ورغم
جهدي ، ألا أجعلها تشكو من شيء ، ومحاولتي
أن أوفر لها حياة كريمة هائشة ، وأن أجعل من هنا
ساعاتي معها بسمه وضحكة ، بدعابة من هنا
وقصة مسلية من هناك . . وطرفة عن الزملاء . .
وحكاية من شقاوة طفولتي . . رغم كل هذا فهي
تصر على أن تشغل رأسها بي . . تصر أن تعرف
مهمومي وعلمي وراتبي . . وعجيب أمر المرأة إذا
رأت الوردة أعجبتها وخافت شوكتها . . وإن
اشتتهت العسل خشيت وخز الأبر . . وإذا أتنها
الوردة والعسل نفص حياتها شوقها للشوك ووخز
الأبر وحل المهموم والتفكير . . ولله في خلقه
شون .

هو

● قصة من التراث علمتني حكمة هامة في
الحياة ، فقد خطفت امرأة طفلا من جارة
لها ، وذهبت به الى القاضي . . كل تدعي
أمومه ، فقال القاضي : لأحلّ إلا أن أقطع
الطفل قسمين ، لكل واحدة منكما قسم ، وعلى
الفور وافقت الخاطفة في الوقت الذي جزعت فيه
الأم ، فحكم القاضي للام بصحة الأمومة
واسترداد الطفل .

منذ الصغر وأنا أدرس هذه القصة ، وأضحك
من خيبة الخاطفة التي فضحتنا عواطفها ، ومن
جزع الأم الذي أظهر حنانها ، فلو كانت عاقلة
عقلا فوق العاطفة لقالت للقاضي . . ما جدوى
أن تقسم الطفل قسمين ، أنت تقتل الطفل وأنا
أريده حيا لا ميتا ، وأنت تعاقب طفلا لا ذنب له ،
ولو كانت الأم أكثر عقلا ووعيا لقالت للقاضي :

عفوا يا سيدي القاضي أنت تحكم فيما لا تملك . .
جنتك لتقرر من منا الأم فاسأل القرية التي كنا
فيها ، والطرق التي سرنا عليها ، أما أنا
فسوف أقاتل من أجل طفلي ، أو أقتلني أنا ودعمه
فالأمومة فوق القانون . ولكن كلتا المرأتين لم تفعل
هذا ولا ذاك . . كلتاها أثبتت أن عواطفها أقوى
من عقلها ، وأسبق في التفكير في رد الفعل ،
وبعد ذلك ، ومع الزمن ، عرفت لماذا لا تكون
المرأة قاضية ، انها قضية اختلاف نوعي وفروق
فردية . ورغم هذه القناعة ، تأثرت زوجتي وتربيتني
أن أقلب ميزان الكون وأغير مفاهيمي ، تريد أن
أشركها في كل تفاصيل حياتي ، وأطلب منها

هـو... المشاركة

تصرفاته هذه ، ولماذا يخفي عني ما يجب أن أعرفه بوصفي شريكة حياته ورفيقته في تحمل المسئولية ، ينظر الى طويلا ثم يصدمني قائلا : اذا كان ينقصك شيء في حياتك أو كنت تفتقدين الراحة في أي شيء فقل لي .. وأنا ألبسه لك ، ويظل النقاش بيننا عبثا ، هو يرى أن الزوجة ليس من حقها أن تعرف شيئا عن حياة زوجها ، وأن دورها مجرد القيام بالاعباء المنزلية من طهي وتنظيف وترتيب ، حتى مصروف البيت يتولى هو تقديره ، ويقدم في أول كل شهر مبلغا ويطلب مني أن أدبر حياتي بهذا المبلغ من المال ، وأعترف أنني لم أكن أشكو أبدا من عجز الميزانية فقد كان تقديره دائما مصيبا الا أنني لا أعرف ماذا تبقى معه ؟ وأين تذهب نقوده ؟ .. وكل أحاديثنا في البيت لاتعدى الثروة حول مسلسل في التلفزيون ، أو حادثة مثيرة قراها في الجريدة ، أو أخبار الجيران ، أو دعايات وضحكات يخلقها هو ونضحك عليها .. ولكن خارج باب المنزل لا أعرف عنه شيئا ؟ حتى أسماء زملائه لا أعرفها .. وصديقاتي يعرفن وقائع يوم أرواجهن في العمل .. بل منهم من يقول لي أخبار آخر فستان ، أو آخر خنقة بين زميلات وزملاء مع أزواجهن .. صحيح أنا لا أريد من زوجي كل هذه التفاصيل .. ولكن قليلا مع المعاشة والمشاركة له في همومه وآماله .. في عمله مع أصدقائه تكفي ... اليس من حقي كزوجة أن أعرف ما يحيط به وأخفف عنه .. أم أنا مجرد دمية في البيت ؟ ..

● كانت مفاجأة بالنسبة لي ، لم أنم ليلتها ولم أعرف للراحة طعما . كنا في زيارة عائلية ، وفوجئت بالعائلة الصديقة التي كنا في زيارتها تسأل زوجي عن آخر أخبار القضية التي أقامها ضد الشركة التي كان يعمل بها . وأثناء طريق العودة سألتني عن القضية ولماذا أقامها وما موقفه فيها ؟ الا أنه لم يجب بشيء وأخذ يردد بسعادة : من تدخل فيما لا يعنيه سمع مالا يرضيه .. . ورغم أنني اعتدت هذا من زوجي دائما . الا أن هذه الحادثة البسيطة قد فجرت داخلي أحاسيسي بعدم الرضا ، فمنذ اليوم الأول لزواجنا وحتى الآن وأنا لا أعرف عنه شيئا الا العموميات الشديدة ، مثل أنه ترك العمل في الشركة وانتقل الى شركة أخرى ، أو أنه قدم أوراقه للعمل بالحكومة .. حتى مواعيد عمله لا أعلمها على وجه الدقة . ويبدأ من مواعيد عمله ، ومرورا بحقيقة دخله وراتبه ، وانتهاء بكل تفاصيل حياتنا ، يحرص زوجي على الا أعلم عنها شيئا ، وعندما أحاول أن أناقشه في



هـب

...هجا

علمني التاريخ

المشورة ، وهي لن تدلي برأي صائب - وهذا ليس تعسفا مني تجاهها - ولكنه إحقاق لواقع ، فهي سوف تغلب العاطفة ، ولن تفصل وجدانها عن الموضوع ، ولن يكون تعلمها محايدا ، مثلما أتناول أنا مشكلة ما تواجهني حتى لو كنت أنا طرفا فيها . تريد مني أن أحكي لها عن زميلاتي وزملائي في العمل وعلاقتنا ، ومن المنطقي أن يكون بين زملاء العمل احتكاكات واختلافات يومية نتيجة للتفاعل الانساني ، أو يكون بينهم مزاح ودعابة .. فماذا ستكون النتيجة لو رويت كل هذا .. ؟ لا أستبعد اطلاقا أن تناقش زميلاتي فيما فعله معي ، أو تعلق على سلوك زميل آخر لم تره حتى لو كان زائرا لبيتي ، وبالتالي سوف يكون لديها آراء مسبقة في الناس وعن الأشخاص والموقف .. وهذا شيء لا أقبله ، ورغم جهدي ، ألا أجعلها تشكو من شيء ، ومحاولتي أن أوفر لها حياة كريمة هائشة ، وأن أجعل من ساعاتي معها بسمه وضحكة ، بدعابة من هنا وقصة مسلية من هناك .. وطرفة عن الزملاء .. وحكاية من شقاوة طفولتي .. رغم كل هذا فهي تصر على أن تشغل رأسها بي .. تصر أن تعرف همومي وعلمي وراتمي . وعجيب أمر المرأة اذا رأت الوردة أعجبتها وخافت شوكتها .. وان اشتهدت العسل خشيت وخز الأبر .. واذا أنتها الوردة والعسل نفص حياتها شوقها للشوك وخز الأبر وحمل الموموم والتفكير .. ولله في خلقه شئون .

هو

● قصة من التراث علمتني حكمة هامة في الحياة ، فقد خطفت امرأة طفلا من جارة لها ، وذهبت به الى القاضي .. كل تدعي أمومه ، فقال القاضي : لأحلّ إلا أن أقطع الطفل قسمين ، لكل واحدة منكما قسم ، وعلى الفور وافقت الخاطفة في الوقت الذي جزعت فيه الأم ، فحكم القاضي للام بصحة الأمومة واسترداد الطفل .

منذ الصغر وأنا أدرس هذه القصة ، وأضحك من خيبة الخاطفة التي فضحتها عواطفها ، ومن جزع الأم الذي أظهر حنانها ، فلو كانت عاقلة عقلا فوق العاطفة لقاتل للقاضي .. ما جدوى أن تقسم الطفل قسمين ، أنت تقتل الطفل وأنا أريده حيا لا ميتا ، وأنت تعاقب طفلا لا ذنب له ، ولو كانت الأم أكثر عقلا ووعيا لقاتل للقاضي :

عفوا يا سيدي القاضي أنت تحكم فيما لا تملك .. جشاك لتقرر من منا الأم فاسأل القرية التي كنا فيها ، والطرق التي سرنا عليها ، أما أنا فسوف أقاتل من أجل طفلي ، أو أقتلني أنا ودعاه فالأمومة فوق القانون . ولكن كلتا المرأتين لم تفعل هذا ولا ذاك .. كلتاهما أثبتت أن عواطفهما أقوى من عقلهما ، وأسبق في التفكير في رد الفعل ، وبعد ذلك ، ومع الزمن ، عرفت لماذا لا تكون المرأة قاضية ، انها قضية اختلاف نوعي وفروق فردية . ورغم هذه القناعة ، تأتي زوجتي وتريدني أن أقلب ميزان الكون وأغير مفاهيمي ، تريد أن أشركها في كل تفاصيل حياتي ، وأطلب منها

الحياة

ذكريات الربيع في خريف العمر!

بقلم : منير نصيف

لاتلبث بعدها ان تتركها وتبتعد عنها ، وربما تذهب معها في رحلة قصيرة ، أشبه ماتكون باغفاءة لاتلبث أن تصحو منها على عمل صغير ينتظرها في البيت . .

ولكنها اليوم ، ولا تدري كيف وجدت نفسها تذهب في رحلة طويلة بعيدة مليئة بالذكريات . . لأن اليوم هو عيد زواجها . . وفي المساء سوف تستقبل المدعوين الذين سيحيون ليحتفلوا معها ، هي وزوجها بهذه المناسبة السعيدة . . وأحست بالتعب وهي واقفة في مكانها والصورة بين يديها ، صورتها هي وزوجها ، ليلة زفافها ، فجلست على مقعد قريب لتريح جسمها المتعب ووضعت الصورة بجوارها فوق مائدة صغيرة ، ومالبثت ان وجدت نفسها تذهب بعيدا الى بداية تلك التجربة التي عاشتها مع الرجل الذي مازالت تعيش معه ماتبقى لها في رحلة الحياة . .

لقد كانت رحلة طويلة شاقة مليئة بالسحب والانواء والامواج . . كانت بحرا واسعا تتلاطم امواجه ، وقد راحت السفن تسير فوق سطحه . . سفن صغيرة وسفن اخرى كبيرة من كل حجم ولون . . كلها تطفو على السطح ، وكلها تحاول ان تدرأ عن نفسها خطر الموج

فجأة وجدت نفسها تقف امام الصورة الصغيرة التي تضعها في مكان قريب من فراشها . . صورتها مع الشاب الذي اختارها منذ اكثر من ثلاثين عاما مضت لتشاركه رحلة الحياة . . ومدت يدها وامسكت بالصورة التي عاشت معها تلك الاعوام الطويلة . . كانت تبدو جميلة في فستانها الأبيض . . وراحت تنفوس في هذا الوجه الذي لم يبق منه الا صورته . . كانت رائعة في شبابها الذي ذبل مع الأيام . . هو أيضا كان وسيما ، وكان يحمل في بداية رحلته طموحا واصراراً عجيباً . . لا بد ان تنجح هذه التجربة . . سوف يقف وحده ويتحدى العالم من أجلها هي . . فقد كان يجد دائئها في قربها منه وتعلقها به وجها له القوة التي دفعته وتدفعه دائئها الى العمل والكفاح والسير في الطريق الذي اختاره لنفسه !!

ولكن ما الذي دفعها اليوم الى الوقوف أمام هذه الصورة القديمة ؟ . صحيح أنها كانت تختلس النظر اليها بين الحين والحين اثناء النهار الطويل الذي اصبح يمضي الآن ، وهو يزحف بعد أن خلا البيت من الأطفال الذين كبروا وتزوجوا واصبحوا مستقلون بحياتهم . . كانت عينها تتجهان اليها دون أن تشعر ولكن للحظات قصيرة



يتنظرهما بعد الزواج . كان مرحا خفيف الروح
حاضر النكتة . . لم يكن هناك شيء يمكن ان
يعكر سماء تلك اللحظات السعيدة ، التي كان
يأتي فيها لزيارتها في بيت والديها بعد ان ينتهي من
عمله . .

انها لاتنسى كيف كان يغار عليها ، وهو ينقل
اليها الانفعالات التي كانت تعمل في صدره ،
وهو يحذنها عن الفرحة التي تملا قلبه ، لأنه عرف
كيف يعوزها . . وكانت تنظر اليه وتتأمل عينيه ،
فلا تجد فيها الا كل الصدق في كل مايقوله لها . .
وقد كانت تبادل هذا الحب ، وكانت تعد معه
الايام التي ستتقل بعدها الى العش الصغير ،
الذي سيبدء ان فيه حياتها الجديدة !

ولكن البداية كانت صعبة ، فقد كان دَخَلُ
زوجها الصغير بالكاد يكفي مطالب الحياة
الاساسية . . وبدأت رحلة الكفاح بعد ايام قليلة
من الزواج . كان همه الاول ينحصر في البحث
عن عمل آخر يستطيع ان يضاعف به دخله . .
وكان لا ينام الليل . . كان يعمل ثماني عشرة
ساعة في اليوم . . وكانت تسهر بجواره تشجعه
وتدفعه الى الاستمرار . . وكان يستمد من وقوفها

المتلاطم ، حتى تستطيع أن تصل بمن فيها الى
شاطئ الأمان .

حقيقة استطاعت سفيتها الصغيرة ان تصل ،
ولكن بعد رحلة قاسية كادت خلالها ان تصطدم
بالصخور ، لولا يقظة ربانها الذي تشبث بها ،
ونجح في ابعادها عن الخطر الذي كان يترصص
لها ، وهي ماضية في رحلتها وسط الامواج
العاتية . . فقد كان يحب سفيتها ، وكان يجب
ركابها ويتعلق بهم ، وكان على استعداد دائما لان
يضحي بحياته من اجلهم !

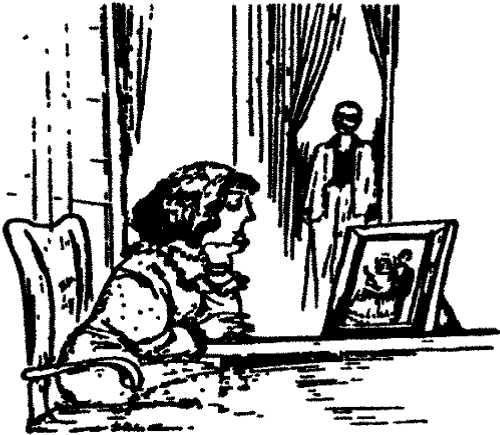
ومضت بها الذكريات . . انها لاتزال تذكر
تلك الايام الحلوة التي امضتها معه خلال فترة
خطوبتهما القصيرة . . كان ابوها رجلا محافظا لم
يكن يسمح لها بالخروج مع خطيبها وحدهما . .
ومع ذلك فقد كانت اللحظات القصيرة التي
يقضيها معها الشاب الذي جاء يطرق باب البيت
طالباً يدها ، وسط والديها واخوتها كافية لأن
تجعلها اسعد فتاة في العالم . كان يجلس قريبا منها
ويحدثها عن آماله واحلامه للمستقبل الذي

« يجب ان ندرك شيئا هاما .. هذا الكلام ليس من عندي وانما هو خلاصة التجارب التي مر بها من سبقونا الى هذه التجربة .. اعظم واكبر تجربة في حياة الرجل والمرأة .. انهم يشهون الزواج بطفل صغير ، لايختلف كثيرا عن طفلنا الذي رزقنا به الله .. تعالى نقف قليلا عند ذلك الجهد الذي نبذله من أجل رعايته وتربيته والمحافظة عليه .. بدون هذا الجهد قد تموت صحته وقد يتعرض للمرض ، وربما الى ما هو اخطر من ذلك ! »

« والزواج يا حبيبي طفل صغير ، في حاجة الى كل هذه الرعاية والعناية والحب والغذاء .. انه في حاجة كل يوم وكل ساعة الى زاد جديد ، يبعث فيه الدفء ويعيد اليه الروح ، حتى لا يتحول الى جسد بلا حياة ! »

وتذكرت الزوجة وهي ماضية في استعادة ذكريات السنين الطويلة التي عاشتها مع الرجل الذي وهب نفسه لاسعادها هي وطفلها .. وتذكرت فجأة عملا هاما ينتظرها ، فقامت تخرج ساقها جرا ، فلم تكن ترغب في ان يقطع حبل الذكريات ، التي وجدت نفسها فجأة تعود اليها ، وتعيش فيها بكل وجدانها ، اي شيء مهما كان هاما وعاجلا ..

وانتهت ماكان يجب ان تنبيه ، ثم عادت مسرعة الى حيث كانت تجلس امام الصورة التي بعثت في رأسها كل هذه الخواطر لتكمل رحلتها مع الماضي



بجانبه ومساندتها له القوة والصبر والجلد ، وخاصة بعد ان انجبت له زوجته طفلها الأول . فقد بدأ يشعر بالمسؤولية تتضاعف ومطالب الحياة تلح عليه وتشغل كل تفكيره .. وشقي وتعب كثيرا ، ولكنه لم يكن وحده ، فقد كانت معه دائما في كل خطوة وفي كل ازمة ، ومع كل مشكلة وقفت عائقا في طريق حياتها الجديدة التي حفلت بالعمل والعرق والجهد الذي لا يهدأ .. فقد كانت تحبه ، وكان بدوره يعيش لها وحدها ، فقد اصبحت هي وطفلها يملآن كل ساعة ، كل لحظة من حياته حتى وهو منكب على عمله .. لم تكن صورتها تغيب عن مخيلته .. كان يراها في كل شيء من حوله ، وكانت سعادة هذه الاسرة الصغيرة ورفاهيتها هما شغله الشاغل في صحوه ونومه !

انها مازال تسمع كلماته ترن في اذنيها ، عندما كانا يجتلفان ، وما اكثر ماكانت خلافاتها في الاشهر الأولى من الزواج ، ولكنها كانت اشبه ماتكون بسحابة عابرة ، لانكاد تظهر في السماء التي تظلل حياتها حتى تختفي بنفس السرعة التي تجمعت بها .. لقد كان يقول لها : « الزواج يا عزيزتي بداية وليس نهاية .. انه لا يعدو ان يكون اكثر من خطوة قصيرة ، لا بد ان تحميء بعدها خطوات وخطوات في الطريق الطويل ، من أجل بناء اسرة سعيدة .. ومع هذه المسيرة لا بد ان يختلف الزوجان .. لا بد ان تتعثر خطواتها .. المهم هو ان يجدا في النهاية ارضا مشتركة يستطيعان الوقوف عليها ، قبل ان يعودا الى مسيرتهما من جديد ! »

كان يفلسف الحياة أحيانا ، وينقل إليها بعض مايعجبه من قراءاته في الكتب .. وكانت تجد فيها يقوله لها في كثير من الاحيان وصفا رائعا للعلاقة التي يجب ان تكون بين الزوجين المتحابين .. كان يقول لها :

الزواج . واذا بدأ الملل يتسلل الى قلبي الزوجين
أو أحدهما ، فمعنى ذلك ان هناك خطأ لابد من
تصحيحه ، وانا اعترف لك بأنني مخطيء . ان
عملي يأخذ كل وقتي ، اعدك بأن اخصص المزيد
من الوقت لك ولطفلك !

قالت : أنا لا اشكو . . ولكن لاتنس ان
تكرار الاعمال التي اقوم بها في وقت معين وفي
ساعة محددة يوما بعد يوم واسبوعا بعد اسبوع . .
هذا التكرار ياعزيزي هو الذي يولد الشعور بالملل
والضجر . . هو الذي يفقد الحياة طعمها ولذتها !
- ولكن الا ينطبق هذا علي أنا ايضا ؟

- لا . . لأنك تخرج كل يوم ، وتلتقي بوجوه
جديدة . وترى صورا جديدة للحياة ، لا أراها
أنا في عالمي الصغير المحدود داخل البيت .

تذكرت هذا الحوار بكل دقائقه وتفصيله ،
وكانه دار بيننا وبين زوجها منذ بضع دقائق
مضت ، لامنذ عشرات السنين . . ودمعت
عينها وأسرعت الى منديلها الصغير تحفف به
دموعها ، قبل أن تتجه الى الباب الخارجي
لتفتحه . . فقد كان هناك من يطرق الباب . . في
البداية كان الطرق خفيفا ، فلم يصل الى اذنيها
وهي مستغرقة في رحلتها مع الذكريات . . ثم
اشتد الطرق وتلاحق ، وعندئذ شعرت ان
زائرا قد جاء فأسرعت تفتح الباب . .

وكانت المفاجأة . . لقد كانت أمها العجوز
تقف امامها وجها لوجه وقد استبد بها القلق . .
جاءت لتشارك في الحفل الصغير بمناسبة عيد
زواجها . .

- أين كنت . لقد انقضت دقائق طويلة وأنا
واقفة وراء الباب اطرقه بشدة حتى بدأ القلق
يساورني . هل انت بخير يا ابنتي ؟
ولم تجب . . فقد اسرعت تلقي برأسها الصغير
فوق صدرها ، ثم انفجرت تبكي ، كما يبكي
الاطفال ! □

البعيد القريب ، وكأنه كان بالامس فقط ،
لا يفصل بينه وبينها سوى تلك الخطوط الناعمة
التي بدأت تظهر على وجهها معلنة غروب شمس
الربيع . . كل شيء كان يبدو لها كما لو كان قد
حدث بالامس القريب . . ووجدت نفسها
تهمس لنفسها : كم هي قصيرة حياة الانسان على
الارض !

ومدت يدها الى الصورة التي رافقتها طوال
رحلتها وراحت تتأملها من جديد ، ثم مالبت أن
اعادتها الى مكانها وعادت معها الى ذكرياتها من
جديد !!

انها مازالت تذكر الشعور الذي كان يسيطر
عليها في كثير من الاحيان بالملل من الحياة التي
تميشها . . لا لأنها تكرهها . . بالعكس فقد
كانت راضية بما قسم الله لها ، ولكنها كانت في
بعض الاحيان تشعر ان عمل زوجها المرهق قد
اخذه بعيدا عنها ، وأنها في حاجة الى ذراعه لتسند
اليها رأسها المتعب ! كانت تتوق أحيانا الى
مرافقته في رحلة بعيدا عن البيت ، تملأ فيها رثيها
برائحة البحر ، وتستعيد من خلالها النشاط
والحيوية والحنين الى البيت الذي ابتعدت عنه ولو
لفترة قصيرة !

وكانت تسرّ اليه بمشاعرها . قالت له يوما :
خذني في رحلة قصيرة مع طفلك . . ابني في حاجة
الى التغيير . . أريد ان ارى الريف . . اريد ان
اجلس تحت شجرة امضي في ظلالها النهار !
وفعل ، وكان يوما من أجمل ايام حياة هذه
الاسرة الصغيرة . . وفي طريق عودتهما الى البيت
قال يمس في اذنيها : « يجب ان تعلمي دائما انني
احبك ! »

قالت : ولكن الحب وحده لا يكفي انني اعيش
بين جدران اربعة ، وسلواي الوحيدة في وحدتي
هو طفلك الصغير . . انني في حاجة اليك . . انني
أشعر أحيانا انني احدث نفسي !
- الشعور بالملل يا حبيبتي هو الداء أعداء

الأسرة كلية

لوقاية ابنك من أمراض الصيف

● ماذا تفعلين لوقاية ابنك
من أمراض الاسهال والجفاف ؟

ومن هنا فانه لا بد للام من التعرف على الاسلوب الصحيح في تحضير الطعام لطفلها ، وفي اختيار النوع المناسب من الحليب الذي يتلاءم وعمره ، وضرورة الابتعاد عن الحليب الدسم الطازج . خاصة في الثلاثة أشهر الاولى .

والاهم من كل ذلك تشجيع الرضاعة الطبيعية ، وبيان مدى فائدتها وأهميتها في السنة الاولى من حياة الطفل . ولكن الرضاعة الطبيعية أيضا وان كانت تغني عن تعقيم المياه وزجاجة الحليب الا أنها تحتاج للنظافة أيضا ، وضرورة العناية بالشدين قبل وبعد الولادة ، فحليب الام يغني عن أي نوع من الغذاء لانه يعطي مناعة للأطفال ، ويكون حائلا بين الطفل والعدوى .

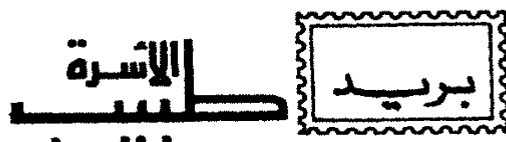
أعراض الجفاف :

قد تلاحظين أن عدد مرات التبرز تزداد لدى طفلك وتكون في معظم الأحيان لينة ، يصاحبها قيء ، وغثول في حيوية الطفل ، وقد يبدو الطفل

مع بداية الصيف حيث درجة الحرارة العالية ، يبدأ تعرض الأطفال لأمراض الصيف . وعلى كثرة أمراض الصيف الا أن أخطرها هو الاسهال والجفاف ، فهناك من ٥ - ٨ ملايين طفل يموتون سنويا بسبب هذا المرض ، وعدد كبير من الأطفال الذين يحالفهم الحظ وينجون من الموت يصابون بأمراض في خلايا المخ مما يؤثر على النمو أو يصيبهم بخلل عقلي . وعلاج المرض لا يتم الا في مستشفى وتحت عناية ورعاية الأطباء ومن هنا فان دور الام يقتصر على سبل الوقاية وملاحظة الطفل للذهاب به الى المستشفى في أسرع وقت .

الدكتورة ليلى الفزيع طبيبة الأطفال تقدم لك عزيزتي الام بعض المعلومات عن هذا المرض . . تقول د . ليلى :

يكثر هذا المرض في الصيف حيث تتكاثر الحشرات ، وحيث تسبب الحرارة الشديدة في اتلاف الاطعمة ، وخاصة الحليب الذي يعتبر الغذاء لمعظم الأطفال ، وهذا كله لا ينفي اخطاء التغذية وانعدام النظافة خاصة في الشهور الاولى من عمر الطفل ،



التي تفرز في الاحوال الطبيعية للانسان بكميات قليلة لها تأثير يشبه تأثير العصب السمبثاوى Sympathetic، الذى يدعى في العربية بالعصب الفردى ، أو العاطفى ، لانه يستثار عند زيادة العاطفة كالخوف والغضب .

لهذا فان هرمون الأدرنالكين يزداد افرازه لمواجهة المواقف العاطفية ، وأهمها الخوف والغضب ، ومن هنا حمل هذا الهرمون اسم هرمون الغضب مجازاً ، لان تأثيره على الجسم يتسم بالاعراض التي نلاحظها عندما يستثار الانسان والحيوان ، أو عندما يغضب . وتأثير هذا الهرمون الذى يفرزه الجسم عند الاستثارة هو لاعداد الجسم وتهيبه اعضائه لمواجهة متطلبات الموقف الدفاعي أو الهجومي .

ان الادرنالين يعتبر قابضاً للاوعية الدموية ، وخاصة في الجلد والانسجة المخاطية ، وأوعية الكلية والاحشاء ، باستثناء شرايين القلب التاجية ، وأوعية المخ والرتين التي تتسع مع فرط الادرنالين ، كما تزيد ضربات القلب ويرتفع ضغط الدم ، وتنتور العضلات وتطعم الامعاء والمثانة .

لهذا يستفاد من الأدرنالين وزميله النورادرنالين في عدة مواقف استطبابية ، منها إيقاف النزيف في مواضع عدة ، كتزيف الرعاف من الأنف ، أو نزيف الاسنان بعد قلعها .

قرأت فيما أقرأ عن هرمون يدعونه بهرمون الغضب . والحقيقة أنني بالرغم من شغفي بالقراءات الطبية لم أسمع بمثل هذا الهرمون ، ولا الى أية غدة ينتمي ، ولا الى مفعوله في الجسم ، فهل لي ببعض المعلومات المفصلة ؟
ولكم شكري وتقديرى .

مس . ی .
حمص - سوريا

تقع فوق الكلية غدة صماء تفرز عدة هرمونات ، وهذه الغدة التي يدعونها الغدة فوق الكلوية ، أو غدة الكظر ، تتكون من شقين :

الشبك الأول هو الخارجي ويسمى بالقشرة -Cor-
tex أو اللحاء ، والشك الثاني هو الداخلي ويسمى
باللب او النخاع . Medulla

ان نخاع الكظر يفرز هرمونات أهمها هرمون
Adrenaline أو الابينفرين **Epinephrine**، كما يفرز هرمونا آخر يدعى نور
 أدرنالين **Noradrenaline**، وهذه الهرمونات

بريد الأسرة كلية



انثى ، ويطلق عليها اسم كروموزوم واى (Y)
بالانجليزية وكروموزوم اكس (X)
ولما كانت البويضة التى تنطلق من مبيض الام
هى نصف خلية ، فانها تحمل ٢٣ كروموزوما ،
منها واحد للجنس هو دائما من نوع (X) لان
خلايا الانثى دائما تحمل كروموزومين من نوع
(X) . بينما الحيوانات المنوية القادمة من الذكر
هى أيضا نصف خلية وتعد ما بين ١٥٠ - ٢٠٠
مليون تحمل ٢٣ كروموزوما ، منها واحد للجنس
ولكن نصف الحيوانات المنوية تحمل كروموزوم
(واى) Y ، والنصف الآخر يحمل كروموزوم
(اكس) (X) .

ومن التقاء البويضة حاملة كروموزوم اكس
(X) مع حيوان منوى يتحدد نوع الجنين .
فاذا كان الحيوان حاملا لكروموزوم (X)
كان نصيب الجنين أن يكون انثى ، أما لو صادفت
البويضة تلقيا بحيوان ذى كروموزوم Y فالجنين
يكون ذكرا .
وقد اكتشف العلماء مؤخرا أن الكروموزومات
هى التى تحمل صفات الوراثة ، عبر أحماض
نوية تسمى بالجينات أو الموروثات .
وقد لوحظ أن كروموزوم واى (Y) لا يحمل
على متنه أية مورثات على نقيض ما هو كروموزوم
اكس (X)

ومن هنا نجد أن الام تنقل لمولودها الذكر
أمراضا خفية عندها مثل مرض الهيموفيليا (أو
الزفاف) ومرض (عمى الألوان) فهذه لا تظهر
الا على الذكور فقط يرثونها من أمهاتهم فقط
بالرغم من أن الام تبدو ظاهريا سليمة معافاة .
وهذه ما يطلق عليها عادة أمراض مرتبطة
بالجنس .

كما يستفاد منه في تقليل النزيف والالم اذا مرج
بمخدر موضعى في العمليات الجراحية البسيطة مثل
الجلد او الأسنان وما اليه .
وقد وجدت له . . فوائد عامة أخرى أهمها معالجة
مواقف الحساسية الشديدة كالربو الشعبي أو
الارتيكاريا الجلدية ، وأحيانا يستعمل في حال توقف
القلب كلية عن العمل .
ان النورادرناين يشبه زميله الادرنالين ولكنه أقوى
منه في قبض الاوعية الدموية وأضعف منه في الحقول
الأخرى .

امراض الجنس

Sexlinked diseases

قرأت فيما أحب ان أقرأ من كتابات
طبية عن أمراض مرتبطة بالجنس ، فهل
هذه تعنى أمراضا جنسية تنتقل عن طريق
الاتصال الجنسي غير المشروع ؟
ق . ن / طرابلس الغرب - ليبيا

الأمراض المرتبطة بالجنس هى تلك التى ترتبط
بجنس دون آخر ، ذكرا كان أو انثى ، وعادة ما
تعبّر عن أمراض متوارثة عبر كروموزومات الجنس
أو صبغيات الجنس .
فمن المعروف أن عدد كروموزومات الخلية
البشرية (أو الصبغيات) هو ٤٦ كروموزوما ،
اثنان منها للجنس يحددان الجنين هل هو ذكر أم

مساحة وُدّ

الحوار الذي تأخر

لم أشهد بداية القصة ، ولكنني شاهدت نهايتها ، رأيت الفصل الأخير وهو ينسج يوما بعد يوم ، وطوال عشرة أشهر كانت الأحداث فيها تتصاعد ، كان كل يوم يمر يقربني أكثر من تفاصيل القصة وأحداثها .

وبرغم معاشتي للتفاصيل الدقيقة ، الا أنني لم أستطع أن أكون حكما ، ولم أستطع أن أحدد من منها الظالم . . . فكلاهما مظلوم . . . فقد تزوجا منذ ثلاثة عشر عاما ، الزوجة تكبر الزوج بأحدى وعشرين سنة ، كان في العشرين يوم أن تزوجها في بدء حياته العملية ، وهي سيدة لديها بعض الأعمال التي تدر عليها دخلا طيبا ، لم جمع منها ماديا بصورة مباشرة ، بقدر ما كانت زيجة فيها عامل من عوامل الاستقرار . فهي تملك بيتا ، لا تطالبه بالكثير من نفقات البيت ، هي في توهج ما قبل المغيب ، وهو في توهج ما قبل الشروق !! ومضت الحياة ، كان كل يوم يمر يضيف اليه وينقص منها . . . يزداد هو خبرة وثقافة ونضجا . . . ويذبل صباها وجالها ، وهي تقرأ بصعوبة ، وتقرأ فقط ما يمكنها من ادارة أعمالها . . . كانت الأيام تحملها قسرا الى سنوات الرجولة والحياة والحركة ، كما تحملها قسرا الى سنوات الهدوء والاستكانة والوداعة ، وجاءت الأزمة . . . بعد سنوات طوال لم تعد هي كما كانت ، ولم يعد هو قادرا على أن يعطيها شيئا . . . ولم يتفجر الموقف بينهما فجأة . . . بل على مدى سنوات . . . كان كل عام يمر يبعده عنها . . . حتى وصلت العلاقة الى مرحلة الجفاف الكامل ، ولم يعد أي منها قادرا على التحمل والعطاء على الإطلاق . . . وأصبحت الحياة جحيجا . . . وفي باطن المأساة تكمن الكوميديا . . . عندما يبحث هو عن شيء يستدعي بقاءه خارج البيت . . . تبحث هي عن كل ما يبقها ساهرة في انتظاره لتحاكمه ، وكان حتما أن تحدث المواجهة . . . هي بمنطق الأنثى الذي لا يعترف الا بحقها ، ولا يرى أنها تسير نحو الستين ، وهو برجولة الثلاثينيات . وكانت المواجهة حادة ودامية . . . حاول هو كثيرا ألا يجرحها وأن يبقى على خيوط الوفاء والعرفان بأيام طيبة مضت ، وظلت هي تحاصره بخناجر كلماتها لكي يواجهها . . . وسقطت الأقنعة . . . وتمزق ستار الحياء والعرفان . . . وانطلقت كلمات تأخر النطق بها ثلاثة عشر عاما . . . فجرحت وأدمت ولم تبق على شيء . . . فقد تمثل الانسان في أبشع صورة . . . حيوان يقتل دفاعا عن رغبات وغرائز لم تهذبها الألفة ولم يعد يسمو بها الوفاء .

محمود عبد الوهاب

العربي العربي العربي من ربع قرن

اتجاهات في

تراثنا الثقافي

العدد الثامن عشر مايو - ١٩٦٠



البحث في اتجاهات الفكر ، يحتاج الى معرفة التراث الثقافي قديمه وحديثه ، وإلى استقراء ظواهر الحياة السياسية والفكرية والاجتماعية والفنية والأدبية في الماضي والحاضر .
فماهي هذه الاتجاهات ؟

١ - اتجاه الفكر العربي الى النظر العقلي ، وإيمانه بقدرة الانسان على الكشف عن الحقيقة . فالدعوة الاسلامية قامت على تنبيه العقل وتوجيهه الى النظر في الوجود واستعمال القياس الصحيح ، والرجوع الى ماحواه الكون من النظام والترتيب ، واشتباك العلل والمعلولات ، ليصل بذلك الى القول ان للكون صانعا عالما حكيما قادرا ، بل ان خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار وتحريك الرياح وارساءها ، واثارة السحاب لانزال الماء واحياء الأرض ، وانبات النبات وانعاش الحي ، كل ذلك آيات بينات تدعو العقل الى النظر في الوجود .

وقد نشأ عن نزوع الفكر العربي الى النظر العقلي فرق فلسفية كثيرة دعت الى الاعتماد على سلطة العقل ، وإلى القول بحرية الارادة ، كالمعتزلة الذين ذهبوا الى ان العقل نور في القلب ، يعرف الحق من الباطل والخير من الشر والحسن من القبيح . وكالفلاسفة الذين قالوا ان سعادة الدنيا والآخرة لاتنال الا بالعقل .

كما أن كتب العرب في الطبيعة والكيمياء والطب لا تقتصر على الاحكام الغيبية المجردة ، بل تشمل على كثير من الملاحظات والتجارب . فالأطباء يذكرون تجاربهم ، وعلماء الطبيعة والكيمياء يقيمون التجارب لاثبات صحة احكامهم . لقد آمنوا جميعا بقيمة التجريب ، واستخدموا العلم في خدمة الانسان ، حتى لقد ورثت أوروبا عنهم ما نسميه اليوم بالروح الباكونية نسبة الى الفيلسوف الانجليزي باكون ، تلك الروح التي تتخذ العلم وسيلة للسيطرة على الطبيعة . وقد أثبت التحقيق التاريخي ان العرب هم واضعو قاعدة (جرب واحكم) فطهم تجريبي ، وفلكهم تحقيقي ، وهندستهم تطبيقية ، وكيميائهم عملية .

نعم انهم لم يصلوا في العلوم التجريبية الى الدرجة

التي وصلت اليها أوروبية الحديثة ، ولكن مشاهداتهم الصحيحة وملاحظاتهم الدقيقة هيأت اسباب تكوّن العلم الحديث .

٢ - ميل الفكر العربي الى الاستيعاب والاحاطة ، ونعني بهذه الاحاطة عناية العرب بجميع العلوم على السواء ، خلافا للرومانيين الذين لم يكن لهم في العلوم الفلسفية والحكومية أثر عميق ، فبرزوا في الاخلاق والحقوق والادارة والسياسة ، ولم يبرزوا في الفلسفة والرياضيات والفلك والكيمياء .

لقد أدت هذه الرغبة في الاحاطة الى اقبال العرب على نقل جميع العلوم الى لغتهم والى استيعابها في مدة قصيرة . فكان لهم في هذه العلوم فضل الحفظ والابقاء أولا ، ثم فضل الاختراع والابتكار ثانيا . ويندر ان يحد الناظر في تاريخ الأمم الماضية حركة فكرية بلغت من السعة والشمول ما بلغت حركة الترجمة عند العرب .

وهم لم يعملوا على نقل العلوم اليونانية والفارسية والهندية الى اللغة العربية فحسب ، بل عملوا بصورة غير مباشرة على حفظها ونقلها الى العالم أجمع . وقد اعانهم على هذه الترجمة اتساع لغتهم ، وقدرتها على الشمول والاستيعاب ، فاشتقوا من المواد الأصلية مصطلحات عربية أصيلة لا تشم من خلالها رائحة الترجمة ، حتى لقد أصبحت هذه المصطلحات وما يناسبها من المعاني مرتبطة بعضها ببعض ارتباط الاشارة بالشيء المشار اليه ، أو ارتباط الصورة الحسية بالشيء المحسوس ارتباطا محكما . وأصبحت اللغة العربية بذلك لغة ثقافية شاملة ، تتسع لجميع العلوم ، لانتجارتها في هذا الشمول والاحاطة لغة من لغات العالم .

على انه ينبغي لنا ان نطعم ميلنا الى الاستيعاب والاحاطة بالميل الى التخصص ، لان العلم الحديث أوسع من ان يحيط به عقل واحد . ومن شروط التعمق في العلم التخصص في موضوع واحد او في جزء من موضوع واحد ، فاذا تم لنا ذلك استطعنا ان نغني لغتنا ، وان نجعلها قادرة على استيعاب ثمرات العلوم كلها ..

٣ - الميل الى التوحيد ، فالعرب يعتقدون ان الله

واحد لا أول لوجوده ولا آخر لأبديته . وفلاسفتهم يؤمنون بوحدة المعرفة والحقيقة ، ووحدة الدين والفلسفة . والمعرفة والحقيقة متفقتان لان العقل واحد . والحكمة والشرعية متفقتان لان الحقيقة واحدة .

وهذا الميل الى التوحيد يتجلى أيضا في كلام فلاسفتنا على الصفات الالهية . نظروا في الصفات فرأوا ان يردوها أولا الى صفة واحدة كالعلم والقدرة ، ثم حاولوا ان يجعلوها عين الذات . ثم رأوا ان يسلبوها عن الذات . فتعدد الصفات عندهم لا يؤدي الى كثرة في ذات الله . لانه كما يقول ابن سينا واحد لا يصدر عنه الا واحد ، فعلمه لا يخالف قدرته ، وقدرته لا تبين علمه ، بل هو واحد من كل وجه .

ان هذا الميل الى التوحيد هو المحرك الأساسي للفكر العربي في ماضيه وحاضره ، فهو يؤمن بوحدة العقل ووحدة النفس ، ويعتقد ان الطبيعة الانسانية واحدة في جميع الناس . وهو يؤمن بالوحدة ايمانه بالمساواة ، ويؤمن بالمساواة ايمانه بالحرية .

٤ - الميل الى الحرية والتسامح ، فقد كان الفقيه والمتكلم والمتحدث والنحوي والمتأدب والفيلسوف والفلكي والمهندس يجلسون للتدريس في المسجد ، أو في المدرسة التابعة للمسجد ، فيتتقل الطالب من بين يدي الفقيه ليجلس بين يدي الفيلسوف ، ومن مجلس الحديث الى الأدب ، واذا دار الحديث بين العلماء عن مسألة من المسائل أخذت الحرية مأخذها في المناظرة والاقناع والالزام ، وأخذ التسامح بينهم مأخذ . ولم تكن هذه الحرية خاصة بطائفة من الطوائف ، بل كان الناس في التمكن منها سواء ، وانما كان التفاضل بين الناس بالعلم والعمل والانتاج .

هذه بعض اتجاهات الفكر العربي ذكرتها هنا في أهم عناصرها وأدق مقوماتها ، ولا حاجة بي الى القول ان هنالك منازع أخرى كثيرة لا يتسع المجال لذكرها هنا ، كالميل الى الحياة العملية ، والميل الى الجمع بين مصالح الدنيا والآخرة الخ .. □

د . جميل صليبا

مسابقة العرب

جوائز المسابقة
الجماعية الأولى ٥٠ ديناراً
الثانية ٣٠ ديناراً و الثالثة ٢٠ ديناراً
٨-جوائز تشجيعية قيمة كل منها ١٠ دنائير

الأسئلة

■ معتقدات السيخ لا تختلف عن المعتقدات الهندوسية .. فهي أقرب الى الوثنية ولا تمت الى الوجدانية بصلة .

٥ - اللغة الآرامية ، لغة السيد المسيح في سبيلها الى الانقراض .. وقد اختفت في أكثر البلدان التي انتشرت فيها في الماضي البعيد باستثناء بلدة واحدة تقع في سوريا .. فأين بلدة هذه ... ؟

٦ - ما الفرق بين الخطبة والخطبة ... ؟

٧ - في العالم سلسلتان من الجبال تعرفان باسم جبال الألب .. احدهما سلسلة جبال الألب الأوروبية .. وهي الأشهر ولا ريب .. فأين تقع سلسلة جبال الألب الأخرى ... ؟

■ نيوزيلنده

■ الولايات المتحدة الأمريكية

■ الاتحاد السوفيات

٨ - ثمة مدينة تعرف باسم أكرون Akron وتعتبر عاصمة المطاط في العالم .. أين تقع هذه المدينة ... ؟

■ في ماليزيا .. الدولة الأولى في زراعة المطاط في العالم

■ في البرازيل ... موطن المطاط الأصلي

■ في الولايات المتحدة الأمريكية

٩ - معدن البوكسيت Boxite معدن معروف ويستخرج من خامة الألومنيوم .. لم سموه بهذا

١ - السنة الضوئية وحدة مسافة اصطلاح عليها علماء الفلك وتبلغ (٦) مليون مليون ميل .. فلو افترضنا أن علماء الفيزياء اصطلاحوا على وحدة مسافة أخرى وسموها السنة الصوتية .. فكم ميلا تبلغ هذه السنة الصوتية ؟

٢ - يؤكد الفلكيون ان حجم الشمس يبلغ (٤٠٠) ضعف حجم القمر ... ترى لم يدوان متساويين حجما ... ؟

■ نظرا لأن بعد الشمس عنا يبلغ ٤٠٠ ضعف بعد القمر ..

■ نظرا لضوء الشمس الباهر الذي يبهز البصر ولا يسمح للعين بالتحديق فيها وتقدير حجمها ..

■ نظرا لأن سرعة دوران الشمس حول نفسها تبلغ ٤٠٠ ضعف سرعة دوران القمر حول نفسه .

٣ - أي المدن الأوروبية التالية أكثر شبهاً بالبندية .. المدينة ذات الشوارع المائية ؟

■ امستردام

■ فينا

■ جنيف

٤ - السيخ فرقة هندية معروفة تسمى الى نيل الاستقلال الذاتي في ولاية البنجاب التي تشكل أكثرية بين سكانها .. ترى ما هو محور معتقداتها الدينية ... ؟

■ الوجدانية

اكتب الحلول في هذا "الكوبون"
أعلى ورقة منفصلة ترفقها معه

الإجابة على الأسئلة :

- ١ -
- ٢ -
- ٣ -
- ٤ -
- ٥ -
- ٦ -
- ٧ -
- ٨ -
- ٩ -
- ١٠ -
- ١١ -
- ١٢ -

الاسم :

العنوان :

الثقافية

الشروط :

الاجابة عن عشرة أسئلة من الاسئلة المنشورة
ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي
صندوق بريد ٧٤٨ - الكويت « مسابقة العربي
الثقافية » العدد ٣١٨ ، وآخر موعد لوصول
الاجابات الينا هو أول يوليو ١٩٨٥ .

الاسم ... ؟

■ لأنهم صنعوا منه الصناديق الحديدية في بادىء الامر

■ لأنهم أدخلوه في صنع قفازات الملاكمة (بوكس)

■ سمي بهذا الاسم نسبة الى مدينة (لي بوكس) Le Baux الفرنسية التي اكتشفوا المعدن فيها ...

١٢ - من هو العالم الايطالي الشهير الذي حوكم وأدين وفرضت عليه الإقامة الجبرية في منزله طوال سنوات .. الى أن مات .. قبل نحو ٣٠٠ سنة، وما الذنب الذي ارتكبه حتى لقي هذه المعاملة القاسية في خريف حياته ... ؟

١١ - أي الوحدات التالية خاصة بقياس الضغط الجوي وأياها خاص بقياس الضوضاء وأياها خاص بقياس قوة العواصف ... ؟

■ الرختر ■ الدسيبل ■ المليبار

١٢ - هل يوجد ليل ونهار على سطح القمر .. وكم يبلغ طول كل منهما اذا وجدا ... ؟

■ يبلغ كل منهما نحو ١٤ يوما من أيام الأرض
■ ليل القمر أطول من نهاره .. فالأول يبلغ نحو (٢٠) يوما من أيام الأرض والثاني لا يزيد على (٨) أيام فحسب .

■ نهار القمر أطول من ليله .. ونهاره هو الذي يبلغ نحو ٢٠ يوما من أيام الأرض .. بحيث لا يزيد ليله على (٨) أيام .

J_____

١ - عباس بن فرناس حاول الطيران عدة مرات ولكنه فشل وأصيب بكسور في عظامه دون أن يموت . أما فشله فمرده الى أن جسم الانسان لم يخلق ليطير ... فعضلات صدره ضعيفة وخفيفة الوزن .. فهي أعجز من أن ترتفع بجسمه في الجو .. بخلاف عضلات صدر الحمام التي يبلغ وزنها نصف وزن جسم الحمام تقريبا .. وتجدر الاشارة الى أن عباس بن فرناس من علماء الأندلس وأصحاب الصناعة والفن فيها وقد توفي عام ٨٨٨ م

٢ - رسائل اخوان الصفا تناولت الرياضيات والمنطق وعلم النفس وما بعد الطبيعة والتصوف والتجسيم وما الى ذلك .. ولم تُعن بالشعر والأدب ولا التاريخ والسير .. وما يذكر أن جمعية اخوان الصفا جمعية سياسية دينية فلسفية ظهرت في القرن العاشر واتخذت من البصرة مقرا لها .

٣- الأميبا حيوان .. انها من أبسط أشكال
الحيوان .. وهي تعيش في الماء العذب أو المالح أو في
التربة وبعضها يعيش في أمعاء الانسان نفسه ..
والأميبا تتحرك كسائر الحيوان .

٤ - تبلغ المسافة التي قطعها القطار (٢٠٠) كيلومتر .. مادام قد قطعها في رحلة الذهاب بأربع ساعات ، وبسرعة ٥٠ كيلومترا في الساعة .. ومعنى هذا أن رحلة الاياب التي بلغت سرعته فيها ٢٥ كيلومترا في الساعة قد استغرقت ٨ ساعات .. فسرعة القطار بالمتوسط في الرحلتين تبلغ اذن : $400 : 400 = 12 + 33$ كيلومترا وثلاث الكيلومتر في الساعة .. وغني عن البيان أن ٤٠٠ كيلومتر هي مجموع المسافة التي قطعها القطار في كلتا الرحلتين ، و ١٢ ساعة هي مجموع الساعات التي استغرقتها الرحلتان .. ومتوسط السرعة المطلوب انما هو حسيطة تقسيم المسافة على الزمن .. أي $400 + 12 = 33$ كم وثلاث الكيلومتر .

٥ - حمام الزاجل هو الأسرع .. اذ تبلغ سرعته ١٠٠ كيلومتر أو تزيد في بعض الأحيان ، ولا تزيد

[illegible]

١٠ - تبدو لك بعض الأقمار الصناعية ثابتة تبعا لارتفاعها وللسرعة التي تنطلق بها في مدارها . . .
وتبلغ هذه السرعة (٢٨٠٨٣) كم / س على ارتفاع ١٦٠ كم و (٢٧٤٥٥) كم / س على ارتفاع ٤٨٠ كم و (٢٥٨٩٠) كم / س على ارتفاع ١٦٠ كم . . .
ولا تزيد تلك السرعة على (٣٨٠٠) كم / س إذا بلغ ارتفاع القمر الصناعي (٣٨٦٠٠) كم أي ما يعادل المسافة بين القمر والكرة الأرضية .
١١ - العبارة صواب . . . فالاسم جيو هو الاسم الذي أطلقوه على احد فيلة حديقة حيوان لندن .
١٢ - القلة ضد الكثرة ، والقلة هي الجرة ، والقلة هي النهضة من علة أو فقر .

سرعة أسرع الجياد على ٧٠ كيلومترا في الساعة .
٦ - ربح الرجل في كل من الصفتين الأولى والثانية ١٠ دنانير . . ومعنى هذا أن مجمل ربحه فيهما ٢٠ ديناراً .
٧ - رفع الأمريكيون ابان حرب الاستقلال نفس العلم الذي فرضته عليهم بريطانيا قبل الحرب وقوامه العلم البريطاني نفسه . .
٨ - لفظ الموهير مشتق من أصل عربي هو (المخير) . وهو من شعر الماعز الممتاز .
٩ - القناة المقصودة هي قناة الثرار . . التي تقع في العراق ، على طريق بغداد - الفلوجة باتجاه انوغرب والتي تصل بين نهري دجلة والفرات . . .

الفائزون في مسابقة العدد ٣١٥ فبراير ١٩٨٥

الجائزة الاولى : فادي فاعل Fadi Fael Poste Restante 2 41000 zezreb yugoslavia.
الجائزة الثانية : فادي عادل جمال الدين - شوران - ص . ب (١١٣ - ١٣٥) بيروت - لبنان
الجائزة الثالثة : صالح يوسف عقيل - اربد - صمد - الاردن .

الفائزون بالجوائز التشجيعية

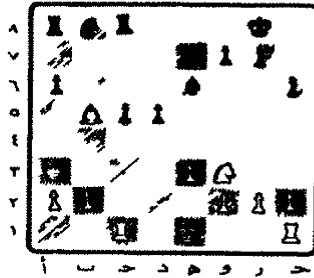
- ١ - محمد نجيب مبروك علي / مدرسة سيهات الثانوية - سيهات ٣١٩٧٢ - المنطقة الشرقية - المملكة العربية السعودية .
- ٢ - حكيم ادريس / الزنقة ٤ الرقم ٧٠ - حي السلام - فاس - المملكة المغربية .
- ٣ - مرزة كريم / الجزائر - غليزان - ص . ب (١٧٥)
- ٤ - الياس اسكندر / المدرسة الابتدائية - منجم المثلوب - ٢١٣٠ المثلوب - الجمهورية التونسية .
- ٥ - عبد العزيز سليم عدي / أبو ظبي - ص . ب (٢٨٧١) - دولة الامارات العربية المتحدة .
- ٦ - علي أحمد الحسن المريان / سلطنة عمان - الشرقية - فلج المشايخ - مدرسة فلج المشايخ الاعدادية .
- ٧ - محمد أحمد الكاساني / الجماهيرية الليبية - طرابلس - جامعة الفاتح - ص . ب (١٣٦١٣) .
- ٨ - بيها هود المختار السالم / كلية العلوم - جامعة الكويت - دولة الكويت .



معركة بلاسلام

حرية الحركة

٦-ج	٣-هـ-٦
٦-ب	٤-ف-٧
٥-ح-٥	٨-ج-٥
٧-و-٧	٩-ف-٧
٥-هـ-٥	١٠-ح-٥
٦-ف-٦	١١-ر-١
٥-ج-٥	١٢-و-٤
٨-ر-٨	١٣-و-٣
٦-أ-٦	١٤-ف-٣
٥-ب-٥	١٥-د-٥



حرية الحركة (أبيض) ٤٤ (أسود) ٣٥
مجموع النقاط = ١ و ٠ = (٣٥ - ٤٤) = ٩.

لا يزال الأبيض متقدماً

٧-أ-٧	١٦-ت
٧-ح-٧	١٧-ف-٢
٨-و-٨	١٨-ح-٤

حرية الحركة من الأمور الجديرة باهتمام اللاعب الجيد ولا تقل أهميتها أحياناً في تقرير مصير الدور عن فرق المادة ، ومن اللاعبين من يضحي بقطعة أو أكثر ليتيح لقطعه المزيد من الانتشار وحرية الحركة . ويمكن تعريف حرية الحركة بمجموع الثقلات شبه القانونية المتاحة لكل لاعب ، وباحتساب هذا المجموع نحصل على مقياس جيد لحرية الحركة التي يتمتع بها اللاعب . ولو افترضنا أن وحدة حرية الحركة تساوي عُشر البيدق وهي القيمة التي يتبناها مبرمجو الشطرنج الآلي لخرجنا بالمعادلة التالية لتقويم الأوضاع الشطرنجية المختلفة :

مجموع النقاط = المادة + (ار . خ الحركة)

ولتوضيح هذا الأسلوب في تقويم المواقف نورد الدور التالي بين البطلين سباسكي وفيشر والذي يعتبر أشهر أدوار عام ١٩٧٢ على الإطلاق :

فيشر (أبيض)	سباسكي (أسود)
١-ج-٤	٦-هـ
٢-ح-٣	٥-د
٣-د-٤	٦-ح-٦
٤-ح-٣	٧-ف-٧
٥-ف-٣	٨-ت

حرية الحركة (أبيض) ٣٩ (أسود) ٢٩

مجموع النقاط = ١ و ٠ = (٢٩ - ٣٩) = ١

بالرغم من تساوي المادة فإن الأبيض يعتبر متقدماً بما يساوي بيدقاً واحداً .

• لأنها تشمل جميع الثقلات المتاحة حتى الثقلات التي يقع الملك فيها تحت الكش



الأسود يلعب ويميت الشاة في نقلتين

27

الفائزون باشتراك سنة كاملة :

- ١ - ياسين الكنج - الرميثة / الكويت
٢ - أنور محرز - أبوظبي / الامارات
٣ - محمد سطوي - النزقايق /
ج ٢٠ ع
٤ - شاكِر يوسف - السنابس /
البحرين
٥ - سالم سليمان - أبها / السعودية

التقويم : المادة متساوية

حرية الحركة (أبيض) ٣٥ (أسود) ٣٤

مجموع النقط : ١ و . $\times (35 - 34) = 1$ و

يکاد الأبيض يتساوى مع الأسود

المادة لا تزال متساوية ولكن الأبيض يتفوق
في حرية الحركة بمقدار ١٦ نقطة

التقويم : لم تعد المادة متساوية الآن لأن الأبيض قد ضحى برخه مقابل حصان ويبدق ولكنه مع ذلك يعتبر متفوقاً من حيث حرية الحركة فمجموع النقاط الآن يساوي : $41 - 25 = 16$ وليس هذا التفوق نظرياً فحسب فقد أثبتت التجربة صحته فما ان لعب الأبيض :

٤١ . و - و ٤ حق أعلن الأسود استسلامه .

على هذه الصفحات .. ترحب "العربي"



الشباب زهرة الأمم

• شباب هم البذرة في الأرض .. والبذرة تحتاج ، مناخ ملائم ومناسب حتى تنمو وتزدهر لتعدي نمارها .

وحيث يستطيع هؤلاء الشباب الوقوف على أقدامهم فانهم يحتاجون الى عناصر مادية واجتماعية ووجدانية وسياسية ، وكل هذه العناصر تتفاعل وتتكامل بنظام دقيق ومحسوب باحكام . وليس من شك في أن كل جانب من هذه الجوانب تعترضه آلاف العقدة ، الدول النامية بشكل عام ، الأمر الذي يترتب عليه أن نجد شبابا لديهم شعور قاتل « بالدونية » وعدم الكفاءة . ولما كانت أغلب المشروعات تحمل معاني ودلالات على طبيعة شخصيات الشباب ، التي نحن في حاجة كبيرة الى اعادة بناء الانسان من جديد ، وهذا البناء يتم من خلال الايمان والالتزام بكتاب الله تعالى .

ان روح ديننا تسمح تقوم على الايمان بالله والعقيدة الراسخة ، والايمان والعقيدة يحصلان للانسان مجموعة من القيم والمبادئ التي لا تقوم الحياة بدونها .

حلمي محمد متولي / الدقهلية - مصر العربية

﴿ ٢٥ ﴾

لا ينكر أحد دور الشباب في بناء الأمم ، فهم العطاء المتدفق الذي يستطيع بناء الحضارات لواطنهم .. ومتى ما توافر مناخ الحرية والحماس لجيل الشباب ، فانه يبدع في العطاء دون حدود ، ويبني دون يأس ..

حوار القراء

كلمة

رسائل القراء كثيرة .. والاختلاف فيها كثير ومتعدد ، كما أن المطالب والاقتراحات فيها كثيرة أيضا . ونحن أمام هذه المطالب والاقتراحات نبدو في حيرة من الأمر .. فالبعض يريد منا زيادة صفحات « حوار القراء » حتى تأخذ معظم الرسائل طريقها فوق صفحات العدد .. وصوت آخر ينادينا من أقاصي المغرب العربي يطلب منا تخصيص ركن للتعارف مع أبناء العروبة ، وقائل آخر يقول : لماذا لا تعودون الى صورة الصفحة الثانية .. ومطالب عديدة كل يريد تحقيقها له .. والحرص على تحقيق رغبات القراء ومطالبهم غاية رسالتنا في « العربي » ولكن هناك اعتبارات ، وهناك هراقل تقف أمام تحقيق ما يريد كل قارئ .. فالعلم للقراء .. وغير الناس أحدهم للناس ..

المحرر

بنشر ملاحظات وتعليقات قرائها الأعزاء على ما ينشر فيها من آراء وتحقيقات

اعداد : يوسف الشهاب

ودهشتنا أكثر حينما رأينا أن هذه الهدية تباع في محلات
الزجاج « البرايز » وبأسعار تفوق أسعار المجلة
ذاتها - وهذا بعيد عن أهداف المجلة كما نعلم ،
ونرجو أن لا تتكرر هذه التصرفات مرة أخرى ، لاننا
نعلم جيدا أن العربي حريصة على تقديم الثقافة
والمعرفة للقارئ أكثر من حرصها على المال . .
ابراهيم سليمان الدخيل - الاحساء
السعودية

١٨٠ • ٢٠٠٩

هدية العربي تباع كما هي العادة مع العدد . هذا
هو هدفنا ، واذا كان هناك من يبيعها دون العدد
فذلك اجراء شخصي من بعض أصحاب المكتبات ،
ويمكن للقارئ أن يطالب بهديته من بائع المكتبة ،
كما يمكن الرجوع أيضا الى مكتب الموزع فذلك حق
من حقوقه ، ولا نستطيع بالطبع مراقبة كافة أصحاب
المكتبات فالمسألة تتعلق بمعدن البائع ، ولا
تتعجب من هذا السلوك . .

نحن أمة الحضارة

● ليس التحضر هو تقليد واتباع أساليب التصنع
في حياتنا والتظاهر بمظاهرنا الخارجية ، لاننا أمة
سبقت أمم العالم الأخرى في الحضارة والتطور ،
وأعرف الناس الى رفع الأسس والمبادئ ، ولدينا من
العلماء في شتى العلوم المختلفة الذين تركوا ابداعهم
العلمي واضحا على مسيرة الانسان في هذا الكون .
واذا كان هذا هو ماضى أمنا العربية التى أشرقت
شمس علومها على اختلاف أصقاع العالم ، فاننا لابد
وأن نعود الى احياء ذاك العصر الذهبى الزاهر ، الذى

ديمقراطية الكويت

● قرأت ما تناولته الصحافة عندنا . أجهزة
المدنياع . حول الانتخابات البرلمانية في بلادكم ، التى
تصدر منها كل شهر مجلة كل مواطن عربي ، والتى
تحمل اسم « العربي » ولقد أعجبتنا هذه الروح
الديمقراطية التى تسود فوق أرضكم ، وهى ربح نعتز
بها نحن كما نعتزون بها ، لأن الأمة العربية جسد
واحد ، ولأن الكويت قد أعطت الوجه الحقيقي
المشرق للديمقراطية والحرية والاخاء بين أبناء
الشعب الواحد . . هنيئا لكم في مناخ الحرية والود
والتعاطف الذى يسود أرضكم ، وهنيئا لنا نحن
العرب بالكويت البلد العربي الأصيل الذى يعمل
بالشورى من أجل بناء الكويت وشعبها . .
محمد بلعباس - وهران . . الجزائر

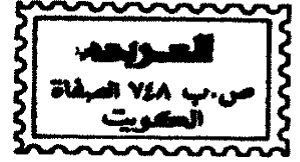
١٨٠ • ٢٠٠٩

الحياة الديمقراطية في الكويت ليست جديدة على
هذا البلد . . فقد كان أبناء الكويت القدماء يعملون
يدا واحدة ، لا فرق بين حاكم ومحكوم . . وما
تعيشه الكويت من حياة ديمقراطية هي امتداد لذلك
الماضى الذى عاشت عليه وأصبح جزءا منها . .

الناس معادن . . فلا تعجب

● كانت دهشتنا كبيرة نحن قراء « العربي » في
منطقة الاحساء بالملكة العربية السعودية ، حين رأينا
أن العدد الممتاز من المجلة ليس مصحوبا بالهدية التى
تقدمها العربي للقارئ مع مطلع كل عام . .

حوار القراء



توضيح من الدكتور المنرا حول خريطة الوطن العربي

● إثر اصدار خريطة الوطن العربي ، هدية العدد الممتاز (يناير ١٩٨٥) التي أشرف على إعدادها الدكتور محمد علي الفراء ، وردت من عدد من القراء الكرام بعض الرسائل التي تتعلق بملاحظاتهم حول الحدود وغير ذلك من الانتقادات . وننشر فيما يلي التوضيح التالي من الدكتور محمد علي الفراء :

وردت رسائل كثيرة من القراء الكرام يحتجون فيها على الحدود بين بعض أقطار الوطن العربي ، كما يعتبر فريق آخر لعدم ذكر قطر معين بحدوده ضمن الخريطة .

ونحب أن نوجه عناية القراء الكرام الى أن الحدود من المسائل التي لاتزال قائمة بين كثير من أقطار الوطن العربي ، ولذلك وتجنباً للاشكال استخدمنا « الحد اللوني » بين بعض المناطق للدلالة على أن الحدود بانتظار التسوية النهائية .

وبسبب مشاكل الحدود أصبحت كثيراً من دور النشر العالمية التي تصدر الاطالس والخرائط تحرص على كتابة العبارة التالية في أسفل الخرائط (لا صلاحية لهذه الخريطة فيما يتصل بالحدود الدولية) .

أما ما يعتقده البعض من أننا استبعدنا بعض الاقطار من خريطة الوطن العربي ، فانه مع تقديرنا للروح العربية العالية التي يتحل بها القراء الاعزاء ، ونحن نشاركهم هذا الشعور القوي النبيل ، إلا أننا رغم ايماننا بوحدة جميع التراب العربي قد حرصنا على أن تشمل خريطة الوطن العربي جميع الاقطار التي اعترفت بها جامعة الدول العربية على المستويين الاقليمي والعالمي .

كانت عليه أمتنا يوم أن كان الغرب يغط في ظلمات الجهل والتخلف .
بولس كامل الشيخ - الجمهورية السورية

كم يتمنى المرء أن تعود أمتنا الى العصر المشرق الذي كانت عليه ، لكن الأمان لا تأت بالكلمات ، بقدر ما تأت بالعمل المخلص ونبذ الأحقاد والضغائن فيما بين أمة العرب ..

استطلعوا حضرموت

● دأبت مجلة العربي ، على نشر استطلاع شهري يسلط الضوء على قطر عربي أو اسلامي ، ويعطى القارئ صورة عن طبيعة جانب من الحياة اليومية في الدولة ذات العلاقة بالاستطلاع ، لكنكم منذ زمن بعيد لم تقدموا لنا استطلاعاً عن محافظة حضرموت ، في جمهورية اليمن الديمقراطية ، حتى يقف القارئ في شق أقطار الوطن العربي على ما وصلت اليه بلادنا خلال السنوات الأخيرة ..
حسين محمد الدحيمي - عدن - اليمن الديمقراطي

لستنا في غفلة عن اليمن الديمقراطي ، فكل بلاد العرب أوطان للعربي . ولورجعت الى عدد العربي (سبتمبر ١٩٨٤) لوجدت استطلاعاً عن الحياة الجديدة في اليمن الديمقراطية . على أي الحالات فنرجو أن نقوم باستطلاع جديد مرة أخرى في بلادكم باذن الله .

منهاطس في العالط

سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع
كل شهر :
وزارة الإعلام - الكويت



أول مايو

١٨٨

عمر الحليد

تأليف : تانكرورست

ترجمة : د. عبدالم اسماعيل

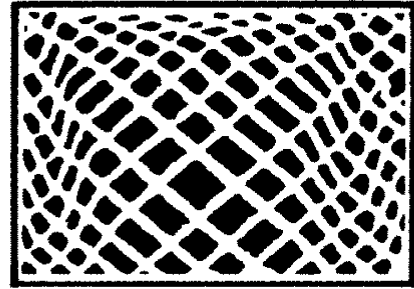
مراجعة : د. فخر ماهر

عالم الفكر



تصدر عن وزارة الإعلام / ص ب ١٩٣ الكويت ت (٤٢٧١٤)

مجلة خاصة المشقة في في الوطن العربي



■ فصلية تعنى بنشر
الدراسات والبحوث الجادة في مختلف فروع المعرفة
رئيس التحرير
أحمد مشاري العدواني
مستشار التحرير
دكتور أحمد البوزيد

مجلة العلوم الاجتماعية

تصدرها جامعة الكويت

■ مجلة فصلية أكاديمية
تعنى بنشر الأبحاث والدراسات في
مختلف حقول العلوم الاجتماعية

رئيس التحرير
د. فهدون حسن النقيب
مدير التحرير
عبد الرحمن فايز المصري

□ منبر بارز للأكاديميين العرب

□ توزع أكثر من ٨٠٠٠ نسخة

للمؤسسات :

١٢ دينار في الكويت
٤٥ دولار أمريكي في الخارج

للأفراد :

٩ دينار في الكويت، دينار في الخارج
٩,٥ دينار أروبا يمدد طواف

الوطن العربي
١٥ دولار أمريكي في الخارج

للوزع في الكويت والخارج :

مبلغ المردم الإجمالي

■ توجه جميع المراسلات إلى : رئيس التحرير
مجلة العلوم الاجتماعية - جامعة الكويت ص. ب. ٥٤٨٩ حنة - الكويت
هاتف : ٢٥٤٩٤٢١ - فاكس : ٣٧٣ / ٢٥١.١٨٨ - ٢٥٠ فاكس : ٢١١٦

مايو ١٩٨٥ م

الإسلام وحقوق الإنسان

د. محمد عمارة

٥٠٠
فلس

الكتاب التاسع والثمانون

المراسلات :

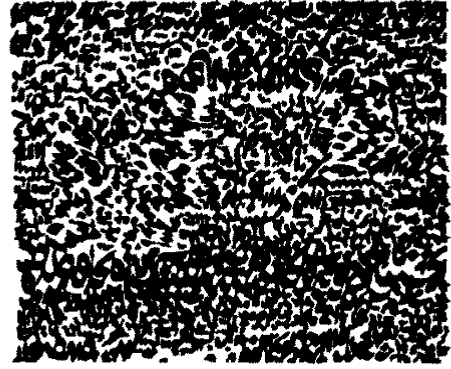
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
من ب ٢٣٩٩٦ الكويت

تصدر عن جامعة الكويت
■ فصلية ■ محكمة
تقدم البحوث الأصلية والدراسات الميدانية
والتطبيقية في شتى فروع العلوم الإنسانية
والاجتماعية باللغتين العربية والانجليزية

رئيس التحرير
د. عبد الله العتيبي
مديرة التحرير
آمال بدر الغربالي

جميع المراسلات توجه إلى رئيس التحرير
العنوان : ص.ب ٢٦٥٨٥ الصفاة - الكويت
هاتف : ٨٢٦٦٣٩ - ٨١٥٤٥٣
تلكس : KUNIVER ٢٢٦٦٦

المجلة العربية للملوم الانسانية



مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية

رئيس التحرير
الدكتور عبد الله الغنيم

تصدر عن جامعة الكويت

صدر العدد الأول في كانون ثاني (يناير) ١٩٧٥ ■ تصل أعدادها إلى أبدي نحو ١٢٥٠٠٠ لاري

تعالج الشؤون للخلفة للمنطقة بأقلام عدد من كبار الكتاب للتخصصين ،
مع مراجعات لأهم الكتب عن المنطقة ، مع ملخصات للأبحاث
بالانجليزية ، كما تصدر للمجلة أيضا دراسات مستقلة متعلقة بشؤون المنطقة

■ العنوان : ص.ب ١٧٠٧٣ الخالديّة - الكويت

جميع المراسلات توجه إلى رئيس التحرير

على المسرح الآن: أربع أجهزة للطرب تزخر بالتكنولوجيا

BOMBEAT 170
(RT-170SG)

BOMBEAT SW5
(RT-SW5)



BOMBEAT 150
(RT-150SG)

AUTO REVERSE

● قدرة بألمعة قدرها ٦ واط
(PMPO) ● سكة من ١ ميكرو
مجهزات ● راديو ١ موجات (اف ام)
موسيقى مصرية ١ مصرية (٢)

BOMBEAT SX4
(RT-SX4)

AUTO REVERSE

● قدرة بألمعة قدرها ٤ واط (PMPO)
● سكة من ١ ميكرو مجهزة من
يمكن فصلها ● راديو ١ موجات (اف ام)
موسيقى مصرية مصرية (٢)
● معادل ساني دو ٤ موجات

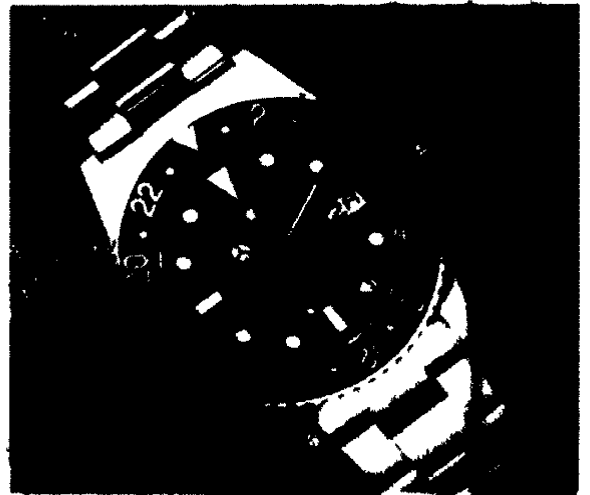
TOSHIBA TOKYO JAPAN

أسطورة تيم سافارين

'تيم سافارين' هو كاتب أولاً ، لكنه واحد مقن يتبعون كل المصادر الممكنة لتأليف قصصه .
أبحر سافارين في مركب عربي ليعيد تحقيق ، وإثبات حقيقة سفرات السندباد البحري
كان سافارين يؤمن أن السندباد البحري هو شخصية من نسج خيال قباطنة البحر العربي الذين عامروا بجرأة والفئة بالسفر إلى أقاصي أصقاع العالم كما كانوا يعرفونه في تلك الحقبة من التاريخ .
هذه الأسفار بالنسبة للقرنين الثامن والتاسع ، هي بمثابة إستكشاف أعماق الفضاء الكوني في القرن العشرين .
عندما أعاد تيم سافارين إحياء مغامرات الأشخاص الأنساطير الذين كتب عنهم كان يقوم بكل الأعمال متبعاً الطريقة ذاتها التي أتبعها والوسائل والمواد ذاتها التي رافقتهم في أسفارهم . ساعد ربهما معرفة الوقت بواسطة النجوم .

ساعته رولكس "جي إم في ماستر" ، تبها تقيز به من دقة وإتقان الصنع واعتمادية مطلقة ، هي ساعة ، لو وقعت بيد السندباد ، لكانت محققاً إعجابه


ROLEX
رولكس



رولكس "جي إم في" ماستر - ذهب 18 قيراطاً ، فولاذ أوس الفولاذ والذهب متنا

To: www.al-mostafa.com